

الْحَجَازُ
في تفسير القرآن العزيز
تأليف

المفسر المحدث النحوي الأديب
الشيخ علي بن الحسين بن أبي جعفر النابلي

(١٠٢٠ - ١١٣٥ هـ)

عقده وراحمه
الشيخ محمد بن أبي بكر المحمدي
رَبِّهِ الْأَرْزَقُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الْجَنِّزُ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ

کتابخانه
مرکز تحقیقات کلامی و فقهی علوم اسلامی
شماره ثبت: ۱۴۸۸
تألیف: ۱۴۸۸

کتابخانه
شماره ثبت: ۶۰۲۸۶
تألیف: ۱۴۸۸

الوجیز

فی تفسیر القرآن العزیز

تألیف

المفسر المحدث النحوی الادیب

الشیخ علی بن الحسن بن ابی جامع العاملي

(۱۰۷۰ - ۱۱۳۵ هـ)

حققه و راجعه

الشیخ مالک الحمودی

الجزء الاول



مركز تحقيق تكاملية علوم إسلامية
الوجيز في تفسير القرآن العزيز
الجزء الأول

التأليف:	الشيخ علي بن الحسين بن أبي جامع العاملي
التحقيق:	الشيخ مالك المحمودي
الناشر:	دار القرآن الكريم
تنضيد الحروف والإخراج الفني:	دار القرآن الكريم
الطبعة:	الأولى
تاريخ الطبع:	١٤١٣ هـ
عدد النسخ:	٣٠٠٠
لينتوگرافی:	حميد - قم
حقوق الطبع محفوظة للناسر	

كلمة دارالقرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

كان الشيعة ولا يزالون السباقين في شتى العلوم والفنون وما زالت تأليفهم القيمة ومنها ما كان في مجال تفسير القرآن العزيز تعتبر من المصادر الهامة في فهم الكتاب المجيد.

ولكن الحكومات الحاكمة حاولت بكل السبل منع انتشار الفكر الإمامي الرافض لكل أنواع الظلم والاستعمار، فمارست ضد حملة علوم أهل البيت أنواع التشكيل من حبس وتشريد وكيل التهم وافتراء الأكاذيب، وحتى القتل والإعدام في محاولة منها لإطفاء نورهم ومحو آثارهم ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾^(١).

وفي هذا العصر، عصر التحرر الفكري - حيث وقف الكثير من شباب اليوم على حقيقة الإمامية وزيف المفتريات والأكاذيب - التي دأب المستعمرون وعملاؤهم طيلة قرون على إلصاقها بهم - ظهر الحق وبطل ماكانوا يفترون، خاصة بعد أن تمكن الشيعة من تأسيس أول دولة إسلامية ساعين لتطبيق الإسلام على المجتمع والحياة في

(١) سورة التوبة: ٣٤/٩.

العصر الحاضر، غير أن الذي نعتقده هو لزوم التحرك نحو بيان النظرة الشيعية تجاه القرآن العزيز، الذي هو المصدر الأساسي للفكر الإسلامي، والذي طالما افتري على الشيعة بتحريفه.

لذلك عمدت دار القرآن الكريم بأمر زعيم الحوزات العلمية، فقيه أهل بيت العصمة سماحة آية الله العظمى السيد محمد رضا الموسوي گلپايگاني دام ظلّه منذ تأسيسها إلى تكريس جهودها في المجالات التالية:

- ١- تدوين معجم مخطوطات الشيعة حول القرآن الكريم.
- ٢- تدوين معجم مصنفات الشيعة حول القرآن الكريم.
- ٣- تأسيس مكتبة تخصصية في مجال القرآن وعلومه والتي حوت لحد الآن آلاف المجلدات في مختلف علوم القرآن.
- ٤- العمل على جمع النسخ المخطوطة أو المطبوعة من القرآن الكريم، وقد تألف منها خزانة ثمينة تحتوي على مئات المجلدات وفيها انفس وابدع النسخ الخطية للقرآن الكريم.
- ٥- تشكيل مؤتمر سنوي للبحث عن مفاهيم القرآن الكريم في ذكرى المبعث النبوي الشريف من كلّ عام.
- ٦- العمل على نشر ما يرتبط بالقرآن الكريم من كتب أو مقالات في مجلة «رسالة القرآن».
- ٧- العمل على إحياء تراث الشيعة حول القرآن الكريم، والذي يعتبر هذا الكتاب «الوجيز في تفسير القرآن العزيز» بأكورة اعمالها في هذا المجال.

دواعي اختيار هذا الكتاب :

واما اختيار هذا الكتاب من بين مئات المؤلفات الشيعية في مجال التفسير فلجهات عديدة أهمها :

الإيجاز مع المحافظة على أداء المعاني بأبلغ العبارات واحتوائه على ما يهم المسلم في فهم الكتاب العزيز بأفضل بيان ، وجهات أخرى اشير الى قسم منها في المقدمة .

ومن هنا حظي هذا الكتاب برغبة علمين عظيمين من أعلام الشيعة وقادتها في العصور الأخيرة على نشره وهما :

سماحة آية الله العظمى فقيه عصره السيد محسن الطباطبائي الحكيم - قدس سره - كما ظهر ذلك في مصورة الطبعة الاولى من هذا الكتاب .

وسماحة آية الله العظمى فقيه العصر السيد محمد رضا الموسوي الگپایگانی دام ظلّه الوارف .

وفي هذا دلالة واضحة على موقع هذا التفسير من بين التفاسير الأخرى .

ولا يفوت الذّار أن تتقدم بالشكر إلى المحققين اصحاب السماحة الذين بذلوا جهدهم في تحقيق هذا السفر الجليل لاسيما سماحة الشيخ مالك محمودي الذي قام بتحقيق القسم الثاني - القسم المخطوط - ابتداء من سورة «الإسراء» الى آخر الكتاب بمفرده ، ومراجعة جميع التفسير من اوله الى آخره .

فإليهم جميعاً الشكر الجزيل ومن الله الأجر والثواب والله وليّ التوفيق .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد الأمين وعلى آله الطاهرين.

إن القرآن الكريم منهج حياة للفرد والمجتمع الإنساني ولا غنى عن دراسته وفهمه من خلال التفسير ولذا كان شرف التفسير مترشحاً عن شرف القرآن العظيم. وقد بادر أول من بادر إلى تفسيره وبيانه صاحب الشريعة الغراء الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي نزل الوحي على قلبه المبارك كما أن كتب التفاسير المختلفة ينسب إليه أعداداً غفيرة من الروايات في بيان آيات القرآن الكريم.

ولما انتقل صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى، كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو المرجع الأول في تفسير القرآن والفصل في حل النزاعات حول معاني آياته الكريمة واهتم بذلك إيما اهتمام فرّبي الطليعة من الصحابة وبث علومه من خلالهم ولنا في تلاميذه أبرز مثال كحبر الأمة عبد الله بن عباس وغيره مما يثبت لنا دون أي شك أن علوم الصحابة جميعاً تنتهي إليه ودأب على ذلك المنوال أولاده الإمامان الهمامان الحسن والحسين وباقي ذريته من الأئمة المعصومين، حيث

قام بقية أئمة أهل البيت عليهم السلام - كل بدوره - بنشر علوم القرآن ومفاهيمه وبيان أحكامه وتفسير آياته ، وقد دون كثير من تلاميذهم رواياتهم التفسيرية في كثير من الكتب التي ألفوها في هذا المجال .

وبعد انتهاء عصر النص ، قام العلماء الأعلام بالنهوض بأعباء هذه المهمة الخطيرة ، فصنفوا ودونوا الكثير من التفاسير مواصلين ذلك قرناً بعد قرن حتى العصر الحديث ، علماً بأن هذه التفاسير قد وقعت ضمن مناهج تفسيرية شتى أتت على مختلف ومعظم جوانب القرآن الكريم ^(١) .

وبالرغم من ان التأليف على هذا النمط الموجز من التفسير كان له جذور ضاربة في تاريخ علم التفسير حيث ألف الكثيرون من العلماء قديماً وحديثاً تفاسير موجزة في عبارتها غنية بمحتواها ، إلا ان هذا التفسير «الوجيز في تفسير القرآن العزيز» امتاز من بينها بوضوح فكرته وجزالة عبارته وقوة ادائه ، وهو للمفسر التحرير والمطلع الخبير المحقق المدقق العلامة الأجل الشيخ علي بن الحسين بن ابي جامع العاملي ، حوالي (١٠٧٠-١١٣٥) . ^(٢) مركز تحقيق كتاب تراث علوم اسلامی

وقد طبع الجزء الأول من هذا التفسير بمطبعة «الزهراء» ببغداد سنة ١٩٥٣م وحصلت «دار القرآن الكريم» على نسخة من هذه المطبوعة لكنها كانت ناقصة الأول وتبدأ بأول تفسير سورة «الفاتحة» .

ولأهمية هذا التفسير رغبت دار القرآن الكريم في طبع هذا الكتاب وتقديمه الى الأمة الإسلامية ليسد فراغاً في المكتبة القرآنية لما فيه من النفع العميم لجميع المسلمين فإنه أيسر تفسير جامع لكل ما يرتبط بألفاظ القرآن الكريم ومعانيه ، ولذلك

(١) انظر مقدمة معجم مصنفات الشيعة حول القرآن الكريم ، وفيه بيان لتاريخ بروز التدوين في علم التفسير وباقي علوم القرآن منذ العصر الاسلامي الاول .

(٢) الحالي والعاطل / ٧٥ .

أوعزت الدار الى عدة من فضلاء محققيها للقيام بهذا المشروع الهام .
وبما أنّ المرحوم الدكتور عبد الرزاق محي الدين - وهو الذي قام بطبع الجزء
الأول من التفسير - قد طلب من العلامة الكبير الشيخ آغا بزرك الطهراني ان يكتب
مقدمة للطبعة الاولى من الكتاب وهذه المقدمة موجودة عندنا ، لهذا فقد اكتفينا بها
عن كتابة مقدمة في التعريف بالمؤلف رحمه الله ومؤلفاته القيّمة .
وتمتاز هذه الطبعة عن سابقتها :

بشمولها واستيعابها لجميع التفسير من اوله الى آخره فيما اشتملت الطبعة
السابقة على أقل من نصف التفسير فقط - حتى سورة النحل - .
كما تمتاز باشتمالها على مجموعة من الهوامش والتعليقات المفيدة ، و جودة
الإخراج ، والحرص - قدر الإمكان - على سلامتها وخلوها من الاخطاء ، فضلاً عن
نسبة الأقوال والآراء في الكتاب الى مؤلفيها ، وغير ذلك من الجهود التحقيقية التي
بذلت فيها .

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

النسخ المعتمد عليها في التحقيق

اعتمدت لجنة التحقيق على اربعة نسخ ، ثلاث منها مخطوطة وهي كالآتي :

١ - نسخة مكتبة آية الله السيد المرعشي قدس سره :

المحفوظة في مكتبته العامة بقم برقم ٦٤٩٩ وهي بالقطع الرقعي في ٢٠٤ ورقة .

وكل صفحة منها تشتمل على ثلاثين سطراً وطول كل سطر ٨ / ٥ سم .

جاء في آخرها : وهذا منتهى سعيي القلم في تحرير ما قصدنا إحكام نظامه ،

قدمن الله بالتوفيق لإتمامه فما كان منه صواباً فمن فيض انعامه ، وما كان خطأً فمن
فتور الذهن وخمود ضرامه .

اسأل الله سبحانه [...]^(١) عما وقع فيه من التقصير، والعفو عن الزلل والذنوب من كبير وصغير، وان يجعل اجتهادي في تأليفه خالصاً لوجهه الكريم وموجباً لنيل ثوابه الجسيم انه بعباده رؤوف رحيم .

وقد منّ الله بلطفه وتوفيقه لنقله من السواد الى هذا البياض ، وتنميته على يدي مؤلفه المفتقر الى عفو سيده ومولاه عما اقترفه من الذنوب وما جناه ، المعترف بالقصور والتقصير والمقرّ بالتفريط في جنب من إليه الامور تصير، العبد الذليل الحقير علي بن حسين بن أبي جامع العاملي ، عامله الله ووالديه والمؤمنين بلطفه الخفي والجلّي .

وقد وافق الفراغ من تحبيره [أصيل يوم الأحد]^(٢) ثلاث وعشري جمادى الآخرة من سنة المائة وعشرين بعد الالف على مشرفها اشرف الصلوات وعلى آله سادات البريات . والحمد لله وحده .

وتمتاز هذه النسخة بأنها كاملة وعليها تعليقات عديدة، منها: ما ورد في ذيلها كلمة «منه» .

ومنها ما جاء في آخرها بالرمز (ع . ق) .

هذا وأن تاريخ الكتابة يرجّح الظن بأنها بخط المؤلف نفسه . لولا وجود بياض كلمات في مصورتها في سطور الصفحة الأخيرة .

ولعلها تركت بياضاً لتكتب بخط يغاير سائر المتن أو بلون آخر لتمييزها عن سائر الكلمات .

وقد رمزنا لهذه النسخة باعتبار كمالها بالنسخة «الف» .

٢- نسخة مكتبة آستان قدس في مشهد :

(١) في النسخة بياض بمقدار كلمة واحدة . ولعلها: الغض .

(٢) ما بين المعقوفتين من «ب» . وكان موضعه بياضاً في «الف» .

وهي ناقصة من آخرها عدة أوراق . ومجموع أوراقها ٤٦٤ ورقة من القطع الرحلي وفي كل صفحة ٢١ سطراً وطول كل سطر ١٠ اسم .
وقد رمزنا لهذه النسخة بالرمز «ب» .

٣- نسخة مكتبة دار القرآن الكريم في قم :
وهي في ٧٣٦ صفحة بالقطع الرحلي وفي كل صفحة ٢٦ سطراً وطول كل سطر ١٢/٥ اسم ، جاء في آخرها بعد ايراد ما كان في نهاية نسخة «أ» ماييلي :
والحمد لله حق حمده وصلى الله على من لاني بعدة وسلم تسليماً كثيراً مباركاً
برحمتك يا ارحم الراحمين وأكرم الأكرمين .

وقد وافق الفراغ من نسخ هذا الكتاب المستطاب عظيم اللفظ والخطاب ، عصر يوم الثاني والعشرين من شهر شعبان احد شهور سنة «١٢٧٣» الثالثة والسبعين بعد المائتين والالف من الهجرة المحمدية على مهاجرها وآله أفضل الصلاة وأشرف التحية ، على يد الأقل الجاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن أحمد الشويكي البحراني عفى الله عنهم أجمعين بمئة وكرمه . آمين آمين .
وقد رمزنا لهذه النسخة بالرمز «ج» .

وأما النسخة المطبوعة والتي رمزنا لها بالرمز «ط» فهي المطبوعة ببغداد سنة ١٩٥٣ م بإشراف وتقديم الدكتور عبدالرزاق محي الدين .

وكان قد اعتمد فيها على عدة نسخ مخطوطة ذكرها في مقدمة الكتاب . وارفق بالكتاب صور لبعض الصفحات من ثلاث نسخ حرر عليها الاصل ، وهي :

نسخة العلامة السيد حسن الصدر .

ونسخة العلامة السيد أمين الصافي .

ونسخة العلامة الشيخ قاسم محي الدين .

العمل في الكتاب

قام المحققون بمايلي :

- ١- إجراء مقابلة دقيقة للنسخ المتوفرة لديهم وضبط موارد الاختلاف بين النسخ .
- ٢- نسبة الأقوال الواردة في الكتاب إلى قائلها اعتماداً على كتب التفسير المعتبرة .
- ٣- استخراج الروايات من المصادر الحديثية المعتبرة .
- ٤- الإشارة الى كلمات علماء الفريقين الواردة في تضاعيف هذا التفسير .
- ٥- الإقتصار - في اثبات موارد اختلاف النسخ - على ما كان مغيراً للمعنى فقط ، وحذف موارد الاختلاف البسيطة التي لا تخل بالمعنى والتي يحتمل قوياً كونها من خطأ النساخ .
- ٦- مراجعة النص ومقابلته على المصادر المحتملة وتصحيحه مع الإشارة الى ذلك في الهامش .
- ٧- العمل على اخراج التعليقات بصورة متناسقة .
- ٨- قد نقل المؤلف عدة قراءات في كتابه وربما رجّح بعض تلك القراءات فجعلها الأصل في التفسير فحبذنا الإشارة الى قراءة «حفص» في الهامش في كل مورد رجّح المؤلف قراءة غيره ، وذلك لان هذه القراءة هي المتداولة بين المسلمين في

الوقت الحاضر.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يجزل الثواب لكل من ساهم وشارك في اخراج هذا التفسير الى حيّز الوجود ووضعه تحت تصرّف العلماء والباحثين في حقل الدراسات القرآنية والله وليّ التوفيق .

ولا يفوتنا التنويه باسم سماحة الشيخ مالك المحمودي الذي بذل جهداً مشكوراً وابدى مثابرة متواصلة في اتمام هذا التفسير النافع من كل جوانبه ودأب من أجل أن يرى هذا الكتاب النور.

لجنة التحقيق في دار القرآن الكريم



مركز تحقيق كتاب تبيين علوم اسلامی

نماذج مصورة من النسخ المخطوطة

المعتمد عليها في التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم
تفسير العنبر
للأب الراجح العالم
رحمه الله

کتابخانه : آیت الله العظمی
مرعشی نجفی - قم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[illegible]

شعبا الظلم من نفسه الصنفين من الناس كانت لاشك الا في الظلم او سبلان ظلامه اذ اوقف جمل خلاصه
 ولفظه صليحي البند فينا بين وقبل الفاسق او يفسد فيجب في السواد ومن سر النفا كانت اي التكاثر
 اول النور من السواد والوراثه ينفق اي ينخرر ويؤا ويبدع في العمل الخ ليعتد بها برؤيه بقلها و
 عرفنا دون فاسق سبلان كل فاعانه بشرهم بظلامنا ومن شر حاسدا احسدا ظهر حسده وصل

سورة الناس

قل اعوذ برب الناس خصوصا بالملك شرير العلم والادب الاستعاذه من شر الموسوي المسمي بناسم
 المذير لهم والمالك لا يسمي ملك الناس الله الناس عطفنا بينا اذ ليس كل رب حكما وليس كل ملك اذاعة
 التلاوة قد نرى في اعطاه وتكره الناس ان يذاعوا الشرير واليس من شر الموسوي اسم يعطى الموسوي
 اربعه الشيطان مع والعبد والكثير من الناس لا يسمي بناسم اي بناحق اذ ذكره بعد رب الذي
 موسوي في صدقته لنفسه من ذكر ربهم والذي صغر اوزم مرفوعا وادعى من المذير والناس
 بيان للموسوي الذي الشيطان او الذي اذ الشيطان يكون صغيرا والناس وضه كبره الخلق المستعاذه
 به صغره واحدة والمستعاذه من كل شئ في ذكره في هذه تلك صفات والمستعاذه من اذ واحدة
 انما تانها ضد فدا النفس التي وحدها للشيا لبيت غاين بن النضر الاولام اعطانا الله
 ما ياكم مضان الدنيا والدين ووقفنا لما بوصل الى سعادته الناصر بن محمد الرضا ع
 رب العالمين وهذا انتهى في العلم في حق ربنا صل الله عليه وسلم قدس الله بالثوبى لانما في ذلك منتهى
 من فخر انعامه وما كان خطا في حق الله من فخره اسما الله سبحانه عما وقوف من تعظيم
 والعفو عن الزلل والذوق من كبره صغره وان يجعل اجناديه في ناله فخره المومنين والكرام وموجبنا
 لنبيلوا به الجسيم انه عبادا ورضاهم وقد من الله بلطفه وثوبه لعل من السواد اذ هذا
 وثيقه على يد مولاه المفضل الى محو سببه ومولاه عما افترق من الذنوب وطلعه المعترف
 بالافسود والتقصير والمغتر بالفرط في جنب من الاله الامور فخر العبد الذليل القليل على من جسد
 من ابد جامع الغاييل عامه الله والدين والمؤمنين بلطفه الخفي والجلي وقد واخا الخراف من فخره
 كنه وعشري جاد ان يخرج من سنة المائتين وعشرين بعد الف على عشر في الف والصلوات
 وعلى الرسل والارباب والحمد لله وحده

تمت بحمد الله تعالى

مر عشي نجلتي - قم



والاعلامه الشيخ علي حسين بن ابي طاهر العالماني ببلخ

وَقَدْ كَفَّرْنَا عَنْ قَوْمِ الْأَنْبِيَاءِ إِذْ أَتَوْهُم بِبُرْهَانٍ بَارِئٍ مِمَّا يَنْتَحِبُونَ

الحمد لله الذي أنزل على عبده القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان
 فتحدى به الفصحاء من أهل اللسان فجزوا عن معارضة اقصوه في حسن نظمها والبيان
 والصلوة على الخطيب به على رؤس الانس والجان التاسع به وبديته سائر الكتب
 والاديان محمد المبعوث بالبلغ حجة وافى برهان والله الذين هم لكاتبه وشرحه حفظه
 وعزان عليهم صلوات الرحمن في كل زمان واما ان اسير الذنوب العظام ^{من}
 الجرائم الجسام الراجي من فضل مولاه فكذلك رغبته من اغلال خطايا العبد الجاني على بن
 حسين بن ابي جامع الساملي عامله الله بعفو ورافته وشمله والديه والمؤمنين بفضل
 ورحمته يقولان علم التفسير من اجل العلوم الشرعية موضوعا وافضل المعارف الدينية
 اصولا وفروقا لانه الكشاف عن احوال التنزيل الحجاب ومن شانه الاسعاف مع البيان
 والبيان لاولي الالباب وفي ضمنه كشف عن حقائق علوم حجة وفي طيه نشر لدقائق
 فنون مهمة وكثيرا ما كنت احديث نفسي في ما ليف مختصر منتخب من شتى فمات به وجمع
 ملخص منقط من جواهر كنز عرفانه ويعوقني عنه قصر الباع عن تناول هذا الزار ^{فكسر}
 الاستعداد عن بلوغ ذلك المقام فقلت لنفسي لا تقبلي من فضل الكريم ونفسي بفضل
 جوده العليم فحدثني مع توارع البال وعرض الشواغل من سفر وغيره من الاشغال
 سالكا فيه طريق الاجازة في التفسير مبشرا الى اكثر الاقوال المحملة من وجود التفسير منها

على قليل من التثنية اذا يحيط بكلها حسب معراجها على ما يوقف عليه فهم المعنى
من وجه الاغراب مقصرا على ذكر المراتب السبع المشهورة ومنها ذكرت غيرها
في مواضع يبره جاراتها في الايات على المشهور من اغفال البسملة خوفا من مخالفة
المتطور في المصاحف الشريفة البجيلة وان كان الاعتقاد انها اية من كل سورة الا التور
لاخبار بحجتها من المتواترات محسوبة وانظروا في الله بلطفه للاتمام على ما ذكرت من
التأليف والنظام ناسب ان يستقى الوجيز في تفسير القرآن العزيز ثم انى اسأل الله
تعالى ان يجعله وسيلة للعفو وغفرانه وديعة الى الفوز بجوابه ورضوانه وان يرفع
برئائهم ويهديهم الى الرشدين بخمسة عشر من الاكبرين صلى الله عليهم اجمعين
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **الحمد لله** وقيل انزلنا بالآية
نستفيح الكتاب لانها مفتحة واتم الكتاب لاشتمالها على كل معانيه والحمد لله
فيها والسبع المثاني لانها سبع ايات انفاذ الكثر من عاد البسملة دون انعت
عليهم وعاكس ونقش في الفريضة او الازال ولها اسماء اخرى المذكورة في شرح
الزخرف البشير اية من اياتها من كل سورة عدل برائتها جاحدا والمخالفون بين موافق
ومخالف والباء للاستعانة ونزج بان جعل اسمه تعالى له الفضل شعرا بزيادة
مدخلته فيه حتى كانه لا يوجد بدونه او المصاحبة ونزج بان التبرك باسمه
ادخل في الادب من جعله الاله اذ هي تابعة مستدلة وفي لفظ على المشركين في تكريم
باسم آلهتهم والمخالفات التبرك بجامع كلاهما فان ذكر اسمه تعالى بغيره مطلقا
والتور مقولة على السنة عبادة فليما التبرك باسمه وحده وسؤاله ومنع
الظرف الاولى تقديره فضلا لاصالته في العمل وقلة الاضمار مؤخر لاهية اسم
وفضرت التبرك عليه خاصا هكذا بسم الله التلويد لانه لما عليه اذما ينزلون النعم
متلو وكل فاعل ضمير ما جعلها مبداء له كاذبح واحل واسجل في الذبح والحل والادخا

الحمد لله

الحمد لله

وصغير وان يجعل اجتهادى فى ثابته خالص الوجه الكرم وموجباً
 لنيل ثوابه الجسيم انه يعباد درؤف رحيم وقد من الله بطفه ونوفه
 لتغلب من السودة الى هذا البياض ونهضة على يدي مؤلفه المفتقر الى عفو
 سيده ومولاه عما افترقه من الذنوب وما جناه المعترف بالقصور والتقصير
 والمقتر بالتفريط في جنب من اليه الامور تصير العبد لذليل الخيبة على
 حسن بن ابي جامع العامل على عامله الله ووالديه والمؤمنين بطفه الخفى
 والجلي وقد وافق الفراغ من تحبيرة اصبل يوم الاحد ثالث وعشرين جمادى
 الاخرة من سنة المائتين والعشرين بعد الالف على مشرفها اشرف الصلوات

وانتم التسليمات والسادات البريات

والحمد لله وحده لا شريك له

مركز تحقيق كتاب تويره ٥٨٥

على ١٤١٨ خور وبيوت
 انجمنه سجادى

كتاب الله آستان قدس
 قزوین

هذا كتاب تفسير الوجيز من سماعات آلاء الخويص : السلام عليكم تحق الله
 العلامة الأجل الشيخ أبي الحسين بن أبي جامع العالم بحصول الله وقد
 بحمد والحمد لله الرحمن الرحيم وبه نستعين أجمع بين
 الحمد لله الذي أنزل على عبده القرآن همدى للتأسي وبينايت من الهدى والفرقا
 فتحدث به الفصحاء من أهل اللغات فجزوا عن معارضته اقصر سورة في حسن نظمها والبيان
 والصلوة على الخطيب به على رؤس الناس والجات الناسخ به وبدنه سائر الكتب داء
 محتر المبعوث بابلج حجة واقوى برهان والله الذي بهم لكتابه وشرعه حفظه وحنان
 عليهم صلوات الرحمن في كل زمان **والحمد** فان اسير الد نوب العظام ومن
 الجرائم المسام الراحي من فضل مولاه فك رقبته من اغلال خطايا العبد الجاني على
 بن حسن بن أبي جامع العالم على عامله الله تعالى نفعوه ورافقه وشمله والمدي و
 المؤمنين بفضله ورحمته **القول** ان علم التفسير من اجل العلوم الشرعية
 موضوعا وافضل المعارف الدينية اصولا وشرعا لانه الكشاف عن انوار التنزيل
 الحجاب وهو شانه الاستعاف بجميع البيان والتبيين والاوليا الالباب وفي ضمنه كشف
 عن حقائق علوم حقه وفيه نشر على لد فائق فنون مهمة وكثيرا ما كنت احدا شافيه في
 تأليف مختصر ملقط من حواهر كبره فانه ويعوقني عنه قصر الباع عن سائر هذا المرام
 ومصور الاستعداد عن بلوغ ذلك المقام فقلت لنفسي لا تقتطعي من فيض الكرم وثقي بفضل
 جوده العيم فشرع فيه مع توزيع البالي وعروض الشواغل من سفر وغيره من الاشغال د
 سالكافيه طرقي لا يحاز في التيسير شيئا الى اكثر الاله بالاحتملة من وجود التفسير منها على
 قليل من النكت اذ لا يحيط بكلماتها متعرا بما توتفت عليه فهم المعنى من وجه الامر
 مقتصر على ذكر القراءات السبع المشهورة وما ذكرت غيرها في مواضع يسيرة فاني على
 الايات على المشهورة من اغفال البسلة خوفا من مخالفة المسطر في الصاحف الشريفة الجملة
 وان كان الاعتقاد ان آية من كل سورة الا التوبة لاخبار محجة من المتواترات محسوبة فاذا قد
 وفق الله تعالى بلطفه للاتمام على ما ذكرت من التأليف والنظام كان قريبا ان يسمى **بالوجيز**
 في تفسير القرآن العبر ثم اني اسأل الله تعالى ان يجعله وسيلة الى غفرانه ودرجته
 الى الفوز ثوابه ورضوانه وان ينفع به الطالبين ويهدي به المسترشدين بحمد وعزة الاكرم
 صلى الله عليهم اجمعين ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم **سورة الفاتحة**
 مكية وقيل انزلت ثانيا بامدنية لتسمى فاتحة الكتاب لا مفتحة وام الكتاب

كتاب التفسير في شرف آية الله العظمى علي كافي

علي بن حسين بن ابي حاتم العاملي عامله الله ووالديه والمؤمنين لطيفة الخيرة
والجاني وقد وافق الفراغ من تجبيره اصيل يوم الاحد ثالث وعشري جمادى الآخرة

من سنة المائة والعشرين بعد الالف على مشرفها والتم اشرف

الصلوات واسم التسليمات الناميات واهل بيته سادة

البريات والحمد لله حق حمده وصلى الله على من

لا اله الا هو وسلم تسليما كثيرا مباركا كثيرا

بارك الله فيهم والراحمين والرحم الاكبرين

وقد وافق

الفراغ

من

نسخ هذا الكتاب المستطاب عظيم اللفظ والخطب عصر

يوم الثاني والعشرين من شهر شعبان احدى شهور سنة

الثالثة والسبعين بعد المائتين والالف من الهجرة

المجديرة على مهاجرها افضل الصلوات واشرف

التحية على يد الاقل الجاني محمد علي بن محمد

بن عبد الله بن احمد التوقي

الحمد لله على نعمه

اجمعين عليه وكن

آمين

آمين



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الدرر الحسنة

في تفسير القرآن العزيز

له على بهمة الحسين بن محي الدين

العالمي الحارثي الهمداني

جزء الاول

فرغ من تأليفه في النجف الاشرف في ١٧ من ربيع الاول سنة ١١١٨ هـ
طبع برغبة آية الله السيد محسن الحكيم الطباطبائي

حرد نعه وكتب مقدمته عبد الرزاق محي الدين
مقابلا له على أربع نسخ مخطوطة
حقوق للطبع محفوظة

مطبعة الزهراء



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مقدمة الطبعة السابقة^(١)

بسم الله والصلاة على محمد وآله

قبل نيف وعشرين عاماً، كنت أدرج إلى مباهي العربية في صباي الباكر، وإذ شدوت منها قليلاً ألقى إليّ والدي، - نضر الله وجهه - بنسخة من كتاب مخطوط يطلب مني نسخه، مشجعاً لي بأنه كتاب في تفسير كتاب الله، وأنه من مؤلفات أحد آبائه، ولم يك لي حينها بدّ من الإستجابة لرغبته، وإن لم أدرك على وجه مقنع ما يبرر تلك الرغبة الملحة، فنسخت المخطوط نسخ من لا يستقيم له فهم النص، وتنقصه بعض قواعد الإملاء. تمّ نسخي للجزء الأول منه، وحفظته أوراقاً بين ما أوثر من أوراق، وتقلبت بي الحال فلم أعد أتذكر ما نسخت به العودة إلى نسخ الجزء الثاني من المخطوط.

وقبل عامين زرت موطن دراستي الأولى «النجف» وعرجت على زيارة آية الله السيد الحكيم في بيته، فكان مما تحدّث به إليّ رغبته في نشر «الوجيز في تفسير القرآن العزيز» شافعاً ذلك بما قدّره من حاجة الخاصة من أهل العلم إلى تفسير يجمع صفتي الإيجاز والإحاطة، ومن حاجة العامة من قارئ القرآن إلى تفسير ميسر مفهم

(١) اتحفنا بهذه المقدمة فضيلة الأخ السيد محمد المجتهد النجفي.

يقف عند حدود الإبانة عن مقاصد كتاب الله ، ورأى أنّ خير ما يجمع هذه الصفات من كتب التفسير كتاب «الوجيز» وقال - وهو بسبيل حملي على نشره - :
 إن هذا الكتاب من مؤلفات رجل تربطك به صلة من قرى ، في إحيائها بعض
 الوفاء لحقوق الآباء .

ومع بليغ رغبتني في امتثال أمره فقد ساورني تخوّف من ثقل العمل ، ولكنني إذ
 عدت من زيارته تذكرت الرغبة التي حملت والدي في طلائع تكويني على نسخ هذا
 الكتاب ، وقدرت أنّ نشره بين الناس يحقق استجابة أخرى لرغبة كنت يومها حريصاً
 على أن أوليها الطاعة والوفاء .

بهذا بدأت فكرة نشر «الوجيز» ومن حينها أخذت أطلب ما يوجد في المكتبات
 من نسخ مخطوطة له ، وكان من حسن التوفيق أن وجدت له عدة نسخ في مكاتب
 العراق ، سخا بها أصحابها الأفاضل في غير مكافأة أو ممانعة وهو سخاء لا أشك في
 أن باعته الغيرة العلمية والحرص على نشر هذا الأثر الكريم .

نسخ الكتاب

والذي وقفت عليه من نسخ «الوجيز» عدد غير قليل :

أولها : نسخة المؤلف وهي التي نسخت عليها الجزء الأول ، ولكنني أجهل كيف
 خرجت من مكتبة والدي ، ويقال : إنها بيعت خفية إلى بعض السرايين في النجف
 وانها انتقلت من يده إلى بعض مكاتب الهند .

وثانيها : نسخة الامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، وقد اطلعني عليها ،
 وعلى تعليقات قيمة لسماحته سجّلها أثناء مراجعاته المتصلة للكتاب ، وقد كنت
 أرغب في نشرها مع الجزء الأول ، ولكنه - حفظه الله - رغب في أن يزيد في التعليق ،
 حتى اذا انتهيت من نشر الجزء الثاني ألحقها بالكتاب .

وثالثتها : نسخة العلامة الشهير السيد حسن الصدر وهي الآن في مكتبة ولده العلامة السيد علي الصدر، وقد تُلطَّف - حفظه الله - بإعارتها لي للرجوع إليها عند تحقيق نص الكتاب .

ورابعتها : نسخة العلامة السيد أمين الصافي ، وقد تفضَّل - حفظه الله - بإعارتها لي كذلك .

وخامستها : نسخة العلامة استاذي الأول الشيخ قاسم محي الدين وقد سمح بها عند نشر الكتاب .

وسادستها:النسخة التي نسختها على خط المؤلف:وقد أشرت إليها في طلائع المقدمة . وقد جرى تحرير الأصل على نسخة الصدر والصافي ومحي الدين .

نسخة الصدر:

بخط النسخ الجيد، وعلى الآيات القرآنية وأسماء السور خط أحمر، وورقها: من نوع الترمه «الترمذي» وهي بجزء واحد في ٣١٠ ورقات بقطع الربع، سقط منها سبع ورقات من جزء «عم»، في كل صحيفة منها ١٦ سطراً، وكل سطر يتألف من ١٥١٣ كلمة، وقد تمّ نسخها سنة ١١٤٧ هـ، بيد «محمد بن نصّار» وكانت في عام ١٢٥٨ بحيازة «بن ملا مقصود علي» وقد تملّكها السيد حسن الصدر سنة ١٢٤٢ هـ، وهي لا تزال بحيازة أسرته .

وهذه النسخة أفضل النسخ التي تحت يدي، وأقربها إلى السلامة، وعليها كان اعتمادي في نشر الكتاب .

نسخة الصافي :

وهي بجزءين، الجزء الأول ١٩٣ ورقة بقطع الثمن تقريباً في كل صحيفة ٢١

سطراً، وفي كل سطر ما يتراوح بين ١١ - ١٣ كلمة، وخطها يشبه الخط المغربي في طول الحروف و إلتوائها، وورقها سميك أسمر، وأقدم من وقّع عليها رجل اسمه «محمد حسين»، وكان تاريخ ختمه ١٢٦٩ هـ، وقد كانت في حيازة العلامة المعاصر السيد جعفر بحر العلوم سنة ١٣٢٧ هـ، وفي حيازة السيد أمين الصافي ١٣٣٤ هـ. وتمتاز هذه النسخة بتعقيبات للمؤلف نفسه كتبت على هوامش النسخة، وسأنشرها في ذيل الكتاب عند تمامه، وعلى هذه النسخة اعتمدت تقسيم المؤلف إلى جزئين.

نسخة محي الدين :

بخط النسخ الدقيق، والآيات القرآنية وأسماء السور خط عليها بالحبر الأحمر، وعدد أوراقها ٢٥٠ ورقة وكلّ صفحة ٢٨ سطراً. وكل سطر يتألف من ١٩ - ٢٢ كلمة، وقد نسخها «حسين بن باقر بن الشيخ مظفر الجزائري الصيمري» وتم نسخها صباح الثلاثاء في الثامن والعشرين من شهر صفر سنة ١٢٠٧ هـ، وفي نهايتها صورة ما كتبه المؤلف على نسخته يوم أنهى تأليف الكتاب.

وتمتاز هذه النسخة على أخواتها بأن المفردات القرآنية اللغوية مشار إليها بعناوين في الهامش وبأن مختلف المسائل الواردة فيه معنونة وبأن جملة نقول وروايات ومقتبسات عن كتب التفسير الأخرى كتبت على الهوامش، ويخيّل لي ان ذلك من عمل الناسخ إذ الخط واحد فيها جميعاً، وان كان سقم كتابته وضبطه لايدلان على ان التعليقات منه، فلعل الناسخ أخذها من نسخة أخرى كانت فيها هذه النقول والعناوين.

وبالجملة فالنسخ الثلاثة يظهر فيها اثر العناية والضبط إما من عمل الناسخين أو من عمل الاعلام الذين قرأوا الكتاب من بعدهم والخلاف بينها لم يك ذا بال. وقد

فضلت من نصوصها عند الاختلاف (وهو اختلاف - كما قلت - ليس ذا بال) ما اتفق عليه أكثرها وما بدا لي أنه أولى بالترتيب كما نقلت قواعد الخط «الإملاء» من رسومها القديمة إلى ما تألف مع قواعد الرسم الحديث وأضفت قواعد الترقيم وشكل بعض الكلمات التي في لغتها أو أعرابها محل للبس في القراءة وسيبقى القارئ أن بعض الجمل - لمكانها من الإيجاز - يستعصي فهمها لولا هذا الشكل والترقيم.

وقد بذلت جهدي في التصحيح ولكني لم أسلم من غلط فائسي رغم الحرص والحذر وسيعذرني من يمارس النشر المشكول وبخاصة الشكل للقرآن في مطابع العراق.

خصائص الكتاب

ولهذا التفسير جملة خصائص تميزه عن باقي كتب التفسير:

أولها: فهم المؤلف للنصوص القرآنية فهما أدبياً يبعد به عما ألفه كثير من المفسرين في القديم والحديث من وصل النص القرآني بمختلف ثقافاتهم في غلو وإسراف وصلأ طالما ظهر فيه أثر التكلف والصناعة واضاع على الناس الروعة الأسلوبية التي هي أبرز خصائص القرآن وأقواها برهاناً على أعجازه.

ثانيها: ذكر الآراء المختلفة للمفسرين الذين سبقوه بأمانة وضبط في غير حاجة من دحض فكرة أو تفضيل رأي، ثم ذكر ما يذهب المؤلف إليه بنفس الروح الهادي المستقيم.

ثالثها: عدم التبسط في ناحية وتحيف ناحية أخرى، بل يعطي المؤلف لكل أمر حقه من الوفاء الموجز، فالقراءات، وأسباب النزول، واللغة، والنحو، والبلاغة، والاحكام الفقهية، والمسائل الكلامية، والتاريخ القصصي، جميعاً؛ تأخذ نصيباً واحداً من العناية. وهذا حظ في التأليف قل من وهبه، وهو دليل استيعاب الرجل

لأكثر علوم العربية والدراسات الإسلامية استيعاباً جعل منه مؤلفاً قادراً على ضبط قلمه متى شاء .

رابعها : ان الإيجاز عنده ليس إيجازاً في الأفكار وإنما هو إيجاز في الأداء فأنت واجد من وراء كل كلمة قصداً تومىء إليه لو رجعت تستوضحه في الكتب المطولة ما أفدت جديداً فاتته الإشارة إليه ، وهو بهذا يصح ان يكون متناً لدراسة مطولة أو ملخصاً للحفظ والتذكر عند الحاجة أو ثباتاً يومىء إلى مواطن الرأي في كل آية ومسألة

ترجمة المؤلف

وقد فضلت أن تكتب بغير قلمي فاخترت لها رجلاً تشهد بحوثه في سير الرجال بالاستيعاب والتثبت فكتبت إلى العلامة الجليل محمد محسن الشيخ المعروف بـ «آغا بزرك» أن يكتب سيرة الرجل بقلمه فتفضل وأرسل إليّ الترجمة الآتية :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد خاتم الرسل وعلى آله وأوصيائه ومعادن حكمه الهادين إلى أوضح السبل صلاة زاكية دائمة من الآن إلى ان يجمع الله بيننا في مستقر رحمته .

وبعد فإن النظرة العابرة في هذا التفسير «الوجيز» تغني القارئ عن تقريره والإطراء عليه .

إن نسبة هذا السفر الجليل إلى مؤلفه بلغت حدّ التواتر المفيد للعلم الضروري لا سيّما وجود النسخة الراجعة كتابتها إلى عصر المؤلف والمقروءة عليه ، فالبحث في خصوصيات متن هذا التفسير وما حوته دفتاه والتحقيق عن سنده ونسبته إلى المؤلف لا يثمران غير التطويل لذا نفلت القراء إلى مكانة المؤلف لنفسه وشرح أحواله وتواريخه التي محيت عن صفحات التاريخ كتراجم كثير من سلفنا الصالح وعلمائنا الأبرار .

نعم جنى التأريخ على هذا العالم الجليل ، لكن تصانيفه الجليلة أحييت ذكراه

وأثاره الباقيه دلت على فضله وهي براهين جليّة على أنّه العلامة الجامع للمعقول المبرّز في سائر الفنون والمؤلف في كثير منها، فهو مفسّر، محدث، فقيه، أصولي، نحوي، منطقي، رياضي، فلكي، اديب، شاعر كما ستعرفه عند ذكر تصانيفه.

نسبه

رأيت بعضه بخطه النسخ الجيد هكذا: علي بن الحسين بن محي الدين بن عبداللطيف بن نور الدين علي بن شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن علي ابن أحمد (أبي جامع) العساملّي، فينه وبين (أبي جامع) تسعة آباء، وأبو جامع عاشهم.

وجده الخامس أعني (محمداً) بين (أحمدين) كان عصره أواخر الثمانمائة وأوائل التسعمائة للهجرة، فانه كتب (التنقيح الرائع) للعلامة الشيخ أبي عبدالله المقداد السيوري المتوفى سنة ٨٢٦هـ، وفرغ من كتابة جزئه الأول وأوائل سنة ٩٠٨ ومن كتابة جزئه الثاني أواخر سنة ٩٠٩هـ، والنسخة جميعها بخط واحد رأيتها بمكتبة العلامة الشيخ (هادي كاشف الغطاء) وكتب في آخرها اسمه وبقيّة نسبه الى (أبي جامع) كما مرّ، يعني انه ذكر بينه وبين أبي جامع ثلاثة آباء أعني علياً بين أحمدين، فيكون عصر أبي جامع أواخر السبعمائة وأوائل الثمانمائة يعني انه كان حياً في نيف وثمانمائة، فان البطن الرابع من حفدته كان حياً في نيف وتسعمائة يعني ٩٠٩ سنة كتابة (التنقيح).

فأل أبي جامع بيت قديم في جبل عامل من علماء الشيعة.

وأول من عرفناه منهم بالعلمية كاتب (التنقيح) المذكور، فانه كتبه في مدّة طويلة تزيد على الستين تقريباً كما ذكرنا، ولعل ذلك كان أوان اشتغاله به وقرائته فيه، وإلاّ فمجرّد الكتابة لاستغرق هذه المدة وقد كتب في آخره ما لفظه: فرغ من مشقّة مشقه

العبد المحتاج إلى المنزه عن الأولاد والأزواج، وبارئ الخليفة من نطفة أمشاج، أقل الناس جرماً وأكثرهم جُرمًا، القليل عملاً، الجسيم أملاً، الكثير زللاً «محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن أبي جامع» رزقه الله من العيش أرغده وجعل خير يومه غده بمحمد وآله الطاهرين. في عِدَّة أيام آخرها قريب الزوال يوم الجمعة ثاني شهر ذي الحجة المبارك من شهور سنة تسعة بعد التسعمائة (انتهى).

وذكر أنه كتبه عن نسخة سقيمة مغلوطة ولم يتيسر له مقابلته وتصحيحه.

وبالجملة إن في نفس النسخة أمارات تدل على أن كاتبها من أهل العلم والفضيلة مضافاً إلى شهادة «المحقق الكركي» له بذلك في الإجازة التي كتبها بخطه: الشيخ «شهاب الدين أحمد» ابن هذا الشيخ. وصورة الإجازة مدرجة في مجلد إجازات «البحار» صرح فيها بأن والد المجاز منه كان من المشايخ الصالحين، فقد عبّر عنه بقوله: الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ الصالح ابن أبي جامع، فالظاهر أن المحقق الكركي إنما وصفه بذلك علماً منه بحاله وصلاحه يوم كان في بلاده أو أن كتابة «التنقيح»، ولعل ذلك كان بمرأى منه، بل يغلب على الظن مشاركته مع «الكركي» في التلمذة على الشيخ «علي بن هلال الجزائري» الذي أجاز الكركي، فإن هجرة الكركي من بلاده إلى مجاورة العتبات كانت سنة ٩٠٩ يعني بعد كتابة «التنقيح» وحين عزمه على التوجه إلى العراق أجازته بتلك السنة شيخه علي بن هلال كما صرح الكركي بجميع ذلك في إجازته لصفي الدين في سنة ٩٢٧ وصورتها مدرجة في آخر مجلدات «البحار» أيضاً.

وبعد تشرف المحقق الكركي إلى العراق تشرف الشيخ شهاب الدين أحمد بن هذا الشيخ الصالح وتلمذ على المحقق الكركي سنين حتى كتب له الإجازة في سنة ٩٢٨، مصرحاً فيها بتلمذته عنده، ثم عاد الشيخ شهاب الدين أحمد إلى بلاده واشتغل هناك ولده الشيخ نور الدين «علي» على «الشهيد الثاني» وكتب بخطه

«الروضة البهية» في سنة ٩٦٠ يعني بعد تأليفه بثلاث سنين عن نسخة خط استاذ المؤلف، وقرأه عليه وصحّحه وقابله مع نسخة خط استاذ، وشهد الاستاذ بمقابلته وتصحيحه وقراءته عليه. وكتب له عليها الإجازة ورأى هذه النسخة صاحب «الرياض» وقال خطه متوسط في الجودة. ذكره في صفحة ٤٠٥ من النسخة المخطوطة لكن تحت عنوان الشيخ «زين الدين» بدل (نور الدين) علي بن أحمد بن محمد بن أبي جامع العاملي، ففيه صرح باسم والد شهاب الدين أحمد المجاز من الكركي، وإن اسمه كان محمداً وكذا صرح بذلك حفيد الشيخ علي، المترجم في الرياض، وهو الشيخ علي بن رضي الدين بن علي بن شهاب الدين أحمد بن محمد الجامعي، والحفيد أعرف بنسب جده، ذكره في رسالته التي وصلت إلى العلامة الشيخ جواد محي الدين.

وبالجملة: فالجد الخامس لهذا المفسر هو الشيخ محمد الكاتب للتنقيح الملقب بالصالح في إجازة المحقق الكركي، والمعاصر معه ومن طبقة تلاميذ الشيخ علي بن هلال الجزائري.

وجده الرابع هو الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد المذكور الذي كان تلميذ المحقق الكركي والمجاز منه سنة ٩٢٨.

وجده الثالث هو الشيخ زين الدين (أو نور الدين) علي بن شهاب الدين أحمد، تلميذ الشهيد الثاني وقارئ الروضة عليه والمجاز منه.

وجده الثاني هو الشيخ عبد اللطيف الذي كان شيخ الإسلام في (تستر) وتوفي سنة ١٠٥٠ وكان تلميذ صاحب (المعالم) الشيخ حسن بن الشيخ زين الدين الشهيد الثاني.

وجده الأول هو الشيخ محي الدين بن عبد اللطيف الذي صار شيخ الإسلام في (تستر) بعد وفاة الشيخ جواد الكاظمي قال في (الأمل): كان فاضلاً عالماً عابداً ورعاً

يروى عن أبيه الشيخ عبد اللطيف .

وأما والده فهو الشيخ العالم الجليل الشيخ حسين بن محي الدين الذي عده شيخنا العلامة النوري - رحمه الله - في خاتمة المستدرك (صفحة ٤٠٦) سابع مشايخ السيد المحدث الجزائري والمجاز منه مدبجاً سنة ١٠٩٠، وصورة تلك الإجازة عندي في كتابي المخطوط «اجازات الرواية والوراثة في القرون الأخيرة الثلاثة» .

وقد ترجمه الشيخ الحرّ في «الأمل» فقال: انه عالم فاضل فقيه معاصر، له «شرح القواعد» للعلامة وكتاب في الفقه وكتاب في الطب وديوان شعر، وغير ذلك، وهو يسروي عن أبيه الشيخ محي الدين عن أبيه الشيخ عبد اللطيف عن الشيخ البهائي (انتهى).

وأما الشيخ علي بن الحسين بن محي الدين، مؤلف هذا التفسير «الوجيز» فقد أشرنا إلى جناية التاريخ عليه لكن الشمس الطالعة لا يحجبها السحاب المتراكم، وقد استفدنا كثيراً من أحواله من كلمة واحدة صدرت في حقه من العلامة السيد عبد الله الجزائري قالها في آخر اجازته الكبيرة التي ذكر في آخرها: «معدوداً من رجال العلم الذين فاز بالتشرف بخدمتهم والاستفادة من علومهم ومعارفهم دون غيرهم من معاصريه» وكان أحد المعدودين الشيخ حسن أخو الشيخ علي هذا . الذي كان أصغر منه سنّاً وأدون رتبة وعلماً، لأنه تلمذ عليه وأخذ العلم منه، ويسروي الحديث عنه، وكان أقصر منه عمراً لأنه توفي سنة ١١٣٠ مع كونه أصغر، وبقي الشيخ علي كما في ظاهر عبارة الإجازة الى سنة ١١٦٨ التي كتب الجزائري الإجازة فيها . حيث قال في وصف الشيخ حسن: انه كان عالماً فاضلاً أديباً جامعاً للفنون مهذباً وقوراً كثير الصمت ليناً هيناً يروي عن أبيه الشيخ حسين وعن أخيه الشيخ علي الساكن ببلدة «خلف آباد» كان يقدم علينا «الحويزة» مراراً وكنت أأزّمه ليلاً ونهاراً الى قوله: يلاطفني ملاطفة الوالد الشفيق على الولد البار، توفي سنة الثلاثين من المائة

الثالثة عشر (انتهى).

فدلنا الجزائري بقوله عنه وعن أخيه الشيخ علي ، على أن صاحب هذه الأوصاف الكثيرة المذكورة تلميذ لهذه الشخصية الفذة ، وكان أخاه الأصغر منه والآخذ عنه فكيف به نفسه ، وقوله : الساكن ببلدة «خلف آباد» تصريح بأنه كان في تاريخ الإجازة من الساكنين بتلك البلدة ، وكان قائماً في مقام آبائه بمنصب شيخ الاسلام وبما علمنا أنه كان بدء سنة تأليفاته سنة ١٠٩٠ أو قبلها بقليل فتكون ولادته تقريباً حدود سنة ١٠٧٠ وعلى هذا الفرض فبقاؤه الى سنة تأليف الإجازة ١١٦٨ وان كان ممكناً لكنه في غاية البعد فمن المحتمل انه استعمل (المشتق) في المنقضي عنه المبدء مجازاً ، بقرينة شهرة موته قبل ذلك التاريخ بسنين والله العالم .

وبالجملة ، أنا قد علمنا من إشارة السيد عبدالله أنه في سنة تاريخ الإجازة أو قبلها بسنتين كان من العلماء القائمين بالوظائف الشرعية وشيخوخة الاسلام في سنين من عمره الشريف في بلدة «خلف آباد» في مقام آبائه ، وله الرواية عن أبيه الحسين ، عن جده محي الدين ، عن والده عبد اللطيف ، عن الشيخ البهائي ، ويروي عنه تلميذه الشيخ جعفر بن عبدالله كما يأتي ، وأخواه الأصغران منه ، وهما : الشيخ حسن المذكور المتوفى سنة ١١٣٠ والشيخ محي الدين الثاني الذي كان شيخ إجازة الميرزا ابراهيم بن غياث الدين القاضي الاصفهاني على ما ذكره هذا القاضي في إجازته للسيد نصرالله المدرس الحائري الموجودة صورتها .

وإلى الشيخ محي الدين الثاني ينتهي نسب «آل محي الدين» الموجودين في النجف وغيرها . ولنكتف بهذه الالمامة من أحواله ومشايخه وتلاميذه ، ولنعطف على ذكر آثاره القيمة المخلفة لذكره من منظوم ومثور التي هي رمز لحياته الباقية ودلالات على نبوغه وإمامه بالفنون ، وبرهان جلّي على عبقريته .

١- الوجيز في التفسير الذي وفق الله بعض مخلصيه لطبعه ونشره لانتفاع سائر

الناس وهو دليل على مهارته .

٢- شرح أربعين حديثاً، في الطهارة مع التحقيق والبيان ويؤسف انه لم يتم ويوجد منه شرح إحدى وعشرين حديثاً. والنسخة رأيتها بالخزانة الرضوية من موقوفات الحاج عماد الفهرسي تاريخ كتابتها ١١٢٩.

٣- توقيف السائل على دلائل المسائل، وهو من أنفس الكتب ودليل واضح على تبخر هذا الحبر في الفقه، ذكرناه في الجزء الرابع من كتابنا (الذريعة) صفحة ٥٠١ كما ذكرنا ان النسخة توجد في خزانة كتب العلامة الشيخ هادي كاشف الغطاء، لكنها اليوم في مكتبة العلامة الشيخ قاسم محي الدين مع نسخة أخرى ناقصة.

٤- الإفادة السنّية في مهم الصلوات اليومية، فرغ من تأليفه اثني عشر شعبان سنة ١١٠٦ فاستنسخ عنه تلميذه الشيخ جعفر بن عبدالله في سنة التأليف وقرأها على استاذة فكتب له عليها الإجازة وعلى النسخة حواشي كثيرة من المؤلف.

٥- أرجوزة في أصول الفقه، ذكرناها في «الذريعة» صفحة ٥٠٣.

٦- أرجوزة في النحو، ذكرنا بنفس الصحيفة وقد فرغ من نظمها سنة ١٠٩٥.

٧- تحفة المبتدي، في المنطق منظومة جميلة نظمها بأمر من والده وذلك سنة

١٠٩٠ وأمره والده بعد ذلك بشرحها فشرحها وكتب على الشرح حواشي.

٨- ارشاد المتعلم إلى الطريق - رسالة في المنطق.

٩- شرح حاشية المولى عبدالله الشاه آبادي على مبحث التصديقات، رأيتها مع

ما قبلها ضمن مجلد واحد في مكتبة العلامة الشيخ قاسم محي الدين، ويقال أن له شرح التصورات أيضاً لكنني لم أعثر عليه.

١٠- رسالة في أن النسبة ثلاثية أو رباعية.

١١- أرجوزة في علم الفلك أسماها «تبصرة المبتدي» رأيت قطعة منها بخطه

النسخ الجيد.

فهذه التآليف من نظم ونثر تراث علمي وأثر باق يحتفظ بها ويحرص على جمعها العلامة المفضل الشيخ قاسم محي الدين في النجف الأشرف، ولعل هناك ما لم نعر عليه من مؤلفات هذا الحبر المتضلّع، وفوق كل ذي علم عليم.

فجزى الله روحه الطيبة خير جزاء المحسنين، وحشره وإيانا مع الأئمة الطاهرين، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

وبعد، فإن يك في صنيعي هذا ما يقرب من خير، أو يعلى من درجة فتواب ذلك مهديّ إلى روح والدي وهي رهينة ربّها، وإن لم اك أحسنت صنيعاً فمعذرتي إلى الأعلام الذين أحسنوا بي الظن فساعدوني على نشره.

عبد الرزاق محي الدين

بغداد

٤-٩-١٣٧٣هـ

١٩-٥-١٩٥٣م



مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

مُصَوَّرَاتُ السُّنَنِ الْخَطِّبَةِ

الَّتِي اسْتَفَادَ مِنْهَا الدُّكْتُورُ مُحَمَّدِي الدِّبْنِ

[illegible]

لوحة «٦»

ما بناه مدنيهم الحسد... من انزل التوراة والفرقان...
 انزلها في ليل... من انزل التوراة...
 من انزل التوراة... من انزل التوراة...

من انزل التوراة... من انزل التوراة...
 من انزل التوراة... من انزل التوراة...
 من انزل التوراة... من انزل التوراة...
 من انزل التوراة... من انزل التوراة...
 من انزل التوراة... من انزل التوراة...

مركز تحقيق لائحة (٢)

سورة آل عمران من نسخة الصافي

سورة آل عمران... من انزل التوراة...
 من انزل التوراة... من انزل التوراة...
 من انزل التوراة... من انزل التوراة...
 من انزل التوراة... من انزل التوراة...
 من انزل التوراة... من انزل التوراة...

ومن انزل التوراة... من انزل التوراة...
 من انزل التوراة... من انزل التوراة...
 من انزل التوراة... من انزل التوراة...
 من انزل التوراة... من انزل التوراة...
 من انزل التوراة... من انزل التوراة...

لوحة (٣)

سورة المائدة من نسخة محي الدين

الوجيز

في تفسير القرآن العزيز

تأليف

المفسر المحدث النحوي الأديب

الشيخ علي بن الحسين بن أبي جامع العاملي

(١٠٧٠ - ١١٣٥ هـ)

حققه وراجعاه

الشيخ مالك المحمدي

الجزء الأول



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

[مقدمة المؤلف]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده القرآن، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فتحذى به الفصحاء من أهل اللسان، فعجزوا عن معارضة أقصر سورة في حسن نظمها والبيان.

والصلاة على الخطيب به على رؤس الإنس والجان، الناسخ به وبدينه سائر الكتب والأديان محمد المبعوث بأبلغ حجة وأقوى برهان.

وآله الذين هم لكتابه وشرعه حفظه وخزان عليهم صلوات الرحمن في كل زمان. «وبعد» فإن أسير الذنوب العظام، ورهين الجرائم الجسام، الراجي من فضل مولاه، فك رقبته من أغلال خطاياها، العبد الجاني، علي بن حسين^(١) بن أبي جامع العاملي - عامله الله بعفوه ورأفته، وشمله ووالديه والمؤمنين بفضله ورحمته - يقول: إن علم التفسير من أجل العلوم الشرعية موضوعاً، وأفضل المعارف الدينية أصولاً وفروعاً، لأنه «الكشاف» عن «أنوار التنزيل» الحجاب، ومن شأنه الإسعاف^(٢) بـ «مجمع البيان» و «التيبان» لأولى الأبواب. وفي ضمنه كشف عن حقائق علوم جمّة، وفي طية نشر لدقائق فنون مهمّة.

(١) هذه النسبة إلى الجد الخامس، والصحيح: علي بن الحسين بن محي الدين بن عبد اللطيف بن علي بن أحمد بن أبي جامع.

(٢) الإسعاف: الإعانة - كما في مجمع البحرين «سعف».

وكثيراً ما كنت أحدث نفسي في تأليف مختصر منتخب من «منتقى جمانه»، وجمع ملخص ملتقط من «جواهر كنز عرفانه» ويعوّقني عنه قصر الباع عن تناول هذا المرام، وقصور الاستعداد عن بلوغ ذلك المقام، فقلت لنفسي: لا تقنطي من فيض الكريم، وثقي بفضل جوده العميم.

فشرعت فيه مع توزع البال، وعروض الشواغل من سفر وغيره من الأشغال، سالكاً فيه طريق الإيجاز في التعبير، مشيراً إلى أكثر الأقوال المحتملة من وجوه التفسير، منبهاً على قليل من النكت إذ لا يحيط بكلها حساب معرباً عما يتوقف عليه فهم المعنى من وجوه الإعراب، مقتصراً على ذكر «القراءات السبع» المشهورة^(١) وربما ذكرت غيرها^(٢) في مواضع يسيرة، جارياً في عدّ الآيات على المشهور من إغفال البسمة، خوفاً من مخالفة المسطور في المصاحف الشريفة المبجلة، وإن كان الاعتقاد: أنها آية من كل سورة إلا التوبة، لأخبار صحيحة^(٣) من المتواترات محسوبة، وإذ قد وفق الله بلطفه للإتمام، على ما ذكرت من التأليف والنظام، ناسب أن يسمى بـ:

«الوجيز في تفسير القرآن العزيز»

ثم إنني أسأل الله تعالى أن يجعله وسيلة إلى عفوه وغفرانه، وذريعة إلى الفوز بثوابه ورضوانه، وأن ينفع به الطالبين، ويهدي به المسترشدين، بمحمد وآله الأكرمين صلى الله عليهم أجمعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) القراء السبعة هم: نافع - المدني - وابن كثير - المكي - ويطلق عليهما: الحرمين، أحياناً - وأبو عمرو - البصري -، وعبد الله بن عامر - الدمشقي - وعاصم - الكوفي - وحمزة - الكوفي - والكسائي - كما في حجة القراءات: ٥١.

(٢) هناك قراء لم يشتهروا كإشتهار السبعة منهم: يزيد بن القعقاع، ويعقوب بن اسحاق والبرزاز وغيرهم.

(٣) الأحاديث في هذا المضممار كثيرة جداً، انظر جامع احاديث الشيعة ٥: ١١٤.

سورة الفاتحة

[١]

مكية، وقيل: أنزلت ثانياً في المدينة^(١)

تسمى «فاتحة الكتاب» لأنها مفتحة، و«أم الكتاب» لاشتغالها على جمل معانيه، و«الحمد» لذكره فيها، و«السبع المثاني» لأنها سبع آيات إتفاقاً،^(٢) لكنهم بين عادًة للبسملة دون «أنعمت عليهم» وعاكس^(٣) وتثنى في الفريضة أو الإنزال.^(٤) ولها أسماء أخرى،^(٥) والمذكورة أشهر.

[١] - ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية من الفاتحة، ومن كل سورة، عدا «براءة»

(١) نقل معناه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ١٧.

(٢) في تفسير القرطبي ١: ١١٤: اجمعت الأمة على أن فاتحة الكتاب سبع آيات.

(٣) قال القرطبي في تفسيره ١: ٩٤ عن ابن بكير عن مالك قوله «أنعمت عليهم» آية، ثم الآية السابعة: إلى آخرها وكذا عدّ أهل المدينة وأهل الشام وأهل البصرة وأما أهل الكوفة - من القراء والفقهاء - فإنهم عدّوا فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم»، ولم يعدّوا: «أنعمت عليهم».

(٤) وهذا تعليل آخر لتسمية السورة بالسبع المثاني. ونقل هذا الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ١٧ وفيه: قيل لأنها نزلت مرتين.

(٥) منها: «الكافية» و«الوافية» و«الأساس» و«الشفاء» وغيرها مما ورد في تفسير مجمع البيان ١: ١٧ وتفسير روح المعاني ٣٣.

بإجماعنا، ^(١) والمخالفون بين موافق ومخالف. ^(٢)

و«الباء» للإستعانة؛ وترجح بأن جعل اسمه تعالى آلة للفعل مشعراً بزيادة مدخليته فيه حتى كأنه لا يوجد بدونه.

أو للمصاحبة وترجح بأن التبرك باسمه تعالى أدخل في الأدب من جعله آلة، إذ هي تابعة مبتذلة، وفي الرد على المشركين في تبركهم باسم آلهتهم.

والحق أن التبرك يجامع كلا منهما، فإن ذكر اسمه تعالى يشمره مطلقاً والسورة مقولة على السنة عباده تعليماً للتبرك بإسمه وحمده وسؤاله.

ومتعلق الظرف، الأولى تقديره فعلاً؛ لأصالته في العمل وقلة الإضممار مؤخراً؛ لأهمية اسمه تعالى، وقصر التبرك عليه خاصاً؛ هكذا: باسم الله أتلو؛ لدلالة الحال عليه، إذ ما يتلو التسمية متلو.

وكل فاعل يضمّر ما جعلها مبدءاً له كأذبح وأحلّ وأرتحل: في الذّبح والحلّ والإرتحال، ^(٣) والإيهام العام كأبدأ قصر التبرك على الإبتداء، ولمطابقة «اقرأ باسم ربك» ^(٤).

و«الإسم» من: السّموّ وأصله «سمو» حذف عجزه، وسكن أوله، وزيد فيه مبتدأ

(١) كما في تفسير التبيان ١: ٢٤ وتفسير مجمع البيان ١: ١٨.

(٢) في تفسير القرطبي ١: ٩٢: اختلف العلماء في هذا المعنى علي ثلاثة أقوال:

الأول: أنها ليست بآية من الفاتحة ولا غيرها - وهو قول مالك -.

الثاني: أنها آية من كل سورة - وهو قول عبدالله بن المبارك -.

الثالث: قول الشافعي: هي آية في الفاتحة، وتروّد قوله في سائر السور، فمرة قال: هي آية من كل سورة، ومرة قال: ليست بآية إلا في الفاتحة وحدها.

(٣) أي: وكل فاعل (بمعنى القائم بالعمل) يجعل مبدءاً عمله بسم الله... كأن يضمّر في نفسه أذبح بسم الله... وأحل... وأرتحل... .

(٤) سورة العلق: ١/٩٦.

به همزة، بشهادة التكبير والتصغير.

أو: من «السمة» وأصله «وَسَمَ» حذفت الواو وعوّض عنها الهمزة.

ولم يقل بالله، لأنّ التبرّك باسمه، وليعمّ كل اسمائه.

و«الله» أصله: «إله»، حذفت الهمزة وعوّض عنها أداة التعريف^(١) لكنّه مختصّ

بالمعبود بالحقّ. و«الإله» كان لكلّ معبود، ثم غلب في المعبود بالحقّ. وهو من

«أله» بالفتح: عبّد أو تحيّر، أو - الكسر -: سكن أو فزع أو ولع، لأنه معبود تتحيّر فيه

العقول، وتطمئن بذكره القلوب، ويفزع اليه، ويولع بالتضرّع لديه.

وقيل: أصله «لاه» مصدر لاه ليهاً ولاهاً: إحتجب وإرتفع. فأدخلت

عليه الأداة^(٢).

وفي الحديث إشارة إلى جُلّ هذه المعاني: فعن أمير المؤمنين عليه السلام:

«الله، معناه: المعبود الذي تأله فيه الخلق، ويؤله اليه، المستور عن إدراك الأبصار،

المحجوب عن الأوهام والخطرات»^(٣).

وهو علم شخصي للذات المقدّس الجامع لكلّ كمال؛ لا إسم لمفهوم واجب

الوجود، وإلاّ لم تفد كلمة الشّهادة: التوحيد؛ لإحتمال اعتقاد قائلها تعدّد أفراد

ذلك المفهوم.

وعورض بأنّه لو كان كذلك لم يفده: «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ» لجواز علميّة لأحد

أفراد الواجب، مع عدّهم السّورة من أدلّة التّوحيد.

(١) قال سيبويه: «الله» مشتق، وأصله: «إله» دخلت عليه الالف واللام فبقي الإله ثم نقلت حركة

الهمزة إلى اللام وسقطت فاسكنت اللام الاولى وادغمت. ينظر مجمع البحرين ٦: ٣٤٠.

(٢) نقل هذا القول الشيخ الطوسي في تفسير التبيان: ١/ ٢٧، والطبرسي في تفسير مجمع البيان

١٩: ١.

(٣) رواه الصدوق في كتاب التوحيد: ٨٩ مع اختلاف يسير.

ويجاب: بأن آخرها يفيد الواحديّة وصدرها يفيد الأحديّة: أي نفي قبول القسمة بأنحائها، وما مرّ في الحديث^(١) لا ينافي العلمية.
وَتُفَحَّمْ لَامَهُ إِذَا فُتِحَ مَا قَبْلَهَا أَوْ ضُمَّ. وحذف ألفه لحن.
﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ صفتان مشبّهتان من «رحم» - بالكسر - بعد نقله الى المضموم؛ كغضبان من غضب، وعليم من علم.
والرّحمة: رقة القلب المقتضية للإحسان. واتّصافه تعالى بها باعتبار غايتها التي هي فعل، لا مبدئها الذي هو إنفعال.

و «الرحمن» أبلغ؛ لاقتضاء زيادة البناء زيادة المعنى. وهي هنا إما باعتبار الكمّ بحسب كثرة أفراد المرحومين وقتلتها، وعليه حمل «يا رحمن الدنيا» لشمول المؤمن والكافر «ورحيم الآخرة» للإختصاص بالمؤمن. أو باعتبار الكيف، وعليه حمل: «يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا»، لجسامته^(٢) نعم الآخرة - كلّها - بخلاف نعم الدنيا.

فمعنى «الرحمن»: البالغ في الرّحمة غايتها؛ ولهذا اختص به تعالى، لأن من عداه مستعيض بأنعامه ثواباً أو ثناءً أو إزالة الرّقة الجنسية أو البخل.
ثم هو كالواسطة، لأن ذات النّعم وسوقها الى المنعم وإقداره على إيصالها منه تعالى فهو المنعم الحقيقي.

وإنّما قدّم «الرحمن» - ومقتضى التّرقّي العكس - لصيرورته بالإختصاص كالواسطة بين العلم والوصف، فناسب توسيطه بينهما. أو لأنّ الملحوظ في مقام التّعظيم جلائل النّعم وغيرها كاللّتمة، فقدّم.

وأردف بـ «الرحيم» للتّعميم، تنبيهاً على أن جلائلها ودقائقها منه تعالى؛ لئلا

(١) أي: الحديث المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام - المتقدم آنفاً -.

(٢) الجسامّة: العظيمة

يأنف عباده من سؤال الحقير من جنابه، وللفاصلة.

وخصّ البسملة بهذه الأسماء الثلاثة إعلالاً بأنّ الحقيق بأن يُستعان به في جميع الأمور^(١) هو المعبود الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها المولي للنعم كلّها.

[٢] - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحمد: هو الثناء على جميل اختياري، نعمة وغيرها وحمده تعالى على صفاته حمد على الآثار الإختيارية الصادرة عن ذاته العينية كما هو الحق. ونقيضه: الذم، ويرادفه: المدح، أو يعمّ غير الإختياري.

والشكر: ما قابل النعمة من قول أو عمل أو اعتقاد، ومنه الحمد على النعمة، بل هو أظهر شعبه دلالة عليها؛ لخفض الاعتقاد واحتمال عمل الجوارح؛ ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«الحمد رأس الشكر، ما شكر الله من لم يحمده»^(٢) فجعله كأشرف الأعضاء، فكان الشكر منتف بانتهائه. وخصّه بعض بالقول، فيساويان. ونقيضه: الكفران. ورفع «الحمد» بالإبتداء، وخبره «الله». وهو من المصادر التي تنصب بأفعال مضمره، فأصله النصب، وعدل إلى الرفع ليفيد الثبات دون التجدد. ولامه للجنس. أو الإستغراق، أو العهد، أي: حقيقة الحمد، أو: كل أفرادها، أو: أكملها ثابت له تعالى على وجه الإختصاص - كما تفيد اللام - ولو بمعونة المقام. ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مالكمهم.

و «الرب» مصدر، بمعنى: التربية، وهي: تبليغ الشيء كماله تدريجاً. وصف به للمبالغة. أو: صفة مشبهة من: رَبَّهُ يَرْبُّهُ، بعد جعله لازماً كما في «الرحمن» وإضافته حقيقة لانتفاء العمل النصب لاشتقاقه من اللازم، ولقصد الإستمرار الثبوتي ككريم البلد، فساغ وصف المعرفة به، وسمي به: المالك، لحفظه ما يملكه وتربيته

(١) في النسخ: مجامع الأمور.

(٢) رواه البيضاوي في تفسيره ١: ٢٢.

له . ولا يطلق على غير تعالى إلا مضافاً كرتب الدار، أو مجموعاً كالأرباب .

و«العالم» اسم لما يعلم به كالطابع غلب في كل جنس مما يعلم به الصانع من الجواهر والأعراض، كما يقال: عالم الأرواح، وعالم الأفلاك وعالم العناصر، ويطلق على مجموعها - أيضاً -، ولا يجمع إلا بالإطلاق الأول، فيتعين هنا . وإنما جمع ليشمل كل أجناس مسمّاه وأفرادها أيضاً . وجمع بالواو والنون لمعنى الوصفية فيه، وتغليب العقلاء .

وقيل: اسم لكل جنس من ذوي العلم من الملائكة والثقلين ودخول غيرهم بالتبعية^(١) .

[٣] - ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ كرر في مفتاح الكتاب الكريم إشعاراً بشدة اعتناؤه سبحانه بالرحمة، وتثبيتاً للرجاء بأن مالك يوم الجزاء هو البالغ في الرحمة غايتها، فلا يقنط من عفو المذنبين .

[٤] - ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قراءة «عاصم» و«الكسائي»^(٢) ويؤيده: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾^(٣) .

وقرأ الباقر: «مَلِكٍ»^(٤) ويؤيده: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٥) وأنه أدخل في التعظيم، وأنسب بالإضافة إلى «يوم الدين» كملك العصر، ولوصفه تعالى بالملكية بعد الربوبية في خاتمة الكتاب،^(٦) ليوافق الافتتاح الإختتام .

(١) نقل هذا القول البضاوي في تفسيره ١: ٢٧ ولم ينسبه .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ١/ ٢٥ .

(٣) سورة الانفطار: ١٩/ ٨٢ .

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ١/ ٢٥ .

(٥) سورة المؤمن: ١٦/ ٤٠ .

(٦) في سورة الناس: ١١٤/ ٢، قوله تعالى: «ملك الناس» .

والمالك : مَنْ له التَّصَرَّف فيما في حوزته ، والمَلِك : مَنْ له التَّصَرَّف في الأمور - في الأمر والنهي - بالغبلة .

والدين : الجزاء ، ومنه : « كما تدين تُدان » .^(١)

وعن الباقر عليه السلام : أنه الحساب .^(٢)

وإضافة إسم الفاعل الى الظرف لإجرائه مجرى المفعول به توسعاً ، وسوغ وصف المعرفة به قصد معنى الماضي ؛ تنزيلاً لمحقق الوقوع منزلة ما وقع ، أو قصد الإستمرار الثبوتى . والمعنى : ملك الأمر كله في ذلك اليوم ، أو له الملك - بكسر الميم - فيه ، فإضافته حقيقة ، وكذا إضافة « ملك » إذ لامفعول للصفة المشبهة .

وتخصيص اليوم بالإضافة - مع أنه تعالى مالك وملك لجميع الاشياء في كل الأوقات - لتعظيم اليوم ، أو لتفردّه تعالى بالملك والملك فيه ؛ لأن ما حصل منهما للبعض في الدنيا بحسب الظاهر يزول وينفرد سبحانه بهما ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ .^(٣)

وفي التعبير باسم الذات الدال على استجماع الكمالات ، وتعقيبه بتلك الصفات المنتفية عما سواه تعالى ، دلالة على إنحصار إستحقاق الحمد فيه ، وقصر العبادة والإستعانة عليه تعالى ، وإرشاد الى المبدأ والمعاد ، وتنبية على أن من يحمده الناس إما أن يحمده لكماله الذاتى ، أو لإنعامه عليهم ، أو لرجائهم إحسانه في المستقبل ، أو لخوفهم من كمال قهره ، فكأنه تعالى يقول : أيها الناس إن كنتم تحمدون للكمال الذاتى ؛ فأنا الله ، أو للإنعام والتربية ؛ فأنا رب العالمين ، أو للرجاء في المستقبل ؛ فأنا الرحمن الرحيم ، أو للخوف من كمال القهر ؛ فأنا مالك

(١) وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام كما ورد في نهج البلاغة (الخطبة : ١٥٣) .

(٢) تفسير التبيان ٣٦:١ وتفسير مجمع البيان ٢٤:١ .

(٣) سورة المؤمن : ١٦/٤٠ .

يوم الدين .

[٥] - ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ «إِيَّا»: ضمير منصوب منفصل ، ولواحقه من «الكاف» و«الياء» و«الهاء» حروف لبيان الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الإعراب ككاف «ذلك» - على أصح الأقوال - .^(١)

والعبادة أعلى مراتب الخضوع والتذلل ؛ ولذا لا يستحقها إلا المولي لأعظم النعم - من الوجود والحياة وتوابعها - .

والإستعانة : طلب المعونة في الفعل ، ويراد بها - هنا - : طلب المعونة في كل المهمات ، ولذا حذف المستعان فيه ، أو : في أداء العبادة بوظائفها ، بقرينة توسطها بين «نعبد» و«إهدنا» فحذف إختصاراً للقرينة .

وتقديم المفعول ، لقصر العبادة والإستعانة عليه تعالى قصراً حقيقياً ، أو إضافياً إفرادياً ، ولتقدمه تعالى في الوجود ، وللتنبية على أن العابد والمستعين ينبغي أن يكون نظرهما - بالذات - الى الحق سبحانه ، ثم منه الى أنفسهما ،^(٢) لا من حيث ذواتهما ، بل من حيث أنها ملاحظة له تعالى ، ثم الى عبادتهما^(٣) - ونحوها - لا من حيث صدورهما عنهما ،^(٤) بل من حيث إنها صلة بينهما^(٥) وبينه تعالى .

وتكرير الضمير للتنصيص على التخصيص بالإستعانة ، فينتفي احتمال تقدير مفعولها مؤخراً ، ويرتفع توهم إرادة التخصيص بمجموع الأمرين لا بكل منهما ، ولبسط الكلام مع المحبوب كآية : ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ .^(٦)

وتقديم العبادة على الإستعانة ليتوافق الفواصل في متلو الآخر ؛ ولأن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة ، ولمناسبة تقديم مطلوبه تعالى من

(١) راجع الاقوال المتعددة الواردة عن كبار النحويين في تفسير مجمع البيان ١: ٢٥ .

(٢-٥) وردت الكلمة بصيغة الجمع - في المواضع الأربعة - وصححناه نظراً الى السياق .

(٦) سورة طه : ٢٠ / ١٨ .

العباد على مطلوبهم منه ، ولأن المتكلم لما نسب العبادة الى نفسه كان كالمعتد بما يصدر منه فعقبه ^(١) بـ «إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» ، إيذاناً بأن العبادة لا تتم إلا بمعونته .

وإيثار صيغة المتكلم مع الغير على المتكلم وحده ، ليلاحظ القارئ دخول الحفظة أو حاضري صلاة الجماعة ، أو كل موجود ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ^(٢) ، وليؤذن بحقارة نفسه عن عرض العبادة وطلب المعونة منفرداً على باب الكبرياء بدون انضمامه إلى جماعة تشاركه في العرض ، كما يُصنع في عرض الهدايا ، ورفع الحوائج إلى الملوك ، وليحترز عن الكذب لو انفرد في إدعائه : قصر خضوعه التام واستعانتة عليه تعالى ، مع خضوعه التام لأهل الدنيا من الملوك ونحوهم .

وفي الجمع يمكن أن يقصد تغليب الخَلَص على غيرهم فيصدق ، وليدرج عبادته وحاجته في عبادة المقرّبين وحاجتهم لعلها تقبل وتجاب ببركتهم .

والعدول من الغيبة إلى الخطاب إلتفات ، ويكون بالعكس ، ومن أحدهما إلى التكلم وبالعكس ، ومن عادة العرب العدول من أسلوب إلى آخر تفتناً في الكلام ، وتطرية له ، وتنشيطاً للسامع ، وتختص مواقعه بنكت .

ومما اختص به هذا الموضع : أن الحمد إظهار مزايا المحمود ، فالمخاطب به غيره تعالى ، فالمناسب له طريق الغيبة .

وأما العبادة والاستعانة ، فينبغي كتمانهما من غير المعبود والمستعان ؛ ليكون أقرب إلى الإخلاص وأبعد عن الرياء ، فالمناسب له طريق الخطاب .

ومنه : التلويح إلى ما في حديث : «أعبد الله كأنك تراه» ^(٣) إذ العبادة الكاملة هي ما يكون العابد حال اشتغاله بها مستغرقاً في الحضور ، كأنه مشاهد لجناح معبوده .

(١) في «ج» : فعقب .

(٢) سورة الإسراء : ٤٤/١٧ .

(٣) عوالي اللآلي ١ : ٤٠٥ الحديث ٦٥ .

ومنه التَّنبِيه على علو مرتبة الذِّكْر، وأنَّ العبد بإجراء هذا القدر منه على لسانه صار أهلاً للخطاب، فكيف لو لازمه ليلاً ونهاراً.

ومنه الإيماء إلى أنَّ من تأدَّب وكسر نفسه ورآها بعيدةً عن ساحة القرب حقيق أن تدركه رحمةُ إلهيةٍ توصله إلى مقام أهل القرب والخطاب.

[٦] - ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فصل عمّا قبله لكمال الإنقطاع؛ لتخالفهما خبراً وإنشاءً، أو لكمال الإتصال لأنّه بيان للمعونة المطلوبة كأنّه قيل: كيف أُعينكم؟ فقالوا: «اهدنا».

والهداية: الدلالة بلطف - أوصلت إلى المطلوب أم لا -، وقيل: الموصلة. ^(١)

ويدفعه ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى﴾. ^(٢)

وقيل: إراءة ما يوصل، ^(٣) ويدفعه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ ^(٤) وقيل إن تعذت إلى ثاني مفعوليها بنفسها فالموصلة، ولا تسند إلّا إليه تعالى، أو بالحرف فالإراءة وتسند إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن، ويدفعه: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ ^(٥) والإسناد إلى غيره تعالى في: ﴿فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا شَوْيًّا﴾. ^(٦)

ثم إن أصناف هديته سبحانه - وإن لم يحصرها العدّ - على أربعة أوجه:

الاول: إفاضة القوى والحواس لجلب النفع ودفع الضرر ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾. ^(٧)

(١) ذكره البيضاوي في تفسيره ١: ٣٤.

(٢) سورة فصلت: ٤١/١٧ وتماه: «وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى».

(٣) أشار إليه البيضاوي في تفسيره ١: ٣٥.

(٤) سورة القصص: ٢٨/٥٦.

(٥) سورة البلد: ٩٠/١٠.

(٦) سورة مريم: ١٩/٤٣.

(٧) سورة طه: ٢٠/٥٠.

الثاني : نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(١).

الثالث : إرسال الرّسال وإنزال الكتب ﴿وَأَمَّا مُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾^(٢).

الرابع : إزالة الغواشي البدنية وإراءة الأشياء كما هي ، بالوحي أو الإلهام أو المنام الصادق ، والإستغراق في ملاحظة جماله وجلاله ، وهذا يختصّ به الأنبياء والأولياء ونحوهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾^(٣) ، ﴿فَبِهَدْيِهِمْ أَقْتَدِهِ﴾^(٤) ، فإذا تلا هذه الآية غير الواصلين أرادوا بالهداية : المرتبة الرابعة ، وإذا تلاها الواصلون أرادوا : زيادة ما مُنحوه من الهدى ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾^(٥) والثبات عليه .

عن أمير المؤمنين عليه السلام : «إهدنا» : ثبتنا .^(٦)

والصراط : الجادة ، من : سراط الطعام ، أي ابتعله ، فكأنه يسترط السابلة وهم يسترطونه ، كما سمي : لقماً كأنه يلتقمهم . وجمعه : ككتب ، ويذكر ويؤنث كالسبيل ، وأصله : السين ، قلبت صاداً لتطابق الطاء في الإطباق ، وقد يشتم الصاد صوت الزاء .

وقرأ «ابن كثير» بالأصل^(٧) و «حمزة» بالإشمام^(٨) والباقون بالصاد - وهي لغة قریش - .^(٩)

والمراد بـ «الصراط المستقيم» : طريق الحق أو دين الإسلام ، أو كتاب الله .

[٧] - ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بدل كل من : «الصراط المستقيم» ،

(١) سورة البلد : ١٠ / ٩٠

(٢) سورة فصلت : ١٧ / ٤١ .

(٣) سورة الزمر : ١٨ / ٣٩ .

(٤) سورة الانعام : ٩٠ / ٦ .

(٥) سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ١٧ / ٤٧ .

(٦) رواه الزمخشري في تفسير الكشاف : ٦٧ / ١ .

(٧) الكشاف عن وجوه القراءات ١ : ٣٤ .

للتأكيد والتنصيص على أن الطريق الذي هو علم في الإستقامة هو طريق المنعم عليهم، حيث جعل كالتفسير له.

والمراد بهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾. ^(١) وقيل: المراد بهم المسلمون، ^(٢) فإنَّ نعمة الإسلام أصل كلِّ النعم. وقيل: الأنبياء. ^(٣)

والإنعام: إيصال النعمة، وهي - في الأصل - مصدر، بمعنى: الحالة المستلذة، ككون الإنسان ملياً - مثلاً، ثم أطلقت على نفس الشيء المستلذ، تسميةً للسبب باسم المسبب.

ونعمه سبحانه - على كثرتها وتعذر حصرها ﴿وإن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ ^(٤) - ثمانية أنواع: إمّا دنيوي موهبي روحاني - كإفاضة العقل -، أو جسماني - كخلق الأعضاء -.

وإمّا دنيوي كسبي روحاني - كتحلية النفس بالأخلاق الزكية -، أو جسماني - كتزيين البدن بالهيئات المطبوعة.

وإمّا أخروي موهبي روحاني - كغفران ذنب من لم يتب -، أو جسماني كأنهار العسل، وإمّا أخروي كسبي روحاني كغفران ذنب التائب أو جسماني كاللذات الجسمانية المستجلبة بالطاعات.

والمراد - هنا - : الأربعة الأخيرة، وما يكون وصلة إليها من الأربعة الأول - لاشتراك المؤمن والكافر فيما عدا ذلك - . ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ .

(١) سورة النساء: ٦٩/٤ .

(٢) قاله وكيع كما في تفسير ابن كثير ١: ٢٨ .

(٣) اورد هذا القول ابن كثير في تفسيره (١: ٢٨) أيضاً .

(٤) سورة النحل: ١٦/١٨ .

الغضب : ثوران النفس^(١) لإرادة الانتقام ، فإن أُسند إليه تعالى فباعتبار الغاية - كالرحمة - .

والعدول عن اسناده إليه تعالى إلى صيغة المجهول ، وإسناد عديله اليه سبحانه تأسيس لمباني الرحمة ، فكأن الغضب صادر من غيره تعالى ، وإلا فالظاهر : غير الذين غضبت عليهم ، ومثله - في التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد - كثير في الكتاب المجيد ، ومنه : ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٢) والمقابل : لأعذبَنَّكُمْ .

والضلال : العدول عن الطريق السوي ولو خطأ ، وشعبه كثيرة ، بشهادة قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «ستفترق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة ، فرقة ناجية والباقيون في النار»^(٣) . وتفسير «المغضوب عليهم» باليهود ، و«الضالين» بالنصارى مشهور^(٤) . وقيل : المراد بهما مطلق الكفار ،^(٥) وقيل : مطلق الموصوفين بالعنوانين من الكفار وغيرهم^(٦) .

و «غير» بدل كل من «الذين» ، والمعنى : أن المنعم عليهم هم الذين - سلموا من الغضب والضلال ، فيفيد التأكيد والتنقيص - كما مر - ، أو صفة له . ويتنى - كونها مبينة أو مقيدة - على تفاسير «المنعم عليهم» ، و«المغضوب عليهم» و«الضالين» ، ولا يكاد يخفى على المتدبر .

(١) اي : هيجانها - كما في مجمع البحرين «ثور» .

(٢) سورة ابراهيم : ١٤ / ٧ .

(٣) اورده السيوطي في الجامع الصغير ١ : ١٨٤ والدر المنثور ١ : ١٣٦ وغيره ، وقد أُلّف في هذا الحديث عدّة كتب ، فينظر .

(٤) ذهب اليه كثير من علمائنا ومنهم العياشي في تفسيره ١ : ٢٢ والطبرسي في تفسير مجمع البيان ١ : ٣١ .

(٥) نقل هذا القول الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١ : ٣٠ .

(٦) قاله عبدالقاهر الجرجاني - كما في تفسير مجمع البيان ١ : ٣٠ .

وكيف كان: فتعرّف الموصوف، وتوغل الصفة في النكارة يحوج إلى إخراج أحدهما عن صرافته، أما: بجعل الموصول مقصوداً به جماعة - لا بأعيانهم -، فيصير معهوداً ذهنياً، فيجري مجرى النكرات كالمعرّف بلام الجنس - المراد به فرد غير مغيّن -.

أو بجعل «غير» بالإضافة إلى ذي الضد الواحد معيّناً تعيّن المعارف، فينكسر إيهامه، فيصح وصف المعرفة به كقولهم: «عليك بالحركة غير السكون». ورجّح هذا على سابقه بأن إرادة بعض غير معيّن تخذش بدلية صراطهم من «الصراط المستقيم»، إذ مدارها على علمية صراطهم في الإستقامة، وذلك أنّما هو من حيث انتسابه إلى كلّهم لا إلى البعض.

ولفظ «لا» بعد «واو» العطف في سياق النفي، تفيد توكيده والتّصريح بشموله كلاً من المتعاطفين لا أنّه لمجموعهما. وصحّح مجيئها هنا تضمّن «غير» المغايرة والنفي، ولذا جاز «أنا زيدا غير ضارب» رعاية لجانب النفي، فتكون بالإضافة كالعدم، فيجوز تقديم معمول المضاف إليه على المضاف، كما جاز: «أنا زيدا لا ضارب» وإن لم يجز في: «أنا مثل ضارب زيدا»: «أنا زيدا مثل ضارب» لإمتناع وقوع المعمول حيث يمتنع وقوع العامل.

روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ أفضل سورة أنزلها الله في كتابه هي «الحمد»، أم الكتاب، وأنها شفاء من كلّ داء»^(١).

وعن الصادق عليه السلام: «لو قرئت الحمد على ميت سبعين مرة، ثم ردت فيه الرّوح، ما كان عجباً»^(٢).

وعنه عليه السلام أنه قال: إسم الله الأعظم مقطّع في أم الكتاب»^(٣).

(١) رواه العياشي في تفسيره، ١: ٢٠ الحديث ٩.

(٢) رواه الكليني في الكافي ٢: ٤٥٦ - كتاب: فضل القرآن - الحديث ١٦.

(٣) رواه الصدوق في ثواب الاعمال: ١٣٠.

سورة البقرة

[٢]

مائتان وست وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿الْم﴾ وباقي الألفاظ المتهجى بها، ^(١) أسماء مسمياتها: الحروف التي منها رُكبت الكلم، لصدق حدّ الإسم عليها وقبولها خواصه، وقد تُسمى حروفاً مجازاً. وما في حديث: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها». لا أقول: «الم» حرف، بل «الف» حرف و«لام» حرف و«ميم» حرف ^(٢) فلغوي، إذ

(١) وهي الألفاظ الواردة في الوائل السور التالية: آل عمران: ٣، والاعراف: ٧، يونس: ١٠، هود: ١١، يوسف: ١٢، الرعد: ١٣، إبراهيم: ١٤، الحجر: ١٥، مريم: ١٩، طه: ٢٠، الشعراء: ٢٦، النمل: ٢٧، القصص: ٢٨، العنكبوت: ٢٩، الروم: ٣٠، لقمان: ٣١، السجدة: ٣٢، يس: ٣٦، ص: ٣٨، والحواميم السبعة وهي: غافر: ٤٠، فصلت: ٤١، الشورى: ٤٢، الزخرف: ٤٣، الدخان: ٤٤، الجاثية: ٤٥ والاحقاف: ٤٦، والألفاظ الواردة في أول سورتي ق: ٥٠ والقلم: ٦٨.

(٢) رواه الترمذي في سننه ٥: ١٧٥ - كتاب فضائل القرآن، الحديث: ٢٩١٠، والسيوطي في الدر المنثور ١: ٢٢ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

العرف طار .

وصدّرت اسماءها بها لتكون أول ما يقرع السّمع ، إلّا الألف اللّينة ، استعير مكان مسمّاها ؛ لسكون الألف المتحرّكة المسماة بـ«الهمزة» .

وهي بدون العوامل موقوفة بلا إعراب ؛ لعدم مقتضيه ، مع قبولها له ، إذ لم تشابه مبنيّ الأصل ، ولذا جمع فيها بين الساكنين ، فقليل : «صاد نون» ولم ترك كـ«أين» .
وإنّما افتتحت السّور بطائفة منها : ايقاظاً للمتحدّي بالقرآن ، وتنبهّاً على أنّ المتلوّ عليهم كلام منظوم ممّا ينظمون منه كلامهم ، فلو كان من عند غير الله لماعجزوا بأجمعهم عن الإتيان بمثله مع فصاحتهم وتظاهرههم .^(١)

وليستقلّ أول ما يقرع الأسماع بنوع إعجاز إذ لم يعتد النطق بأسماء الحروف من الأمّي الذي لا يخطّ ولا يتلو ، مع ان المورد منها في الفواتح .

(١) تحدّي القرآن الكريم عموم العرب في جميع الأزمنة بأن يأتوا بمثل القرآن لكنهم عجزوا ولا يزالون عاجزين عن ذلك مع توفّر الدواعي على اتيانه - خصوصاً في عصرنا الحاضر الذي يحاول المستعمرون فيه بكل ما اوتوا من حول وقوة صرف الناس عن الإسلام والقرآن - .
وآيات التحدي على انواع هي :

أ- التحدي بإتيان كتاب يكون مثل القرآن :

قول تعالى : «قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» (الاسراء : ٨٨ / ١٧) .

وقوله تعالى : «أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين» (الطور : ٣٤ - ٣٣ / ٥٢) .

ب - التحدي بإتيان عشر سور :

قوله تعالى : «أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين» (هود : ١١ / ١٣) .

ج - التحدي بإتيان سورة واحدة فقط :

قوله تعالى : «أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين» (يونس : ٣٨ / ١٠) .

ويجمعها: «صراط علي حق نمسكه».

نصفها^(١) الأكثر وقوعاً في تراكيب الكلم. وإنما فرقت على السور ولم تعد متجمعة في أول القرآن تكريراً للتحدي والتنبية.

وقيل: هي أسماء للسور.^(٢)

واستكراههم التسمية بثلاثة أسماء فصاعداً إنما هو إذا رُكبت تركيب «بعلبك»، لا إذا نثرت نثر أسماء العدد، فإنها كالتسمية بالجمل المحكية.

وترجيح السابق - بأنه أوفق بلطائف القرآن -، يخدمه: أن النكات المذكورة في التعديد من التحدي وغيره توجد مع العلمية - أيضاً -.

نعم يلزمها النقل والإشترك في الأعلام من واضع واحد، المنافي للغرض منها.

وقيل: مختصرة من كلمات، كقولهم «لم» معناه «أنا الله أعلم» ونحوه.^(٣)

وقيل: إشارة إلى مدد وآجال بحساب الجُمَّل.^(٤) وقيل: مقسم بها؛ لشرف الحروف لأنها مباني أسمائه تعالى وكتبه.^(٥)

وقيل: أسماء القرآن للإخبار عنها به وبالكتاب.^(٦)

وقيل: أسماء الله تعالى، لقول علي عليه السلام: «يا كهيعص، يا حمعسق»^(٧)

(١) قال نظام الدين الحسن بن محمد القمي (ت/ ٧٢٨ هـ) في تفسيره غرائب القرآن: ١: ١٣٧: وأعلم أن الباقية - بعد حذف المكرر - أربعة عشر، نصف عدد حروف المعجم بعد الكسر. . . إلى آخر ما قال.

(٢) قاله زيد بن أسلم والحسن - كما في تفسير التبيان ١: ٤٧ -.

(٣) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٢ -.

(٤) ينظر تفسير التبيان ١: ٤٧.

(٥) قاله ابن عباس وعكرمة - كما في تفسير التبيان ١: ٤٧ -.

(٦) قاله قتادة ومجاهد وابن جريج - كما في تفسير التبيان ١: ٤٧ -.

(٧) رواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٥٠٢.

وقيل : سرّ الله ^(١) تعالى . ^(٢)

وقيل : من المتشابه الذي استأثر الله تعالى به . ^(٣)

فإن جعلت أسماء الله تعالى أو السور أو القرآن فمحلّها : الرفع - على الإبتداء أو الخبر - . أو النصب - بتقدير « اتل » أو فعل القسم - ، أو الجرّ بإضمار حرف القسم - .

وان عددت مبقاة على معانيها فإن أولت بـ « المؤلف » فالرفع - كما مرّ - وإن جعلت مقسماً بها فالنصب أو الجرّ ، وإلا فلا محل لها .

[٢] - ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ الإشارة الى « الم » أي هذه الحروف التي ينتظم منها كلامكم ، أو هذا المؤلف منها أو القرآن أو السورة . وحيث شابه البعيد لتقصيه ، أتى بصيغته ، أو الى الكتاب فتكون صفته ، أي : الكتاب الموعود به . وهو مصدر اطلق على المكتوب ، ثم على العبارة قبل الكتب لأنها مما يكتب .

وأصله : الجمع ، فـ « الم » - ان جعلت اسماً للسورة أو القرآن أو مؤولة بالمؤلف - مبتدأ ، و « ذلك » مبتدأ ثانٍ و « الكتاب » خبره ، والجملة خبر الأول . ومعناه : انه الكتاب الكامل الحقيقي بأن يسمّى كتاباً ، أو الخبر « ذلك » و « الكتاب » صفته . أو « الم » خبر لمحذوف . و « ذلك » خبر ثانٍ ، أو بدل ، و « الكتاب » صفته أو « ذلك » مبتدأ و « الكتاب » خبره ، أو صفته والخبر : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ .

و « الرّيب » مصدر رابه كذا : إذا وجد فيه الرّيبة ، وهي : قلق النفس . سمي به « الشك » لأنه يقلقها . وهو مبني لتضمّنه معنى « من » ومحلّه النصب بـ « لا » ، و « فيه » خبره ، ولم يقدّم لعدم قصد القصر . ومعناه أنه لوضوحه دلالة وبرهاناً بحيث لا يرتاب

(١) في « ط » : أمر الله .

(٢) في تفسير التبيان ١ : ٤٨ : قال بعضهم لكلّ كتاب سرّ ، وسرّ القرآن في فواتحه .

(٣) ذكر هذا القول الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١ : ٣٢ .

فيه عاقل . أو صفته ، و«للمتقين» خبره ، و«هذى» حال عن الضمير المعجور ، وعامله : الظرف . أو : الخبر محذوف ولذا وقف على «ريب» ، و«فيه» خبر «هذى» قَدَم عليه لتكثيره ، والتقدير : لاريب فيه ، فيه هدى .

وعلى الأول ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ خبر مبتدأ محذوف أو خبر لـ «ذلك» كـ «لاريب» . والهدى : مصدر ، وهو : الدلالة ، والتوصيف به للمبالغة ، وتكثيره للتعظيم .

وإختصاصه بالمتقين - وإن كان هدى للناس - ، لأنهم المهتدون به . والمراد : زيادته وثباته لهم كـ ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أو يراد بهم المشارفون للتقوى .

والمتقي - لغة - : اسم فاعل من وقاه فاتقى .

والوقاية : فرط الصيانة ، وشرعاً : من بقي نفسه الذنوب .

هذا ، وأوفق الوجوه الإعرابية : كون الآية أربع جمل متناسقة تقرر كل لاحقة سابقتها ، ولذا لم يتخللها العاطف .

فـ«الم» جملة تفيد التحدي ، و«ذلك الكتاب» - ثانية - تقرير جهة التحدي ، و«لا ريب فيه» - ثالثة - تسجل كماله . وهدى للمتقين - رابعة - تقرر كونه يقيناً لا يشك فيه .

[٣] - ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ . إما صفة لـ «المتقين» مجرورة مخصصة - إن فسرت التقوى بترك المعاصي - ، أو موضحة - إن فسرت بفعل الطاعة وترك المعصية - ، لاشتغالها على أساس الأعمال القلبية ، وأم العبادات البدنية والمالية من الإيمان والصلاة والصدقة المستتبعة لسائر الطاعات وترك المعاصي غالباً ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ ، ^(١) أو مادحة بأفضل ما تضمنه التقوى ، أو منصوبة أو مرفوعة على المدح بتقدير : أعني ، أو : هم . وإما إستئناف مرفوع بالإبتداء ، وخبره «أولئك» ، فالوقف على المتقين تام .

(١) سورة العنكبوت : ٤٥ / ٢٩ .

والإيمان - لغة - : التصديق، أُخِذَ من الأمن، وعدَّته الهمزة الى مفعولين كأنَّ المصدِّقَ أمِنَ المصدِّقَ التَّكْذِيبَ. ولتضمُّنه معنى الإقرار عَدَيَّ بالبَاءِ.
وشرعاً - : التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الإقرار باللسان - شرطاً - أو بدونه، وعليه الأشاعرة. أو معه - شرطاً - وهو متصور الإمامية. أو هما مع العمل، وعليه المعتزلة.

فالمخلّ بالإعتقاد منافق، وبالإقرار كافر، وبالعمل فاسق، لا كافر - كقول الخوارج -، ولا بين المنزلتين - كقول المعتزلة -، لاقران الإيمان بالمعاصي في آية: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ﴾^(١) ونحوها، وبعض الأخبار.^(٢) وما في بعضها من الخروج عنه بها،^(٣) محمول على نقص كماله بها، فبطل - أيضاً - إدخالهم «العمل» فيه.

و«الغيب» مصدر بمعنى: الغائب - أن جعلت الباء صلة للإيمان - فتكون للتعدية. والمراد به: الخفي الذي لا يعلمه العباد إلا بتعليمه تعالى كالصانع وصفاته والنبوة والشرائع والإمامة وغيبة المهدي عليه السلام وخروجه والقيامة وأحوالها.

وإن جعل «بالغيب» حالاً، أي: متلبسين بالغيب، فهو بمعنى: الغيبة، والباء: للمصاحبة، أي: يؤمنون حال غيبتهم لا كالمنافقين.

وقيل: الغيب: القلب^(٤) فالباء للإستعانة ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي يعدلون أركانها وأفعالها، فلا يقع فيها زيغ، من: أقام العود: إذا قومه.

(١) في سورة الحجرات: ٩/٤٩ وتام الآية: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَمُوا إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُقْسِطِينَ».

(٢) ذكر العلامة المجلسي أخباراً في هذا المجال في بحار الأنوار ٦٩: ٢٢٣ الباب ١١٤ من باب الكذب. الحديث ٤٧ وما بعده.

(٣) كما ورد في بحار الأنوار ٦٦: ٧٣ الباب ٣٠ الحديث ٢٨.

(٤) ذكر ذلك الألوسي في تفسير روح المعاني ١: ٣٣.

أو: يدومون عليها، من أقمت السوق: إذا جعلتها نافقة، كأنها بالمداومة عليها جعلت نافقة.

أو: يؤدونها، - تعبيراً عن أدائها بإقامتها، لاشتغالها على القيام..

والصلاة - لغة - الدعاء، وسميت بها العبادة المخصوصة، لاشتغالها عليه. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ الرزق - لغة - الحظ، وعرفاً: إعطاء الله تعالى الحيوان ما ينتفع به. ويستعمل بمعنى: المرزوق.

ودلّ إسنادُه إليه تعالى ومدحهم بالإنفاق منه، على أنّ الحرام ليس منه لتعالیه سبحانه عن القبائح وعدم اقتضاء إنفاق الحرام المدح. وأنفق - وما وافقه في «الفاء» و «العين» - دال على معنى الخروج والذهاب. وتقديم المفعول للإهتمام به لحليته. ورعايته الفواصل وإدخال «من» التبعية عليه للكفّ عن التبذير.

والمراد به، قيل: كلّ مال صرف في سبيل الخير - فرضاً أو نفلاً - ^(١) وقيل: الزكاة المفروضة، ^(٢) لاقتراحه بأختها. وقيل: نفقة الرجل على أهله، ^(٣) لنزولها قبل فرض الزكاة. وعن الصادق عليه السلام: «معناه ممّا علّمناهم يبتون» ^(٤).

[٤] - ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ هم إمّا: مؤمنو أهل الكتاب كعبدالله بن سلام وأمثاله، عطف على «الذين يؤمنون بالغيب» فيشاركونهم في صفة التقوى، أو: على «المتقين»، كأنه قيل: هدى لأولئك وهؤلاء.

وإمّا الأولون بأعيانهم. ووسط العاطف على معنى: أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ القرآن والشرعة بأسرهما. والتعبير بالماضي مع أنّ

(١) ذكره الطوسي في تفسير البيان ١: ٥٨.

(٢) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٩ وتفسير البيان ١: ٥٨ والجامع ١: ١٧٩.

(٣) قاله ابن مسعود - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٩ وتفسير البيان ١: ٥٨ والجامع ١: ١٧٩.

(٤) رواه الحويزي في نورالثقلين ١/ ٢٦ الحديث ٥ والطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٣٩.

بعضه مترقب، تغليب للموجود، أو تنزيل للمترقب منزلة الواقع. ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ الكتب السابقة، ووصف الإعراض بالإنزال بتبعية المحل وهو الملك ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ إيقاناً زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة ألا من كان هوداً أو نصارى، ^(١) ولن تمسهم النار إلا اياماً معدودة ^(٢) واختلافهم في نعيم الجنة أهو من جنس نعيم الدنيا أم غيره، دائم أم لا. وفي تقديم الظرف. وبناء «يوقنون» على «هم» تعريض بغيرهم من أهل الكتاب، وأن ما هم عليه من أمر الآخرة غير مطابق ولا عن إيقان - و«الإيقان»: إحكام العلم بنفي الشك عنه -.

و«الآخرة» تأنيث: آخر، صفة الدار، لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ ^(٣) فغلبت كالدنيا و«نافع» يحذف الهمزة ويلقي حركتها على اللام للتخفيف. ^(٤)
[٥] - ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ الجملة محلها: الرفع، خبر عن «الذين يؤمنون بالغيب» - ان جعل مبتداً - فكأنه لما قيل: «هدى للمتقين» قيل: لما ^(٥) خصوا بذلك؟ فقيل: «الذين يؤمنون بالغيب» إلى آخره، وإلا فاستئناف لا محل لها، كأنه قيل: ما نتيجة الإتيان بتلك الأوصاف؟ فقيل: الثبات على الهدى الكامل عاجلاً؛ والفوز بالفلاح آجلاً.

ومعنى الاستعلاء في «على هدى»: تشبيه تمسكهم بالهدى وثباتهم عليه باعتلاء الراكب مركبه. ونكر «هدى» للتعظيم، ووصف بـ«من ربهم» تأكيداً بتعظيمه بأنه

(١) كما ورد عن قولهم في سورة البقرة: ٢/١١١ وفيه «لن يدخل...».

(٢) اقتباس من قوله تعالى: «وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة» البقرة: ٢/٨١.

(٣) سورة القصص: ٢٨/٨٣ ونص الآية: «... نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين».

(٤) ذكر البيضاوي هذه القراءة في تفسيره ١: ١٠٠.

هكذا: وعن نافع: أنه حذف الهمزة والفاء حركتها على اللام.

(٥) «ما» - هنا - استفهامية، أي ما بالهم خصوا بذلك؟

ممنوحه وهو اللطف والتوفيق . ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ تكرير «أولئك» يفيد اختصاصهم وتمييزهم عن غيرهم بكل واحدة من المزيّتين .

وادخل العاطف لاختلاف الجملتين مفهوماً بخلاف ﴿وَأُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(١) - إذ الثانية مقرّرة للأولى فلا يحسن العطف . و«هم» فصل يفصل الخبر عن الصّفة ويحصّره في المبتدأ ويؤكد الحكم ، أو مبتدأ و«المفلحون» خبره والجمله خبر «أولئك» .

والمفلح : الفائز بالبُغية . وتعريف «المفلحون» للعهد ، أي : المتقون هم الناس الذي بلغك أنهم مفلحون في الآجل ، أو للجنس بإرادة حصّره في المسند اليه ، أو اتحاد المسند اليه به .

فانظر كيف نبّه تعالى على اختصاص المتّقين بالأثرين - بذكر إسم الإشارة المفيد للعلّية ، مع الإيجاز ، وتكريره ، وتعريف المفلحين ، وضمّ الفصل - إعلاناً بفضلهم وحثاً على لزوم نهجهم .

وإرادة الكامل من الهدى والفلاح توهم تمسك «الوعيدية»^(٢) به في دوام عذاب الفاسق .

[٦] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لما ذكر الله تعالى أولياءه بصفاتهم التي أوجبت لهم الهدى والفلاح ، قفاهم بأضدادهم العتاة الذين لا ينفع فيهم الهدى^(٣) والإنذار . وقطعت قصّتهم عن قصّة المؤمنين لتباينهما غرضاً ، إذ الأولى لكشف شأن الكتاب ، والثانية لشرح تمرّدهم . والتأكيد بـ «إِنَّ» لعلّه للترواج .

(١) سورة الاعراف : ١٧٩ / ٧ .

(٢) الوعيدية : فرقة من الخوارج وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار - دائرة معارف القرن العشرين ١ : ٨٨ .

(٣) في «ط» : لا ينفعهم الهدى .

وتعريف الموصول إما للعهد ويراد ناس معينون كـ «أبي لهب» وأضرابه، أو للجنس ويخصه الخبر بالمصريين.

والكفر - لغة - : ستر النعمة ، من الكفر - بالفتح - وهو : الستر.

وشرعاً : عدم التصديق بما علم ضرورة مجيء النبي صلى الله عليه وآله وسلم به .
﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ «سواء» إسم بمعنى : الإستواء ، وصف به كما وصف بالمصادر ، ورفع بأنه خبر «إن» ، وما بعده رفع بالفاعلية .

والتقدير : أنهم مستو عليهم إنذارك وعدمه . أو : بأنه خبر لما بعده ، أي : إنذارك وعدمه سواء عليهم . والجملة خبر «إن» والاسناد الى الفعل لتأويله بالمصدر . وعدل إلى الفعل ملاحظة للتجدد ، ولأليقيته^(١) بالهمزة و«أم» المقررتين للإستواء ، وجردنا عن معنى الإستفهام لمجرد الاستواء .

والإنذار : التخويف - أي من عقاب الله تعالى . ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ جملة مؤكدة لما قبلها فلا محل لها ، أو حال مؤكدة من ضمير «عليهم» ، أو خبر «أن» والجملة قبلها إعتراض وإخباره تعالى بأنهم لا يؤمنون ، لا ينفي قدرتهم على الإيمان ، فلا يكون تكليفهم به تكليفاً بما لا يطاق . وفي الآية إخبار بالغيب وأعجاز ان اريد بهم معينون .
[٧] - ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ إستئناف .

والختم : أخو الكتم ، إذ في الإستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتم له .
والغشاوة : الغطاء . والختم ، والتغطية أما إستعارة ، شبه جعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق لإعراضهم عنه وأسماعهم بحيث تمجّه^(٢) بضرب الخاتم على الشيء ، وجعل أبصارهم بحيث لا تجتلي الدلائل المنصوبة بالتغطية عليها ، أو تمثيل حال قلوبهم ومشاعرهم - مع الحالة المانعة من الإستنفاع بها فيما خلقت له

(١) في «ط» : وليتعبه .

(٢) المَجُّ ، هو : اللفظ - كما في - مجمع البحرين - ، والمراد استيحاش آذانهم من سماع الحق .

بحال أشياء معدة للإنتفاع بها مع المنع عنه - بالختم والتغطية .

وإسناد الختم - مع قبحه - الى الله تعالى - المنزه عن القبيح - كناية عن تمكن إعراضهم عن الحق في قلوبهم وأسماعهم حتى صار لهم كالجبلة الصادرة عنه تعالى . أو تمثيل حال قلوبهم بحال قلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن،^(١) أو من الإسناد إلى السبب ، أو مجاز عن ترك قسره على الإيمان كناية عن رسوخهم في كفرهم ، أو تهكم بهم حكاية لقولهم : ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ ﴾^(٢) أو في الآخرة ، والتعبير بالماضي لتحقيقه بشهادة : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً ﴾^(٣) .

«وعلى سمعهم» عطف على «قلوبهم» لقوله تعالى : ﴿ خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ﴾^(٤) ولوقفهم عليه ، وكرر الجار ليكون أدل على شدة الختم في الموضعين . وإفراد السمع لأمن اللبس ، ولأن أصله : المصدر ، أو بتقدير حواس سمعهم . وإيثاره لمناسبته لوحدة المدرك كالجمع لتكثيره .

والبصر : إدراك العين ، والقوة الباصرة ، والعضو ، وكذا السمع ، والمراد : أحد الآخرين ، والقلب : محل العلم .

و«غشاوة» رفع بالإبتداء أو الظرف ، والتنكير للتعظيم والنوعية ، أي : نوع غير متعارف . ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ العذاب كالنكال - زنة ومعنى - ، يقال : اعذب عنه ونكل عنه : إذا امسك ، ثم سمي به كل ألم فادح وإن لم يكن نكالاً - أي : عقاباً يردع الجاني - فهو أعمّ منهما .

(١) الفطن : جمع فطنة ، وهو : الفهم - كما في مختار الصحاح «فطن» - .

(٢) كما ورد في سورة فصلت : ٥١ / ٥ .

(٣) سورة الإسراء : ٩٧ / ١٧ .

(٤) سورة الجاثية : ٢٣ / ٤٥ .

و«العظيم»: نقيض الحقير، كالكبير للصغير، والعظيم فوق الكبير، والحقير دون الصغير، والتشكير للنوعية، أي: لهم من بين الآلام العظام نوع لا يعلم كنهه إلا الله تعالى.

[٨]- «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ» افتتح سبحانه - في سياق شرح حال الكتاب - بذكر خلص المؤمنين، وثنى بأضدادهم الماحضين للكفر سرّاً وجهراً، وثلث بالمنافقين المذبذبين بين الفريقين، الذين أبطنوا الكفر وأظهروا الإيمان، وهم أخبث [من] ^(١) الكفرة، لخلطهم بالكفر تمويهاً واستهزاءً، ولذلك طول في وصف حالهم. وقصّتهم بأجمعها معطوفة على قصة المصرّين، والظرف خبر لـ «من»، أو هي خبر لمضمونه.

وأصل الناس: أناس، حذفت الهمزة وعوّض عنها لام التعريف، وهو اسم جمع، ولأمه للجنس، و«من» موصوفة كأنه قيل: ومن الناس يقولون، أو للعهد والمعهود بالذين كفروا و«من» موصولة قيل: يراد بها: «ابن أبي» وأضرابه. وخصّ الإيمان بالله وباليوم الآخر بالذكر إدعاء بأنهم حازوا الإيمان من جانبيه، وبياناً لفرط خبثهم لأنهم كانوا يهوداً، وإيمانهم بالله واليوم الآخر ليس بإيمان، لقولهم: «عَزَّيْرُ ابْنِ اللَّهِ» ^(٢) وإن الجنة لا يدخلها غيرهم ^(٣) ونحوه. فتمويههم على المؤمنين - بأنهم آمنوا مثل إيمانهم - كفر مضاعف، لأنهم لو قالوا هذا وهم على عقيدتهم بدون نفاق لم يكن إيماناً.

كيف وقد قالوه نفاقاً وتمويهاً وتكرير «الباء» لإدعاء الإيمان بكلّ على الصحة. و«اليوم الآخر»: من وقت الحشر إلى الأبد، أو إلى دخول السعداء الجنة والأشقياء

(١) الزيادة اقتضاها السياق.

(٢) سورة التوبة: ٣٠/٩.

(٣) ينظر سورة البقرة: ١١١/٢.

النار، إذ هو آخر الأوقات المحدودة. ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ نفى لما ادّعوه وتكذيب لهم.

وعدل عن «ما آمنوا» - المطابق لقولهم «آمنا» المصرّح بشأن الفعل لا الفاعل - إلى عكسه مبالغته، لأنّ إخراجهم عن جملة المؤمنين أبلغ من نفى إيمانهم في الماضي، ولذا أكّد النفي بالباء وأطلق الإيمان، أي: ليسوا منه في شيء، ويحتمل تقييده بما قيّدوا به إذ هو ردّه.

[٩] - ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الخدع: أن توهم غيرك خلاف ما تريده به من المكروه، وأصله: الاخفاء. والمخادعة: تكون من إثنيين. ومخادعتهم لله - العالم بكلّ خفي، والمنزّه عن القبيح، وللمؤمنين الغير اللائق بهم -: أن يخدعوا على معنى: أن صورة صنعهم معه تعالى من إظهار الإيمان وإبطان الكفر، وصنعه تعالى معهم بإجراء أحكام المسلمين عليهم - وهم أبغض الكفرة إليه - لمصالح يعلمها.

وإمثال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين أمره تعالى بإجراء أحكام المسلمين عليهم، صورة صنع المتخادعين. أو مخادعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مخادعة لله تعالى، لأنه خليفته ويغضده: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾. ^(١) و«يخادعون» بيان لـ«يقول» أو استئناف لشرح الغرض منه، فيحتمل إرادة: يخدعون بـ«يخادعون»، وأخرج في وزن «فاعل» المفيد للمغالبة، لأنّ الفعل متى غلب فيه جاء أبلغ منه إذا جاء بلا مغالب ويعضده قراءة: «يخادعون». ^(٢)

وغرضهم بخداعهم: دفع ما يطرق به غيرهم من الكفرة عن أنفسهم، وأن يكرموا كالمؤمنين، وأن يختلطوا بهم ليظهروا على أسرارهم فيفشوها الى أعدائهم

(١) سورة النساء: ٨٠/٤.

(٢) وهي قراءة حفص عن عاصم وسيذكرها المصنّف بعد قليل.

ونحو ذلك. ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ^(١) إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ قرأه «نافع»، و«ابن كثير»، و«أبو عمرو»،^(٢) أي: ضرر خداعهم إنما يعود اليهم، أو أنهم خدعوا أنفسهم حيث منوها الأباطيل، وخدعتهم هي كذلك. وقرأ الباقون «وما يخدعون».^(٣)

والنفس: ذات الشيء؛ ثم قيل للروح والقلب، لأنه متعلقها أو محلها، وللدم؛ لأن قوامها به، وللماء، لفرط فقرها إليه وللرأي؛ لإنبعائه عنها، أو لشبهه بذات تشاور.^(٤) والمراد - هنا -: ذواتهم أو أرواحهم وآراؤهم. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ الشعور: الإحساس، جعل لحوق ضرر الخداع بهم كالمحسوس، وهم لفرط غفلتهم كفاقد الحس.

[١٠] - ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ تقرير لعدم شعورهم، أو استئناف لذكر سببه ومرض قلوبهم إما على الحقيقة: وهو الألم - حيث كانت متألمة حزناً على فوت الرئاسة منهم وحنقاً على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين - . أو مجاز عن الكفر والغل وحب المعاصي ونحوها مما هو آفة شبيهة بالمرض، فإن قلوبهم كانت مأوفة^(٥) بذلك.

أو عن الجبن الذي داخل قلوبهم حين رأوا شوكة المسلمين وقذف الله في قلوبهم الرعب. ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ زادهم تألماً بإعلاء شأن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، أو طبعاً على قلوبهم.

والإسناد إليه تعالى لأنه مسبب،^(٦) أو جبناً بتضاعف النصر لرسوله صلى الله عليه وآله

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «وما يخدعون».

(٢) حجة القراءات: ٨٧.

(٣) وهم: «عاصم» و«ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» - كما في حجة القراءات: ٨٧.

(٤) من المشاورة وقد ورد في تفسير البيضاوي: ١: ٨٠-٨١ أو يشبه ذاتاً ما تأمره وتشير عليه.

(٥) من الآفة، وهي العاهة - كما في مختار الصحاح «أوف» -.

(٦) في «د» لأنه سبب.

وسلم. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي مؤلم - بالفتح - يقال: أَلِمَ فهو أليم، وصف به العذاب مبالغة، كضرب وجيع ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ قرأه «عاصم» و «حمزة» و «الكسائي»،^(١) أي: بسبب كذبهم في قولهم: «آمنّا» أو بمقابلته. والباقون: بالتشديد، لتكذيبهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقلوبهم دائماً وبألسنتهم إذا خلوا إلى شياطينهم. أو للمبالغة كبيتين الشيء. أو التكثير كموت الإبل، ولفظ «كان» للإستمرار.

والكذب: الإخبار بالنسبة على خلاف ما هي به، والآية تفيد حرمة.

[١١] - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ عطف على «يكذبون» أو «يقول».

والفساد: خروج الشيء عن الإستقامة والانتفاع به، وضده: الصلاح.

وإفسادهم في الأرض: إثارة الفتن والحروب بخداع المسلمين ومعاونة الكفار عليهم بإفشاء أسرارهم، فإن ذلك يؤدي إلى فساد ما في الأرض من الناس وغيرهم، والقاتل هو الله تعالى أو الرسول أو بعض المؤمنين. ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ جواب «إذا» وردّ للناصح على وجه المبالغة، لأن «إنما» للحصر، أي: ما شأننا إلا الإصلاح فكيف نخاطب بذلك؟ قالوه لتصوّرهم الفساد صلاحاً.

[١٢] - ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ ردّ لدعواهم مع المبالغة بالإستئناف به،

وتصديره بالمؤكد «ألا» المنبهة على تحقق ما بعدها و «إنّ» وتوسيط الفصل، وتعريف الخبر، وإستدراك ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: بكونهم مفسدين مع ظهوره كالمحسوس.

[١٣] - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا﴾ نصحوا بأمرين يكمل بهما الإيمان: ترك الرذائل

المراد بـ «لا تفسدوا» واكتساب الفضائل المراد بـ «آمنوا». ﴿كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ في محلّ النصب على المصدر، و «ما» مصدرية أو كافة و «لام» الناس للعهد، يراد

(١) الكشف عن وجوه القراءات ١: ٢٢٧.

به : الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه ، أو من آمن من قومهم كـ «ابن سلام» وأصحابه . أو للجنس ، ويراد به : الكاملون في الإنسانية ، كأنهم الجنس كله ، لجمعهم خواصه . ﴿قَالُوا﴾ فيما بينهم . ﴿أَنْتُمْ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ إستفهام إنكاري واللام للعهد - والمعهود : الناس - ، أو للجنس وهم داخلون فيه - على زعمهم - .

وإنما سفهوهم لاعتقادهم سوء رأيهم ، أو تحقيراً لهم لفقر أكثرهم وكون بعضهم موالي .

والسفه : ضعف رأي وخفة ، وضده : الحلم . ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ رد بليغ لتجهيلهم بجهلهم المؤذن برسوخه فيهم مع ما في سابقها وفصلت هذه بـ «لا يعلمون» وتلك بـ «لا يشعرون» لأن معرفة الحق من الباطل تحتاج إلى نظر ، والنفاق المؤدي إلى الفساد يدرك بأدنى تفتن .

[١٤] - ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ صدر القصه بيان لمذهبهم ، وهذه بيان لصنعهم مع المؤمنين والكفار . فلا تكرير .

و«اللقاء» : المصادفة كالملاقاة . ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ من خلا به وإليه : إذا انفرد معه . أو من «خلاك ذم» أي : عداك ومضى عنك . ﴿إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ المظهرين للكفر المماثلين للشيطان في عتوهم ، وأضيفوا اليه للمشاركة في الكفر ، أو خلا صغار المنافقين إلى كبارهم ، ونونه أصليّة من «شطن» أي : بعد ، لبعده عن الصلاح ، أو زائدة من «شاط» أي : بطل ، ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي : في العقيدة خاطبوهم بالإسمية تحقيقاً لثباتهم على دينهم وأكدوها بـ «إِنَّ» اعتناءً بشأنه ورواجه منهم ، والمؤمنين بالفعليّة^(١) إخباراً بإحداث الإيمان ولم يعتنوا به ، ولم يتوقعوا رواجه . ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ تأكيد لـ «إِنَّا مَعَكُمْ» لأن المستهزىء بالشئ ثابت على نقيضه . أو بدل (١) أي خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وهو قولهم : «آمنّا» .

منه، إذ المحقر للإسلام معظم للكفر. أو استئناف، كأن الكفرة قالوا لهم - حين قالوا: «إنا معكم» -: فما بالكم توافقون المؤمنين؟ فأجابوا بذلك.

والإستهزاء: السخرية والإستخفاف، يقال: استهزأ وهزأ بمعنى.

وأصله: الخفة.

[١٥] - ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يعاملهم معاملة المستهزيء، بإجراء حكم الإسلام عليهم مع ادخار ما يراد بهم، أو يجازيهم على استهزائهم، سمي جزاؤه باسمه كـ ﴿جَزَاؤُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾^(١)، أو ينزل بهم الهوان الذي هو لازم الاستهزاء.

وإنما استؤنف به ليفيد أن الله تعالى يتولى جزاءهم انتقاماً للمؤمنين، ولم يحوجهم أن يقابلوهم، وإن ما يفعله تعالى بهم هو الاستهزاء الأبلغ الذي لا اعتداد معه باستهزائهم، ولم يقل: مستهزيء - طبق «مستهزءون» - ليفيد حدوث الاستهزاء وقتاً فوقتاً. ﴿وَيُمْدُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ من المدد، ومنه: مدَّ الجيش وأمدّه، أي: زاده، لا من المدة في العمر، لتعذبه باللام ويعضده قراءة «وَيُمْدُدُّهُمْ»^(٢).

وإسناده إليه تعالى إسناد الفعل إلى المسبب، لأنه منعهم الطافه لإصرارهم على الكفر والعمّة، فازدادت قلوبهم ريناً^(٣) وسمي ذلك التزايد: مدداً، أو لأنه مكن الشيطان منهم فزادهم طغياناً.

وإضافة الطغيان إليهم قرينة المجاز: أو أريد بالمد: ترك القسر.

والطغيان مجاوزة الحد في العتو، وأصله: تجاوز الشيء عن موضعه.

والعمه، التحير، وهو في البصيرة كالعمى في البصر.

[١٦] - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ استبدلوها به. إستعارة، لأن

(١) في سورة الشورى: ٤٢ / ٤٠.

(٢) وهي قراءة ابن كثير وابن محيص - كما في تفسير الكشاف ١: ١٨٨.

(٣) في «ب»: ريباً، والرین: الطبع والدنس - كما في مختار الصحاح «رين».

الإشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر، أي: تركوا الهدى - الذي جعل لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها - إلى الضلالة. ﴿فَمَا رِيحَتْ بِجَارَتُهُمْ﴾ ترشيح للمجاز^(١) لما ذكر الإشتراء أتبعه ما يشاكله تصويراً لما فاتهم بصورة خسارة التجارة.

والتجارة: طلب الربح بالبيع والشراء، والربح: الفضل على رأس المال. وأسند إلى التجارة لتلبسها بالفاعل. ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ لطرق التجارة، إذ المطلوب بها حفظ رأس المال والربح وقد أضاعوا رأس مالهم باستبدالهم به الضلالة، ولا ربح لمن ضيع رأس المال.

[١٧] - ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ بين تعالى صفتهم، ثم زادها بياناً بضرب المثل فإنه أوقع في النفس لجعله المتخيل كالمحقق.

والمثل - في الأصل -: النظر، كالمثل والمثيل، ثم قيل للقول السائر الممثل به مضربه لمورده، ولا يضرب إلا ما فيه غرابة، ثم استعير لكل قصة أو صفة لها شأن نحو: «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ»^(٢) «وَاللهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى»^(٣) والمعنى: حالهم العجيبة كحال من استوقد ناراً. و«الذي» بمعنى: الذين - مخففاً - كـ «الذي خاضوا»^(٤) ان عاد اليه ضمير «بنورهم».

وافراد ضميره في «استوقد» و«حوله» نظراً إلى صورته أو أريد به جنس المستوقدين أو الجمع الذي استوقد، أو الواحد، ولا محذور لأن التشبيه لقصتهم بقصته.

(١) ترشيح المجاز على أنواع، لغوي: وهو ذكر ما يلائم المعنى الحقيقي. عقلي: وهو ذكر ما يناسب ما استعمل له كقول أبي ذؤيب:

واذ المنية انشبت اظفارها الفيت كل تميمه لاتنفع

(٢) سورة الرعد: ٢٥/١٣.

(٣) سورة النحل: ٦٠/١٦.

(٤) سورة التوبة: ٦٩/٩.

والاستيقاد: طلب الوقود، وهو: سطوع النار، وهي من «نار» أي: نفر، لأن فيها حركة. ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ النار ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ حول المستوقد - إن تعدى -، وإلا: فالفاعل «ما»، والتأنيث لأنها أشياء وأمكنة، أو ضمير النار. و«ما» موصلة بمعنى: الأمكنة، نصبت ظرفاً، أو زائدة. و«حوله» ظرف.

والاضاءة: فرط الإنارة. وتأليف الحول^(١) للدوران، وقيل: للعام لدورانه. ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ جواب «لما» والضمير للذي جمع - نظراً إلى المعنى -، ولم يقل: بنارهم، لأن المراد من إيقادها: النور. أو إستئناف، جواب من يقول: ما بالهم شبتت حالهم بحال مستوقد قد طفئت ناره؟ والضمير للمنافقين، وجواب «لما» محذوف، تقديره: خمدت.

وإسناد الإذهاب إليه تعالى لأنه المسبب للإطفاء بسبب خفي أو ربح أو مطر. وعدي «ذهب» بالباء، لإفادتها الإستصحاب، بخلاف الهمزة، أي: أخذ الله نورهم وأمسكه، وما أمسكه الله فلا مرسل له.

وعدل عن الضوء الموافق لـ «أضاءت» إلى النور للمبالغة، اذ لو قيل: ذهب بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نوراً، والغرض طمس النور عنهم رأساً ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ الظلمة: عدم النور، وتنكيرها للتعظيم، وجمعها للمبالغة بشدتها، كأنها ظلمات متراكمة ولذا وصفها بأنها لا يرى فيها شبح، أو المراد: ظلمة النفاق، وظلمة سخط الله، وظلمة العقاب السرمد.

وترك بمعنى: خلى. يتعدى لواحد، ثم ضمن معنى: صير، فتعدى إلى مفعولين، ومفعول «لا يبصرون» متروك، كأن الفعل لازم.

والآية مثل لا انتفاعهم بكلمة الإسلام مدة حياتهم القليلة. وانقطاعه بالموت

(١) أي وضع كلمة «الحول» بهذا التأليف إنما هو للدوران أو للعام أي السنة. - ينظر تفسير كنز الدقائق ١: ٤٦١.

ووقعهم في الظلمات المتراكمة باستضاءة المستوقد التي حصلت بعد السعي فزالت بإطفاء النار فبقي في ظلمة شديدة .

أو مثل لهداهم الذي باعوه بالنار الموقدة للإستضاءة، والضلالة التي اشتروها، فطبع بها على قلوبهم بإطفاء الله تعالى إياها وإذهاب نورها .

[١٨] - ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَى﴾ لَمَّا لَمْ يَصِيخُوا^(١) مَسَامِعَهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَأَبَوْا النَّطْقَ بِهِ وَالتَّبَصُّرَ لِلآيَاتِ جَعَلُوا كَأَنَّهُمْ حَوَاسِهِمْ مَأْوُفَةٌ، وَهُوَ مِنَ التَّشْبِيهِ لَا الْإِسْتِعَارَةَ، إِذْ شَرْطُهَا طَيِّ ذِكْرِ الْمُسْتَعَارِ لَهُ بِحَيْثُ يُمْكِنُ الْحَمْلُ عَلَى الْمُسْتَعَارِ مِنْهُ لَوْ لَا الْقَرِينَةُ . وَهَذَا وَإِنْ طَوَى ذَكَرَهُ بِحَذْفِ الْمَبْتَدَأِ لَكِنَّهُ فِي حَكْمِ الْمَذْكُورِ .

وَالصُّمُّ : فَقْدَانُ حَسِّ السَّمْعِ ، وَالْبُكْمُ : الْخَرَسُ ، وَالْعُمَى : عَدَمُ الْبَصَرِ عَمَّا مِنْ شَأْنِهِ ، وَيُقَالُ لِعَدَمِ الْبَصِيرَةِ ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إِلَى الْهَدْيِ الَّذِي بَاعُوهُ أَوْ عَنِ الضَّلَالَةِ الَّتِي اشْتَرَوْهَا .

[١٩] - ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ عَطَفَ عَلَى «الَّذِي اسْتَوْقَدَ» ، أَي : كَمَثَلِ ذَوِي صَيِّبٍ لِقَوْلِهِ : «يَجْعَلُونَ» ، وَ«أَوْ» لِلإِبَاحَةِ . وَالْمَعْنَى : أَنَّ قِصَّةَ الْمُنَافِقِينَ مُشَبَّهَةٌ لِكُلِّ مِنْ هَاتَيْنِ الْقِصَّتَيْنِ فَلِكِ التَّمَثِيلِ بِهِمَا أَوْ بِأَيَّتَهُمَا شِئَتْ .

وَالصَّيِّبُ : الْمَطَرُ الَّذِي يَصُوبُ ، أَي : يَنْزِلُ ، وَيُقَالُ لِلسَّحَابِ ، وَكُلِّ مُحْتَمَلٍ - هُنَا - ، وَتَنْكِيرُهُ لِلتَّهْوِيلِ ، أَي : نَوْعٍ مِنَ الْمَطَرِ هَائِلٍ وَتَعْرِيفِ «السَّمَاءِ» لِيَدُلَّ عَلَى تَطْبِيقِ السَّحَابِ لِكُلِّ آفَاقِهَا لَا أَفَقٍ وَاحِدٍ فَإِنَّهُ سَمَاءٌ ، أَوْ «السَّمَاءُ» : السَّحَابُ ، فَالْإِلَاحُ لِلْجِنْسِ . ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ إِنْ أُريدَ بِالصَّيِّبِ : الْمَطَرُ ، فَالظُّلُمَاتُ : ظِلْمَةٌ تَكَاثُفَةٌ ، وَظِلْمَةٌ غَمَامَةٌ مَعَ ظِلْمَةِ اللَّيْلِ ، وَجَعَلَهُ ظَرْفًا لِلرَّعْدِ وَالْبَرْقِ لِتَلَبُّسِهِمَا بِهِ ، وَإِنْ أُريدَ بِهِ السَّحَابُ ، فَالظُّلُمَاتُ : سَحَابَتُهُ^(٢) وَتَطْبِيقُهُ مَعَ ظِلْمَةِ اللَّيْلِ ، وَارْتِفَاعُهَا بِالظَّرْفِ .

(١) اصْخَاحٌ لَهُ وَآلِيهِ : بِمَعْنَى اصْغَى وَاسْتَمَعَ .

والرعد: صوت يسمع من السحاب، والبرق: ما يلمع منه، ولم يجمعاً لأن أصلهما المصدر ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ إستئناف. كأنه قيل: ما حالهم مع ذلك الرعد؟ فأجيب به.

والضمائر لذوي الضيَب، وإشار الأصابع على الأنامل للمبالغة ﴿مِنْ الصَّوَاعِقِ﴾ أي يجعلون من أجلها.

والصاعقة: قصفة رعدٍ معها نار لا تمرّ بشيء إلا أهلكته، من الصعق، وهو: شدة الصوت، يقال: صعقته الصاعقة، أي: أهلكته بشدة الصوت أو الإحراق ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ معقول له، والموت: زوال الحياة أو عرض يُضادها ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط والجملة اعتراض.

[٢٠] - ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ إستئناف آخر، كأنه قيل: فما حالهم مع ذلك البرق؟ فأجيب به، و«يكاد» لمقاربة الخبر من الوجود.

و«الخطف»: الأخذ بسرعة ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ إستئناف ثالث، كأنه قيل: ما يصنعون في حالتي خفوق البرق وخفائه؟ فأجيب به. و«أضاء» إمّا متعدّ حذف معفوله أي كلما نورّ لهم مسلكاً سلكوه، أو لازم، أي: كلما لمع لهم مشوا في ضوئه، وكذا «أظلم».

وأتى مع الاضاءة بـ«كلما» ومع الإظلام بـ«إذا» لحرصهم على المشى، فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها بخلاف التوقف، و«قاموا» أي: وقفوا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بقصف الرعد ﴿وَأَبْصَارِهِمْ﴾ بوميض البرق، وحذف مفعول «شاء» لدلالة الجواب عليه. و«لو»: حرف شرطٍ لانتفاء الثاني لانتفاء الأول، وتستعمل لربط الجزاء بالشرط مجرّدة عن الدلالة على انتفائهما، وتسمّى: الإستدلالية - كما هنا - ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الشيء: ما يصح أن يعلم ويخبر عنه، فيعم الواجب

(١) المسحمة: السواد، والمراد سواد الليل.

والممكن والممتنع ، وخصّصه العقل هنا بالممكن .

و«القدر» : الفَعَال لما يشاء على ما يشاء .

والتّمثيل إمّا مركّب تشبيه لحال المنافقين في الشّدة والذهشة بحال من أخذه

المطر في ليل مظلم مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصّواعق .

أو مفرّق تشبيه لذواتهم بذوي الصّيب ، و - إيمانهم المشوب بالكفر - بصيب فيه

ظلمات ورعد وبرق ، فإنّه وإن كان رحمة في نفسه لكنّه عاد نقمة في هذه الصّورة ،

ونفاقهم حذراً ممّا يطرق به غيرهم من الكفرة بجعل الأصابع في الأذان من الصّواعق

حذر الموت ، وتحيرهم بشدّة الأمر - بأنّهم كلّما أضاء لهم انتهزوا الفرصة فمشوا

قليلاً ، وإذا أظلم عليهم وقفوا متحيّرين ، والمثل الأول يجري فيه الوجهان كما

أشير اليه (فتدبر) .

[٢١] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ لما ذكر تعالى فرق المكلفين وأحوالهم ،

التفت اليهم بالخطاب تنشيطاً للتّسامع .

و«يا» لنداء البعيد ويستعمل في القريب منزلاً منزله إمّا لعظمته كـ «يا الله» أو

لغفلته ، أو للإعتناء بالمدعو له ، و«أيّ» وصلة إلى نداء المعرف باللام لتعذر دخول

«يا» عليه ، وأعطى حكم المنادى وجعل ذو اللام صفة موضحة له ملتزماً رفعه لأنّه

المقصود ، وأقحمت بينهما «هاء - التّنبية -» تأكيداً وتعويضاً لأيّ من الإضافة .

والخطاب للمكلفين الموجودين ، ويدخل من سيوجد بدليل خارجي - لقبح

خطاب المعدوم - ، والمأمور به المشترك بين إحداث العبادة والزّيادة فيها والثّبات

عليها ، فالمراد - من الكفار - : إحداثها بعد الإتيان بما تتوقف عليه ، ومن المؤمنين :

الزّيادة والثّبات ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ صفة جاءت للتّعظيم والتّعليل .

و«الخلق» ايجاد الشيء على تقدير ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ : وخلق الذين

تقدموكم من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ حال من فاعل «أعبدوا» كأنه قيل : أعبدوا ربكم

راجين وصولكم إلى التقوى التي هي أعلى مراتب العبادة .

وفيه تنبيه على أن العابد ينبغي أن يكون ذا خوف ورجاء لا مُغترأ بعمله . أو عن مفعول «خلقكم» وما عطف عليه ، أي : خلقكم ومن قبلكم في صورة المرجو منه التقوى لاجتماع أسبابها ودواعيها ، وغلب المخاطبين على الغائبين ، والمراد : الجميع .

[٢٢] - ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ صفة ثانية مادحة ، أو مدح منصوب أو مرفوع أي صيرها مبسطة تقعدون وتنامون عليها كالفرش ولا ينافي كرويتها لعظم حجمها ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ قبة مضروبة عليكم ، و«البناء» مصدر سمي به المبنى من بيت ونحو ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ : من السحاب - أو : مما فوقه إليه - ، ومنه إلى الأرض ﴿مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ أي بسببه بأن جعله سبباً في خروجها ومادة لها - كماء الفحل للولد - مع قدرته على إنشاء الأشياء كلها بلا أسباب ومواد - كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد - ولكن له في إنشائها من موادها تدريجاً حكيم ليست في إنشائها دفعة ، و«من» للتبويض كـ «ماء» و «رزقاً» المكتنفين لها ، و«رزقاً» مفعول له أي أنزل بعض الماء فأخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم ، فـ «لكم» مفعول به لـ «رزقاً» ، أو للثمين ، و «رزقاً» مفعول به ، بمعنى : المرزوق ، قدم عليه بيانه و«لكم» صفته ، و«الثمرات» ليست للقلة بل جمع : ثمرة ، التي يراد بها : الكثرة ، أو نائب مناب جمع الكثرة ، أو صيرته اللام لها ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً﴾ نهى معطوف على «أعبدوا» أي : إذا استحق ربكم العبادة وأساسها توحيده ، فلا تشركوا به . أو نفى منصوب بإضمار «ان» جواباً له ، أو لـ «لعل» - كنصب «فاطلع» جواباً لـ ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ - ،^(١) أو نهى مرتب على «الذي جعل» إن رفع خبراً لمحذوف أي : هو

(١) ورد ذلك في سورة غافر : ٤٠ / ٣٦ و ٣٧ قوله تعالى : «وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ

الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى» .

الذي حَفَّكُمْ بهذه الآيات الشَّاهدة بوحْدانيَّته، فلا تشركوا به .

والنَّد: المثل المخالف . وسمي ما يعبد المشركون: أنداداً، وما زعموا أنها تخالفه . لأنهم - بتركهم عبادته إلى عبادتها، وتسميتهم لها آلة -، شابهوا من يعتقد أنها مثله، قادرة على مخالفته . فتهكّم بهم وبكتهم بجعلهم الانداد لمن لا ندَّ له ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حال عن فاعل «تجعلوا» . ومفعول «تعلمون» متروك، أي: وحالكم أنكم من أهل العلم، أو مقدر، وهو: أنها لا تقدر على مثل أفعاله . وقد تَضَمَّنَت الآيتان الأمر بعبادته تعالى، وأنَّ من موجباتها كونه ربّاً خالقاً لهم ولأصولهم، وما يحتاجون إليه - من المُقَلَّة والمُظَلَّة والثَّمار - مطاعماً وملابساً، وأنَّ هذه أمور يعجز عنها غيره، دالة على توحيده، فرتب عليها النهي عن الإشراك به .

[٢٣] - ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ لما أثبت وحدانيَّته، وعلم الطريق إلى ذلك عقبه بما هو الحجة على نبوة «محمد» - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو: القرآن، علم أنَّ ما يعرف به إعجازه، وأنه من عند الله - كما يدَّعيه - .

وإنما قال: «نزلنا»، لأنَّ الكفرة رابهم نزوله منجماً بحسب الحوادث على سنن أهل الخطابة والشعر، فقالوا: ﴿لَوْ لَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ ^(١) فتحدَّاهم به على الوجه الذي رابهم، تبكيّاً لهم، ودفعاً للريب . وفي إضافة «عبد» إليه تعالى تعظيمٌ للمضاف .

والسُّورة: طائفة من القرآن مترجمة من: سور المدينة، لإحاطتها بطائفة من القرآن محدَّدة على حيالها، أو لاحتوائها على فنون من العلم، كإحتواء سور المدينة على ما فيها . وفائدة تفصيل القرآن سوراً تنويع الجنس، وتنشيط القارئ، وتسهيل الحفظ، والترغيب فيه، وغير ذلك ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ صفة «سورة» أي: بسورة كائنة من

(١) كما ورد في سورة الفرقان: ٢٥/٣٢ .

مثله . والضمير لـ «ما» . و«من» للتبعض ، أو للتبيين ، أو زائدة ، أي : مماثلة للقرآن في الطبقة ، أو «عبدنا» و «من» للإبتداء ، أي : بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه أمياً . أو صلة «فأتوا» . والضمير لـ «عبدنا» . وَرَجَّحَ^(١) الرد إلى المنزل ؛ لمطابقتها «فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ»^(٢) ونحوه ، ولأن الحديث فيه لا في المنزل عليه ، ولأن التحدي لكل بمثل ما أتى به واحد منهم أبلغ من التحدي لواحد منهم بذلك ، ولملائمته لقوله ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي استعينوا بكل من يعينكم .

والشهداء : جمع شهيد ، وهو الحاضر أو القائم بالشهادة .

ومعنى «دون» : أدنى مكان من الشيء ، ثم استعير للتفاوت في المراتب ، ثم استعمل في كل تجاوز إلى حد ، والظرف متعلق بـ «أدعوا» أي ادعوا إلى المعارضة كل من حضركم غير الله - لأنه القادر على الإتيان بمثله - .

أو أدعوا من دون الله من يشهدون بصدقكم ، أي : لا تستشهدوا بالله - كما يفعل العاجز عن البيّنة - . أو بشهادتكم ، أي : ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله ، وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة ليعينوكم في المعارضة . وفي أمرهم بالإستظهار فيها بالجماد غاية التهكم بهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنه نقوله . والصدق : الأخبار المطابق للواقع .

[٢٤] - ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

لما عرفهم ما يتعرفون به أمر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال لهم : فإذا لم تعارضوه وعجزتم عن ذلك ، وبأن لكم أنه معجز يجب التصديق به فصدقوا ،^(٣) وخافوا النار المعدّة لمن كذب . وجيء بـ «إن» - التي للشك - مكان «إذا» - التي للوجوب - تهكماً

(١) في «ب» و«ج» : والارجح .

(٢) كما ورد في سورة يونس : ٢٨ / ١٠ .

(٣) في «ج» : فصدقوه .

بهم . وعبر عن الإتيان بالفعل الأعم منه إيجازاً . واشترط الإثقاء - الواجب مطلقاً - بانتفاء المعارضة ، لأنه لازم للجزاء - وهو ترك العناد - ، فأقيم مقامه كناية عنه تهويلاً لشأن العناد بإبرازه في صورة النار الفظيعة الوصف من أنها تتقد بما لا يتقد به غيرها ، وتصريحاً بالوعيد .

وجزم «تفعلوا» بـ«لم» لاتصالها به ، وصيرورتها كجزئه بقلبها إياه ماضياً . ودخلت «إن» على المجموع فجزمته محلاً . و«لن» لنفي المستقبل مؤبداً ، نصبت «تفعلوا» . والجملة اعتراض وإخبار بالغيب دال على النبوة كما دل عليها ثبوت إعجاز المتحدى به .

والوقود - بالفتح - : ما يوقد به النار . والحجارة : جمع حجر وهي أصنامهم التي عبدوها ، وأملوا نفعها ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ .^(١) عذبوا بها محمأة على خلاف ما أملوا ، زيادة في إيلاهم - كما عذب الكائنون بما كنزوا - .^(٢) وقيل : حجارة الكبريت .^(٣)

وتعريف «النار» للعهد ؛ إذ سمعوا في سورة التحريم ﴿ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾^(٤) وعلموا بذلك مضمون الصلة فخطبوا به ﴿ أُعِدَّتْ ﴾ : هيئت ﴿ لِلْكَافِرِينَ ﴾ فهي الآن مخلوقة . والجملة استئناف ، أو حال من النار بتقدير «قد» .

[٢٥] - ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ عطف وصف ثواب المصدقين على وصف عقاب المكذبين كما هو عادته تعالى من ذكر الترغيب مع التهيب ؛

(١) سورة الانبياء : ٢١ / ٩٨ .

(٢) كما ورد في قوله تعالى : «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ» (التوبة : ٣٤ و ٣٥) .

(٣) قاله ابن عباس وابن مسعود - كما في تفسير التبيان ١ / ١٠٧ د .

(٤) سورة التحريم : ٦ / ٦٦ .

تنشيطاً لا كتساب ما يزلف ، وتنشيطاً عن اقتراف ما يتلف .

والمأمور: الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، أو كل من يقدر على البشارة ، وهي : الإخبار بالسار و﴿بشّرهم بعذاب اليم﴾^(١) تهكّم .

و«الصالحات» : جمع صالحة ، صفة غلبت فجرت مجرى الأسماء - كالحسنة - وهي - من الأعمال - : ما استقام وترتب عليه الثواب بدليل شرعي . وتأنّيتها بتأويل الخصلة . و«اللام» للجنس . ورتبت البشارة على الإيمان والعمل إيذاناً بأنّ السبب في استحقاقها الجمع بين الأمرين ﴿أَنْ لَهُمْ﴾ منصوب بنزع الخافض وإفضاء الفعل اليه . ﴿جَنَّاتٍ﴾ الجنة : الممرّة من الجن ، وهو : الستر ، سمى بها : الشجر المتكاتف لتظليله ، كأنه يستر ما تحته سترة واحدة . ثم : البستان لما فيه من الأشجار المظللة الملتفة . ثم : دار الثواب لما فيها من الجنان . وجمعت ونكرت لإشتمالها على جنان كثيرة متنوعة على مراتب متفاوتة بحسب استحقاق^(٢) العاملين ، لكل طبقة منهم جنات منها ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي من تحت أشجارها النابتة على الشواطئ . روي : أن أنهارها تجري من غير أخذود^(٣) ولام «الأنهار» للجنس ، أو للمعهد . والمعهود ما في قوله تعالى : ﴿أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ . . .﴾^(٤) الآية .

والنهر - بالفتح والسكون - : المجرى والواسع فوق الجدول^(٥) ودون البحر كـ«الفرات» . والمراد : ماؤها - إضمّاراً أو مجازاً - . أو المجاري ، وإسناد الجري إليها مجاز ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا﴾ صفة أخرى لـ«جَنّاتٍ» ،

(١) الوارد في آل عمران : ٣ / ٢١ والتوبة : ٩ / ٣٤ والإنشاق : ٨٤ / ٢٤ .

(٢) في «ب» و«ج» : استحقاقات .

(٣) كما في تفسير التبيان ١ / ١٠٩ باختلاف يسير ، ورواه السيوطي في الدر المنثور ١ / ٣٨ عن مسروق .

(٤) سورة محمد : ٤٧ / ١٥ .

(٥) الجدول : النهر الصغير .

أو استثناف: كأنه لما قيل: «أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ» خطر للسامع: أثمارها كثمار الدنيا أم أجناس^(١) أخرى؟ فأزيل به. و«كَلَمًا» نصب ظرفاً، و«رِزْقًا» ثاني مفعولي «رَزَقُوا». وحرفاً «مِنْ» للإبتداء، والظرفان حالان متداخلان؛ أي: كل مرة رزقوا مرزوقاً مبتدءاً من الجنّات مبتدءاً من ثمرة.

أو «من» الثانية بيان لـ«رِزْقًا» وهذا إشارة إلى نوع المرزوق أي هذا مثل الذي. ولا ستحكام الشبه بينهما جعل هو إِيَّاهُ «مِنْ قَبْلُ»: قبل هذا في الدنيا. جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لميل النفوس إلى المألوف، ونفرتها عن غيره، وليظهر فضله ومزيته؛ إذ لو لم يعهد جنسه حسب أنه لا يكون إلا كذلك.

أو في الجنة؛ لأن طعامها متشابه، أو لأن ثمارها إذا جنت أعاد الله مكانها مثلها فتشبه عليهم. ويرجح الأول عموم «كَلَمًا» الشامل لأول مرة «وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا» اعتراض للتقرير. وضمير «به» للرزق في الدارين المدلول عليه بـ«هذا الذي رزقنا مِنْ قَبْلُ» أو في الجنة.

وقول ابن عباس: «ليس في الجنة من أطعمة الدنيا إلا الاسم»^(٢) لا ينفي التشابه بينهما؛ إذ يكفي التشابه في الصورة التي هي مناط الاسم وإن اختلف الطعم والحجم «وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ» أبداناً وأخلاقاً من الحيض والقدر وسوء الخلق. وإفراد الصفة^(٣) على تأويل الجماعة.

ولم يقل: طاهرة؛ لأن مطهرة أبلغ للإشعار بتطهير مطهر لهنّ وهو الله تعالى. والزوج يقال للذكر والأنثى «وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»: دائمون. والخلد: الثبات الدائم، وبهذا الوعد تتمّ النعمة لإزالته ما ينغصّها. من خوف الإنقطاع..

(١) في «ط»: أثمار.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي ١/ ٢٤٠.

(٣) في «ط»: الصيغة.

[٢٦] - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَغُوضَةً﴾ نزلت لما ضرب تعالى المثلين للمنافقين فقال الكفار: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال. أو: لما ذكر الذباب والعنكبوت فطعنوا فيه، فبين سبحانه أن ذلك ليس مما يستنكر؛ لأنَّ في التمثيل كشف المعنى، وإدناء المتوهم من المشاهد، ولذلك كثرت الأمثال في الكتب السماوية وكلام البلغاء والحكماء، فيمثل لكل أمر بحسب حاله عظماً وحقارةً.

والحياء: الإنقباض عن القبيح خوف الذم. ووصفه تعالى به - كما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الْعَبْدَ يَدَيْهِ أَنْ يَرَاهَا صَفْرًا»^(١) حتى يضع فيهما خيراً»^(٢) مجاز عن الترك اللازم للإنقباض، مثل تركه تعالى تخيب العيد بترك من ترك رد المحتاج حياءً منه.

فمعنى الآية: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَتْرُكُ ضَرْبَ الْمَثَلِ بِالْبَغُوضَةِ تَرْكاً مَنْ يَسْتَحْيِي أَنْ يُمَثَّلَ بِهَا لِحَقَارَتِهَا. وضرب المثل ضعه. ومحل «أَنْ يَضْرِبَ» النصب بـ«يَسْتَحْيِي»، أو بنزع «مَنْ» وإفشاء الفعل إليه فإنه يتعدى بنفسه وبـ«مَنْ». و«مَا» إبهامية تزيد النكرة إبهاماً نحو: «أَعْتَقَ عَبْدًا مَا»، أي: أيُّ عبد كان. أو زائدة للتأكيد مثلها في «فِيمَا رَحْمَةٍ». ^(٣) و«بِعُوضَةٍ» عطف بيان لـ«مثلاً»، أو مفعول «يضرب» و«مثلاً» حال عنه، مقدّمة لتكثيره، أو هما مفعولاه لتضمّنه معنى الجعل.

والبعوضة: فعول^(٤) من البعض، وهو: القطع كالبضع

(١) الصفر: الخالي.

(٢) تفسير الكشاف ١/ ٢٦٣.

(٣) سورة آل عمران: ١٥٩/٣.

(٤) في «ط»: فعولة.

والعصب -، ^(١) غلب في صغار البسق. ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ عطف على «بعوضة»، أي: ما زاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلاً، وهو القلّة والحقارة - كجناحها إذ ضرب صلى الله عليه وآله وسلم به مثلاً للدنيا - ^(٢) أو في الحجم كالذباب والعنكبوت. كأنه رد لطعنهم أي إنه لا يستحي ضرب المثل بالبعوض فضلاً عن الأكبر منه. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ «أما» حرف تفصيل، فيه معنى الشرط وتأکید مدخوله، فمعنى «أما زيد فمنطلق»: مهما يكن من شيء فزيد منطلق، أي: هو منطلق البتة.

ففي تصدير الجملتين به مدح بليغ للمؤمنين، واعتداد بعلمهم، وذم شنيع للكافرين على حمقهم. وضمير «أنه» للمثل أو ضربه.

والحق: الثابت الذي لا يجوز إنكاره، من «حق» أي: ثبت ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ﴾ لم يقل: فلا يعلمون؛ ليطابق قرينة، ولدلالة قولهم على كمال جهلهم، فكفى به عنه ليكون كالبرهان عليه ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ «ما» إستفهامية، و«ذا» بمعنى الذي، وتاليه صلته، والمجموع خبر «ما». أو «ماذا» اسم واحد بمعنى أي شيء، محله النصب بـ «أراد» مثل «ما أراد الله».

والإرادة: ضد الكراهة، وهي: ميل النفس إلى الفعل.

واختلف في إرادته تعالى، فقيل: إرادته لأفعاله أنه غير ساء ولا مكره، ولأفعال غيره أمره بها. وقيل: هي علمه بالنفع - المسمى: بالداعى -، ^(٣) وقيل: [صفة]

(١) وهاتان اللفظتان بمعنى القطع ايضاً وان اختلفت موارد استعمالهما. كما ورد في عوالي اللالي

٤: ٨١ وفي سنن الترمذي ٤/ ٥٤٠ عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى منها الكافر شربة ماء».

(٢) قاله النجار - كما في كشف المراد: ٢٨٨.

(٣) قاله أبو الحسن - كما في كشف المراد: ٢٨٨.

مغايرة للعلم وسائر الصفات .^(١)

وعن أهل البيت عليهم السلام : «أنها إيجاده للشيء» .^(٢) وفي «هذا» استحقاق .
و «مثلاً» تمييز أو حال . ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ بيان للجملتين المصدرتين
بـ «أما» ، وأن العلم بأنه حق هدى ، وأن الجهل بحسن مورده ضلال .

وكثرة المهديين بالنظر إلى أنفسهم ، وأما بالقياس إلى غيرهم فقليل ما هم .
وإسناد الإضلال إليه تعالى لأنه السبب . ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ الفسق :
الخروج عن القصد .

والفاسق - شرعاً - : الخارج عن أمر الله تعالى بفعل الكبيرة . وجاء للكافر
وهو الظاهر هنا .

[٢٧] - ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ صفة تقرر فسقهم . والنقض : فك التركيب ،
واستعمل في إبطال العهد - المستعار له «العجل» - ؛^(٣) لما فيه من ثبات الوصلة بين
المتعاهدين ، فذكره مع العهد رمز إلى المستعار بذكر بعض روادفه ، كقولك : فلان
شجاع يفترس الأقران . فالإفتراس رمز إلى أنه أسد في شجاعته .

والعهد : الموثق . وعهد الله - هذا - إما ماركز في عقولهم من الحجة على
التوحيد ، وصدق الرسل ، وحمل عليه : ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ ،^(٤) أو المأخوذ
بالرسل على الخلق بأنهم إذا بعث إليهم رسول مؤيد بالمعجزات صدقوه واتبعوه .

(١) ذهب إليه الأشعرية والجبائيان - كما في كشف المراد : ٤٨٨ .

(٢) لعله منقول بالمعنى ولم نقف عليه .

(٣) كما ورد في قوله تعالى : «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» (آل عمران : ١٠٣) والعهد
هو ما ذكره سبحانه في سورة الاعراف ١٧١ / ٧ بقوله : «وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذرئتهم وأشهدهم علي أنفسهم ألتست برئكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن
هذا غافلين» .

(٤) سورة الاعراف : ١٧١ / ٧ .

وقيل: عهده - تعالى - ثلاثة: ^(١) عهد أخذه على جميع ذرية «آدم» بالإقرار بربوبيته. ^(٢)

وعهد أخذه على النبيين بإقامة الدين وعدم التفرق فيه. ^(٣)

وعهد أخذه على العلماء بتبيين الحق وعدم كتمه. ^(٤) ﴿مَنْ بَغَدٍ مِّثْلَاقِهِ﴾ الضمير للعهد، أي: ما وثق الله به عهده من كتبه وآياته، أو: ما وثقوه به - من التزامه -، أو بمعنى المصدر. و «من» للإبتداء، أو زائدة. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ يقطعون صلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين، أو الأرحام، أو ما بين الأنبياء من الاجتماع على الحق بإيمانهم ببعض دون بعض ويحتمل: كل قطعة لا يرضاها الله تعالى.

والأمر: القول المطلوب به الفعل إستعلاء. و «أن يوصل» بدل من هاء «به» أو «ما». ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالدعاء. إلى الكفر، أو قطع الطريق، أو نقض العهد، أو كل معصية تعدي ضررها إلى غير فاعلها. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لاستبدالهم النقض بالوفاء، والقطع بالوصل، والفساد بالصلاح، والعقاب بالثواب، فهم كمن ضيع رأس ماله.

[٢٨] - ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ إستفهام للتعجب والإنكار للحال التي يقع عليها كفرهم؛ ويلزمه إنكار كفرهم، إذ الموجود لا ينفك عن حال فإذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها، فقد أنكر وجوده، فهو أبلغ في إنكاره من «أتكفرون». لما وصف الكافرين بما وصف إلتفت وخاطبهم بالتوبيخ على كفرهم ... مع علمهم بما

(١) قاله الزمخشري في تفسير الكشاف: ١/ ٣٦٨.

(٢) وهو ما ورد في الأعراف: ١٧١/٧.

(٣) وقد ورد في سورة الأحزاب: ٧/٣٣.

(٤) وهو ما ورد في سورة آل عمران: ١٨٧/٣.

يصرف عنه من القصة المذكورة - بقوله: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا﴾ عناصرَ وأغذيةً وأخلاطاً ونُطفاً وما يتعقبها إلى ولوج الأرواح ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بنفخ الأرواح فيكم . عطف بالفاء لتعقبه بالموت بلا تراخٍ والبواقي بـ «ثُمَّ» للتراخي ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند حلول آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في القيامة، أو في القبور للسؤال ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد النشور للجزاء وتبعثون من قبوركم إليه للحساب .

فواو «وكنتم» للحال . والحال : هي العلم بجملة القصة - لا كل جملة منها ؛ لمضى بعضها واستقبال بعضها ، وكلاهما لا يصحح حالاً .. والمعنى : على أي حال تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة بأسرها؟ نزل تمكّنهم من العلم بالإحياء الثاني ، والرجوع بالدلائل الموصلة إليه منزلة العلم .

ومن الدلائل : علمهم بالإحياء الأول ؛ إذ القادر عليه قادر على الثاني .
ووجه الإنكار لاجتماع الكفر مع هذه القصة : إشتغالها على آيات بيّنات تصدّفهم عن الكفر، مع كونها نعماً جساماً، حقّها الشكر . وكون الإمامة نعمةً ، لأنها وصلة إلى الحياة الحقيقية . و «يعقوب» فتح ثاء «ترجعون» أين جاء .^(١)

[٢٩] - ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ خلقه لانتفاعكم به في دنياكم بالتمتّع منه بالمطاعم والملابس والمناكح وغيرها . وفي دينكم بالاستدلال به على الصّانع الحكيم والتذكر لشواب الآخرة وعقابها لاشتغاله على أسباب اللذات والآلام . ويفيد إباحة الأشياء النافعة ، وأنه تعالى يفعل لغرض . والأرض داخلة في «ما في الأرض» إن أريد بها جهة السفّل ، كالسّماء لجهة العلوّ ، وإلا فلا . و «جميعاً» حال عن «ما» ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ الإستواء : الإستقامة .

ثم قيل : استوى إليه كالسّهم المرسل : إذا قصده قصداً مستوياً من غير أن يلوى

(١) تفسير مجمع البيان ١ / ٧٠ .

على شيء. ومنه استعير: «استوى إلى السماء»^(١) أي قصد إليها بإرادته بعد خلق ما في الأرض، أو: إستولى. والأول أنسب بالأصل والصلة، والمعطوف بالفاء. و«السماء»: جهات العلو، أو إسم جنس أو جمع سماء كنواة. و«ثم» كأنه لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء، لا للتراخي الزماني، فلا تنافي: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(٢) المفيدة لتأخر دحوها، المتقدم على خلق ما فيها عن السماء. ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ عدّلهن بلا عوج ولا فطور. والضمير للسماء - إن فسرت بالجنس أو الجمع -، وإلا فمبهم يفسره ما تلاه، كـ«ربه رجلاً» ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ بدل، أو مفسر. وثبوت التسع ممنوع؛ لكفاية السبع في النظام - كما صرح به -.

ولو سلم فبضمّ العرش والكرسي إليها، مع عدم نفي الآية للزائد ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ إذ خلق المذكورات متقنة محكمة على هذا الوجه الأكمل الأنفع لا يكون إلا من عليم بكنه الأشياء.

ودلت الآيتان على ثبوت الحشر، لإبتناؤه على قبول موادّ الأبدان للجمع والحياة، وقد دلّ عليه: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ إذ قبولها بذاتها لتعاقب الإفتراق والإجتماع والموت والحياة لا يتغير، وعلى علمه بمواقعها وقدرته على جمعها وإحيائها، وقد دلّ عليهما إبداءهم وإبداء ما هو أعظم خلقاً، وما ينتفعون به على نمط محكم متقن. وسكّن «نافع» و«أبو عمرو» و«الكسائي» هاء «وهو» و«فهو».^(٣)

[٣٠] - ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ لما ذكر تعالى إنعامه على الناس بخلقهم أحياء أو خلق ما ينتفعون به في الدارين، ذكر نعمته عليهم بخلق أبيهم «آدم» وإكرامه وتفضيله على الملائكة. و«إذ» ظرف وضع لزمان نسبة ماضيه تقع فيه أخرى. نصب محلاً بإضمار

(١) سورة فصلت: ٤١/١١.

(٢) سورة النازعات: ٧٩/٣٠.

(٣) حجة القراءات: ٩٣.

«أذكر» أي اذكر الحادث إذ قال . فحذف الحادث وأقيم الظرف مقامه ، أو بـ «قالوا» ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ جمع : مَلَائِك ، كالشمائل لشمال . والتأنيث للجمع .^(١)

وأكثر المسلمين على أنهم أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ، وبعضهم وافق الحكماء في أنهم مجردون مخالفون للنفس الناطقة في الحقيقة وبعض النصارى على أنهم النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للأبدان^(٢) والمقول لهم : الكل - لعموم اللفظ وقيل : ملائكة الأرض^(٣) ، وقيل ملائكة بعثوا مع إبليس لمحاربة الجن حيث أسكنوا الأرض فأفسدوا فأجلوهم وسكنوها بعدهم^(٤) ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ من «جعل» الناصب لمفعولين وهما : ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ والخليفة : من يخلف غيره ، والمراد به : «آدم» عليه السلام لأنه خليفة الله في أرضه وعمارتها والحكم بالحق ، أو : هو وذريته ، لأنهم خلفوا الملائكة لأنهم كانوا سكان الأرض .

وأفرد استغناءً بذكره عن ذكر بنيه ، كما يستغنى بأبي القبيلة - كـ «مضر» - أو بتأويل من يخلفكم ، أخبرهم بذلك إظهاراً لفضل المجعل الراجع على ما فيه من المفسدة بسؤالهم وجوابه ، ولتعليم المشاورة ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ تعجب من استخلافه لعمارة الأرض من يفسد فيها ، أو مكان أهل الطاعة أهل المعصية ، وإستعلام عن الحكمة التي ألغت تلك المفسد ، لا إعتراض ولا طعن في بني آدم ، لأنهم ﴿عباد مكرمون﴾ . ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِ

(١) في مجمع البحرين «ملك» : في بعض الكتب : واحد «الملائكة» : «ملك» - بفتح اللام - وفي بعضها «ملئك» وكلاهما صحيحان لأن ملك أصله مالك فقدّم اللام وأخرت الهمزة ووزنه مفعّل من الألوكه ، وهي : الرسالة ، ثم تركت الهمزة لكثرة الإستعمال ، فقليل ملك ، فلما جمعه ردوه الى أصله فقالوا : ملائك ، فزيدت التاء للمبالغة ولتأنيث الجمع .

(٢) نقله العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان ١٧/ ١٣ ولم يرتضه .

(٣) بحار الأنوار ٥٦ : ٢٠٥ .

(٤) تفسير التبيان ١/ ١٣٣ وتفسير مجمع البيان ١ : ٧٤ .

يعملون»^(١) وعرفوا ذلك بإخبار الله ، أو من اللوح أو قياساً على الجن .
وسفك الدماء : صبيها ، كناية عن القتل بغير الحق ﴿وَنَعْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾
حال تقرر جحمة السؤال ، والمراد الإستخبار عن المرجح لمن يتوقع منهم المعصية
على المعصومين - في الاستخلاف - لا الافتخار .

والتسبيح : تبعيد الله تعالى من السوء و «بحمدك» حال أي نسبح متلبسين
بحمدك على إنعامك علينا بالتوفيق لتسبيحك ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ نطهر نفوسنا من
المعاصي لأجلك ، أو ننزهك عن السوء ، واللام زائدة ﴿قَالَ إِنِّي﴾ وفتح الياء الحرمتان
و «أبو عمرو»^(٢) وكذا الآية^(٣) ﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أعلم من المصالح ما خفي
عليكم ، ويبين بعض تلك المصالح بقوله :

[٣١] - ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ اضطره إلى العلم بها ، أو إلقاه في قلبه .
والتعلم : فعل يترتب عليه العلم غالباً ، و «آدم» اسم أعجمي كـ «آزر»^(٤) .
وقيل : من الأدمة أو أديم الأرض^(٥) .

والإسم - هنا - : اللفظ الموضوع لمعنى - مركباً كان أو مفرداً ، اسماً أو فعلاً أو
حرفاً - . والمعنى : أنه علمه أسماء الأجناس التي خلقها ، وأحوالها وما يتبعها من
المنافع الدينية والدنيوية ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ الضمير للمسميات المدلول
عليها بالأسماء ؛ إذ التقدير : أسماء المسميات ، فحذف المضاف إليه لدلالة
المضاف عليه وعوض عنه اللام . والتذكير لتغليب ما فيها من العقلاء ﴿فَقَالَ أَنبِئُونِي

(١) كما ورد في سورة الانبياء ٢١: ٢٦ و ٢٧ .

(٢) حجة القراءات : ٩٣ .

(٣) في الآية ٣٣ من هذه السورة .

(٤) الوارد في سورة الانعام : ٧٤ / ٦ .

(٥) علل الشرائع ١ / ١٤ وبحار الأنوار ١١ / ١٠١ .

بِأَسْمَاءٍ هَؤُلَاءِ ﴿المعروضات. تبكسيت لهم، وبيان لأحقية «آدم» بالخسلافة لتفضيله بالعلم الذي مدار أمرها عليه، لا تكليف لهم؛ لعلمه بعجزهم عن الإنباء فيمتنع التكليف به.

والإنباء: إخبار مع إعلام ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما يلزم مقالكم من زعمكم أنكم أحق بالخلافة منهم.

[٣٢] - ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ إقرار بالقصور، وإيدان بأن سؤالهم كان استعلاماً لا اعتراضاً، وبأنهم ظهر لهم خلاف ما زعموا، وشكر له على كشف ما خفي عليهم، وتأديباً لديه بتفويض العلم كله إليه.

و«سبحان» مصدر كـ «غفران»، أو اسم له، نصب بإضمار فعله، أتى به تنزيهاً له تعالى عما لا يليق به، أو عن أن يشارك في علم الغيب ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء بلا تعليم ﴿الْحَكِيمُ﴾ المحكم لأفعاله، فكلها حكمة وصواب. و«أنت» فصل، أو مبتدأ خبره: ما بعده، والجملة: خبر «إِنْ».

[٣٣] - ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ الهمزة للإنكار وإثبات المنفي. كأنه قيل: قد قلت لكم - في ضمن قولي: «إني أعلم ما لا تعلمون» -: إني أعلم ما خفي عليكم من أمور السماوات والأرض وأعلم علانيتكم وسركم؛ لأن جميع ذلك مما لا يعلمون به. وقيل: «ما تبدون» قولكم: «أتجعل فيها من يفسد فيها»، و«ما تكتُمون»: إضماركم أنكم أفضل من كل خلق يخلقه الله تعالى. ^(١)

ودلت الآيات على شرف الإنسان والعلم وفضله على العبادة وتوقف الخلافة عليه، وأن آدم عليه السلام أفضل من الملائكة، لأنه أعلم منهم.

(١) وهذا مختار الطبري - كما في تفسير مجمع البيان ١/ ٧٩.

[٢٤] ﴿وَإِذْ قُلَاذُ وَنَعْمَةً أُخْرَىٰ عَلَيْهِمْ أَنْ فُضِّلَ أَبَاهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِأَمْرِهِمْ بالسجود له . عطف على الظرف السابق إن نصب بمضمر، والآ فالقصة على القصة والنائب مضمر أيضاً . والمأمورون الجميع ؛ لعموم اللفظ والتأكيد في : ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾^(١) فلا وجه للتخصيص بطائفة منهم .

والسجود - لغة - : التذلل مع تطامن ، و - شرعاً - : وضع الجبهة بقصد العبادة . وسجودهم كان لله تعالى تكريماً لأدم عليه السلام وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام .^(٢) وقيل : جعل قبله لهم تعظيماً لشأنه .^(٣) وفيه دلالة على أَنَّ الأنبياء أفضل من الملائكة ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ هو اسم أعجمي . وجعله من الإبلas .^(٤) ومنع صرفه للإستقلال ضعيف .

قيل : هو من الملائكة^(٥) وإلا لم يتناوله أمرهم ولم يصح استثناءه منهم . وردَّ بأنه كان جنيّاً واحداً بين أظهر الألف منهم فغلبوا عليه وشمله الأمر وصحَّ استثناءه منهم .

أو أن الجنّ - أيضاً - كانوا مأمورين معهم فاستغنى بذكر الأكابر عن ذكر الأصاغر . واستثنى من ضمير «فسجدوا» الراجع إلى القبلتين أو : الاستثناء منقطع . وقيل : من «الجن»^(٦) لقوله تعالى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ .^(٧) وردَّ : بأنه كان

(١) سورة الحجر : ١٥ / ٢٠ .

(٢) تفسير نورالثقلين ١ : ٥٨ الحديث ١٠١ .

(٣) قاله الجبائي والبلخي وجماعة - كما في تفسير التبيان ١ / ٥٠ .

(٤) في مجمع البحرين بلس : «ابليس» افعيل من «أبلس» أي : يش من رحمة الله ، يقال : انه اسم أعجمي فلذلك لا ينصرف وقيل : عربي .

(٥) قاله ابن عباس وابن مسعود وابن مسيب وقتادة وابن جريج والطبري - كما في تفسير التبيان ١ / ٥٠ .

(٦) أشير اليه في تفسير التبيان ١ / ١٥٠ - ١٥١ .

(٧) سورة الكهف : ١٨ / ٥٠ .

منهم - فعلاً - ومن الملائكة - نوعاً -، أو: أن جنساً من الملائكة سموا بالجن لاجتنانهم بشهادة: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾^(١) لقولهم: الملائكة بنات الله ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ امتنع عما أمر به استكباراً عن تعظيمه، والتخضع له.

والإباء: امتناع باختيار، والاستكبار: طلب التكبر، وهو أن يرى الشخص نفسه أكبر من غيره. وهو متصل بالإستثناء إن كان منقطعاً، أي: لكن إبليس أبى، وإن كان متصلاً فهو استثناء كآته قيل: ما باله لم يسجد؟ فأجيب به ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي صار منهم بتكبره على نبي الله، واستحقاقه إياه بقوله: ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾^(٢) واستقباحه أمر الله تعالى إياه بالسجود له، إعتقاداً بأنه أفضل منه، ويقبح أمر الأفضل بالتخضع للمفضول، كما قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾^(٣).

[٢٥] - ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ﴾ السكنى: من السكون إذ هي لبث ﴿أَنْتَ﴾ تأكيداً للمستكن ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء - بالمد -، ولم يخاطبهما أولاً إشعاراً بأنه المقصود وهي تبع له ﴿الْجَنَّةِ﴾ قيل: دار الثواب،^(٤) إذ اللام للعهد ولا معهود غيرها. وقيل: غيرها من جنات السماء وقيل: من جنات الأرض.^(٥) والهبوط منها: الانتقال، كـ «إفبطوا مضراً»^(٦) ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾: واسعاً بلا عناء، صفة مصدر محذوف ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أي مكان منهما شئتما توسعةً مزيحةً للعذر في تناول من شجرة واحدة منهي عنها من بين أشجار لا تحصر ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالأكل منها،

(١) سورة الصافات: ٣٧/١٥٨.

(٢) سورة الإسراء: ١٧/٦٢.

(٣) سورة ص: ٣٨/٧٦.

(٤) تفسير التبيان ١: ١٥٥ وتفسير مجمع البيان ١: ٨٥.

(٥) تفسير مجمع البيان ١: ٨٥.

(٦) سورة البقرة: ٢/٦١.

نهى تنزيهه لا تحريم، وكانا - بالأكل منها - تاركين فضلاً لثبوت عصمة الأنبياء بقاطع البرهان.

والشجرة: الحنطة أو الكرم أو التينة ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ببخس أنفسكما الثواب بترك المندوب إليه، وهو: الكف عن الأكل منها، و «فتكونا» جزم عطفاً على النهي، أو نصب جواباً له.

[٣٦] - ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾: حملهما على الزلة بسبب الشجرة، و«عن» مثلها في ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾،^(١) أو: أزلهما عن الجنة، أي: أذهبهما، ويؤيده قراءة «حمزة»: «فأزالهما». ^(٢) وهما من الزوال، لكن مع عشرة في الأول، وإزاله لهما بوسوسته ودعائه إياهما إلى الأكل منها ومقاسمته لهما أنه ناصح.

واختلف في كيفية توصله إلى ذلك بعد أن قيل له: ﴿أَخْرِجْ مِنْهَا﴾ ^(٣) فقيل: إنه منع الدخول تكرمةً كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنعه للوسوسة ابتلاءً لآدم وحواء. ^(٤)

وقيل: وقف عند الباب فكلّمهما. ^(٥) وقيل: دخل في فم الحية فدخلت به. ^(٦) وقيل: كلّمهما من الأرض ^(٧) ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعم والكرامة. والإسناد إلى السبب ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ خطاب لهما بدليل ﴿اهْبِطَا مِنْهَا﴾ ^(٨) جعلاً كأنهما الإنس

(١) سورة الكهف: ١٨/٨٢.

(٢) حجة القراءات: ٩٤.

(٣) سورة الاعراف: ١٨/٧.

(٤) قاله الزمخشري في تفسير الكشاف ٢٧٤/١.

(٥) قاله ابو علي الجبائي كما في تفسير مجمع البيان ٨٧/١.

(٦) معناه في تفسير مجمع البيان ٨٧/١.

(٧) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٨٧/١.

(٨) سورة طه: ٢٠/١٢٣.

كُلُّهُمْ؛ لأنهما أصلحهم فجمع الضمير، أو: لهما مع إبليس [بدليل]^(١) ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾^(٢) إن كان دخلها - على ما مرَّ -، أو: من السماء ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ حال رابطها الضمير، أي: متعادين. والمراد: التعادي بين ذريتهما، أو بينهم وبين إبليس وذريته. ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ استقرار، أو: موضعه ﴿وَمَتَاعٌ﴾ تمتع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ القيامة أو الموت.

[٣٧] - ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ استقبلها بالقبول والأخذ بها. ونصب «ابن كثير» «آدم»، ورفع «كلمات» على معنى: تداركته،^(٣) وهي: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا...﴾ الآية.^(٤) أو: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر».^(٥) وعن أهل الذكر عليهم السلام: «إنَّ آدَمَ رَأَى مَكْتُوبًا عَلَى الْعَرْشِ أَسْمَاءَ مَكْرَمَةٍ مَعْظَمَةٍ، فَسَأَلَ عَنْهَا. فَقِيلَ: هِيَ أَسْمَاءُ أَجَلَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ.

والأسماء: محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، فتوسل بهم «آدم» إلى ربهم في قبول توبته ورفع منزلته»^(٦) ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: قبل توبته، رُتِبَ بالفاء على التلقي لتضمنه التوبة، وهي: الندم على ما فرط. واكتفى بذكر «آدم» لأن «حواء» تبع له ولذا كثر في القرآن والسنة طي النساء ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ الكثير القبول للتوبة.

وأصل التوبة: الرجوع، فمن العبد: عن الذنب، ومنه تعالى: عن العقوبة ﴿الرَّحِيمُ﴾ الواسع الرحمة، قرنَ بالشواب وعداً للتائب بالإحسان مع العفو.

(١) اقتضاها السياق.

(٢) سورة الاعراف: ١٣/٧.

(٣) حجة القراءات: ٩٤.

(٤) سورة الاعراف: ٢٣/٧.

(٥) تفسير مجمع البيان ١/ ٨٩.

(٦) نور الثقلين ١/ ٦٧ الحديث ١٤٣.

[٣٨] - ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا﴾ كَرَّرَ تأكيداً، أو؛ لاختلاف الحالين، إذ الأول: هبوط قُرْنٍ بالتعادي، والثاني: هبوط للتكليف. وقيل: الأول: من الجنة إلى سماء الدنيا، والثاني: منها إلى الأرض، ^(١) و﴿جَمِيعاً﴾ حال للتأكيد فلا يقتضي هبوطهم مجتمعين في وقت واحد ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ «ما» زائدة تؤكد «إن» الشرطية ليحسن تأكيد الفعل وإن لم يتضمن طلباً، وجواب الشرط جملة، ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: إن يأتكم مني هدى برسول أو كتاب فمن تبعه منكم نجا وفاز.

وأتى بحرف الشك - وإتيان الهدى كائن قطعاً - إيذاناً باقتضاء العقل وجوب الإيمان بالله وإن لم يأت به رسول. ولم يضم الهدى - الثاني - لأنه أعم من الأول لشموله العقلي والنقلي، أي: فمن تبع ما أتاه وما اقتضاه العقل فلا يلحقهم خوف، فضلاً عن المخوف، ولا يفوتهم محبوب فيحزنوا عليه. نفى عنهم العقاب وأثبت لهم الثواب بأبلغ وجه.

[٣٩] - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ عطف على «فمن تبع» بجملة، كأنه قيل: ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته. ومتعلق الظرف الفعلان.

والآية: العلامة، وتقال للمصنوع باعتبار دلالة على الصانع، ولكل طائفة من القرآن متميزة بفصل، والمراد «بآياتنا»: الآيات المنزل، أو: هي والمعقولة. «والذين» مبتدأ و«أولئك» بدل منه و«أصحاب» خبره، أو خبر «أولئك» والجملة خبره، وما بعدها مقرر لها؛ ولذلك قطع.

وما جرى على «آدم» إنما كان عتاباً له على ترك الأولى، ولاقتضاء المصلحة بعد تناوله من الشجرة إهباطه إلى الأرض، وابتلاءه بالتكليف، وسلبه اللباس تشديداً

(١) قاله الجبائي - كما في تفسير التبيان ١/ ١٧٣.

للبلوى ؛ لوقوع الابتلاء بمنع المتفضل به إذا اقتضته الحكمة كالإفكار بعد الاغناء، والإسقام بعد الصحة . و«أشد الناس بلاءاً الأنبياء، ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل» - كما روي عنه صلى الله وآله وسلم - .^(١)

[٤٠] - ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لقب «يعقوب» عليه السلام . ومعناه : صفوة الله ، وقيل : عبد الله ،^(٢) ولما اثبت سبحانه الوحداية والرسالة والحشر وعدد نعمه العامة تقريراً لها على ما بيناه ، خاطب أهل الكتاب وأمرهم بذكر نعمه عليهم والوفاء بعنده فقال : ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بالقيام بشكرها ، والمراد بالنعمة : الجنس ، فيعم النعم العامة السابق ذكرها ، وما أنعم به على آبائهم من إنجائهم من «فرعون» والغرق ، وغير ذلك ، وعليهم من إدراك مبعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ اليكم بالإيمان والطاعة ، أضيف إلى الفاعل ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بما عاهدتكم من حسن الثواب ، أضيف إلى المفعول . وقيل : كلاهما مضاف إلى المفعول ،^(٣) أي : وأوفوا بما عاهدتموني من الإيمان أوف بما عاهدتكم من الثواب .

وعن ابن عباس : «ان الله عهد إليهم في التوراة بعث محمد فليمن تبعه أجران ، ولمن كفر به النار ، فقال أوفوا بعهدي في محمد صلى الله عليه وآله وسلم أوف بعهدكم : أدخلكم الجنة»^(٤) ﴿وَأَيُّهَا فَارْهَبُون﴾ في نقض العهد . و«إيأي» نصب بمضمر يفسره المذكور ، وهو أكد في إفادة التخصيص من «إيأي ارهبوا» .

والرهبة : خوف بتحزّز . وفي الآية وعد ووعيد ، وإيجاب الشكر ، والوفاء بالعهد ،

(١) بحار الأنوار ٦٤ : ٢٠٠ مع اختلاف بسير .

(٢) تفسير التبيان ١ : ١٨٠ والبرهان ١ : ٩٠ .

وفي تفسير مجمع البيان ١ : ٩٢ وقيل اصله مضاف لان «اسر» معناه «عبده» ، و«إيل» هو : الله - بالعبرانية - فصار مثل عبدالله .

(٣) نقله الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع في ذيل هذه الآية .

(٤) تفسير مجمع البيان ١ : ٩٣ .

والخوف من الله وحده .

[٤١] - ﴿وَعَامِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ﴾ على محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتب الإلهية ، لنزوله حسب ما نعت فيها ، أو مطابقاً لها في الدعاء إلى التوحيد ، والإقرار بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والأمر بالعبادة ، وغير ذلك ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ «أول» أفعّل ، لا فعل له ، قيل : من «آل» وأصله «أءول» قلبت الهمزة واواً وأدغمت .^(١)

وأخبر به عن الجمع بتقدير : فريق ، أو : لا يكن كلّ واحد منكم أول كافر به . ونهيه عن السبق في الكفر - وقد سبقهم مشركو قريش - أريد به : التعريض بأن الواجب أن يكونوا أول من يؤمن به ؛ لمعرفتهم بنعته ، وتبشيرهم بمن أوحى إليه واستفتاحهم به . أو : أول كافر به من أهل الكتاب ، أو : ممن كفر بما معه لكفره بمصدقّه ، فضمير «به» لـ «ما» ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾ : تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي﴾ بالإيمان بها ﴿ثُمَّناً قَلِيلاً﴾ هو الرئاسة التي كانت لهم في قومهم ، وكانوا ينالون بها الهدايا منهم والرشا على تحريفهم الحق وكتمانه . خافوا فواتها لو اتبعوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فاستبدلوا به .^(٢) وحظوظ الدنيا الفانية - وإن جلت - قليلة بالنسبة إلى حظوظ الآخرة الباقية ﴿وَأَيُّهَا فَاتَّقُونِ﴾ باتباع الحق ومجانبة غيره .

[٤٢] - ﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾ : لا تخلطوا ﴿الْحَقَّ﴾ المنزل ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الذي تفترونه وتكتبونه حتى لا يميّز^(٣) بينهما ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ نعت محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإنكار وجوده في التوراة ، أو : محوه منها . جزم عطفاً على «تلبسوا» أو نصب بإضمار «أن» . والواو للجمع ، أي : لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(١) كذا ذكره الراغب الاصفهاني في المفردات «أول» .

(٢) في «ج» : فاستبدلوا به حظوظ الدنيا .

(٣) في «ب» : لا يميّز .

عالمين أنكم لابسون كاتمون، وهو أقبح؛ إذ لا عذر للعالم.

[٤٣] - ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ صلاة المسلمين وزكاتهم، فالكفار

مخاطبون بالفروع كالأصول.

والزكاة من: زكا، أي: نما أو: طهر؛ إذ إخراجها ينمي المال، ويطهره من الخبث، ويثمر كرم النفس، ويطهرها من البخل ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أي: سلوا في جماعتهم، عبّر عن الصلاة بالركوع؛ لخلو صلاة اليهود عنه، أو أريد به الخضوع والإنقياد للحق.

[٤٤] - ﴿اتَّامِرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ توبيخ وتعجيب من حالهم. والبر: يعم كل خير ﴿وَتَنَسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ وتتركونها. كان الأحرار يأمرسون سراً من نصحوه باتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا يتبعونه، أو بالصدقة ولا يتصدقون ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾: التوراة، وفيها نعته، أو: وفيها الوعيد على ترك البر، ومخالفة القول العمل تبكيت مثل «وأنتم تعلمون»^(١) ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قبح ذلك فيمنعكم منه، أو أفلا عقل لكم فيصدكم عنه. توبيخ بليغ لمن يعظ غيره، ولا يتعظ نفسه؛ بجعله كمن لا عقل له.

ومضمون الآية حث الواعظ على تكميل نفسه، وتقويمها حتى يقوم غيره،

لا منع الفاسق عن الوعظ، لعدم اشتراطه بالعدالة فلا يوجب الإخلال بها تركه.

[٤٥] - ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾ على مشقة ما كلفتموه من اتباع الحق، ورفض الجاه والمال

﴿بِالصَّبْرِ﴾ بكف أنفسكم عن هواها، أو: بالصوم الذي هو كف عن المفطرات، فإنه يقمع الشهوة ويصفي النفس ﴿وَالصَّلَاةَ﴾ فإنها ترغب فيما عند الله، وتنتهي عن الفحشاء والمنكر، أو استعينوا على حوائجكم بالجمع بين الصلاة والصبر على تكاليفها الشاقة من إخلاص القلب، والإقبال به على الله تعالى، ومجاهدة الشيطان، وخشوع الجوارح، والخشية، واستحضار أنه انتصاب بين يدي جبار

(١) في الآية ٤٢ من هذه السورة.

السموات والأرض .

أو: إستمعنوا على البلايا بالالتجاء إلى الصبر والصلاة . كما روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم إذا أحزنه أمر فزع إلى الصلاة^(١) أو أريد بها: الدعاء عند البلاء ﴿وَأِنَّهَا﴾ أي: الصلاة، صابرين على مشاقها، أو: اكتفى بضميرها عن ضمير الصوم للظهور، ولفضلها، أو: الضمير لجملة تكاليف بني إسرائيل ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾: المتواضعين لله تعالى فإنها لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم؛ لتوطين أنفسهم ورؤسها عليها، وتوقعهم في جزائها ما يستقل معه مشاقها .

[٤٦] - ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أي: يتوقعون لقاء ثوابه والحشر اليه فيجازيهم، أو: أريد بالظن: اليقين .

[٤٧] - ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ كرر تأكيداً ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ عطف على «نعمتي»، أي: وتفضيلي آبائكم قبل التغير ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم، بالإيمان والعلم، وجعل الأنبياء فيهم، وإنزال الكتب عليهم .

[٤٨] - ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ مفعول به، أي: عذابه ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ لا تقضي عنها حقاً أو جزاء، مصدر، ونكر هو والنفسان للتعميم والإقناط، والجملة صفة «يوماً» حذف عائدها، أي فيه . ومن منع حذفه يجعله مجروراً مفعولاً به بحذف الجار اتساعاً ثم حذف ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ من النفس الثانية، أي: إن أتت بشفاعه شافع لم تقبل منها . من الشفع، كأن المشفوع له - الفرد - صار شفعا بضم الشافع نفسه اليه ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: فدية؛ لمعادلتها المفدى، ومن النفس الأولى، أي: لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها، ولو أعطت عدلاً عنها لم يؤخذ منها . والآية مخصوصة باليهود؛ لثبوت الشفاعة لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم - في الجملة -

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٩٩ .

بالإجماع، بل لاثمتنا عليهم السلام والمؤمنين^(١) ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ لا يعانون بمنع العذاب، والضمير للنفس الكثرة الدال عليها النفس المنكرة في سياق النفي. والتذكير بمعنى العباد.

[٤٩] - ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ عطف على «نعمتي»، عطف الخاص على العام، وأصل «آل»: أهل؛ إذ صغر «بأهليل» وخصّ بأولي الخطر. و«فرعون» لقب لملك العمالة - كقيصر، وكشري لملكي الروم والفرس - . وفرعون - هذا - «مصعب بن الريان» أو ابنه «وليد»، وفرعون «يوسف» عليه السلام «ريان» وبينهما أكثر من أربعمئة سنة ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: يولونكم، من سامه خسفاً، أي: أولاه ذلاً ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشدّه، فإنه سيء بالنسبة إلى سائرته. و«سوء» مصدر نصب مفعولاً به لـ «يسومونكم».

والجملة حال من «كم» أو «آل» أو منهما ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يقتلون الذكور ويستبقون الأنثى، اماءاً للخدمة والنكاح. بيان لـ «يسومونكم» ولذا قطع. وسبب فعلهم أن «فرعون» رأى في منامه ناراً شملت «مصر» فأحرقت القبط، وتركت «بني إسرائيل» فهاله، فقال له الكهنة: سيولد فيهم من يكون على يده هلاكك، فلم ينجمهم من قدر الله تحفظهم ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾ أي: صنعهم، أو: الإنجاء، أو: كليهما ﴿بَلَاءٌ﴾ اختبار بنعمة أو محنة، أو: بهما؛ إذ كما يختبر الله تعالى بالمحن يختبر بالنعم ﴿مِنْ رَيْكُمْ﴾ بتسليطه عليكم أو إنجائكم بموسى عليه السلام أو بهما ﴿عَظِيمٌ﴾.

[٥٠] - ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾ فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك بسلوككم فيه، أو: بسبيكم، أو: متلبساً بكم ﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ أي: هو وقومه. واقتصر عليهم للعلم بأولويته به ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ذلك، أو غرقهم،

(٢) كما وردت روايات في معناه ينظر تفسير التبيان وتفسير مجمع البيان ١: ١٠٣.

أو فرق البحر، أو ينظر بعضكم بعضاً.

روي أنه تعالى أمر «موسى» أن يسري ببني إسرائيل فأتبعهم «فرعون» وجنوده فصبّحهم على شاطئ البحر، فأوحى إليه: ﴿أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾^(١) فضربه فانفلق عن إثني عشر طريقاً يابساً بعدد الأسباط فسلكوها فقالوا: يا موسى نخشى أن يغرق بعضنا ولا نعلم، ففتح الله لهم كواء^(٢) فتراؤا، حتى عبروا البحر، ولما وصل إليه «فرعون» ورأى انفلاقه اقتحم هو وجنوده فالتطم عليهم فغرقوا جميعاً.^(٣)

وهذه من أجل النعم على «بني إسرائيل»، وأبهر الآيات الدالة على وجود الصانع، وصدق موسى عليه السلام ولما كان في قومه من البلادة ما لا يمكنهم الاستدلال بالآيات الخفية، اقتضت الحكمة نصب الآيات الباهرات لهم بحسب حالهم. ألا ترى أنهم لما عبروا، ورأوا عبدة الأصنام قالوا - بعد ما شاهدوا من الآيات -: ﴿إِجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾^(٤) وإتخاذهم العجل، وطلبهم الرؤية؟، وأمة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لما كانوا من الذكاء بحيث يمكنهم الاستدلال بالمعجزات النظرية الدقيقة جاءت آياتهم مشاكلة لما فيهم من الذكاء.

[٥١] - ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَى أَزْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ لما دخلوا «مصر» بعد هلاك «فرعون»

وعد الله تعالى موسى عليه السلام أن يؤتیه التوراة، وضرب له ميقاتاً ذا القعدة وعشر ذي الحجة، وعبر بالليالي لأنها غرر الشهور. وقرأ «ابن كثير» و«نافع» و«عاصم» و«ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي»: وَاَعَدْنَا؛^(٥) لأنه تعالى وَعَدَهُ الوحي، ووعدده

(١) سورة الشعراء: ٢٦/٦٣.

(٢) الكواء: الخرق في الحائط ونحوه.

(٣) تفسير التبيان ١/ ٢٣٠.

(٤) سورة الاعراف: ٧/١٤٨.

(٥) حجة القراءات: ٩٦.

موسى المجيء للميقات إلى الطور ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد مضيته ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ بإسراككم .

[٥٢] - ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ محونا جرمكم حين تبتم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الإتيان ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لكي تشكروا العفو .

[٥٣] - ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ أي التوراة الجامع بين كونه كتاباً وفارقاً بين الحق والباطل ، أو أريد به «الفرقان» معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لكي تهتدوا بما فيه .

[٥٤] - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ ارجعوا إليه .

والبارئ : المخلق للخلق برياً من التفاوت ، ومميّزاً بعضه عن بعض بصور مختلفة . وأصله : فصل الشيء عن غيره ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ القتل إما هو : التوبة ، والمعنى : فاعزموا على التوبة فاقتلوا ، أو : تتمّة لها ، والمعنى : فتوبوا فاقتلوا أنفسكم ، إتماماً لتوبتكم بالبخع ، ^(١) أو ليقتل من لم يعبد العجل من عبده .

روي «أن الرجل كان يبصر ولده وقريبه فلم يمكنه المضيّ لأمر الله تعالى ، فغشيتهم ظلمة شديدة لا يتباصرون فيها ، فاقتتلوا من الغداة إلى المساء ، حتى دعا «موسى» و«هارون» فانجلت الظلمة عن سبعين ألف قتيل ، ونزل رفع القتل وقبول التوبة» . ^(٢) و«الفاء» الأولى للتسبيب ، والثانية للتعقيب ﴿ذَلِكَكُمْ﴾ أي : التوبة وقتل النفس الذي هو وصلة إلى الحياة الباقية ﴿خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ من إشار الحياة الدنيا الفانية المتعقبة بالعذاب الشديد ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ إن جعل من كلام «موسى»

(١) البخع : الهلاك ، وفي «الف» و«ب» : النجع ومعناه التأثير ، يقال : نجع فيه الكلام أي أثر فيه . والأصح الاول .

(٢) تفسير مجمع البيان ١ : ١١٣ .

عليه السّلام فمتعلّق بمحذوف، تقديره: «إن فعلتم ما أمرتم به فقد تاب عليكم». وإن جعل من كلامه تعالى على الالتفات، فعطف على محذوف كأنه قيل: «ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم».

وفي ذكر الباريء تقرير بتركهم عبادة خالقهم الحكيم، إلى عبادة البقر التي هي مثل في البلادة، حتى عرّضوا أنفسهم لسخط الله، فأمرؤا بفك تركيبهم حين كفروا النعمة ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ الكثير القبول للتوبة ﴿الرَّحِيمُ﴾: البليغ في الإنعام. [٥٥] - ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ لن نقرّ لك بأن الله أعطاك التوراة وكلمك، أو بأنك نبي ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾: عياناً، وهي مصدر: جهر بالقراءة، استعيرت للمعانية. نصبت على المصدر؛ لأنها نوع رؤية، أو: الحال من الفاعل أو المفعول.

والقائلون: السبعون الذين صعقوا، وقيل: عشرة آلاف ﴿فَأَخَذْتُكُمُ الصَّاعِقَةَ﴾ للتعنت وطلب المحال؛ لاستدعاء الرؤية كون المرئيّ مقابلاً للرائي فيكون جسماً أو عرضاً - تعالى الله عن ذلك - جاءتهم نار من السماء فأحرقتهم، أو صيحة فماتوا يوماً وليلاً، وكانت صعقة موسى غشيةً بدليل: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾، ^(١) ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى أسباب الموت، أو: النار.

[٥٦] - ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ أحييناكم ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ بالصّاعقة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمة البعث. وفيه حجة على صحّة البعث والرجعة.

[٥٧] - ﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ سخرها لكم السحاب، يستركم من الشمس في التّيه ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ﴾: الترنجيبين - مثل الثلج -، من الفجر إلى طلوعها ﴿وَالسَّلْوى﴾: السّماني ^(٢) تحشره الجنوب عليهم. وينزل بالليل عمود نار يسرون في

(١) سورة الاعراف: ١٤٣/٧.

(٢) السماني: طائر لا يدري من أين يأتي.

ضوته، وثيابهم لا تبلى ولا تتسخ ﴿كُلُوا﴾ وقلنا: كلوا ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ المباح اللذيذ ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ أي: فظلموا بكفرهم هذه النعم، وما ظلمونا ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: أيها يضرّون بالكفران.

[٥٨]- ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ «بيت المقدس»، أو «أريحا» - قرية بقربه -، فيها العمالقة و«عوج بن عنق». أمروا به بعد التّيه ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾: واسعاً: نصب مصدراً أو حالاً من الواو ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾: باب القرية، أو: «بيت المقدس» أو: القبة التي كانوا يصلّون إليها ﴿سُجَّدًا﴾ منحنين متطامنين، أو ساجدين لله شكراً ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ فعلة من الحطّ، أي: مسألنا - أو: أمرنا - حطة ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ نستردّ ذنوبكم بترك العقوبة بامثالكم. وقرأ «نافع» بالياء، ^(١) و«ابن عامر» بها - بصيغة المجهول - ^(٢) ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ثواباً بالإمتثال كما جعلناه توبة للمسيء.

[٥٩]- ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ وضعوا مكان «حِطَّة» «قولا» ليس بمعناها ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كثر زيادة في تقييح أمرهم، وإيداناً بأنّ عذابهم لظلمهم ﴿رِجْزًا﴾: عذاباً مقدراً ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ وهو: الطّاعون، مات به في ساعة أربعة وعشرون ألفاً ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم.

[٦٠]- ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَىٰ طَلَبَ السَّقِيَا﴾ ﴿لِقَوْمِهِ﴾ حين عطشوا في التّيه ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ﴾ هي التي دفعها اليه «شعيب» من آس الجنة، أهبطها معه، طولها عشرة أذرع على طول «موسى» ولها شعبتان تتقدان في الظّلمة ﴿الْحَجَرِ﴾ اللام للعهد.

(١) حجة القراءات: ٩٨.

(٢) كذا في النسخ، ولكن المثبت في حجة القراءات: ٩٨ والكشف عن وجوه القراءات ١: ٢٤٣: وابن عامر: بالناء بصيغة المجهول.

روي: أنه حجر طورِي^(١) مرتع، تنبع من كل وجه ثلاث أعين، لكل سبط عين تسيل في جدول، وكانوا ستمائة ألف سعتهم اثنا عشر ميلاً^(٢).
أو: حجر أهبطه «آدم» من الجنة ووقع إلى «شعيب» فدفعه إليه مع العصا، أو: الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل، إذ رموه بالأذرة^(٣) فبرأه الله تعالى فأمره بحمله، أو: للجنس قيل: لم يؤمر بضرب حجر بعينه. ولما قالوا: كيف بنا لو أفضينا إلى أرض لا حجارة فيها حمل حجراً، فإذا انزل ضربه بعصاه فينفجر، فقالوا: إن فقد عصاه متنا عطشاً، فأوحى الله تعالى إليه: لا تفرح الحجارة وكلما تطعك ليعتبروا^(٤) ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾ أي: فضرب فانفجرت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط ﴿مَشْرَبُهُمْ﴾: العين التي منها شربهم ﴿كُلُّوا وَاشْرَبُوا﴾ على إرادة القول ﴿مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ مما رزقكم من المن والسلوى والماء ﴿وَلَا تَغشُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ لا تطغوا حال فسادكم، قيّد به؛ لأنّ منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم بفعله، وإن غلب فيه.

[٦١] - ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ وهو: المن والسلوى؛ أريد بالواحد أنه لا يتبدل وإن تعدد، أو ضرب واحد؛ لأنهما معاً طعام المتلذذين، وهم فلاحة، نزعوا إلى ما ألفوه ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ ادعه سائلاً لنا ﴿يُخْرِجْ﴾ يُظهر، جزم جواباً لـ «ادعوا» ﴿لَنَا مِمَّا﴾ بعض ما ﴿تَنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ الإسناد إلى القابل مجازاً ﴿مِنْ بَقْلِهَا﴾ من الخضر، والمراد به: أطائبه الذي يؤكل. ومن «التبيين» ﴿وَقَتَائِبُهَا﴾

(١) أي: من حجر الطور.

(٢) أي: سعة معسكرهم كما في تفسير البيضاوي ١: ١٥٦.

(٣) الأذرة: عظم الخصى وانتفاخها.

(٤) تفسير الكشاف ١: ٢٨٤.

وَقَوْمَهَا ﴿الْحَسَنَةُ أَوْ الْخَبِيرُ. وَقِيلَ: الثَّوْمُ﴾^(١) ﴿وَعَدَسَهَا وَبَصَلَهَا قَالَ﴾ الله تعالى أو موسى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ﴾ أي: أقرب منزلة وأدون قدراً.

والدنو: القرب في المكان، واستعير للخسة - كالعبد للشرف - ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ أي: المن والسلوى؛ فإنه ألد وأنفع، ومستغن عن الكسب ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا﴾ إنحدروا إليه من التيه.

والمصر: البلد العظيم، وقيل: أريد به العلم،^(٢) وصرف لسكون وسطه ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ ألزموهما لزوم المسامر للشيء المضروب عليه، فاليهود أذلاء مساكين إما على الحقيقة أو التكلف خوف تضاعف الجزية ﴿وَبَاءُ﴾^(٣) يَغْضِبُ مِنَ اللَّهِ: رجعوا به ﴿ذَلِكَ﴾ الضرب والبوء ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفرهم ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: حججه من فلق البحر، وإضلال الغمام، وإنزال المن والسلوى، وانفجار الحجر.

أو: الإنجيل والقرآن، أو: ما في التوراة من صفة «محمد» صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ ويقتلهم الأنبياء: «شعياً» و«زكرياً» و«يحيى» أو غيرهم ﴿بَغَيْرِ الْحَقِّ﴾ عندهم، إذ لم يفعلوا ما يجوزون به قتلهم ﴿ذَلِكَ﴾ كثر تأكيداً ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله مع كفرهم بالآيات وقتلهم

(١) قاله الكسائي - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٢٢٢.

(٢) تفسير الكشاف ١: ٢٨٥.

(٣) أن كلمة «باء» والكلمات الأخرى التي يشار إليها في محلها، جاءت كما تلاحظون في القرآن الكريم من دون ألف الجمع - التي توضع عادة بعد واو الجمع - وحول هذا المطلوب نلفت نظركم إلى ما جاء في كتاب اتحاف فضلاء البشر ١/ ٨٨.

«... وحذفوا في كل المصاحف الألف بعد واو الجمع من قوله تعالى: «وجاءوا» حيث وقع نحو «وجاءوا على قميصه» «جاءوا بالإفك» «وباءوا» حيث جاء نحو «وباءوا بغضب» وفاء «فاء» بالبقرة «وسعوا في آياتنا» بسبأ، «اعتوتوا» بالفرقان «الذين نبؤوا والدار» «بالحشر».

الأنبياء وقيل: الإشارة إلى الكفر والقتل،^(١) أي: جرّهم العصيان والإعتداء إلى الكفر والقتل.

[٦٢] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بأفواههم، وهم المنافقون ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ يقال: هاد وتهود: إذا دخل في اليهودية. و«يهود» إما عربيّ من هاد أي: تاب، سمّوا به لتوبتهم من عبادة العجل، أو معرّب من «يهودا» ابن يعقوب الأكبر ﴿وَالنَّصَارَى﴾ جمع: «نصران» كـ «سكاري» و«ياء» «نصراني» للمبالغة - كياء أحمرى - سمّوا به لنصرهم المسيح، أو: لكونهم معه في قرية تسمى «ناصر» ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ قوم بين اليهود والمجوس، لا دين لهم.

وقيل: دينهم يشبه دين النصاري، يزعمون أنه دين «نوح»،^(٢) وقيل: هم عبدة النجوم^(٣) أو الملائكة^(٤) «صبأ» إذا خرج، إن كان عربيّاً، و«النافع» لم يهمزه^(٥) لما للتخفيف أو لأنه من «صبأ»: إذا مال لميلهم عن سائر الأديان ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ من آمن من هؤلاء الكفرة بالمبدأ والمعاد إيماناً خالصاً ودخل في الإسلام دخولاً أصيلاً^(٦) ﴿وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ الذي يستوجبونه على الإيمان والعمل ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العقاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على فوات الثواب و«من» مبتدأ خبره «فلهم أجرهم» والجملة خبر «إن» أو بدل من اسم «إن» وخبرها «فلهم أجرهم». و«الفاء» لتضمن اسمها معنى الشرط.

[٦٣] - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ بالعمل بالتوراة ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ الجبل

(١) تفسير الكشاف: ١: ٢٨٥.

(٢) قاله الخليل - كما في تفسير التبيان: ١: ٢٨٢ وتفسير مجمع البيان: ١: ٢٢٦.

(٣) قاله قتادة والبلخي - كما في تفسير التبيان: ١: ٢٨٢.

(٤) تفسير الكشاف: ١: ٢٨٥.

(٥) حجة القراءات: ١٠٠.

(٦) في «ط»: أصلياً.

حتى أعطيتكم الميثاق .

روي : « ان موسى عليه السلام أتاهم بالتوراة فكبرت عليهم تكاليفها الشاقة فأبوا قبولها ، فقلع جبرئيل الطور ، فرفعه فوقهم حتى قبلوا » ^(١) ﴿ خُذُوا ﴾ بتقدير القول ﴿ مَا ءَاتَيْنَاكُمْ ﴾ من التوراة ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ بجدة وعزم ﴿ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ احفظوه أو اعملوا به ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ لكي تتقوا الذنوب ، أو رجاءاً منكم : أن تكونوا متقين .

[٦٤] — ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أعرضتم عن الوفاء بالميثاق ﴿ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ بعد أخذه ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ بتوفيقكم للتوبة أو بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم يهديكم للحق ﴿ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ بإهلاككم أنفسكم بالمعاصي و«لو» لانتفاع غيره وتلحقها «لا» فتنفية لثبوت غيره والإسـم بعدها مبتدأ خبره واجب الحذف وقيل : فاعل فعل محذوف .

[٦٥] — ﴿ وَلَقَدْ ﴾ «اللام» موطئة للقسم ﴿ عَلِمْتُمْ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾ مصدر، سبت اليهود إذا عظمتم يوم السبت من القطع . أمروا بتجريدته للعبادة ، ونهوا عن اصطلياد الحيتان فيه ، فاعتدى فيه ناس منهم في زمن «داود» عليه السلام - إذ كانت قريتهم على البحر ، ولم يبق فيه حوت إلا أخرج خرطومهم يوم السبت ، فإذا مضى تفرقت - فحفروا حياضاً وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الأحد ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ أي جامعين بين القرديّة والخسؤ - وهو: الطرد - . والمراد بـ«كونوا» : سرعة التكوين لا الأمر .

[٦٦] — ﴿ فَجَعَلْنَاهَا ﴾ أي : المسنحة ﴿ نَكَالًا ﴾ : عبرة ، تنكل الاعتبار بها ، أي : تمنعه ﴿ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ : ما قبلها ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ : ما بعدها من الأمم ، أو : لمعاصريهم ومن بعدهم ، أو : لأجل ذنوبهم المتقدمة والمتأخرة ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ من قومهم ، أو : كل متقٍ سمعها .

(١) تفسير الكشاف ١ : ٢٨٦ .

[٦٧] - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ قَدَّم على صدر القصة ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا...﴾ الآية؛^(١) لاستقلاله بنوع من مساوئهم من الاستهزاء بالأمر، وترك المسارعة إلى الإمتثال. كان فيهم شيخ موسرء فقتل ابنه بنو أخيه ليرثوه، وطرحوه على باب المدينة، وطالبوا بدمه، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا، فيخبرهم بقاتله. وقيل: قتلوا الشيخ.^(٢)

وعن الصادق عليه السلام: «قتله ابن عمه ليتزوج ابنته، وقد خطبها فردّه وزوجها غيره»^(٣) ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا﴾ مكان هزء، أو أهله، أو مهزوء بنا، أو: نفس الهزء - مبالغة -، استبعاداً لما قاله. وسكنه «حمزه» و«اسماعيل» عن «نافع» مع الهمزة، وضمه «حفص» مع الواو، وضمه الباقيون مهموزاً^(٤) ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾: ألوذ به ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ إذ الهزء في هذا جهل.

[٦٨] - ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ ما حالها وصفها ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾: لا مسنة ﴿وَلَا يَكْرُ﴾: ولا فتية ﴿عَوَانٌ﴾: نصف ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ المذكور من الفارض والبكر. وفيه إتمام تأخير للبيان عن وقت الخطاب - إن أريد بقرة معينة -، أو: النسخ قبل الفعل - إن أريد غير معينة، ثم انقلبت معينة بسؤالهم -.. كما روي: «لو ذبحوا أي بقرة شاءوا كفتهم، ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم»^(٥) ﴿فَاعْمَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ ما تؤمرونه أي تؤمرون به.

[٦٩] - ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ

(١) وهي الآية ٧٢ من هذه السورة.

(٢) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ١: ١٣٥.

(٣) تفسير القمي ١: ٤٩.

(٤) حجة القراءات: ١٠١.

(٥) تفسير مجمع البيان ١: ١٣٥ وتفسير نور الثقلين ١: ٨٩ الحديث ٢٤٣ عن النبي (ص)

لَوْنُهَا ﴿الْفَقُوعُ﴾: شِدَّةُ الصَّفْرَةِ ﴿تَسْرُ النَّاطِرِينَ﴾: تَعْجِبُهُمْ وَتَفْرَحُهُمْ .

وعن الصادق عليه السلام: «من لبس نعلًا صفراء لم يزل مسرورًا حتى يبليها، كما قال الله صفراء . . . الآية»^(١).

[٧٠] - ﴿قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ تكرير للسؤال الأول، وزيادة استيضاح ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ أي البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إلى المراد ذبحها، أو القاتل . روي: «أنه لو لم يستثنوا لما بينت لهم أبدأ»^(٢).

[٧١] - ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ أي: لم تذلل الكراب وسقي الحرث، و«لا ذلول» صفة «بقرة»، والفعالان صفتان لـ «ذلول»، أي: لا ذلول مثيرة وساقية، و«لا» الثانية لتأكيد الأولى ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العيوب، أو العمل ﴿لَا شِبْهَ فِيهَا﴾ لا لون فيها سوى لونها، من: وشاه وشياً وشيئة: إذا خلط بلونه لونا آخر ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ أي بحقيقة وصفها ﴿فَذَبْحُوهَا﴾ أي فحاصلوا البقرة الموصوفة فذبحوها ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لا استقصائهم وتطويلهم، أو: لخوف الفضيحة في ظهور القاتل، أو: لغلاء ثمنها.

قيل: اشتروها بملء مسكها ذهباً؛^(٣) وكانت ليتيم، وكانت البقرة حينئذ بثلاثة دنائير. ونفي «كاد» كنفي سائر الأفعال في الأصح، فلا ينافي الذبح عدم مقاربتة لاختلاف وقتيهما؛ إذ المعنى: ما قاربوا الفعل حتى انتهت سؤالاتهم ففعلوا.

[٧٢] - ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ خوطب الجميع لوجود القتل فيهم ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾: اختصمتم في شأنها وتدافعتم . وأصله «تدارأتم» أدغمت التاء في الدال ووصل

(١) تفسير العياشي ١: ٤٧ الحديث ٥٩ وتفسير البرهان ١: ١١٢ الحديث ٥.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ١٣٥ وتفسير نور الثقلين ١: ٨٩ الحديث ٢٤٢ عن النبي (ص)

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ١٣٦ وتفسير نور الثقلين ١: ٨٨ عن تفسير القمي .

بالهمزة ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ : مظهر ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ والجملة اعتراض بين «فاداراتم». [٧٣] - ﴿فَقُلْنَا﴾ المعطوف عليه ﴿اضْرِبُوهُ﴾ أي : النفس - بتأويل : الشخص أو القتل - ﴿يَبْغِضُهَا﴾ فخذها اليمنى، أو : لسانها، أو : عجبها، ^(١) أو : أذنها ﴿كَذَلِكَ يُخَيِّي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ أي : فضربه فحيي، حذف للدلالة . والخطاب لحاضري الأحياء ، أو النزول .

روي : «أنهم لما ضربوه قام بإذن الله تعالى وأوداجه تشخب دماً، وقال : قتلني فلان ابن عمي، ثم قبض». ^(٢) ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ : دلائل قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تعملوا على قضية عقلكم، وتعلموا أن القادر على إحياء نفس قادر على إحياء الكل ولم يحيه ابتداءً بل شرط فيه الذبح والضرب لانطوائه على التقرب ونفع اليتيم، والإشعار بحسن تقديم القرية ^(٣) على الطلب، وأن من حق المتقرب أن يتحرى الأحسن ويغالي بشمه، والتنبه على كمال القدرة بتوليد الحياة من الموت .

[٧٤] - ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ «ثم» لاستبعاد القسوة، وقساوة القلوب مثل في نبوها عن الاعتبار ﴿مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الإحياء، أو : جميع الآيات المعدودة فلإنها موجبة للين القلب ﴿فَهِىَ﴾ في قسوتها ﴿كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ أي : زائدة عليها في القسوة، أو : مثل ما هو أشد قسوة، حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه، ولم يقل : «أقسى» لأن «أشد» أبلغ، ولوصف القسوة بالشدة، وزيادة المفضل فيها . و«أو» للتخير، أي : إن من عرفها شبيها بالحجارة أو بما هو أقسى منها ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ بيان للتفضيل .

والتفجّر : التفتح بالسعة . أي : فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الغزير ﴿وَإِنَّ

(١) العجب : أصل الذنب، لسان العرب «عجب» .

(٢) تفسير نور الثقلين ١ : ٨٧ عن عيون الأخبار .

(٣) في «ط» التوبة .

مِنْهَا لِمَا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ ﴿١﴾ : فينبع ﴿مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَنْهَيْتُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ : يتردى من أعلى الجبل إنقياداً لأمر الله تعالى ، وقلوب هؤلاء لا تفعل ولا تنقاد لأمره تعالى . والخشية مجاز عن الإنقياد ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد . وقرأ «إبن كثير» و«نافع» بالياء .^(١)

[٧٥] - ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ الخطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ : يحدثوا لكم التصديق ، أي : اليهود ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ طائفة من أسلافهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ : التوراة ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ كتحريفهم صفة «محمد» وآية الرجم .

وقيل : سمع قوم من السبعين المختارين أمر الله ونهيه حين كلم موسى على الطور ثم قالوا سمعناه يقول في آخره : إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا ، وإن شئتم فلا تفعلوا^(٢) ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوا﴾ فهموه ولم يرتابوا فيه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مفترون . والمعنى : إن حرف هؤلاء فلهم سابقة .

[٧٦] - ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا﴾ أي : منافقوهم ﴿ءَامَنَّا﴾ بأنكم على الحق ، وأن «محمد» هو المبشر به في التوراة ﴿وَإِذَا خَلَا بِغُضِّهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾ - أي : الذي لم ينافقوا عاتبين على المنافقين - : ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بيته لكم في التوراة عن صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ ليحتجوا عليكم بما في كتاب ربكم . جعلوا محاججتهم بكتابه^(٣) محاجة عنده - كما يقال - : عند الله كذا ، أي : في كتابه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ إمامة للمهم ، أي : أفلا تفقهون أنهم يحاجونكم فيحجونكم ، أو : خطاب الله للمؤمنين ، أي :

(١) حجة القراءات : ١٠١ .

(٢) نقله الزمخشري في تفسير الكشاف ١ : ٢٩١ .

(٣) في «ط» : محاجته في كتابه .

أفلا تعقلون أنهم لا يؤمنون، فلا تطمعوا في ذلك.

[٧٧] - ﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: اليهود ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾

جميعه، ومنه إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان.

[٧٨] - ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾ لا يحسنون الكتابة فيطالعون التوراة، ويتحققون ما فيها

﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ منقطع، أي: لكن يعتقدون أكاذيب

أخذوها تقليداً عن المحرّفين من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً،^(١) والنار

لا تمسهم إلا أياماً معدودة، وغير ذلك. ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ لا علم لهم. ويفيد

منع التقليد فيما طريقه العلم مع التمكن منه.

[٧٩] - ﴿فَوَيْلٌ﴾ تلهف وهلاك، وهو - في الأصل - مصدر لا فعل له. وقيل:

واد في جهنم.^(٢)

وابتداً به نكرة لأنه دعاء ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ﴾ أي: المحرّف ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾

تأكيد ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ليأخذوا به عرضاً من أعراض

الدنيا فإنه قليل - وإن جلّ - ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المحرّف ﴿وَوَيْلٌ

لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي أو: الرّشا.

[٨٠] - ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ المس: إتصال الشيء بالبشرة مع الإحساس

﴿إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾: قلائل، أربعين يوماً - أيام عبادة العجل -، وقيل: زعموا أن مدة

الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوماً^(٣) ﴿قُلْ أَتُخَذُّنَّ مِنْكُمْ عِندَ اللَّهِ

عَهْدًا﴾ أنه لا يعذبكم إلا هذه المدة. وأظهر «الذال» «ابن كثير» و«حفص» وأدغمه

(١) في «د» زيادة: أو نصارى.

(٢) تفسير التبيان ٢٢١:١ وتفسير مجمع البيان ١٤٦:١ وتفسير نور الثقلين ٩٣:١.

(٣) تفسير التبيان ٢٢٣:١ وتفسير مجمع البيان ١٤٧:١.

الباقون^(١) ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ متعلق بمحذوف أي إن اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ «أم» عديلة الهمزة، أي: أي الأمرين كائن، أو منقطعة، أي: بل أنقولون.

[٨١] - ﴿بَلَى﴾ إثبات لما نفوه، أي: بلى تمسكم النار أبداً بدليل: «هم فيها خالدون» ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً أَوْ آخَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتَهُ﴾ أي الشرك ﴿وَأَخَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتَهُ﴾ تلك: أهدت به من كل جانب، وقرأ «نافع» «خطيئاته»^(٢) ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ملازموها في الآخرة ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دائمون.

[٨٢] - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ شفع تعالى الوعد بالوعيد؛ ليرجى ثوابه ويخشى عقابه، وأخرج العطف العمل عن الإيمان.

[٨٣] - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ إخبار معناه النهي، وهو أبلغ من صريحه؛ لإيهامه المسارعة إلى الانتهاء، فهو يخبر عنه، ويؤيده قراءة «لا تعبدوا»^(٣) وعطف «قولوا» عليه، فهو بتقدير القول. وقرأ «نافع» و«ابن عامر» و«ابوعمر» و«عاصم» بالتاء - حكاية لما خوطبوا به -، والباقون بالياء - لغيتهم -^(٤) ﴿وَبِالنَّاسِ الْحَسَنَاتِ﴾ أي: ويحسنون أو: وأحسنوا ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ جمع يتيم ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ جمع مسكين، مفعيل من السكون كأن الفقر أسكنه ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قولاً حسناً. وصف بالمصدر مبالغة. وفتح «حمزة» و«الكسائي»^(٥) ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ المفروضتين في ملتكم ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ إلتفات، أو خطاب للموجودين منهم من عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسلفهم على

(١) المحجة في القراءات ١: ٦٨.

(٤٢) حجة القراءات: ١٠٢.

(٥) حجة القراءات: ١٠٢.

التغليب، أي أعرضتم عن الميثاق. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ إِلَّا مَنْ أَسْلَمَ مِنْكُمْ ﴿وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾: مستمرّون على الإعراض عن الوفاء.

[٨٤] - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ لا يفعل ذلك بعضكم ببعض. جعل غير الرجل نفسه لا اتصاله به أصلاً أو ديناً، أو: لإيجاب القتل القصاص. وقيل - معناه -: لا تفعلوا ما يبيح قتلكم وإخراجكم من دياركم. ^(١) ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾: اعترفتكم بالميثاق ولزومه ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على أنفسكم تأكيد، وقيل: «وأنتم أيها الموجودون تشهدون على إقرار أسلافكم». ^(٢) [٨٥] - ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ استبعاد لما فعلوه بعد الميثاق والإقرار به والإشهاد عليه، و«أنتم» مبتدأ، خبره: «هؤلاء» والمعنى: أنتم بعد ذلك هؤلاء الناكثون. نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ إمّا بيان لـ «أنتم هؤلاء» أو: حال وعاملها: معنى الإشارة، أو: خبر «أنتم» و«هؤلاء» تأكيد له، أو: منادى، أو: موصول، والجملة صلته والمجوع الخبر ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَنظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾ حال من فاعل «تخرجون» أو: مفعوله، أو: منهما.

والتظاهر: التعاون. وحذف «عاصم» و«الكسائي» إحدى التائين، وأدغمها الباقيون بالظاء ^(٣) ﴿بِالْإِثْمِ﴾: القبيح المستحق به اللوم ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: الإفراط في الظلم ﴿وَإِنْ يَأْتِوكُمُ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ﴾ روي: أن قريظة كانوا حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج، وكان كلّ فريق يعاون حلفاءه في القتال، وإذا أسير رجل من الفريقين فدّوه، ف قيل لهم: كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم؟ فيقولون: أمرنا أن نفديهم، ونهينا عن

(١) تفسير مجمع البيان ١: ١٥١.

(٢) تفسير الكشاف ١: ٢٩٣.

(٣) حجة القراءات: ١٠٤.

قتالهم ولكننا نستحيي أن نذلّ حلفاءنا. ^(١)

وقرأ «حمزة»: أسرى ^(٢) - جمع أسير - ك «قتلى» لـ «قتيل» وأسارى - جمعه - : كـ «سكاري» لـ «سكرى» وقرأ «ابن كثير» و«ابو عمرو» و«حمزة» و«ابن عامر»: تفدوهم ^(٣) «وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ» الضمير للشان، أو مبهم يفسره «إِخْرَاجُهُمْ» أو: لمصدر «تخرجون»، و«إخراجهم» تأكيد «أَفْتَوِمُنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ» أي بالفدية «وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ» أي: بحرمة القتل والإجلاء «فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» وهو قتل «قريظة» وأسره وإجلاء «النضير»، وقيل: الجزية ^(٤) «وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ» قرأ «عاصم» - في رواية - : «تَرَدُّونَ» على الخطاب ^(٥) «وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» تأكيد للموعيد. وقرأ «ابن كثير» و«نافع» و«ابو بكر» بالياء. ^(٦) والضمير لـ «من».

[٨٦] - «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ» ابتاعوا حظوظ الدنيا بنعيم الآخرة «فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ» بنقص الجزية في الدنيا والعقوبة في الآخرة «وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ» بالدفع عنهم.

[٨٧] - «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» التوراة «وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ» قفاه به: اتبعه إياه، أي: وأرسلنا على أثره الرسل «وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ» المعجزات الواضحات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، والإخبار بالمفريات، أو الإنجيل.

وعيسى بالسريانية: «إشوع» ومعناه: المبارك و«مريم» بمعنى: العابدة أو

(١) تفسير الثبيان ١: ٢٣٦، وتفسير مجمع البيان ١: ١٥٣، وتفسير الكشاف ١: ٢٩٤.

(٢) حجة القراءات: ١٠٤ و ١٠٥.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ١٥٤، وتفسير الكشاف ١: ٢٩٤.

(٤) تفسير البيضاوي ١: ١٦٨.

(٥) حجة القراءات: ١٠٥.

الخدام ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾: قَوَّيْنَاهُ ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ بالروح المقدسة، أي: «جبرئيل»، أو: روح «عيسى». ووصفها بـ«القدس» للكرامة كإضافتها إليه تعالى، أو: لأنه لم تضمه الأصلاب، والأرحام الطوامث، أو: الانجيل، أو: الإسم الأعظم الذي يحيي به الموتى. وسكن «ابن كثير» «القدس» حيث وقع ^(١) ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ تُهْوَىٰ تَحِبُّهُ﴾ ﴿أَنفُسُكُمْ﴾ وسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به - من إتياء انبيائهم ما أتوا - توبيخاً لهم، وتعجبياً من حالهم. و«الفاء» للعطف على مقدر ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن إتياء الرسل ﴿فَقَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ كـ«موسى» و«عيسى» ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ كـ«زكريا» و«يحيى». وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية لتستحضر في النفوس للفظاعة، وللفاصلة. وأسند إليهم لأنه فعل أسلافهم ورضوا به.

[٨٨] - ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ مغشاة خلقة بأغطية لا يصل إليها ما تقول ولا نفهمه - من الأغلف: الذي لم يختن - ﴿بَلْ لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ رد لقولهم، أي: إنها خلقت على الفطرة متمكنة من قبول الحق ولكن الله خذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلّفوا قلوبهم بما أحدثوا من الكفر وتسيبوا بذلك لمنع الألفاف ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ فإيماناً قليلاً يؤمنون، وهو إيمانهم ببعض الكتاب. و«ما» مزيدة، أو أريد - بالقلّة - : العدم.

[٨٩] - ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من كتابهم. وحذف جواب «لما» لدلالة جواب الثانية عليه ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يستنصرون ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مشركي العرب، يقولون: «اللهم انصرنا عليهم بنبي آخر الزمان المنعوت في التوراة»، أو: يفتحون عليهم، أي: يعرفونهم صفة نبي يبعث منهم. و«السين» للمبالغة، أي: يسألون أنفسهم الفتح عليهم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ من الحق ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ حسداً وطلباً للرئاسة ﴿فَلَعَنَهُ

(١) حجة القراءات: ١٠٥.

الله ﴿أَي: غضبه﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿أَي: عليهم، جيء بالظاهر ليفيد أنهم لعنوا لكفرهم، فاللام للعهد، أو الجنس الشامل لهم.

[٩٠] - ﴿بَشَمَا﴾ «ما» نكرة موصوفة^(١) مفسرة لفاعل: «بش» - المستكن -،

أَي: بش شيئاً ﴿اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ باعوها. صفة «ما» ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ هو المخصوص بالذم ﴿بَغْيًا﴾: حسداً وطلباً لما ليس لهم، علة لـ «يكفروا» ﴿أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ﴾ لأن ينزل، أو: على أن ينزل. وخففه «ابن كثير» و«ابو عمرو»^(٢) ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ أَي الوحي ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ يختاره ﴿مِنْ عِبَادِهِ قَبَاءً وَ^(٣) يَغْضِبْ عَلَى غَضَبٍ﴾ صاروا أحقَاء بغضب مترادف لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبغيهم عليه، أو: لكفرهم به بعد «عيسى» عليه السلام، أو: بعد قولهم: «عزيز ابن الله»^(٤) ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: مذل لهم لا على سبيل التكفير إذ يعقبه الاعزاز.

[٩١] - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن، أو كل كتاب أنزله ﴿قَالُوا

نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ أَي: التوراة ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ حال من فاعل «قالوا» ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ الضمير لـ «ما» وهو القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ حال مؤكدة. رد لمقالهم؛ إذ كفرهم بما يوافق التوراة كفر بها ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ اعتراض عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادعائهم الإيمان بالتوراة - وهي تحرمة -، وأسند إليهم لأنه فعل أسلافهم ورضوا به.

[٩٢] - ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الآيات التسع ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾

معبوداً ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد مجيئه، أو: ذهبه الى الطور ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ حال، أي:

(١) في النسخ: منصوبة.

(٢) حجة القراءات: ١٠٦.

(٣) انظر تعليقنا على كلمة «باء» في الآية ٦١ من هذه السورة.

(٤) سورة التوبة: ٣٠/٩.

اتخذتموه ظالمين بعبادته، أو: اعتراض، أي: وأنتم قوم عادتكم الظلم.

[٩٣] - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد وعزم ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما أمرتم به في التوراة سماع طاعة. كرر القصتان للتأكيد، ولأن مساقهما - هنا - لإبطال قولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾^(١) ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك. ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ تداخلها حبه كما يتداخل الثوب الصبغ وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب، نحو: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾^(٢) ﴿يَكْفُرِهِمْ﴾: بسبب كفرهم لأنهم مجسمة، واستحسنوا جسمه فرسخ في قلوبهم حبه ﴿قُلْ بِشِمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ﴾ بالتوراة؛ إذ ليس فيها عبادة العجاجيل والمخصوص محذوف، أي: هذا الأمر، أو: قبائحهم - المعدودة سابقاً -.

وإسناد الأمر إلى إيمانهم تهكم كـ ﴿أَصَلَوْتُكَ فَأْمُرْكَ﴾^(٣) وكذا إضافة الإيمان اليهم ﴿إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تشكيك في إيمانهم، وقدح في صحة دعواهم.

[٩٤] - ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾: الجنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ حال من «الدار»، أي: خاصة بكم - كما قلتم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾^(٤) - ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ للجنس أو العهد، وهم: المسلمون ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ لأن من أيقن أن له الجنة اشتاقها تمنى التخلص من دار العناء إلى نعيمها الدائم، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا أبالي سقطت على الموت أو سقط الموت علي». ^(٥)

[٩٥] - ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بما اسلفوا من موجبات النار،

(١) في الآية ٦١ من هذه السورة.

(٢) سورة النساء: ٤/ ١٠.

(٣) سورة هود: ١١/ ٨٧.

(٤) في الآية ١١١ من هذه السورة.

(٥) بحار الأنوار ٧١: ٢٦٣ باختلاف يسير، وانظر تفسير الكشاف ١: ٢٩٧ وتفسير نور الثقلين ١: ١٠٣ الحديث ٢٨٩.

كالكفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن ، وتحريف التوراة . وعبر عن النفس باليد لأنها آلة للإنسان بها عامة صنائعه . والجملة إخبار بالغيب وكان كما أخبر؛ إذ لو تمنوا لنقل . والتمني أن يقول «ليت كذا» .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم «لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه ، وما بقى على وجه الأرض يهودي»^(١) «وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» تهديد لهم .

[٩٦] - «وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُنَّ عَلَىٰ حَيٰوةٍ» - من «وجد» بمعنى : عَلِمَ - ، ومفعولاه : «هم» و«أحرص» . وتنكير «حياة» لإرادة حياة مخصوصة متطاولة «وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» محمول على المعنى ، أي : أحرص من الناس ومن الذين أشركوا . وأفردوا بالذكر لشدة حرصهم إذ لم يعرفوا إلا الحياة الدنيا . وفيه توبيخ شديد؛ إذ زيادة حرصهم وهم مُقَرَّرُونَ بالجزاء على حرص المنكرين يدل على علمهم بمصيرهم الى النار .

وقيل : أريد به «الذين أشركوا» المجوس ، لدعائهم لملوكهم : «عش ألف نوروز وألف مهرجان» .^(٢) وقيل : هو خبر مبتدأ محذوف ،^(٣) صفته «يُؤَدُّ أَحَدَهُمْ» ويراد به «الذين أشركوا» : اليهود ، لقولهم : «عزير ابن الله»^(٤) أي : ومنهم ناس يؤدُّ أحدهم . وهو على الأول استئناف لبيان زيادة حرصهم «لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ مَرَّةٍ» حكاية لما ودوا . و«لو» بمعنى «ليت» «وَمَا هُوَ بِمُزْحَضٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ» الضمير له «أحدهم» ، و«أن يعمر» فاعل «مزحضه» أي وما أحدهم منحيه عن النار تعميره ، أو المصدر «يعمر» «وأن يعمر» بدل منه ، أو مبهم بيانه : «أن يعمر» «وَاللّٰهُ بِصِرِّ بِمَا يَعْمَلُونَ»

(١) تفسير الكشاف ١: ٢٩٧ وقريب منه ما في تفسير البرهان ١: ١٣١ .

(٢) تفسير التبيان ١: ٢٥٩ وتفسير مجمع البيان ١: ١٦٦ .

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ١٦٥ .

(٤) سورة التوبة ٩/ ٣٠ .

عليهم بأعمالهم .

[٩٧] - ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ نزل حين سأل «عبدالله بن سوريا» رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمّن ينزل عليه؟ فقال: جبرئيل، فقال: ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة و«ميكائيل» ينزل بالبشر والرخاء، ولو كان الذي يأتيك «ميكائيل» لآمنا بك. وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «جبرئيل» كـ «سلسبيل» و«ابن كثير»: بفتح الجيم وكسر الراء بلا همزة، «وعاصم» - كـ «جحمرش»، والباقون كـ «قنديل»^(١) ومنع صرفه للعجمة والتعريف، ومعناه: عبدالله^(٢) ﴿فَإِنَّهُ﴾ أي جبرئيل ﴿نَزَّلَهُ﴾ أي: القرآن. وفي إضماره - ولم يذكر - تفخيم لشأنه كأنه لتعنيته يدل على نفسه ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ أي فهمك وحفظك، وكان حقه على قلبي فجاء على حكاية كلام الله تعالى، كأنه قيل: قل ما تكلمت به ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره أو بتسهيله، حال من فاعل «نزل» ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أحوال من مفعوله، وجزاء الشرط: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ أي: من عادى منهم جبرئيل فغير منصف، لأنه نزل كتاباً يصدق الكتب السابقة، فحذف الجزاء وأقيم عله مقامه، أو: من عاداه فبسبب أنه نزل عليك.

[٩٨] - ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ﴾ مخالفاً له أو عدواً لأوليائه. وصدر بذكره تعالى تفخيماً بشأنهم نحو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾^(٣) ﴿وَمَلَاتِكَيْهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ أفردا بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر، ولأن النزاع كان فيهما ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ أتى بالمظهر موضع الضمير ليفيد أنه تعالى عاداهم لكفرهم، وأن عداوة المذكورين كفر. وقرأ «نافع»: «ميكائيل» كـ «ميكاعل»^(٤) و«أبو عمرو»

(١) حجة القراءات: ١٠٧ والحجة في القراءات: ١٦٤: ٢ والكشف عن وجوه القراءات: ٢: ٢٥٤.

(٢) في تفسير مجمع البيان: ١: ١٦٦: وقيل جبر - في اللغة السريانية هو: العبد، وإيل هو: الله.

(٣) سورة الاحزاب: ٢٣/ ٥٧.

(٤) حجة القراءات: ١٠٨.

و«عاصم» كـ «ميعاد» .^(١)

[٩٩] - ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ القرآن ودلالاته الواضحات . نزلت حين

قال «ابن صوريا» للرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فتتبعك» ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ المتمردون في الكفر والفسق إذا استعمل في نوع من المعاصي كان أعظمه من كفر وغيره .

[١٠٠] - ﴿أَوْ كَلِمَاتٍ﴾ «الهمزة» للإنكار، و«الواو» عاطفة على مقدر، أي : أكفروا

بالآيات وكلمات ﴿عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ : نقضه .

والنبد : الطرح ، وقيل : «منهم» لأن بعضهم لم ينقض . ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا

يُؤْمِنُونَ﴾ بالتوراة فلا يبالون بنقض العهد .

[١٠١] - ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿مُصَدِّقٌ

لِمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي : التوراة ، -

لأن كفرهم بالمصدق لها نبذ لها ، - أو : القرآن ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ مثل لتركهم إياه بترك

المرمي وراء الظهر استغناء عنه ﴿كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه كتاب الله تعالى ، أي :

علموا وعاندوا .

[١٠٢] - ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ أي : نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة

التي تقرأوها أو : تتبعها الشياطين من الجن ، أو : الإنس أو : منهما ﴿عَلَىٰ مُلْكِ

سُلَيْمَانَ﴾ : عهد ملكه . والمضارع حكاية حال ماضية . كانوا يسترقون السمع

ويضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلقونها الى الكهنة .

وقد دونوها في كتب يقرأونها ويعلمونها الناس ، وفشا ذلك في زمن «سليمان»

حتى قيل : إن الجن تعلم الغيب ، وملك «سليمان» إنما تم بهذا العلم ، وبه يسخر

الإنس والجن والريح ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ تكذيب لمن بهته بالسحر ، وسمّاه : كفراً

(١) تفسير القرطبي ٢ : ٢٨ والمحر الوجيز ١ : ٢٦٢ .

﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ باستعماله ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ﴾ اغواءً، والجملة حال عن «الواو».

والمراد بالسحر: ما يستعان فيه بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الإنسان، وهو - في الأصل - لما خفي سببه ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ عطف على «السحر»، أو: «ما تتلوا» وهما ملكان اهبطا الى الأرض لتعليم السحر ابتلاءً من الله للناس. من تعلمه وعمل به كان كافراً، ومن تجنبه أو تعلمه لتوقيه - لا للعمل به - كان مؤمناً.

قيل: ركبت فيهما الشهوة فهويا امرأة فحملتهما على الشرك والمعاصي،^(١) وقيل: هما رجلان سميا ملكين لصلاحيهما، ويعضده قراءة كسر «اللام»^(٢) وقيل: «ما أنزل» نفي عطف على «ما كفر»^(٣) ﴿يَبَايِلُ﴾ ظرف، أو: حال من الملكين، أو: ضمير «أنزل». بلدة في سواد الكوفة ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ عطف بيان للملكين، معنا الصرف للعجمة والعلمية. وإن جعلت «ما» نافية فبدل البعض من «الشياطين»، وما بينهما اعتراض. ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي ما يعلمان أحداً حتى ينصحا ويخبرا أنهما ابتلاء من الله، وينهياه عن الكفر بالتعلم منهما والعمل به، أو: ما يعلمانه حتى يقولوا إنا مفتونان فلا تفتن ﴿فَيَعَلِّمُونَ﴾ أي الناس بدلالة «من أحد» ﴿مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ أي سحراً يكون سبب تفرقهما ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره فربما أحدث عنده فعلاً من أفعاله، وربما لم يحدث ﴿وَيَعَلِّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ لأنهم يقصدون به الشر ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ فيجب تجنبه ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ أي: اليهود ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ استبدل

(١) رواه الطبرسي عن العياشي مرفوعاً الى ابي جعفر عليه السلام - كما في تفسير مجمع البيان ١: ١٧٤.

(٢) تفسير التبيان ١: ٣٧٣ وتفسير مجمع البيان ١: ١٧٥.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ١٧١.

السَّحَر بكتاب الله . «واللام» للإبتداء علقـت «علموا» ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ من نصيب ﴿وَلْيَنْسَمَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ باعوها ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يعملون بعلمهم ؛ إذ علم من لا يعمل به كـلا علم فلا ينافي إثبات العلم له .

[١٠٣] - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾ المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر ﴿لَمْ تُثَبِّتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ جواب «لو» أي : لا ثبوت مشوبة فحذف الفعل . وعدل الى الإسمية لتفيد ثبات المثوبة ، ونكرت لأن المعنى لشيء من الثواب خير لهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أن ثواب الله خير مما هم فيه لأثروه . جُهلوا لترك العمل بالعلم .

[١٠٤] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ كان المسلمون يقولون للرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذا علمهم شيئاً : «راعنا» أي تأن بنا حتى نفهمه فخاطبه اليهود به قاصدين نسبته الى الرعونة ، أو سببه بكلمة عبرانية ، يتسابقون بها وهي : «راعينا» فنهى المؤمنون عنه ، وأمرُوا بما هو في معناه وهو : «انظُرنا» أي : انتظرنا ﴿وَاسْمَعُوا﴾ سماع طساعة لا كسماع اليهود إذ قالوا : ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾^(١) ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ : المتهاونين بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

[١٠٥] - ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الودُّ : المحبة . و«من» للتبيين ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ «لا» لتأكيد النفي ﴿أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ﴾ مفعول «يود» ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ هو : الوحي ، و«من» مزيدة للإستغراق ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ «من» للإبتداء ، أي : يحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم شيء من الوحي ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ بالنبوة ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ يشعر بأن النبوة من الفضل .

[١٠٦] - ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ رد لطمع اليهود في أن النبي صلى الله عليه وآله

(١) في الآية ٩٣ من هذه السورة .

وسلم يقول بنسخ كل شريعة تقدمت شريعته ، بأن ذلك جائز .

ونسخ الآية إما رفع التعبد بقراءتها ، أو : الحكم المستفاد منها ، أو : رفعهما - معاً - . و«ما» مفعول «نسخ» جزمته شرطاً . و«من» مزيده . وقرأ «ابن عامر» : «نُسِخ» من «أنسخ» ، أي : نأمر -جبرئيل بنسخها ، «وابن كثير» «وأبو عمرو» «نساها» - بفتح «النون» و«السين» - مع الهمزة من النساء -^(١) أي : التأخير ، والباقون : بضم «النون» وكسر «السين» بلا همز ، من «الإنساء»^(٢) أي : إذهابها عن القلوب «نَاتٍ بِخَيْرٍ مِنْهَا» للعباد ، في الثواب «أَوْ مِثْلَهَا» فيه «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فيقدر على الخير وما هو خير منه وما هو مثله .

[١٠٧] - «أَلَمْ تَعْلَمْ» خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأُمَّته لقوله تعالى : «وَمَا لَكُمْ»^(٣) . وأفرد لأنه أعلمهم «أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» فهو يملك أموركم ، ويجريها على ما يصلحكم من النسخ وغيره «وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ» يقوم بأمركم «وَلَا نَصِيرٌ» ينصركم .

[١٠٨] - «أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ» «أم» عديلة «الهمزة» في : «ألم تعلم» ، أي : ألم تعلموا أنه مالك الأمور ، ويحكم ما يريد ، أم تعلمون وتسالون اقتراحاً كما سألت اليهود موسى ؟ ، أو : منقطعة ، أي : بل أتريدون . والمراد : إيصاؤهم بالثقة به تعالى ، وترك الاقتراح على رسولهم نزلت في أهل الكتاب حين سألوه أن ينزل عليهم كتاباً من السماء ، أو في المشركين حين قالوا : «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا . . . إِلَى قَوْلِهِ : أَوْ تَأْتِي بِلَاةٍ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا»^(٤) ، «وَمَنْ يَبْدَلِ

(١) في «ج» : النساء وفي «ط» : النساء .

(٢) حجة القراءات : ١٠٩ و ١١٠ .

(٣) في آخر هذه الآية .

(٤) سورة الإسراء : ٩٠ - ٩١ .

الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ ﴿ وَمَنْ تَرَكَ الثِّقَةَ بِالآيَاتِ الْمُنْزَلَةِ وَشَكَّ فِيهَا ، وَاقْتَرَحَ غَيْرَهَا ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ أي : وسطه فلا يصل إلى المقصد .

[١٠٩] - ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ كـ «حيى بن أخطب» ونظرائه ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ﴾ أن يرجعوكم ﴿مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ مفعول ثانٍ لـ «يردون» ، أو حال من مفعوله ﴿حَسَدًا﴾ علة «ود»^(١) ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ متعلق بـ «ود» أي : تمنوا ذلك من قبل أنفسهم لا من قبل التدين ، أو : بـ «حسدًا» ، أي : حسداً منبعثاً من أنفسهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ صدق محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَاغْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ لا تعاقبوا ولا تثرّبوا عليهم^(٢) ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ من قتل «قريظة» ، وإجلاء «النضير» ، وضرب الجزية عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على الانتقام منهم .

[١١٠] - ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ كأنهم أمروا بهما للإستعانة على مشقة العفو ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ صلاة أو صدقة ﴿تَجِدُوهُ﴾ أي ثوابه ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لا يضع لديه عمل .

[١١١] - ﴿وَقَالُوا﴾ أي أهل الكتاب من اليهود والنصارى . عطف على «ود» ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ جمع بين قوليهما لأمن اللبس ؛ لعلم السامع بالتعادي بينهما .

و«هود» : جمع هائد . وإفراد الاسم وجمع الخبر باعتبار اللفظ والمعنى ﴿تِلْكَ﴾ الأمانى المذكورة : من أن لا ينزل عليكم خير ، وأن يردوكم كفاراً ، وأن لا يدخل الجنة غيرهم ﴿أَمَانِيَهُمْ﴾ والجملة اعتراض ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على اختصاصكم بالجنة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم إذا ما لا دليل عليه باطل .

[١١٢] - ﴿بَلَى﴾ رد لنفيهم دخول غيرهم الجنة ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أخلص

(١) في «ط» : علة ودهم .

(٢) التثريب : التقرير والتفهير بالذنب - كما في مفردات الراغب .

نفسه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عمله ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾ جزاء عمله ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾ ثابتاً لديه .
و«مَنْ» شرطية أو موصولة ، والجملة جوابها أو خبرها . و«الفاء» لتضمنها معنى
الشرط ، فالرد بـ «بلى» وحده أو من فاعل فعل مقدر، أي : بلى يدخلها من أسلم
﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة .

[١١٣] - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾ يعتد به . ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى
لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ نزلت حين قدم وفد «نجران» على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
وأثامهم أبحار اليهود وتقاولوا بذلك ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ «الواو» للحال و«الكتاب»
للجنس ، أي : قالوا ذلك وهم من أهل التلاوة للكتب ﴿كَذَلِكَ﴾ أي : مثل ذلك
﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كعبدة الأصنام والذهرية ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ وبخهم على
تشبههم بالجهلة ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بين الحزبين ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فيما كانوا فيه
يختلفون ﴿بِأَنَّهُمْ يَكْذِبُهُمْ وَيَدْخُلُهُمُ النَّارُ﴾ أو بما يقسم لكل منهما من العقاب .

[١١٤] - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ نزلت في الروم لما غزوا بيت المقدس
وخرّبوه ، وقتلوا أهله ، وأحرقوا الشوراة ، أو : المشركين حين منعوا رسول الله دخول
المسجد الحرام عام الحديبية .

والحكم عام في كل مانع وساع في خراب كل مسجد وإن خصّ السبب ﴿أَنَّهُ
يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُهُ﴾ مفعول ثانٍ لـ «منع» أو مفعول له ، أي كراهة أن يذكر ﴿وَسَعَى فِي
خَرَابِهَا﴾ بالتعطيل أو الهدم ﴿أُولَئِكَ﴾ المانعون ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنَّهُ يَدْخُلُوهَا إِلَّا
خَائِفِينَ﴾ أي : ما كان الحق أن يدخلوها إلا خائفين من المؤمنين أن يبطشوا بهم
فضلاً أن يمنعهم منها ، أو : ما كان لهم في علم الله فهو وعد للمؤمنين بالنصر .

وقيل : معناه النهي عن تمكينهم من دخول المسجد ^(١) ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ :
القتل والسبي ، أو : العزبة ، أو : فتح مدائنهم إذا قام المهدي عليه السلام ﴿وَلَهُمْ فِي

(١) تفسير مجمع البيان ١ : ١٩٠ وتفسير ابن كثير ١ : ١٦٢ .

الْآخِرَةَ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾.

[١١٥] - ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ ناحيتا الأرض، أي: له الأرض كلها فان مَنِعْتُمُ الصَّلَاةَ فِي الْمَسَاجِدِ فَصَلُّوا حَيْثُ كُنْتُمْ ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ ففي أي مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة ﴿فَنَّمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ جهته التي جعلها قبلة لكم، فإن ذلك ممكن في كل مكان، أو: ذاته تعالى، أي: عالم بما فعلتم فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ الرحمة، يريد التوسعة لعباده ﴿عَلِيمٌ﴾ بمصالحهم، فإن المصلحة الحاصلة في المساجد حاصلة لهم في أي مكان كان - مع التولية - وقيل: منسوخة بآية «قَوْلُ»^(١) وقيل: مخصوصة بحال الضرورة، أو بالنوافل -^(٢) وفي الكل بحث.

[١١٦] - ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ نزلت حين قال اليهود: «عزير ابن الله»، والنصارى: «المسيح ابن الله» ومشركوا العرب: «الملائكة بنات الله». وترك «ابن عامر» العاطف^(٣) ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عن ذلك ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ردّ لقولهم أي: هو خالقه، ومالكة ومن جملة الملائكة وعزير والمسيح ﴿كُلُّ لَهُ قَانِثُونَ﴾ منقادون لمشيئته وتكوينه ومن كان بهذه الصفة لم يجانس، ومن حق الولد أن يجانس والده. وتنوين «كل» للعوض، أي: كل ما فيها.

[١١٧] - ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: بديع سماواته وأرضه - من «بدع» فهو بديع -، أو: مبدعها - كالسميع بمعنى: المسمع.

والإبداع: اختراع الشيء لا عن شيء دفعة. ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ إذا أراد إحداثه ﴿فَأَيْنَمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ من التامة، أي: أحدث فيحدث. والمراد: تمثيل

(١) وهي الآية ١٤٤ من هذه السورة وقائل هذا القول هو قتادة - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٩١.

(٢) وهو المروي عن ائمتنا عليه السلام - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٩١ - وانظر كنز العرفان ١: ٩٠ وتفسير العياشي ١: ٥٦ الحديث ٨١ و٨٢.

(٣) حجة القراءات: ١١٠.

حصول ما تعلقت به إرادته - بلا مهلة بطاعة المأمور - بلا توقف، لاحقيقة أمر وامتنال. ونصب «ابن عامر» «فيكون»^(١).

[١١٨] - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: جهلة المشركين، أو: متجاهلو أهل الكتاب: ﴿لَوْلَا﴾ هَلَا ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ كما كلم موسى، أو يوحى إلينا أنك رسوله - استكباراً - ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ دلالة على صدقك - جحوداً لكون ما آتاهم آيات، استهانة بها - ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ كـ ﴿أَرَأَى اللَّهُ جَهْرَةً﴾^(٢) [و] «هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً»^(٣) ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يطلبون اليقين؛ إذ فيما ظهر^(٤) من الآيات كفاية لمن لم يعاند.

[١١٩] - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ متلبساً به ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ لا جابراً على الإيمان تسليّة له صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ كان يغتم لإصرارهم على الكفر ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ مالهم لم يؤمنوا بعد تبليغك. وقرأ «نافع»: «وَلَا تَسْأَلُ»^(٥) على النهي له صلى الله عليه وآله وسلم عن السؤال عن حال الكفرة، أو تفخيم لعقابهم - والجحيم: النار المتأججة.

[١٢٠] - ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ إقناط له صلى الله عليه وآله وسلم عن إسلامهم، وكأنهم قالوا ذلك فحكاه تعالى؛ ولذلك قال: ﴿قُلْ﴾ - مجيباً لهم -: ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ بالحق، لا ما تدعون

(١) حجة القراءات: ١١١.

(٢) سورة النساء: ١٥٣/٤.

(٣) سورة المائدة: ١١٢/٥.

(٤) في «الف»: ظهر لهم.

(٥) حجة القراءات: ١١١.

إليه ﴿وَلَيْتِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: بدعهم ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: الدين الصحيح، أو: البيان، ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع عنك عقابه، وهو جزاء له «إن».

[١٢١] - ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ هم مؤمنو أهل الكتاب ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ بالتدبر له، والعمل بمقتضاه ولا يحرفونه ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بكتابهم - دون المحرفين - ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ من المحرفين ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ حيث اشتروا الضلالة بالهدى.

[١٢٢] - ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ *

[١٢٣] - وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿مرّ مثل الآيتين،^(١) والتكرير لبعد ما بين الكلامين تأكيد للتذكير، ومبالغة في النصح وإقامة الحجة.

[١٢٤] - ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ الابتلاء: التكليف بالشاق، ويلزمه الإختبار ممن يجهل العواقب، أي: كلفه ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ عامله معاملة المختبر بهنّ، وفسرت بذبح ولده والنار وبمناسك الحجّ والكواكب والقمر والشمس وبالعشر الحنيفيّة،^(٢) وبالكلمات التي تلقّاها «آدم» من ربه وهي: أسماء محمّد وأهل بيته صلى الله عليه وآله

(١) في هذه السورة الآيتان ٤٧ و٤٨.

(٢) في تفسير القمي ١/ ٥٩ الحنيفة: الطهارة وهي عشرة أشياء خمسة في الرأس وخمسة في البدن. فأما التي في الرأس: فأخذ الشارب واعفاء اللحي وطمّ الشعر والسواك والخلال. وأما التي في البدن: فحلق الشعر من البدن والختان وقلم الاظفار والغسل من الجنابة والطهور بالماء. ومثله تفسير مجمع البيان ١: ٢٠٠ وتفسير البرهان ١: ١٥٦ وباب الخمسة من كتاب الخصال الحديث ١٨.

وسلم. ^(١) وقرأ «ابن عامر»: «إبراهيم» ^(٢) ﴿فَأَتَاهُمُ﴾ أداهم بغير تفريط ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ استئناف - إن نصب «إذ» مضمر -، كأنه قيل: فما قال له ربه؟ فأجيب به، أو: بيان لـ «إبتلى»، فتكون «الكلمات» ما ذكر - من: الإمامة، وتطهير البيت ورفع قواعده والإسلام - . وإن نصبه «قال» فالمجموع جملة عطف على ما قبلها. و«إماماً» ثاني مفعولي «جاعلك».

والإمام: اسم من يؤتم به، أي: يأتون بك في دينهم وإليك سياستهم ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾: نسلي. و«الواو» للاستئناف أو العطف على محذوف و«من» للإبتداء أو للتبويض أو زائدة، أي: اجعلني إماماً واجعل من ذرّيتي أو بعضها، أو ذرّيتي؟! - على جهة السؤال - ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي﴾ أي: الإمامة. وسكن الياء «حفص» و«حمزة». ^(٣) ﴿الظَّالِمِينَ﴾ لأن الإمامة أمانة الله، والظالم لا يصلح للأمانة، وإنما ينالها الاتقياء منهم.

فدلّ على وجوب عصمة النبي والإمام حتى عن الصغائر - لصدق الظلم عليها -، سواء فسر بانتقاص الحق، أو بوضع الشيء في غير موضعه، أو: بتعدي حدود الله، ففاعلها ظالم لا يصلح للإمامة - وإن تاب -؛ لصدق الظالم عليه في الجملة، فتناوله الآية، فكيف بمن أشرك ولم تثبت توبته.

[١٢٥] - ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ أي: الكعبة، غلب فيها ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ مرجعاً يشوب إليه أعيان الحجّاج أو أمثالهم، أو: موضع ثواب يثابون بحجّه ﴿وَأَمْنًا﴾ موضع أمن لأهله والملتجئ إليه، من التعرّض ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ بتقدير القول، أو: عطف على عامل «إذ» المقدّر، أو على مضمر، أي: ثوبوا إليه واتخذوا ﴿مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾:

(٣) كتاب الخصال للشيخ الصدوق - باب الخمسة - الحديث ٨.

(٤) حجة القراءات: ١١٣ وجاءت الكلمة في «الف» و«ب»: إبراهيم.

(١) حجة القراءات: ١١٢.

الحجر الذي قام عليه ودعا الناس إلى الحج، أو بنى البيت ﴿مُصَلَّى﴾ مدعى - من «صليت» أي: دعوت -، أو: قبله أو: موضع صلاة - أي: صلوا عنده بعد الطواف - وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام،^(١) فالمراد به: الموضع الذي فيه المقام - وهو المتعارف الآن -؛ إذ الحقيقي لا يصلّي فيه، فيفيد وجوب ركعتي الطواف فيه. و«من» للتبويض، أو الإبتداء، أو التبيين، أو زائدة.

وقيل: مقام إبراهيم: الحرم كله،^(٢) فتكون «من» تبعية، ويكون المراد البعض المخصوص وهو المقام الآن، فيفيد وجوبهما أيضاً فيه. وقيل: عرفة والمزدلفة والجمار،^(٣) وقيل: الحج كله.^(٤) وقراءة «نافع» و«ابن عامر»: «وَاتَّخَذُوا» ماضياً، عطفاً على «جعلنا» أي: واتخذ الناس.^(٥) ﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾: أمرناهما ﴿أَنْ﴾ بأن، أو: أي: ﴿طَهَّرَا بَيْتِي﴾ من الأصنام والأنجاس. وفتح «الياء» «نافع» و«حفص» و«هشام»^(٦) ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾: الدائرين حوله، ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾: المقيمين عنده، أو: المعتكفين فيه ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ المصلين، جمع: «راكع» و«ساجد».

[١٣٦] - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾ البلد أو المكان ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾: ذا أمن، كـ ﴿عَيْشَةً رَاضِيَةً﴾،^(٧) أو: آمناً أهله كـ «ليل نائم» ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. «من آمن» بدل البعض من: «جهله» ﴿قَالَ﴾ الله

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٢٠٣.

(٢) قاله مجاهد - كما في تفسير التبيان ١: ٤٥٣ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٠٣.

(٣) قاله عطاء - كما في تفسير التبيان ١: ٤٥٣ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٠٣ وتفسير الكشاف ١: ٣١٠.

(٤) قاله ابن عباس - كما في تفسير التبيان ١: ٤٥٣ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٠٣.

(٥) حجة القراءات: ١١٣ والكشف عن وجوه القراءات: ٢٦٣.

(٦) تفسير القرطبي ٢: ١١٤.

(٧) وردت هذه العبارة في سورتي: الحاقة: ٦٩/٣١ والقارعة: ١٠١/٧.

تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ عطف على محذوف، أي: أرزق من آمن ومن كفر. نَبَّه تعالى على أن الرزق يعمّ المؤمن والكافر. أو: مبتدأ تضمن معنى الشرط، وخبره: ﴿فَأَمْتَعُهُ﴾ زماناً - أو: مناعاً - ﴿قَلِيلًا﴾ أي: مقصوراً على حظوظ الدنيا ﴿قَلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾. ^(١) ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾: ألْزَمَهُ ^(٢) ﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ لَزَّ المضطرّ. وقرأ «ابن عامر»: «فَأَمْتَعُهُ» مِنْ: «أَمْتَع» ^(٣) ﴿وَيُشْسِ الْمَصِيرُ﴾ المآل. والمخصوص محذوف أي العذاب.

[١٢٧] - ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ﴾ حكاية حال ماضية ﴿الْقَوَاعِدَ﴾ جمع قاعدة - وهي: الأساس - ورفّعها: البناء عليها؛ لنقله إياها عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع، أو: يراد بها السافات؛ ^(٤) إذ كل ساف قاعدة ما يُبنى فوقه، ويرفعها: بناؤها. ﴿مِنَ الْبَيْتِ﴾ وفي إبهامها، وتبيينها رفع لشأنها ﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾ كان يناوله الحجارة فعطف عليه لمدخليته في الرفع، أو: كانا يتناوبانه، أو: يبينان في طرفين ﴿رَبَّنَا﴾ يقولان: رَبَّنَا ﴿تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ والجملة حال منهما، ويفيد ندبة الدّعاء عقيب العبادة ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنا.

[١٢٨] - ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾ مخلصين، أو: مستسلمين - أي: منقادين - ﴿لَكَ﴾ والمراد: طلب الزيادة في الإخلاص والإنقياد، أو: الثبات عليه ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾: وجعل بعضها وخصّ البعض لما أعلمنا أن فيهم ظلمة ﴿أُمَّةٌ﴾ من «أمة»: إذا قصده. قيل: للجماعة، لأنها تَأْمُ ﴿مُسْلِمَةً لَكَ﴾ أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سورة النساء: ٧٧.

(٢) لَزَّ الشَّيْءَ بِالْشَيْءِ يَلْزِمُهُ لَزًّا وَالزَّهْ: الزَّهْمَةُ إِتْيَاهُ - لسان العرب «لرز».

(٣) حجة القراءات: ١١٤.

(٤) السافات: جمع ساف، وهو: السّف من الطين أو اللبن أو غيرها.

لقوله: ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾^(١) وعن الصادق عليه السلام: «هم بنو هاشم خاصة»^(٢) ﴿وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي: بَصَرْنَا - أَوْ: عَرَفْنَا - متعبداتنا في الحجّ. أَوْ: مذابحنا.

والتَّسْك: العبادة والذبيحة. وقرأ «ابن كثير»: «أَرْنَا» - كـ «فَخِذْ» في «فَخِذْ»^(٣) ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾ استتاباً تَعَبُداً لِيُقْتَدَى بهما، أَوْ: لَذَرَيَتَهُمَا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ بعباده.

[١٢٩] - ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ في الأمة المسلمة ﴿رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ لم يبعث منهم غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولذا قال: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى، ورؤيا أمي»^(٤) ﴿يَتْلُو﴾: يقرأ ﴿عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ﴾: دلائل التوحيد والنبوة الموحاة إليه ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: المعارف والأحكام ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ وَيُطَهِّرُهُم من الشرك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾: الَّذِي لَا يُقَهَّرُ عَلَى مَا يَرِيدُ ﴿الْحَكِيمُ﴾: المحكم له.

[١٣٠] - ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ إنكار واستبعاد لأن يرغب عاقل عن ملته الواضحة وهي ملة محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ولا ينافيه كون ملته ناسخة لجميع الملل لصدق نسخ الملة بنسخ بعضها، أي: لا يرغب عنها ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾: أضلّها أو أذلّها.

قيل: سَفِهَ - بالكسر - متعد، و - بالضم - لازم.^(٥) وقيل: نصب «نفسه» تمييزاً أو بنزع الخافض.^(٦) ومحل المستثنى: الرفع بدلاً من ضمير «يرغب» لعدم إيجابه،

(١) في الآية الآتية من هذه السورة.

(٢) تفسير العياشي ١: ٦٠ الحديث ١٠١.

(٣) حجة القراءات: ١١٤.

(٤) تفسير ابن كثير ١: ١٨٤.

(٥) قاله ابن تغلب والمبرد - كما في تفسير التبيان ١: ٤٦٩.

(٦) تفسير التبيان ١: ٤٦٩ وتفسير مجمع البيان ١: ٢١٢.

أو: النَّصَبُ بِالِاسْتِثْنَاءِ. ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ﴾: اخترناه للرسالة ﴿فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ المستقيمين على الخير، ومن كان كذلك كان حقيقاً بالإتباع لا يرغب عنه إلا سفيه، نزلت حين دعا «عبدالله بن سلام» إبني أخيه «سلمة» و«مهاجرًا» إلى الإسلام فأسلم «سلمة» وأبى «مهاجر». ^(١)

[١٣١]- ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ظرف لـ «إِصْطَفَيْنَاهُ»،

أو: نصب بإضمار: اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملته، حيث بادر إلى التسليم والإخلاص حين ألهمه ربه النظر في دلائله المؤدية إلى المعرفة والإسلام.

[١٣٢]- ﴿وَوَصَّى بِهَا﴾: بالملّة، أو: كلمة «أسلمت»، والتوصية: التقدّم إلى

الغير بفعل فيه صلاح، وأصلها: الوصل، كأن الموصي يصل أمره بالوصي. وقرأ «نافع» و«ابن عامر»: «وأوصى». ^(٢) ﴿إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ﴾ الأربعة: اسماعيل وإسحاق، ومدين، ومدان، وقيل: أكثر ^(٣) ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ أي: ووصى بها «يعقوب» بنيه الإثني عشر: ﴿يَا بَنِيَّ﴾ بتقدير: القول، أو: متعلق بـ «وصى» لأنه بمعناه ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ﴾: الإسلام - الذي هو صفوة الأديان - ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ نهى عن كونهم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا.

والتعبير بالنهي عن الموت على تلك الحالة للتنبيه على أن موتهم لا على الإسلام، موت لا خير فيه، وأن من حقه أن لا يحلّ بهم.

[١٣٣]- ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ «أم» منقلة، والهمزة المقدرة للإنكار، أي: ما كنتم

حاضرين ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ بدل من «إذ حضر» رد على اليهود

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٢١٢.

(٢) حجة القراءات: ١١٥.

(٣) تفسير البيضاوي ١: ١٩٠.

حين قالوا: إن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية أو: خطاب للمؤمنين، أي: ما شهدتم ذلك وإنما علمتموه من الوحي ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ أي شيء تعبدونه؟ و«ما» عام في كل شيء ما لم يُعْلَمْ، فاذا عُلِمَ وسئل عن تعيينه خُصَّ العقلاء [بـ«مَنْ»]،^(١) وإن سئل عن وصفه قيل: ما زيد أكتاب أم شاعر؟ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ عطف بيان لـ«آبائك». وعد «إسماعيل» منهم لأنَّ العمَ يسمى أباً، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم في العباس: «رَدُّوا عَلَيَّ أَبِي»^(٢) ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ بدل من «إله آبائك» للتصريح بالتوحيد، ورفع توهم ينشأ من تكرير المضاف، أو نصب على الاختصاص ﴿وَنَخُنُّ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ حال من فاعل «نعبد» أو مفعوله أو: منهما، أو: اعتراض.

[١٣٤] - ﴿تِلْكَ﴾ أي: إبراهيم ويعقوب وبنوهما ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ لكل جزاء عمله، لا ينتفع أحد بكسب غيره ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لا تؤاخذون بمعاصيهم، كما لا تثابون بطاعاتهم.

[١٣٥] - ﴿وَقَالُوا﴾ أي: أهل الكتاب ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ أي: قالت اليهود: كونوا هوداً، وقالت النصارى: كونوا نصارى ﴿تَهْتَدُوا﴾ جواب «كونوا». ﴿قُلْ﴾ بَلِّ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ أي: بل تتبع ملة إبراهيم، أو نكون أهل ملته ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الباطل إلى الحق، حال من المضاف إليه ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض بأهل الكتاب وغيرهم؛ إذ ادَّعوا اتباعه وهم مشركون.

[١٣٦] - ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ خطاب للمؤمنين ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ﴾ إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ﴿صحف إبراهيم﴾ فإنها منزلة إليهم؛ لأنهم متعبدون بما فيها - كما أن القرآن منزل إلينا.

(١) ما بين المعقوفين ليس في «الف» و«ب»، و«د».

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٣١٤ وتفسير الكشاف ١: ٣١٤.

والأسباط؛ حفدة «يعقوب» ذراري بنه الإثني عشر ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾ :
التوراة والإنجيل . وخصاً بالذكر لأنه إحتجاج على أهل الكتابين ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾
المذكورون وغيرهم ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ منزلاً منه ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ لا نؤمن ببعض
ونكفر ببعض كاليهود والنصارى ، وأضيف «بين» إلى «أحد» لعمومه في سياق النفي
﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾ : لله تعالى ﴿مُسْلِمُونَ﴾ : منقادون مخلصون .

[١٣٧] - ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ تبكيت لهم ؛ إذ لا مثل لما
آمن به المسلمون ، ولا دين كالإسلام . أو «الباء» للإستعانة لا صلة . أي : إن دخلوا
في الإيمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمتم بها . ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ : أعرضوا عن الإيمان
﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ : مخالفة للحق ، فهم في شق غير شقه ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾
وعد له صلى الله عليه وآله وسلم بالنصر عليهم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لدعائك ﴿الْعَلِيمُ﴾
بنيتك ، وهو مستجيب لك ، من تمام الوعد ، أو : وعيد للمعرضين ، أي : يسمع
أقوالهم ويعلم أعمالهم ، وهو معاقبهم .

[١٣٨] - ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لـ «آمناً» أي : صبغنا الله صبغةً - وهي : الفطرة
التي فطر الناس عليها - ، أو : هدايا دينه ، أو : طهرنا بالإيمان تطهيره .

سمّاها صبغة للمشاكلة ، فإنّ النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر
يسمونه المعمودية ، يجعلون ذلك تطهيراً لهم ومحققاً لنصرانيتهم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ
اللَّهِ صِبْغَةً﴾ لا صبغة أحسن من صبغته ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ عطف على «آمناً» .

[١٣٩] - ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا﴾ : تجادلوننا ﴿فِي اللَّهِ﴾ في أمره واصطفائه النبي
من العرب دونكم ؟ .

قال أهل الكتاب : «كلّ الأنبياء منّا ، فلو كنت نبياً لكنت منّا» فنزلت . ﴿وَهُوَ
رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ الكلّ عباده «يصيب برحمته من يشاء»^(١) ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ

(١) اقتباس من قوله تعالى : «نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين» (يوسف : ٥٦ / ٥٦) .

أَعْمَالُكُمْ فَإِنَّ الْعِبْرَةَ بِالْعَمَلِ، فكما أن لكم أعمالاً يعتبرها الله في منح الكرامة ومنعها، فنحن كذلك ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ موخّدون دونكم.

[١٤٠] - ﴿أَمْ يَقُولُونَ ^(١) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾ «أم» منقطعة، و«الهمزة» للإنكار، وقرأ «ابن عامر» «والكسائي»: بالتاء، ^(٢) فجاز كونها عديلة همزة «أتحاجوننا»، ^(٣) أي: أيّ الأمرين تأتون، المحاجة أم إدعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء؟ ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾ وقد قال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ ^(٤) وقال: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا بَعْدِهِ﴾ ^(٥) والمعطوفون عليه أتباعه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أظلم من أهل الكتاب: إذ؛ كتموا شهادة الله لإبراهيم بالحنيئية، ونفي مليتهم عنه.

أو: منا - لو كتمنا هذه الشهادة. وفيه تعريض بكتهم شهادة الله لمحمد بالرسالة في كتبهم. و«من» ابتدائية ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد لهم.

[١٤١] - ﴿بَلْ أَنْتُمْ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كرّر ^(٦) تأكيداً للزجر عن الإتكال على فضل الآباء، أو: أريد «بالأمة» - هناك -: الأنبياء و- هنا -: أسلاف أهل الكتاب.

[١٤٢] - ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾: الخفاف الأحلام، المنكرين تغيير القبلة - من اليهود أو المنافقين أو المشركين - . قدّم الإخبار به توطيئاً للنفس وإعداداً للرد:

(١) هذه قراءة «نافع» و«ابن كثير» و«أبو عمرو» و«أبو بكر» - كما في حجة القراءات: ١١٥ - والمثبت في المصحف الشريف بقراءة «حفص»: أم تقولون - بالتاء - .

(٢) هذا ما ذكره البياضوي في تفسيره ١: ١٩٤، ينظر حجة القراءات: ١١٥.

(٣) في الآية السابقة من هذه السورة.

(٤) سورة آل عمران ٣/ ٦٦.

(٥) سورة آل عمران ٣/ ٦٥.

(٦) في الآية ١٣٤ من هذه السورة.

﴿مَا وَلَا هُمْ﴾ : صرفهم ﴿عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ أي : بيت المقدس ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي : الأرض - كلها - ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو ما توجه به الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة إلى بيت المقدس ، وأخرى إلى الكعبة .

[١٤٣] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ : كما جعلناكم مهتدين ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ عدولاً أو خياراً .

قال الباقر عليه السلام : «نحن الأمة الوسط ، ونحن شهداء الله على خلقه ، وحجته في أرضه» .^(١)

وعن علي عليه السلام : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِيَّانَا عَنِ بَقُولِهِ : . . .»^(٢) ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ بأعمالهم المخالفة للحق في الدنيا وفي الآخرة ، أو : حجة عليهم تبيينون لهم الحق ، أو تشهدون للأنبياء على أفعالهم المنكرين لتبليغهم ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بما عملتم ، أو : حجة يبين لكم . أو : يشهد بعد التكم .

وعديت شهادته لهم بـ «علي» لأنه كالرقيب عليهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي﴾ ثاني مفعولي «جعلنا» أي : الجهة التي ﴿كُنْتُ عَلَيْهَا﴾ وهي بيت المقدس .

يعنى : إن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة ، وما جعلنا قبلتك بيت المقدس ، ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ نمتحن الناس فنميز ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ في الصلاة إليه ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ يرتد ألفاً لقبله آبائه ، أو ليتعلق علمنا به موجوداً أو ليعلم أولياؤه الرسول والمؤمنون وقيل : المراد : الكعبة ؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي بمكة إليها ،^(٣) ثم أمر بالصلاة إلى بيت المقدس ثم رُدَّ إليها بعد الهجرة .

والمعنى ما رددناك إلى ما كنت عليها إلا لنعلم الثابت على دينك ممن يرتد

(١) تفسير العياشي ١ : ٦٢ الحديث ١١٠ .

(٢) تفسير مجمع البيان ١ : ٢٢٤ .

(٣) تفسير الكشاف ١ : ٣١٨ .

لقلقه^(١) ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ التحويلة أو القبلة - و«إن» مخففة من الثقيلة - ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ ثقيلة، واللام فارقة^(٢) ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ بلطفه الى وجه الحكمة الثابتين على إتباع الرسول ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ ثباتكم على الإيمان، أو: إيمانكم بالقبلة المنسوخة، أو: صلاتكم اليها.

قيل: لما حوّلت القبلة قالوا: كيف بأعمالنا التي قبل التحويل، أو كيف بمن مات قبل ذلك من إخواننا، فنزلت^(٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ لا يضيع أجورهم، ولا يترك مصالحهم.

والرأفة أشد الرحمة ومدّ «ابن كثير» و«نافع» و«ابن عامر» و«حفص»: لرءوف، وقصره الباقون^(٤).

[١٤٤] - ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ تردده ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ في جهتيها ترقباً للوحي. كان صلى الله عليه وآله وسلم يتوقع أن يحوله ربه الى الكعبة لأنها قبلة أبيه ابراهيم، وأدعى للعرب الى اتباعه، ولمخالفة اليهود ﴿فَلَنُؤَلِّبَنَّكَ قِبْلَةً﴾ أي نمكّنك منها، أو نجعلك تلي سمتها ﴿تَرْضَاهَا﴾ تحبها لأغراض صحيحة وافقت حكمة الله تعالى ﴿قَوْلٌ وَجْهِكَ﴾ اجعل توليته ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ﴾ نحوه ﴿الْحَرَامِ﴾: المحرّم فيه القتال والممنوع عن تعرض الظلمة. والتعبير بـ«الشطر»، و«المسجد» دون «البيت» يفيد: أن البعيد يكفيه مراعاة الجهة لا البيت - كما هو للقريب -.

روي: أنه صلى الله عليه وآله صلى لبيت المقدس ثلاثة عشر شهراً، ستة بمكة وسبعة بالمدينة، فقالت اليهود: تبع قبلتنا فاغتم وانتظر الوحي، فأتاه جبرئيل وقد صلى من

(١) القلق: المضطرب والمنزعج والغير المستقر على الرأي.

(٢) أي: اللام هي لام الابتداء تدخل على خبر «إن» المخففة فتفيد الفرق بينهما وبين ان النافية.

(٣) تفسير التبيان ١١: ٢ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٢٥.

(٤) حجة القراءات: ١١٦.

الظهر ركعتين في مسجد «بنى سلمة» فأخذ بعضديه وحوله الى الكعبة، وأنزل عليه الآية، وتحول الرجال مكان النساء وبالعكس، فأتى الصلاة فسمي «مسجد القبليتين»^(١) ﴿وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ﴾ في أي مكان كنتم ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ خص الرسول بالخطاب ثم عمم تصريحاً بعموم الحكم ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أن التحويل إلى الكعبة ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ إذ في كتبهم أنه صلى الله عليه وآله وسلم يصلي الى القبليتين ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ وعد ووعد للحزبين. وقرأ «ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» بالتاء.^(٢)

[١٤٥] - ﴿وَلَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾: حجة على أحقية قبلك. و«اللام» موطئة للقسم، وجوابه: ﴿مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ وسد مسدّ جواب الشرط، أي: لم يتركوا اتباعك لشبهة تدفعها بالحجة، وإنما تركوه عناداً ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ﴾ حسم^(٣) لطمعهم إذ قالوا: لو ثبت على ديننا رجونا أن تكون صاحبنا الذي ننتظره؛ طمعاً في رجوعه ﴿وَمَا بَغْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَغْضٍ﴾ فإن اليهود تستقبل الصخرة، والنصارى: المشرق، وكل ثابت على قبلته لا يرجى توافقه كما لا يرجى موافقتهم لك ﴿وَلَيْتَ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فرضاً ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ﴾ بالوحي ﴿مِنْ الْعِلْمِ﴾: بيان الحق ﴿إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أكد الوعيد له لطفاً للسامعين، وتحذيراً عن اتباع الهوى، وتحريضاً على الثبات على الحق.

[١٤٦] - ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي: علماءهم ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بأوصافه ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ لا يشتبهون عليهم بغيرهم. أو الضمير للعلم، أو القرآن، أو تحويل القبلة ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

(١) انظر خلاصة الوفا بأخبار دارالمصطفى: ٣٩٢.

(٢) حجة القراءات: ١١٦.

(٣) حسم الشي: قطعه.

هم من لم يؤمنوا .

[١٤٧] - ﴿الْحَقُّ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ و«السلام» للعهد: إشارة الى ما عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أو: الحق الذي يكتُمونه، أو: للجنس: أي: الحق ما كان من ربك - كالذي أنت عليه -، لا ما ليس منه - كالذي عليه أهل الكتاب -، أو: «الحق» خبر لمحذوف، أي: هو الحق، والظرف حال أو خبر ثان ﴿فَلَا تُكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِرِينَ﴾: الشاكين في أنه من ربك، أو: في كتمانهم، والمراد: تحقق الأمر بحيث لا يشك فيه، أو: أمر الأمة بالنظر المزيل للشك، لانهيه صلى الله عليه وآله وسلم عنه؛ لاستحالة منه .

[١٤٨] - ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ لكل أهل ملة قبله، أو: لكل قوم من المسلمين جهة من الكعبة . والتثوين للعرض ﴿هُوَ مُوَلِّيَهَا﴾ وجهه، أو: الله - تعالى - مولئها إياه وقرأ «ابن عامر»: «مُؤَلَّاهَا»^(١) أي: مولى تلك الجهة ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ اسبقوا اليها غيركم، من أمر القبلة وغيرها ﴿أَيْنَمَا﴾ في أي موضع ﴿تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ﴾ الى المحشر ﴿جَمِيعًا﴾ من موافق ومخالف، مجتمع الأجزاء ومتفرقها .

وعن أهل البيت عليهم السلام: المراد بهم أصحاب «المهدي» عليه السلام^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه جمعكم .

[١٤٩] - ﴿وَمِنْ حَيْثُ﴾ من أي بلد ﴿خَرَجْتَ﴾ للسفر ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ في الصلاة ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وقرأ «ابوعمر»: «بالياء»^(٣) .

[١٥٠] - ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ

(١) حجة القراءات: ١١٧ .

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٢٢١ .

(٣) حجة القراءات: ١٧٧ .

فَقُولُوا وَجُوهَكُمْ شَظْرَةً ﴿١٥٠﴾ كَرَّرَ تَأْكِيداً لأَمْرَ الْقِبْلَةِ ، وَثَبِّتاً لِلْقُلُوبِ عَنْ فِتْنَةِ النَّسْخِ ﴿لَثَلَا يَكُونَنَّ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ عِلَّةٌ لـ «وَلَوْ» أَي : تَوَلَّيْتُمْ عَنْ الصَّخْرَةِ إِلَى الْكَعْبَةِ تَرَدُّ احْتِجَاجِ الْيَهُودِ : بِأَنَّ الْمَنْعُوتَ فِي التَّوْرَةِ قَبْلَتَهُ الْكَعْبَةُ ، وَالْمُشْرِكِينَ : بِأَنَّهُ يَخَالِفُ قِبْلَةَ «إِبْرَاهِيمَ» وَيَدَّعِي مِلَّتَهُ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ اسْتِثْنَاءُ مِنَ النَّاسِ ، أَي : لَثَلَا يَكُونَنَّ حُجَّةٌ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْمَعَانِدِينَ مِنَ الْيَهُودِ الْقَائِلِينَ : مَا تَحَوَّلَ إِلَى الْكَعْبَةِ إِلَّا مَيْلًا إِلَى دِينِ قَوْمِهِ ، وَحُبِّهِ لِبَلَدِهِ .

وَسَمَّى «حُجَّةً» لِسَوْقِهِمْ إِيَّاهُ مَسَاقِفَهَا ، أَوْ : مِنَ الْعَرَبِ الْقَائِلِينَ : رَجَعَ إِلَى قِبْلَةِ آبَائِهِ وَيُوشِكُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى دِينِهِمْ ، أَوْ : الْاسْتِثْنَاءُ لِلْمُبَالَغَةِ فِي نَفْيِ الْحُجَّةِ إِذْ لَا حُجَّةَ لِلظَّالِمِ ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ فَلَا تَخَافُوا ضَرَرَ مَطَاعِنِهِمْ ﴿وَإِخْشَوْنِي﴾ فَلَا تَخَالَفُوا أَمْرِي ﴿وَلَا تَمْنَعْنِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ عَطَفَ عَلَى «لَثَلَا» ، أَوْ عِلَّةٌ مُحذُوفٌ ، أَي : وَأَمَرْتُمْ لَاتِمَامِي النِّعْمَةِ عَلَيْكُمْ وَإِرَادَتِي اهْتِدَاءَكُمْ .

[١٥١] - ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ مُتَّصِلٌ بِسَابِقِهِ ، أَي : وَلَا تَمْنَعْنِي عَلَيْكُمْ بِالْقِبْلَةِ ، أَوْ : الثَّوَابُ كَمَا أَتَمَمْتُمُهَا بِإِرْسَالِ رَسُولٍ مِنْكُمْ ، أَوْ : بِلَا حَقِّهِ ، أَي : كَمَا ذَكَرْتُمْ بِإِرْسَالِهِ فَادْكُرُونِي ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يَعْرِفُكُمْ مَا تَكُونُونَ بِهِ أَزْكَيَاءَ ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ مِمَّا لَا سَبِيلَ إِلَى عِلْمِهِ إِلَّا الْوَحْيُ .

[١٥٢] - ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بِطَاعَتِي . وَفَتْحُ «ابْنِ كَثِيرٍ» الْبَاءُ ^(١) ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بِرَحْمَتِي ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ نِعْمَتِي ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بِجَعْدِهَا .

[١٥٣] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ عَلَى الْجِهَادِ أَوْ الطَّاعَاتِ ﴿بِالصَّبْرِ﴾ عَنِ الشَّوَاتِ ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ الدَّاعِيَةِ إِلَى الْحَسَنَاتِ ، وَالنَّاهِيَةِ عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بِالنَّصْرِ وَالتَّوْفِيقِ .

(١) الكشف عن وجوه القراءات : ٣٢٨ .

[١٥٤] - ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ أي: هم أموات ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ بل هم أحياء ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ كيف حياتهم.

قيل: الشهداء أحياء عند الله يعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والقرح، كما تعرض النار على أرواح «آل فرعون»^(١) فيصل إليهم الوجع.^(٢)
وعن الصادق عليه السلام: «إن أرواح المؤمنين في الجنة على صور أبدانهم، فلو رأيته لقلت فلان».^(٣)

وعنه عليه السلام: «أنها تصير في مثل قوالبهم ويعرفون القادم عليهم بصورته»^(٤)
وعلى هذا فتخصيص الشهداء لمزيد قريبهم من الله تعالى. ونزلت في شهداء «بدر» وكانوا أربعة عشر.

[١٥٥] - ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ نصيبكم إصابتهم المختبر لكم، أنصبرون على البلاء أم لا ﴿بِشَيْءٍ﴾ بقليل ﴿مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ قلل بالنسبة إلى ما فوقه ليخف عليهم ويريههم أن رحمته لا تنزائلهم، وأخبروا به قبل كونه ليوطنوا عليه أنفسهم ﴿وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ عطف على «شيء» أو «الخوف».

وقيل: الخوف: خوف الله، والجوع: الصوم، والنقص من المال: الزكاة.
ومن الأنفس: الأمراض، ومن الثمرات: موت الأولاد، لأنهم ثمرة القلب^(٥)
﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ خطاب للرسول ومن تتأتى منه البشارة.

[١٥٦] - ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ : نكبة ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ إقرار بالملك ورضى

(١) يراجع الآية ٤٦ من سورة الغافر.

(٢) تفسير مجمع البيان ٢٣٦: ١ وتفسير الكشاف ٣٢٣: ١.

(٣) نقله العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان ٣٦٤: ١ عن المحاسن.

(٤) نفس المصدر ٣٦٤: ١ عن الكافي.

(٥) تفسير الكشاف ٣٢٣: ١. وفي «الف» و«ب»: الزكوات بدل «الزكاة».

بالقضاء ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إقرار بالهلك، والبعث للجزاء.

[١٥٧] - ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ تنزيه وغفران منه. وجمعت إيداناً

بكثرة أنواعها، ويفيد: أن الصلاة ليست من خصائص النبي فيجوز أن يصلي على غيره بانفراده، فعلى آله بطريق أولى ﴿وَرَحْمَةً﴾ وإحسان.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبتها، وأحسن عقابه، وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه» ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ للحق في الاسترجاع والتسليم.

[١٥٨] - ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ جبلان بـ«مكة» ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: من أعلام

متعبداته. جمع: شعيرة، أي: علامة ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾ الحج - لغة -: القصد، والإعتمار: الزيارة، و - شرعاً -: قصد البيت، وزيارته على الوجهين المخصوصين ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: فلا حرج ﴿عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ يسعى بينهما، وأصله: «يتطوف» فادغم. كان عليهما صنمان يمسحهما أهل الجاهلية إذا سعوا، فلما كسرا تحرج المسلمون من السعي لذلك، فنزلت (١).

وهو واجب في الحج والعمرة بالنسبة وإجماع الطائفة، ولا ينافية نفى الجناح، والمخالفون بين موجب له ومستحب ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ تبرع به زيادة على الواجب من حج أو: عمرة، أو: غيره، أو: الأعم، أو: من فعل طاعة من فرض أو نفل. وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: يَطُوعُ (٢) وأصله «يتطوَّع» فادغم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ مجاز على ذلك ﴿عَلِيمٌ﴾ به.

[١٥٩] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ من أهل الكتاب - أو: الأعم - ﴿مَا أَنْزَلْنَا مِنْ

الْبَيِّنَاتِ﴾: الدلائل على أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم - أو الأعم - ﴿وَالْهُدَى﴾ ما

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٢٤٠، وتفسير الكشاف ١: ٢٢٣.

(٢) حجة القراءات. ١١٨.

يَهْدِي إِلَى جُوبِ اتِّبَاعِهِ ، أَوْ إِلَى الْحَقِّ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ : التَّوْرَةُ
أَوْ : الْإِنْجِيلُ أَوْ : الْأَعْم . وَ«الْإِلَامُ» لِلْجِنْسِ ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ يَبْعَدُهُمْ عَنْ رَحْمَتِهِ
﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ مَنْ يَتَأْتَى مِنْهُمْ اللَّعْنُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالثَّقَلَيْنِ يَدْعُونَ عَلَيْهِمْ بِهِ .

[١٦٠] - ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ عَنْ الْكُتْمَانِ وَسَائِرِ الْمَعَاصِي ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ مَا
أَفْسَدُوا ، أَوْ : نِيَّتُهُمْ ﴿وَيَتَّبِعُوا﴾ مَا كَتَمُوا ، أَوْ التَّوْبَةَ ؛ لِيَعْرِفُوا بِضَدِّ مَا عَرَفُوا بِهِ ﴿فَأُولَئِكَ
أُتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ بِالْقَبُولِ ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ : الْبَالِغُ فِي الْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ الْغَايَةِ .

[١٦١] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنَ الْكَاتِمِينَ وَغَيْرِهِمْ ﴿وَمَا تَوْأَاهُمْ كُفْرًا﴾ أَي لَمْ يَتَرَبَّعُوا
﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(١) قِيلَ : الْأَوَّلُ لَعْنُهُمْ أَحْيَاءً ،
وَهَذَا لَعْنُهُمْ أَمْوَاتًا .^(٢)

[١٦٢] - ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ : فِي اللَّعْنَةِ ، أَوْ : النَّارِ - وَأُضْمِرْتَ تَهْوِيلًا ، أَوْ لِدَلَالَةِ
اللَّعْنِ عَلَيْهَا - ﴿لَا يَخَفُّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ نَظَرَةٌ رَحْمَةٌ ، أَوْ : لَا
يَمْهَلُونَ لِيَعْتَذَرُوا .

[١٦٣] - ﴿وَالْهُكْمُ﴾ الْمُسْتَحَقُّ مِنْكُمْ لِلْعِبَادَةِ ﴿إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي
الْإِلَهِيَّةِ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ تَقْرِيرٌ لِلْوَحْدَانِيَّةِ بِنَفْيِ غَيْرِهِ وَإِثْبَاتِهِ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ الْمَوْلِيُّ
لِجَمِيعِ النِّعَمِ أَصُولُهَا وَفُرُوعُهَا ، وَمَا سِوَاهُ إِمَّا نِعَمٌ أَوْ مَنَعَمٌ عَلَيْهِ ، فَلَا مُسْتَحَقَّ
لِلْعِبَادَةِ غَيْرِهِ . قِيلَ : «لَمَّا سَمِعَهُ الْمُشْرِكُونَ قَالُوا : إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأْتِ بِآيَةٍ
تَصَدِّقُكَ» فَزَلَّتْ .^(٣)

[١٦٤] - ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ إِعْتِقَابُهُمَا^(٤)

(١) وَهُوَ لَعْنُهُمْ فِي آيَةِ ١٦٠ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ .

(٢) ذَكَرَهُ الْبَيْضاوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ١ : ٢٠٣ .

(٣) تَفْسِيرُ الْكُشَافِ ١ : ٣٢٥ .

(٤) فِي «ط» تَعَاقِبُهُمَا .

كل يخلف الآخر ﴿وَالْفُلْكِ﴾ السفن ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾
 ينفعهم، أو: بالذي ينفعهم، والإستدلال بأحوالها، وبالبحر وعجائبه ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
 مِنَ السَّمَاءِ﴾: من السحاب، أو: ما فوقه، و«من» للإبتداء ﴿مِنْ مَّاءٍ﴾ بيان لـ«ما»
 ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بالنبات ﴿وَبَثَّ﴾: فرق ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ عطف
 على «أنزل» أي: وما بث.

أو: على «فأحيا» أي: وبث بالمطر من الدواب، لأنهم ينمون بالخصب.
 و«من» للبيان، أو للتبعض. ﴿وَتَضْرِيفِ الرِّيَّاحِ﴾: تقلبيها في مهايتها وأحوالها.
 وأفردها «حمزة» و«الكسائي». ^(١) ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾ للرياح تقلبه ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ﴾ بمشيئة الله تعالى ﴿لَايَاتٍ﴾ دلائل على وجود الإله، ووحدته، وعلمه،
 وقدرته، ولطفه، وحكمته، وسعة رحمته من وجوه شتى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: ينظرون
 فيها بعيون عقولهم.

[١٦٥]- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ من الأصنام أو الرؤساء الذين
 يتبعونهم ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ يعظمونهم ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾ كتعظيمه، أي يسوون بينه وبينهم في
 محبتهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ لأنهم لا يعدلون عنه الى غيره، والمشركون
 يعدلون عن أندادهم الى الله تعالى عند الشدائد، وعن صنم الى آخر ﴿وَلَوْ يَرَى﴾
 يعلم ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالشرك ﴿إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ﴾: حين يبصرونه في القيامة ﴿أَنَّ
 الْقُوَّةَ﴾: القدرة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ مغني عن مفعولي «يرى»، وجواب «لو» محذوف أي
 ندموا أي ندم. وقرأ «ابن عامر» و«نافع»: «ولو ترى» ^(٢) على الخطاب للرسول،
 أي: ولو ترى ذلك لرأيت امرأ عظيمًا، و«ابن عامر»: «إِذْ يُرَوْنَ» ^(٣) مبنياً
 للمفعول، و«يعقوب»: «إِنَّ» - بالكسر -، وكذا: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾

(١) حجة القراءات: ١١٨.

(٢) حجة القراءات: ١١٩.

(٣) حجة القراءات: ١٢٠.

- على الاستئناف - .^(١)

[١٦٦] - ﴿إِذْ تَبَرَأَ﴾ أي إذ تبرأ المتبرئون، بدل من «إذ يرون» ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ الرؤساء ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ من الاتباع ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ حال باضممار «قد» ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ الوصل التي كانت بينهم من مودة، أو: قرابة، أو: إتباع، أو: عهد، وهو عطف على «تبرأ».

[١٦٧] - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾: الاتباع ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ ليت لنا عودة الى الدنيا ﴿فَنَتَّبِرَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ﴾ الإراء الفطيع ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ ندامات، مفعول ثالث لـ «يرى» ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ عدل عن «وما يخرجون» إليه؛ مبالغة في الخلود وإقناظاً من الكرة.

[١٦٨] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ بعضه . نزلت في قوم حرّموا على أنفسهم من الحرث والأنعام ﴿حَلَالًا﴾: مباحاً، مفعول «كلوا» أو: صفة مصدر محذوف، أو: حال من «ما» ﴿طَيِّبًا﴾: مستلذذاً، أو: طاهراً من الشبهة ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: لا تقتدوا به، فتحرموا حلالاً، وتحللوا حراماً. وسكن «الطاء» «نافع» و«ابوعمر» و«حمزة».^(٢)

والخطوة: ما بين قدمي الماشي ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: ظاهر العداوة، لأنه أظهرها بدعائه لكم الى المعاصي.

[١٦٩] - ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ بيان لعداوته، وتحريم اتّباعه . وأمره: تزيينه ودعاؤه لهم الى الشر، والسوء: القبيح، أو: ما لا حدّ فيه، والفحشاء: ما تجاوز الحد في القبح، أو: ما فيه حد^(٣) ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ كإدعاء

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٨.

(٢) حجة القراءات: ١٣٠.

(٣) أي من الحدود الشرعية، كالجلد والرجم.

الأنداد والأولاد له، وتحريم حلاله، وبالعكس، والافتراء عليه، ومنه: الفتوى والقضاء بغير دليل.

[١٧٠] - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ الضمير للناس، وعدل عنهم للمخاطب لبيان ضلالهم بالالتفات، كأنه قيل للعقلاء: انظروا إلى هؤلاء الحمقاء ماذا يقولون ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾: وجدنا ﴿عَلَيْنَا آيَاتُنَا﴾ نزلت في المشركين، أو: اليهود ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْزِلُونَ شَيْئًا﴾ من الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ للحق وفيه ذم التقليد للقادر على النظر.

[١٧١] - ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ فيه حذف مضاف، أي: مثل داعي الذين كفروا كمثل الناعق، أو: مثل الذين كفروا كبهائم الناعق، والمعنى: مثل داعيهم إلى الإيمان في عدم تأملهم فيما يتلى عليهم كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع إلا تصويته، ولا تفهم معناه ﴿صُمُّ بِكُمْ عَمِّي﴾ خبر محذوف، وفيه ذم ﴿فَهُمْ لَا يَعْزِلُونَ﴾ لتركهم النظر.

[١٧٢] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ من مستلذاته أو حلاله. والإضافة بيانية؛ إذ لا يكون الرزق إلا الحلال، فيفيد المنع من أكل الحرام كالضار والنجس وكل خبيث ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ الذي رزقكموها ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيسَاءً تَعْبُدُونَ﴾: تخصونه بالعبادة، وتقرون أنه المنعم، فإن العبادة لا تتم إلا بالشكر.

[١٧٣] - ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ أكلها، أو: الإنتفاع بها. وهي: ما مات بغير تذكية شرعاً - ولو بإخراج المسلم السمك من الماء حياً، وأخذة الجراد حياً - ﴿وَالدَّمَ﴾ مطلقاً إلا ما خرج بدليل - كالمختلف في الذبيحة - ولا يقيد بالمسفوح لآية: ﴿أَوْ ذِمًّا مِسْفُوحًا﴾^(١) لعدم المنافاة؛ إذ لا حجية لمفهوم الوصف ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ خص لحمه - وجملته حرام - لأنه المعظم ﴿وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغير الله﴾ أي: رفع

(١) سورة الانعام: ١٤٥/٦.

به الصّوت للصّئم عند ذبحه، أو: ما لم يُسمَّ الله عليه - سَمِيَ غيره أم لا - ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ إلى أكل هذه. وكسر النون «عاصم» و«ابو عمرو» و«حمزة» وضمتها الباهون^(١) ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ اللّذة، أو: على الإمام ﴿وَلَا عَادٍ﴾ حدّ الضرورة، أو بقطع الطريق ﴿فَلَا إِثْمَ﴾ لا حرج ﴿عَلَيَّ﴾ في أكله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمعاصي، فكيف رخصه؟^(٢) ﴿رَحِيمٌ﴾ بالتوسعة على عباده. والحصر بالاضافة الى ما حرّمه على أنفسهم، أو حين نزول الآية، فلا ينافيه تحريم أمور آخر بعدها.

[١٧٤] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ - من اليهود - ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ : التوراة في نعت محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا﴾ : عوضاً ﴿قَلِيلًا﴾ من حطام الدنيا ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ : ملؤها، يقال: أكل في بطنه، وفي بعض بطنه ﴿إِلَّا النَّارَ﴾ في الحال؛ لأنه يؤذيهم اليها، فكأنهم آكلوها، أو: المال، أي: يأكلونها في جهنم ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ بما يحبون ولكن بنحو: ﴿اِخْسَتُوا فِيهَا﴾،^(٣) أو عبر به عن غضبه ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ بالثناء عليهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ : مؤلم.

[١٧٥] - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ الكفر بالإيمان ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ إذ كتموا الحق للرشا ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ تعجيب من التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة.^(٤)

[١٧٦] - ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿اللَّهُ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ فكتموه وكذبوه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ : القرآن، فقالوا: سحر وتقول، وتعليم

(١) حجة القراءات: ١٢٢.

(٢) أي فكيف لا يكون غفوراً في ما رخص. ووردت الكلمة في «الف» هكذا: مرخصه.

(٣) سورة المؤمنون: ٢٣/١٠٨.

(٤) في النسخ: بلامبالاة.

بشر، وأساطير الأولين، أو: كتب الله فآمنوا ببعض، وكفروا ببعض، أو: التوراة والإنجيل. و«اختلفوا» بمعنى: تخلّفوا عن الحق في تأويلها ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿يَعِينِدُ﴾ عن الحق.

[١٧٧] - ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾^(١) وهو الفعل المرضي ﴿أَنْ تُؤَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ الخطاب لأهل الكتاب؛ إذ أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حولت وزعم كل فريق أن البرّ التوجّه إلى قبلته، فقبل لهم: ليس البرّ ما أنتم عليه، أو يعتمهم والمسلمين أي: ليس كل البرّ أمر القبلة. ونصب «حمزة» و«حفص»: «البرّ» خبراً-^(٢) ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ الذي يهتم به برّ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ أو لكنّ ذا البرّ من آمن ﴿بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ صدق بالمبدأ والمعاد ﴿وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾ جنسه، أو القرآن. وخفف «نافع» و«ابن عامر»: «لكن»، ورفع: «البرّ»^(٣) ﴿وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ﴾ أعطاه ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ حال، أي مع حبّ المال كما روي:

«أن أفضل الصدقة أن تعطيه وأنت صحيح شحيح، تأمل العيش، وتخشى الفقر»^(٤) أو: حبّ الله، أو: الإيتاء ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾ للمعطي أو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو المروي عن الصادقين عليهما السلام^(٥) ﴿وَالْيَتَامَى﴾: المحاويج منهم ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾: من لم يجدوا نفقة السنة ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: المسافر المنقطع به، سمّي: ابنه؛ للملازمة، وقيل: الضيف.^(٦) ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾: من ألجأهم الفقر إلى السؤال ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ في ابتياعها لعتقها، أو فكّها بمعاونة المكاتبين ﴿وَأَقَامَ

(١) في المصحف الشريف بقراءة «حفص»: «البرّ» كما يشير إليه المؤلف.

(٢) حجة القراءات: ١٢٣.

(٣) حجة القراءات: ١٢٣.

(٤) بحار الأنوار ٩٣: ١٧٨ و ١٨٢.

(٥) تفسير البرهان ١: ١٧٥ وكنز العرفان ١: ٢٢٠.

(٦) قاله ابن عباس وقتادة وابن جبير - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٢٦٢.

الصَّلَاةُ ﴿بِحُدُودِهَا﴾ ﴿وَعَاتَى الزَّكَاةَ﴾ المفروضة، فدأتى المال» يحتمل أن يراد به: المندوبة، ويؤيده تفسير: «ذوي القربى» بقرابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

أو: المفروضة، ويكون لبيان المصروف، وهذا للحث عليها ﴿وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ عطف على «من آمن» ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ نصب على المدح ﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾: الفقر ﴿وَالضَّرَاءِ﴾: المرض ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾: وقت القتال ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ الله فيما قبلوا منه وعاهدوه ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ بفعلهم النار.

قال أصحابنا: المعنى بالآية «أمير المؤمنين عليه السلام»؛ إذ لم يجمع هذه الخصال غيره بالإجماع. ^(١)

[١٧٨] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ﴾: فرض ﴿عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ﴾: التعويض ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ بأن يفعل بالقاتل عمداً ما فعل بالمقتول، أي: ليس له الإمتناع إذا اختار الولي ذلك، فلا ينافيه جواز أخذ الدية، والعفو بلا شيء.

روي أنه كان في الجاهلية بين حيين دماء، وكان لأحدهما طول على الآخر، فأقسموا لنقتلن الحرّ منكم بالعبد، والذكر بالأنثى، فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت، وأمرهم أن يتساووا أي يتكافئوا ^(٢) ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ يقتصر به ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ مفهومه: نفي قتل الحرّ بالعبد، وبالعكس، والذكر بالأنثى وبالعكس، ولا حجة لمفهوم الوصف، لكن ثبت بدليل آخر منع قتل الحرّ بالعبد.

ويعضده: سبب النزول وجواز قتل الذكر بالأنثى، مع أداء نصف ديته وكذا عكسه، وقتل العبد بالحرّ. وقد يفهمان من الآية أيضاً للأولوية. وقيل: نسخ مفهومها

(١) تفسير التبيان ٢: ٩٩ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٦٤.

(٢) رواه البيضاوي في تفسيره ١: ٢١٣-٢١٤.

بآية: ﴿النَّفْسُ بِالنَّفْسِ﴾^(١) فيقتل الحرّ بالعبد والذكر بالأنثى.^(٢) وردّ بأنه حكاية ما في التّوراة، وبمنع عمومته، وبأولوية التّخصيص. هذا على القول بمفهومها، وأمّا على قولنا من عدم اعتبار المفهوم فلا حاجة إلى النسخ ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾: ترك له ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ من دم أخيه المقتول ﴿شَيْءٌ﴾ وضميراً «له» و«أخيه» لـ «مَنْ» وهو: القاتل، وقيل: أراد بالأخ وليّ الدم،^(٣) سمّي أخاه ليعطف عليه بالعفو أو قبول الدية. واحتجّ الطبرسي بقوله: «شيء» على سقوط القود بعفو بعض الأولياء.^(٤) ولا يعلم له موافق من الأصحاب، والمشهور بينهم خلافه، فجوّزوا القود للبعض لكن يؤدي حصص الرّاضين بالدية إليهم، وبالعفو إلى الولي، والأخبار في ذلك مختلفة. وقيل المعنى: «فمن عفي له من جهة أخيه شيء من العفو» لأنّ عفا الشيء - بمعنى: تركه - لم يثبت، بل أعفاه، فيكون إشارة إلى أنّ بعض العفو كالعفو التام في إسقاط القود^(٥) ﴿فَاتَّبَاعٌ﴾ فعلى العاصي إتباع ﴿بِالْمَقْرُوفِ﴾ أي: لا يشدّد في الطلب ﴿وَأَدَاءٌ﴾ أي: على المعفو عنه أداء ﴿إِلَى﴾: إلى الولي ﴿بِإِحْسَانٍ﴾: الدّفع - مع القدرة - بلا مظل ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى جميع ما تقدّم ﴿تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ إذ خيركم بين القصاص والدية والعفو. وكان على اليهود: القصاص - فقط -، وعلى النصارى: العفو أو الدية ﴿فَمَنْ اغْتَدَى بِكَ﴾ قتل بعد قبول الدية، أو العفو - وهو المروي عن الصادقين عليهما السلام -^(٦) وقيل: قتل غير قاتله^(٧) ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة أو في الدّنيا بالقصاص.

(١) وهي الآية ٤٥ من سورة المائدة.

(٢) كنز العرفان ٢: ٣٥٥.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٢٦٥.

(٤) ذكر هذا البيضاوي في تفسيره ١: ٢١٤.

(٥) تفسير العياشي ١: ٧٦ الحديث ١٦٢ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٦٦.

(٦) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ١٥٨.

[١٧٩] - ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ إيجاز حوى الفصاحة والبلاغة بجعل القصاص وهو ضد الحياة ظرفها، وتعريفه وتنكيرها لإفادة أن في هذا الجنس من الحكم حياة عظيمة، إذ العلم بالإقتصاص يردع القاتل عن القتل، فيكون سبب حياة نفسين؛ ولأنهم كانوا يقتلون غير القاتل، والجماعة بالواحد، فتثور الفتن بينهم، فإذا اقتصر من القاتل يسلم الباقيون فيصير ذلك سبباً لحياتهم ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾: ذوي العقول. نودوا للتفكير في حكمة القصاص من حفظ النفوس ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ القتل خوفاً من القصاص.

[١٨٠] - ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: ظهرت أسبابه وأماراته ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾: مالا كثيراً؛ لما روي عن علي عليه السلام: أنه دخل على مولى له، وله سبعمائة درهم أو ستمائة فقال: ألا أوصي؟ فقال: لا، إنما قال الله سبحانه: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ وليس لك كثير مال.^(١)

وقيل: مطلق المال،^(٢) وهو الموافق لعدم تقييد الأصحاب بالكثير، ويمكن الجمع: بالتفصيل بوجود الوارث المحتاج وعدمه. ﴿الْوَصِيَّةُ﴾ مرفوع بـ «كتب» وتذكيره بتأويل: «أن توصوا»، ولهذا ذكر الراجع في «بذله»، ولللفصل ﴿لِلَّذِينَ وَالِ الْأَقْرَبِينَ﴾ قيل: كانت الوصية للوارث في بدء الإسلام واجبة، فنسخت بآية الموارد،^(٣) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، أَلَا لَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ».^(٤)

ورد بأن آية الموارد لا تنافيها بل تؤكدُها؛ لقوله: «من بعد وصية»، ولو سلم

(١) رواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ١٦٧.

(٢) قاله الزهري - كما في تفسير مجمع البيان ١: ١٦٧.

(٣) رواه العياشي في تفسيره ١: ٧٧ الحديث ١٦٧.

(٤) تفسير الكشاف ١: ٣٣٤.

فنسخ الوجوب لا يرفع الجواز، والخبر - لو سلم صحته - فأحاد لا ينسخ الكتاب، ويحمل على تجاوز الثلث، والآية وإن ظهرت في الوجوب لكنها حملت على النّدب - للإجماع على عدم الوجوب -، والحكم باق؛ لما مرّ وأصالة عدم النسخ والأخبار.

«سئل الباقر عليه السلام: هل تجوز الوصية للوارث؟ فقال: نعم، وتلا هذه الآية^(١)

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالعدل. فلا يتجاوز الثلث ولا يفضل الغني، ولا يضرّ بالوارث ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ مصدر مؤكد، أي: حقّ ذلك حقاً.

[١٨١] - ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾: غير ذلك الإيصاء ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾ وتحققه ﴿فَإِنَّمَا

إِثْمُهُ﴾ فما إثم التبديل إلا ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ لأنهم الذين حافوا^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وعيد للمبدل.

[١٨٢] - ﴿فَمَنْ خَافَ﴾: توقع وعلم ﴿مِنْ مُّوَصٍّ﴾. وشدّده «حمزة»

و«الكسائي»^(٣) ﴿جَنَفًا﴾: ميلاً عن الحق في الوصية خطأ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ تعمداً للحيث ﴿فَأُصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بالرد إلى الحق ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في تبديل الباطل إلى الحق بخلاف العكس ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمذنب ﴿رَحِيمٌ﴾ به، فكيف المصلح المستحق للأجر.

[١٨٣] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ﴾: فرض ﴿عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ﴾ هو - لغة -:

الإمساك، و - شرعاً - : الإمساك المخصوص ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ مثل كتابته ﴿عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: الأنبياء والأمم من لدن «آدم».

وفيه ترغيب وتطبيب للنفوس. والتشبيه في أصل الصوم، وقيل في العدد

(١) تفسير العياشي ١: ٧٦ الحديث ١٦٤.

(٢) حافوا، من الحيف وهو: الميل في الحكم والظلم والجور، وفي اليبضاوي ١: ٢١٥ فما اثم الإيصاء المغيّر أو التبديل الأعلى مبدله لانه هو الذي حاف وخالف الشرع.

(٣) في «الف» زيادة: «ويعقوب وابوبكر». ينظر حجة القراءات: ١٢٤.

والوقت،^(١) كما روي: أَنَّ رَمَضَانَ كَتَبَ عَلَى النَّصَارَى فَوْقَ فِي حَرٍّ أَوْ بَرْدٍ شَدِيدٍ فَحَوَّلُوهُ إِلَى الرَّبِيعِ، وَزَادُوا عَلَيْهِ عَشْرِينَ كَفَّارَةً لِتَحْوِيلِهِ^(٢) ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بِهِ الْمَعَاصِي فَإِنَّهُ يَقْمَعُ الشَّهْوَةَ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «خِصَاءُ أُمَّتِي الصُّومِ»^(٣).

[١٨٤] - ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ محصورات، أو: قلائل. ونصبها بـ«الصَّيَامِ» وإن وجد الفصل، إذ الظرف تكفيه الرائحة،^(٤) وهي: رمضان.^(٥)

وقيل: عاشورا، وثلاثة أيام من كل شهر، ثم نسخ وجوبها به،^(٦) والأصح: الأول. لأصالة عدم التَّسْحِ فلا يثبت إلا بدليل، وليس^(٧) ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا﴾ بحيث يضرَّبه الصُّومُ ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾: راكب سفرٍ ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فعليه صوم عدَّة أيام المرض أو السفر ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ جمع أخرى، ولم ينصرف للوصف والعدل، وهو صريح في الوجوب، ودعوى: أنه رخصة، وإضمار: «فأفطر» خلاف الظاهر، ولا دليل عليه ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ قيل: كان القادرون على الصُّوم مخيرين بينه وبين الفدية ثم نسخ بقوله ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾^(٨) وقيل: غير منسوخ بل المراد به الحامل المقرب والمرضع القليلة اللبن.

ومن كان يطيقه ثم أصابه كبر أو عطاش^(٩) فصار بحيث لا يطيقه إلا بمشقة،

(١) تفسير القرطبي ٢: ٢٧٤.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٢٧١ وتفسير القرطبي ٢: ٢٧٤.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٢٧٢.

(٤) أي: رائحة الفعل كما هو مسطور في كتب النحو.

(٥) أي: الأيام المعدودات.

(٦) قاله قتادة - كما في تفسير مجمع البيان ١: ١٧٣ - ومثله في تفسير التبيان ٢: ١١٧ وكنتز العرفان ١: ٢٠١ وتفسير الكشاف ١: ٣٣٤.

(٧) أي: لا يوجد الدليل على ثبوت النسخ.

(٨) الآية ١٨٥ من هذه السورة.

(٩) في «ط»: عطش وعليه فلا بد أن يكون العطش بحيث يصير المكلف به مشرقاً على الموت.

وهو المروي عن أهل البيت عليهم السلام ^(١) ﴿طَعَامُ مُسْكِينٍ﴾ لكل يوم مدّ للقادر. وأضاف «نافع» و«ابن عامر» «فدية» إلى طعام وجمعا: «المساكين»، وأفرده الباقون، ولم يضيفوا فدية ^(٢) ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فزاد في الفدية، أو على الواحد ﴿فَهُوَ﴾ فالتطوع أو: الخير ﴿خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من الفدية، والظاهر اشتراطه بعدم ضرر يوجب اضرار المطوقين ^(٣) ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما في الصوم من الفضيلة والمصالح، أي: لاخترتموه، أو إن كنتم من أهل العلم والتمييز علمتم أنه خير لكم، فالجزاء محذوف.

[١٨٥] - ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ خبر لمحذوف، أي: الأيام المعدودات، أو: مبتدأ خبره «الذي»، أو هو صفته والخبر «فمن شهد»، و«رمضان» مصدر رمض أي: احترق، سمي به مضافاً إليه الشهر، ومفرداً - كما ورد: «من صام رمضان» - ^(٤)، فالتنهي عن إفراذه للكرهية. ^(٥)

وتسمية الشهر به لوقوعه في رمض الهواء بالشمس، أي: حرارته، أو: لارتماضهم فيه من الجوع والعطش، أو: لارتماض الذنوب فيه. ومنع صرفه للعلمية والألف والنون. ﴿الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ جملة إلى سماء الدنيا، ثم نجوماً إلى الأرض، أو: إبتدأ إنزاله فيه، أو: انزل في شأنه ﴿هُدًى﴾: هادياً ﴿لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾: آيات واضحة ﴿مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾: مما يهدي إلى الحق ويفرق بينه وبين

(١) تفسير العياشي ١: ٧٨ الحديث ١٧٦ وكنز العرفان ١: ٢٠٣.

(٢) حجة القراءات: ١٢٤.

(٣) في «الف» و«ط»: المطوعين.

(٤) مستدرک الوسائل / كتاب الصوم / الباب الرابع من ابواب الصوم المندوب، الحديث ٧، وكذا في الباب ٢٦ الحديث ٦.

(٥) ورد التنهي عن افراذه في الكافي ٤: ٦٩ - كتاب الصيام باب التنهي عن قول: «رمضان» الحديث ١٠٣.

الباطل ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ حضر الشهر غير مسافر ولا مريض ﴿مِنْكُمْ الشَّهْرَ﴾ كله أو بعضه . ونصبه على الظرف كالضمير في ﴿فَلْيُصِمْهُ﴾ أي : فليصم فيه ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ كرر تأكيداً لوجوب الإفطار والقضاء . ولا يفيد وجوب التتابع ، وقراءة «متابعة» شاذة لا عمل بها ، والظاهر الإستحباب ومستمر المرض إلى رمضان آخر يكفر عن كل يوم بمد ولا قضاء عليه — على الأظهر — .
للاخبار الصحيحة فتخصص الآية . ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ﴾ في جميع أموركم ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ فلذلك أمركم بالإفطار في السفر والمرض ولم يكلفكم الصوم ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ علة الأمر بمراعاة عدة ما أفطر فيه . وشدد «ابو بكر» : «تُكْمِلُوا» .^(١) ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ علة لتعليم كيفية القضاء ، أي : لتعظموه بالثناء عليه على هدايتكم إلى العلم بكيفية العمل ، أو : على الذي هداكم اليه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ علة اليسر وإسقاط الصوم ، ففيه لف ونشر ، أو : الكل معطوف على علة مقدرة ، مثل : ليسهل عليكم وتكملوا .

[١٨٦] - ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ أي : فقل لهم : إني عليم

بأحوالهم ، سميع لدعائهم كما يسمع القريب كلام مناجيه . مثل كمال علمه بهم بحال من قرب مكانه منهم ، .

روي أن أعرابياً قال للرسول صلى الله عليه وآله وسلم : أقریب ربنا فتناجيه أم بعيد فتناديه ؟ ، فنزلت^(٢) ﴿أَجِبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ تقرير للقرب ، ووعد للداعي بالإجابة — عاجلاً أو آجلاً — بما سأل ، أو : بما هو خير منه بحسب المصلحة إذا وقع الدعاء بشروطه . واثبت «ورش» و«أبو عمرو» «الياء» — فيهما — وصلاً^(٣) ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا

(١) حجة القراءات : ١٣٦ .

(٢) رواه الحسن — كما في تفسير التبيان ٢ : ١٢٩ وتفسير مجمع البيان ١ : ٢٧٨ .

(٣) حجة القراءات : ١٣٦ .

لي ﴿إِذَا دَعَوْتَهُمْ لِلْإِيمَانِ وَالطَّاعَاتِ كَمَا أَجِيبُهُمْ إِذَا دَعَوْنِي لِحَوَائِجِهِمْ﴾ وَلْيُؤْمِنُوا بِي ﴿أَمْرٌ بِإِحْدَاثِ الْإِيمَانِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ، أَوْ بِالتَّصَدِيقِ بِقُدْرَتِهِ عَلَى الْإِجَابَةِ. وَفَتْحُ «وَرَش» الْيَاءُ^(١) ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: رَاجِعِينَ إِصَابَهُ الْحَقِّ.

[١٨٧] - ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ الَّتِي يَصْبِحُ مِنْهَا صَائِماً ﴿الرَّقْتُ﴾ أَصْلُهُ: الْقَوْلُ الْفَاحِشُ، فَكُنِّي بِهِ عَنِ الْجَمَاعِ، لِأَنَّهُ مِنْ لَوَازِمِهِ ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ عَذِي بِ«إِلَى» لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى الْإِفْضَاءِ. وَإِثَارُهُ هُنَا اسْتِهْجَاناً لِمَا ارْتَكَبُوهُ كَمَا سَمَّاهُ: خِيَانَةً.^(٢)

عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كَانَ الْأَكْلُ مُحَرَّماً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ بِاللَّيْلِ بَعْدَ النَّوْمِ وَكَانَ النِّكَاحُ حَرَاماً بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقَالُ لَهُ «مَطْعَمُ بْنُ جَبِيرٍ» نَامَ قَبْلَ أَنْ يَفْطُرَ، وَحَضَرَ «الْخَنْدَقُ» فَاعْمَى عَلَيْهِ وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الشُّبَابِ يَنْكَحُونَ بِاللَّيْلِ سَرّاً، فَنَزَلَتْ^(٣) ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ اسْتِثْنَاءٌ يَبَيِّنُ سَبَبَ الْإِحْلَالِ وَهُوَ صَعُوبَةُ الصَّبْرِ عَنْهُنَّ لَشِدَّةِ الْمَلَابَسَةِ وَالْمَخَالَطَةِ - الَّتِي هِيَ وَجْهٌ تَمَثِيلٌ كُلُّ مَنِهَا بِاللَّبَاسِ لِصَاحِبِهِ - . وَقِيلَ: وَجْهُهُ سِتْرُ كُلِّ حَالٍ صَاحِبِهِ وَمَنْعُهُ عَنِ الْفُجُورِ^(٤) ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ بِالْمَعْصِيَةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْعِقَابِ.

وَالِاخْتِيَانُ أَبْلَغُ مِنَ الْخِيَانَةِ - كَالْكَتْسَابِ - مِنَ الْكَسْبِ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قَبْلَ تَوْبَتِكُمْ عَنْ ذُنُوبِكُمْ ﴿وَعَفَا﴾: مَحَاهُ ﴿عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ لِمَا رَفَعَ التَّحْرِيمَ عَنْكُمْ. وَالمُبَاشَرَةُ: كُنَايَةُ عَنِ الْجَمَاعِ ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وَاطْلُبُوا مَا قَدَرَهُ لَكُمْ مِنَ الْوَلَدِ؛ إِذْ حِكْمَةُ شَرَعِ النِّكَاحِ: التَّنَاسُلُ لَا مَجْرَدَ قِضَاءِ الْوَطَرِ.^(٥)

(١) حجة القراءات: ١٢٦.

(٢) فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَسَيَذْكُرُهُ بَعْدَ سَطُورٍ.

(٣) تَفْسِيرُ مَجْمَعِ الْبَيَانِ ١: ٢٨٠.

(٤) نَقَلَ هَذَا الْقَوْلَ الْبَيْضَاوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ١: ٢١٩.

(٥) الْوَطَرُ: الْحَاجَةُ، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا (الْجَنَسِيَّةُ).

وقد يستفاد كراهة الوطي في الذبر لا الحرمة، وكراهة العزل عن الأمة والمتعة .
 وأما تحريمه في الحرّة - لو قيل به - فلدليل آخر . ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ﴾ : يظهر
 ﴿لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾ : الفجر المعترض في الأفق ﴿مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ : ما يمتد
 معه من ظلمة الليل . شبهها بخيطين أسود وأبيض ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ : بيان للخيط
 الأبيض ، واكتفى به عن بيان الخيط الأسود ، لدلالته عليه ، أو : للتبويض ، أي :
 بعض الفجر وأوله . قيل : ظاهرها حل الرفث والمباشرة في جميع الليل إلى الفجر ،
 فلا يشترط الصوم بالغسل ليلاً^(١) وفيه : أنها مقيدة بأخبار أهل البيت عليهم السلام^(٢)
 مع كون الغاية للشرب - المتأخر - أولى ، وللأكل - أيضاً - لأنهما كشيء واحد ، وغاية
 المباشرة تعلم من السنة ، وأما الأخبار المفيدة لعدم الإشتراط^(٣) فمحمولة على
 التقية ، أو : عدم التعمد - كما بيّناه في محله - ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الْبَلِّ﴾ بيان حده
 ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ﴾ : لا تلامسوهن بشهوة ، فيحرم الجماع ومقدماته نهائياً وليلاً ﴿وَأَنْتُمْ
 عَاكِفُونَ﴾ : معتكفون ﴿فِي الْمَسَاجِدِ﴾ التي يجوز الاعتكاف فيها ، وهي : كل مسجد
 جامع - في الأظهر - .

والاعتكاف لبث فيه على وجه مخصوص ﴿تِلْكَ﴾ الإحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ
 فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ بالمخالفة ، نهوا عن قربها مبالغة في منع التعدي ﴿كَذَلِكَ﴾ البيان
 ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ تعدي حدوده .

[١٨٨] - ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾ لا يأكل بعضكم مال بعض ﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظرف
 ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ : بالوجه الذي لم يبيحه الله ﴿وَتَذْلُوا بِهَا﴾ عطف على «تأكلوا» أي : ولا
 تلقوا أمرها ﴿إِلَى الْحُكَّامِ﴾ أو : نصب بإضمار : «أن» ﴿لِتَأْكُلُوا﴾ بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾

(١) كما ورد في تفسير الكشاف ١: ٣٣٩ .

(٢) وسائل الشيعة ٧: ٤١٢ كتاب الصوم ، الباب ١٦ من ابواب مايمسك عنه الصائم .

(٣) كما في وسائل الشيعة ٧: ٤١٢ كتاب الصوم الباب ١٦ الحديث ٥ .

طائفة ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ : بموجب الاثم — كاليمين الكاذبة وشهادة الزور —
 ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مبطلون، فإن ارتكاب الذنب مع العلم به أقبح .
 [١٨٩] — ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ ما الحكمة في اختلاف حالها وزيادتها
 ونقصانها؟ ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ : معالم لهم يوقتون بها معاملاتهم وعدد
 نسايتهم وصومهم وفطريهم، ومعالم للحج يعرف بها وقته ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا
 الْبُيُوتَ﴾ ضم الباء «ابوعمر» و«ورش» و«حفص» وكسرهما الباقون ^(١) ﴿مِنْ ظُهُورِهَا﴾
 كان أناس إذا أحرموا لم يدخلوا بيتاً من بابه، بل يدخلون ويخرجون من نقب أو فرجة
 خلفه، ويرون ذلك براً ف قيل لهم : إنه ليس ببر ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ بر ﴿مَنْ اتَّقَى﴾ ما حرم
 الله . واتصل بما قبله لأنه من أفعالهم في الحج، فذكر — بعد ذكر أنها مواقيته —
 استطراداً، أو : لأنهم سألوا عنها ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ إذ لا بر في العدول .
 أو : باشروا الأمور من وجوهها .
 قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «أنا مدينة العلم وعلي بابها ولا تؤتى المدينة إلا
 من بابها» . ^(٢)

وقال الباقر عليه السلام : «آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أبواب الله» . ^(٣)
 وقال الصادق عليه السلام : «الأوصياء، هم أبواب الله التي منها» ^(٤) ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾
 في أوامره ومناهي ^(٥) ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ : لكي تظفروا بالهدى .
 [١٩٠] — ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جاهدوا في دينه لإعزازه ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾

(١) حجة القراءات : ١٢٧ .

(٢) تفسير مجمع البيان ١ : ٢٨٤ وتفسير البرهان ١ : ١٩١ .

(٣) تفسير العياشي ١ : ٨٦ الحديث ٣١٠ .

(٤) تفسير البرهان ١ : ١٩٠ .

(٥) في «الف» و«ب» : ونواهي .

أي: لا الكافرين، فتكون منسوخة بـ ﴿قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾^(١) أو: أريد بهم من يُتَوَقَّع منهم القتال ليخرج الشيوخ والصبيان والنساء فلا نسخ، أو: أهل مكة. روي أنهم صدوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل، فيخلوا له مكة ثلاثة أيام، فرجع لعمره القضاء وخاف المسلمون ألا يفوا لهم، ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام، وكرهوا ذلك، فنزلت^(٢) ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ بإبداء القتال، أو: بقتال من نهيتهم عن قتاله، أو: بالمثلة، أو: بالمفاجأة بدون دعوة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾: لا يريد لهم الخير.

[١٩١] — ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: وجدتموهم، في حل أو حرم ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ وقد فعل بمن لم يسلم يوم الفتح ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ أي: البلاء الذي يحل بالإنسان - كالإخراج من الوطن - ﴿أَشَدُّ﴾: أصعب ﴿مِنَ الْقَتْلِ﴾ أو: شركهم في الحرم أشد من قتلهم إياهم الذي عابوكم به ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ لا بدأنهم بالقتال عنده وهتك حرمة ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ﴾: بدوكم به. ﴿فَأَقْتُلُوهُمْ﴾ ولا تبالوا، فإنهم الذين هتكوا حرمة. وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم» - بإرادة البعض -^(٣) ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ يفعل بهم كفعلهم.

[١٩٢] — ﴿فَإِنْ انْتَهَوْا﴾ عن الكفر والقتال ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر ما أسلفوا. [١٩٣] — ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: شرك ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾ خالصاً ﴿لِلَّهِ﴾ فَإِنْ انْتَهَوْا عن الشرك ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ فلا عقوبة عليهم، وإنما هي على الكافرين. وسمي جزاء الظالم ظلماً: للمشاكلة كـ «اعتدوا عليّ»^(٤).

(١) سورة التوبة: ٣٦/٩.

(٢) رواه ابن عباس كما في تفسير مجمع البيان ١: ٢٨٤.

(٣) حجة القراءات: ١٢٧.

(٤) في قوله تعالى: «فاعتدوا عليه» (الآية ١٩٤ من هذه السورة).

[١٩٤] - ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة، وخرجوا العمرة القضاء فيه فكروا قتالهم لحرمة، فقبل لهم: هذا الشهر بذاك ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ أي: فيها قصاص: من هتك حرمة هتك له حرمة، فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم مثله ولا تبالوا، وأكدته: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾: فجازوه بمثل فعله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في المجازاة، ولا تتعدوا إلى ما لا يحل لكم ﴿وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ فينصرهم.

[١٩٥] - ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ من أموالكم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في وجوه البرّ والجهاد ﴿وَلَا تُلْقُوا﴾: تطرحوا ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ «الباء» مزيّدة، وأريد بالأيدي: الأنفس ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾: الهلاك. وعدّي بسـ إلى «لتضمّنه الإنتهاء»، أي: لا تهلكوا أنفسكم بالإسراف الذي يأتي عليها أو بترك الغزوة والإنفاق فيه فيغلب عليكم العدو.

أو بالإسك المؤدي إلى الهلاك، أو المعنى: لا تجعلوا التهلكة آخذة بأيديكم ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ الأعمال ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[١٩٦] - ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾ أَدَوْهُمَا تَامِينَ بشرائطهما، وأقيموهما إلى آخر ما فيهما ﴿لِلَّهِ﴾ لوجهه خاصة. فيفيد وجوبهما ابتداءً، وقد يفيد وجوب إتمامهما منذُوبين - بعد الشروع ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾: مُنْعَمَ عن أحدهما مُحْرَمِينَ.

والحصر والاحصار: المنع، كالصدّ والإصداد.

وظاهر أصحّابنا وأخبارهم: اختصاص الحصر بالمرض، والصدّ: بالعدو، لاختلافهما حكماً.

وعزى الطبرسي تعميم الحصر فيهما إلى أئمتنا عليهم السلام. ^(١) ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ فعليكم، أو: فاهدوا ما تيسر ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ بدنة أو بقرة أو شاة للإحلال ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾: لا تحلوا ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ حتى تعلموا بلوغه مكانه الذي يذبح

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٢٩٠.

فيه ؛ وهو - في المرض - للحاج «منى» يوم النحر، وللمعتمر «مكة» في الساعة التي وعد المبعوث معهم، و- في العدو - مكانه الذي صد فيه حين يريد الإحلال.

ومنا من خيّر في المرض بين ذلك والبعث. والأخبار مختلفة^(١) ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا﴾ مرضاً محرجاً للحلق ﴿أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾ كقمل أو غيره ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ أي فحلق، فالواجب فدية ﴿مِنْ صِيَامٍ﴾ ثلاثة أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ على عشرة مساكين، لكل مد، وروي: ستة، لكل مدان^(٢) ﴿أَوْ نُسْكَ﴾ شاة يذبحها.

روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لـ «كعب بن عجرة»: لعلك آذاك هوامك قال: نعم، فنزلت^(٣) ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ المرض أو المرض والعدو، أو: كنتم في حال سعة وأمن ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ انتفع بالتقرب بها إلى الله قبل انتفاعه بالتقرب بالحج في أشهره، أو: انتفع بإحلاله منها باستباحة ما حرم عليه إلى أن يحرم بالحج ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ فعلية ما تيسر^(٤) ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ فهو واجب على المتمتع يذبحه بـ «منى» يوم النهر ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ هدياً. قيل ولا ثمنه ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ في الحج سابع ذي الحجة، وثامنه، وتاسعه، فإن فاته فيها فبعد أيام التشريق من ذي الحجة ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهليكم، ولو أقام^(٥) بمكة انتظر قدر وصول صحبه، أو: مضي شهر ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ﴾ رفع توهم أن الواو بمعنى: «أو»، وتأکید لیعلم جملة كما علم تفصيلاً ﴿كَامِلَةٌ﴾ في بدلية الهدى، أو: تأكيد آخر للمبالغة في حفظ العدد ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التمتع ﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ من كان من «مكة» على ثمانية

(١) ينظر اختلاف الاخبار في ذلك في كتاب الكافي ٤: ٣٦٩ كتاب الحج. باب المحصور والمصدود.

(٢) رواه العياشي في تفسيره ١: ٩٠ الحديث ٢٣١ والطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٢٩١.

(٣) تفسير العياشي ١: ٩٠ وتفسير مجمع البيان ١: ٢٩١ وتفسير البرهان ١: ١٩٥.

(٤) في «ط»: ما استيسر.

(٥) في «ط»: ولو بقي.

وأربعين ميلاً، فالتمتع فرضه، ومن كان دون ذلك فلا متعة له، بل فرضه القرآن أو الأفراد ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بالمحافظة على حدوده، سيما الحج ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالف؛ ليمنعكم العلم عن الخلاف.

[١٩٧] - ﴿الْحَجَّ﴾ أي: وقته ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ معروفات: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، وقيل: تسعة من ذي الحجة بـ«ليلة النحر»^(١) وقيل: العشرة؛^(٢) فالجمع لإقامة البعض مقام الكل، أو لإستعماله فيما فوق الواحد. وبناء الخلاف: أن المراد بوقته، وقت أفعاله أو إحرامه! ﴿فَمَنْ قَرَضَ﴾: أوجب على نفسه ﴿فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾: حج التمتع وغيره بحيث يلزمه إتمامه بالتلبية مطلقاً، أو بالإشعار، أو التقليد للقارن... ودلت على عدم صحة إحرام الحج في هذه الأشهر، بل عمرة التمتع - لدخولها فيه - ﴿فَلَا رَفَثَ﴾: فلا جماع ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾: لا كذب، أو: لا خروج عن حدود الشرع ﴿وَلَا جِدَالَ﴾: لا حلف بالله - ولو صادقاً - ﴿فِي الْحَجِّ﴾ في زمان فرضه. وأريد بنفي الثلاثة: النهي - وخص بالحج - ومنها ما يحرم مطلقاً لأنه في الحج أسمع^(٣) كلبس الحرير في الصلاة - ورفع «أبو عمرو» و«ابن كثير» الأولين، وفتح الثالث، وفتح الباقيون الثلاثة^(٤) ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ يجازيكم به، ولا يضيعه؛ لعلمه به ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ - لمعادكم - : التقوى ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

وقيل: كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون، ويكونون كلاً على الناس فنزلت فيهم ﴿وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ خصوا بالخطاب لأن مقتضى العقل خشية الله وتقواه. وأثبت «أبو عمرو»: «الياء» وصلاً.

(١) وهو مختار الشافعي - على ما في تفسير الكشاف ١: ٢٤٦.

(٢) وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٢٩٣.

(٣) أي: أقبح - كما في مجمع البحرين.

(٤) نقله البضاوي في تفسيره ١: ٢٢٥.

[١٩٨] - ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ إثم ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ في أن تطلبوا ﴿فَضْلاً﴾ أي : رزقاً ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بالتجارة ، كانوا يتأثمون بالتجارة في الحج فرفع ذلك ، أو : مغفرة منه ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ﴾ دفعتم بكثرة - من «أفاض الماء» أي : صبه بكثرة - ، وأصله : «أفضتم أنفسكم» ، فترك لظهوره ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ : جمع ، سمي به ، ونُؤَنَ وكسر .

وفيه : التعريف والتأنيث ، لأن تنوينه للمقابلة ، ومنع الصرف إنما يُذهب تنوين التمكن ، والكسر يتبع التنوين وجوداً وعدماً ، أو لأن تاءه ليست للتأنيث ، بل هي مع الألف علامة الجمع ، وهي تمنع من تقدير «تاء» فيه ، لأنها كالبدل لها ؛ لاختصاصها بال مؤنث كـ «تاء» بنت .

وسمي الموقف به ، لأن إبراهيم عليه السلام عرفه بعد وصفه له ، أو لقوله : «عرفت» حين أراه جبرائيل المناسك ، أو لأن «آدم» و«حواء» التقيا فيه فتعارفا ، أو لتعارف الناس فيه . ثم الإفاضة منها المأمور بها فرع الكون فيها فيثبت وجوب وقوفها ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتسبيح ونحوه ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ موضع محدود كـ «عرفة» سمي «مشعراً» لأنه معلم العبادة ، و«حراماً» لحرمة ، ويفيد : وجوب وقوفه ؛ لاستلزام الذكر المأمور به عنده : الكون فيه ووجوب الذكر .

ولكن أكثر الأصحاب على استحبابه ، فجاز أن يكون كناية عن الكون ﴿وَاذْكُرُوهُ﴾ بالثناء والشكر ﴿كَمَا هَذَاكُمْ﴾ : حسب هدايته إيتاكم ، أو : كما علمكم المناسك وغيرها ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾ مخففة [من] الثقلة ﴿مِنْ قَبْلَةٍ﴾ أي الهدى ﴿لِمَنِ الضَّالِّينَ﴾ : الجاهلين بالإيمان والعبادة . و«اللام» فارقة .

[١٩٩] - ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ من عرفة ، كان قريش يقفون به «جمع»^(١) ولا يقفون مع سائر الناس به «عرفة» ترفعاً عليهم ، فأمرؤا بمساواتهم ،

(١) بالفتح فالسكون : المشعر الحرام - كما في مجمع البحرين «جمع» - .

ف«ثم» لتفاوت ما بين الإفاضة إذ تلك حرام، وهذه واجبة. كذا قيل.^(١)
وفيه نظر؛ إذ لا تفاوت بين المتعاطفين بل بين فعلهم وما أمروا به، وليس ذلك
مفاد «ثم» وقيل: من «جمع» إلى «منى» بعد الإفاضة من «عرفات» إليها.^(٢) والأمر عام
ويراد به «الناس» إبراهيم، والأنبياء وهو الأنسب بـ«ثم» والسوق ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾
من ذنوبكم بالندم عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: كثير المغفرة والرحمة.

[٢٠٠] - ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْ أَنْسِكِكُمْ﴾: فرغتم من عباداتكم الحجية ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾
ذكراً كثيراً ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ صفة المصدر المحذوف. كانوا إذا فرغوا من الحج
يجتمعون ويذكرون مفاخر آبائهم وأيامهم ﴿أَوْ أَشَدَّ﴾ عطف على «كذكركم» أي:
أو ذكراً أشد ﴿ذِكْرًا﴾ تمييز، أي: أشدّيته تكون من حيث كونه ذكراً لا من جهة أخرى،
أو: على «كذكركم» بجعله بمعنى: الذاكر، أي: أو كذاكر أشد. ﴿فَمِنْ النَّاسِ مَنْ
يَقُولُ﴾ تقسيم للذاكرين إلى طالب بذكره عرض الدنيا، وطالب به خير الدارين ﴿رَبَّنَا
ءَاتِنَا﴾: اجعل عطاءنا ﴿فِي الدُّنْيَا وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾: من نصيب، لقصر
همته على الدنيا، أو من طلب خلق.

[٢٠١] - ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: سعة الرزق وحسن
الخلق ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ رضوانك والجنة ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ بالعفو.
وعن علي عليه السلام: «الحسنة - في الدنيا - المرأة الصالحة، وفي الآخرة:
الحوراء، وعذاب النار: امرأة السوء».^(٣)

[٢٠٢] - ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى القسم الثاني، أو: اليهما - ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا
كَسَبُوا﴾ من جنسه، وهو جزاق، أو: من أجله ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب جميع

(٢) وهو ما يظهر من كلام البيضاوي في تفسيره ١: ٢٢٧.

(٣) قاله الضحاك - كما في أحكام القرآن لابن العربي ١: ١٣٩.

(١) تفسير الكشاف ١: ٣٥٠ وروى قريباً منه في تفسير مجمع البيان ١: ٢٩٨.

العباد في قدر لمحمة، أو: يوشك أن يقيم القيامة فيحاسبهم، فاكسبوا الخير.

[٢٠٣] - ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ : كبروه ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ عقيب خمس عشرة صلاة في «منى» وعشرة في غيرها. وأولها - مطلقاً - ظهر «يوم النحر»، وصورة التكبير في الفقه،^(١) والمشهور عندنا استحبابه، ومنا من أوجبه^(٢) ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ : استعجل النفر ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: نفر في ثاني أيام التشريق بعد الزوال والرمي إلى الغروب ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بتعجله ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ إلى الثالث فنفر فيه أي وقت شاء بعد الرمي ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ رفع لتوهم الإثم بالتأخر لو اقتصر على نفيه بالتعجل.

قال الصادق عليه السلام: لو سكت لم يبق أحد إلا تعجل ولكنه قال: «ومن تأخر فلا إثم عليه».^(٣) أو: نفيه فيهما للتخير بينهما. والرد على أهل الجاهلية؛ إذ منهم من أثم المتعجل، ومنهم من أثم المتأخر ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ أي: ذلك التخير للمتقي المعاصي؛ لأنه الحاج - على الحقيقة - أو: لمن اتقى الصيد والنساء في إحرامه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ اجتنبوا معاصيه ﴿وَاغْلَمُوا أَنْكُمُ إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ﴾ ترجعون إلى موضع حكمه فيجازيكم بما عملتم.

[٢٠٤] - ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ نزلت في المرائي، وقيل: في «الأخنس بن شريق»، كان حسن المنطق ويدّعي الإسلام ومحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم،^(٤) وقيل في المنافقين^(٥) ﴿مَنْ يُعْجِبْكَ قَوْلُهُ﴾ : يروقك ويعظم في قلبك ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ متعلق بالقول، أي: ما يقوله في معنى الدنيا؛ إذ هي مراده من إدعاء الإسلام والمحبة

(١) يراجع تفصيل ذلك في الكتب الفقهية وقد رويت فيها روايات ذكرها الكليني في الكافي ٥١٦: ٤ في باب التكبير أيام التشريق.

(٢) يراجع جواهر الكلام ٣٥: ٢٠ باب التكبير بمعنى مستحب.

(٣) تفسير نورالثقلين ١: ٢٠٢ الحديث ٧٤١.

(٤) قاله السدي - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٠٠ -.

أو: بـ «يعجبك» أي: يعجبك في الدنيا قوله حلاوة وفصاحة، ولا يعجبك في الآخرة للذهشة، أو لأنه لا يؤذن له في القول «وَيُشْهِدُ اللَّهَ» يحلف به ويستشده «عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ» أي: أنه مضمّر ما يقول «وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ» جمع: خصم، أي: أشد الخصوم خصومة، أو: مصدر، أي: شديد المخاصمة والجدال.

[٢٠٥] - «وَإِذَا تَوَلَّى» : ذهب عنك، أو: صار والياً «سَعَى فِي الْأَرْضِ» : عمل فيها «لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ» كما فعل الأخنس بـ «ثَقِيف» إذ بيّتهم وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم.

أو: كما تفسد ولاية السوء بالقتل والإتلاف. أو: بالظلم حتى يحبس الله بشؤمه القطر، فيهلك الحرث والنسل «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ» : لا يرضاه.

[٢٠٦] - «وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ» حملته الحمية الجاهلية على الإثم الذي أمر باتقائه، من: «أخذته بكذا»: الزمته إياه «فَحَسْبُ جَهَنَّمَ» : كفته عقوبة «وَلَيْسَ الْمِهَادُ» : الوطاء، تهكم به. وحذف المخصوص للعلم به.

[٢٠٧] - «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ» : يبيعها ويذلها «ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» : طلباً لرضاه.

نزلت في «علي» عليه السلام حين ذهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الغار وبات على فراشه يفديه نفسه. ^(١) وقيل: في «صهيب» عذبه المشركون ليرتد فافتدى بماله ثم هاجر. ^(٢)

وقيل: في كل مجاهد في سبيل الله ^(٣) «وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ» فينيلهم ما حاولوه من مرضاته.

(٤) قاله الحسن - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٠٠.

(٢) تفسير نور الثقلين ١: ٢٠٤ الحديث ٧٥٧ وتفسير مجمع البيان ١: ٣٠١.

(٣) قاله عكرمة - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٠١.

[٢٠٨] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ : الإنقياد والطاعة، ولذا قيل : للإسلام والصلح . ^(١) فتحه «ابن كثير» و«نافع» و«الكسائي» وكسره الباقون ^(٢) ﴿كَافَّةً﴾ : جملةً، من : «كف»، كأنهم كفّوا تفرقهم باجتماعهم . حال من الضمير، أو : السِّلْم، أي : دوموا على الطاعة أو : أطيعوا جميعاً، أو : الزموا أحكام الإسلام جميعاً .

والخطاب للمؤمنين، أو : المنافقين، أو : مؤمني أهل الكتاب إذ سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإقامة على السّبت وتحريم الإبل . ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ بتفرقكم، أو تفريقكم ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ مظهر للعداوة .

[٢٠٩] - ﴿فَإِنْ رَكَّلْتُمْ﴾ عمّا أمرتم به ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ : الحجج ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه البطش ﴿حَكِيمٌ﴾ : لا يبطش إلاّ بحق .

[٢١٠] - ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ معناه النّفي ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أمره، أو : بأسه، أو : يأتيهم الله بنقمته، فحذف المأتي به لدلالة : «عزيز حكيم» ^(٣) عليه ﴿فِي ظُلُلٍ﴾ جمع «ظله» وهي ما أظلك ﴿مِنَ الْعَمَامِ﴾ السّحاب الأبيض .

وإتيان النّعمة من مظنة الرّحمة أقطع ؛ إذ الشر إذا أتى من حيث لا يحتسب كان أصعب، فكيف إذا أتى من حيث يُحتسب الخير ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَفُضِّي الْأَمْرُ﴾ فرغ من أمر تدميرهم . والتعبير بالماضي لتحقيق وقوعه ﴿وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ وبناء «ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» للفاعل ^(٤) .

[٢١١] - ﴿سَلِّ يَسَّىٰ إِسْرَءِيلَ﴾ أمر للرسول ^(٥) صلى الله عليه وآله وسلم، أو : لكلّ أحد .

(٤) قاله الحسن - كما في تفسير مجمع البيان ١ : ٣٠١ - .

(١) تفسير مجمع البيان ١ : ٣٠٢ .

(٢) حجة القراءات : ١٣٠ .

(٣) المذكور في آخر الآية السابقة .

(٤) حجة القراءات : ١٣٠ .

والسؤال تقريع ﴿كَمْ أَتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾: معجزة واضحة على أيدي أنبيائهم.

أو: حجة في الكتب على صدق محمد صلى الله عليه وآله وسلم. و«كم» إستفهامية مقررة، أو: خبرية، ومحلها النصب بالمفعولية ﴿وَمَنْ يَدُلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾: آياته؛ إذ هي سبب الهدى - وهو أجل النعم - بجعلها سبب الضلال، أو: بالتحريف ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ تمكن من معرفتها أو عرفها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له، أو لمن عصاه.

[٢١٢] - ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ حسنّها الشيطان في أعينهم، وحببها

إليهم فلا يريدون غيرها، أو: زينها الله بخلق المشتريات فيها، والشهوة فيهم؛ إذ التكليف إنما يتم بها ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يهزءون بهم لفقرهم، أو: لزهدهم في الدنيا، و«من» للإبتداء ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ عبر بهم عن «الذين آمنوا» ليفيد أنهم متقون، أو: إن استعلائهم بالتقوى ﴿فَوَقَّهْمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لأنهم في «عليين» وهم في «سجين» أو: لأنهم في كرامة وهم في هوان، أو: لاستطالتهم عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير تقدير فيوسع ابتلاء أو استدراجاً.

[٢١٣] - ﴿كَانَ النَّاسُ﴾ من بني آدم ونوح، أو: أهل السفينة ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على

الحق، أو: على الكفر ﴿فَبَعَثَ﴾ أي: فاختلفوا، فبعث ﴿اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ لقوله: «في ما اختلفوا فيه» ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾: جنسه.

والمعنى: مع بعضهم، لا مع كل واحد.

قيل: عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفاً، والرسل - منهم -: ثلاثمائة وثلاثة

عشر.^(٥) والمسمى في القرآن: ثمانية وعشرون ﴿بِالْحَقِّ﴾ متلبساً به، حال من «الكتاب» ﴿لِيُخَكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ أي: الله، أو: الكتاب ﴿فِيمَا اختلفوا فيه وَمَا اختلف فيه﴾ في الحق أو الكتاب ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أعطوا العلم به؛ إذ جعلوا المزيل

(٥) في «ط»: للنبي.

للإختلاف سبباً لحصوله ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا﴾ : ظلماً، وطلباً للرئاسة ﴿بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾ بيان لـ «ما» ﴿يُذْنِبُهُ﴾ بلطفه وأمره ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ موصل إلى النجاة.

[٢١٤] - ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ لما ذكر اختلاف الأمم على انبيائهم تشجيعاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين على الصبر مع مخالفيهم، إلتفت إليهم بالخطاب. و«أم» منقطعة، وهمزتها للإنكار ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾ نفي مع توقع ﴿مِثْلَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي مثل حالهم فتصبروا كما صبروا ﴿مَسْتَهُمُ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَاءُ﴾ استئناف بيان لـ «مثل» ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ أزعجوا بأنواع البلايا ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ لاستطالة زمان الشدة، وفناء الصبر. ورفع «نافع» : «يقول» - حكاية لحال ماضيه - ^(١) ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ معناه طلب النصر وتمنيته ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ استئناف، أي : فليل لهم ذلك إجابة لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر.

[٢١٥] - ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ كان «عمرو بن الجموح» شيخاً ذا مال، فقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : بِمَ أَتَصَدَّقُ، وعلى من أَتَصَدَّقُ؟ فنزلت. ^(٢)

وكان المراد ما ينفقون على الوجه الكامل، فدخل المصرف بقرينة سؤال «عمرو» فقوله : ﴿قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ أي : مال، بيان للمنفق، وقوله : ﴿فَلِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَاكُمَى وَالْمَسَاكِينِ وَإِنَّ السَّبِيلِ﴾ بيان للمصرف ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ شرط، جوابه : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ لا يضيعه. قيل : منسوخة بفرض الزكاة. ^(٣) وقيل : لا نسخ؛ ^(٤) لجواز إعطائها المذكورين لا على وجه النفقة. وقد تحمل على الإنفاق

(١) تفسير البيضاوي ١: ٢٣١-٢٣٢.

(١) حجة القراءات: ١٤١.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٣٠٩.

(٣) قاله السدي - كما في تفسير التبيان ٢: ٢٠٠ و تفسير مجمع البيان ١: ٣١٠.

الواجب والمندوب، أو: المندوب فقط.

[٢١٦] - ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾: صعب عليكم، مكروه طبعاً والوصف بالمصدر للمبالغة. ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً﴾ - طبعاً - في الحال كالجهاد ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ في المال؛ إذ فيه الظفر أو الشهادة ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً﴾ كترك الجهاد حباً للحياة ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ إذ فيه الذلّ وحرمان الأجر ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما يصلحكم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٢١٧] - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ بعث صلى الله عليه وآله وسلم «عبدالله بن جحش»^(١) على سرية، فغنموا عيراً لقريش، فيها «عمرو بن عبدالله الحضرمي» وثلاثة معه، فقتلوه وأسروا اثنين،^(٢) وكان ذلك غرة رجب، وهم يروونه من جمادى، فقالت قريش: استحل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الشهر الحرام، وكتبوا يسألونه عن ذلك تشنيعاً، وشق على أهل السرية وقالوا: «ما نبرح حتى تنزل توبتنا» فنزلت،^(٣) وردّ صلى الله عليه وآله وسلم العير، وروي: أنه أخذها، وهي أول غنيمة في الإسلام.^(٤) ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدل اشتمال من «الشهر» ﴿قُلْ قِتَالٍ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ ذنب عظيم، قيل: منسوخ^(٥) ب: «فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ»^(٦) وردّ: ببقاء بعض أحكامه، وبرجحان التخصيص على النسخ ﴿وَصَدَّ﴾: منع ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طاعته، أو: الإسلام ﴿وَكُفِّرْ بِهِ﴾ أي: بالله. ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قيل: عطف على: «سبيل الله»^(٧) ويردّه: عطف: «وكفر»

(٤) قاله الحسن - كما في تفسير البيان ٢: ٢٠٠ و تفسير مجمع البيان ١: ٣١٠.

(١) هو ابن عمّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣١٢.

(٢) والثالث افلت، انظر تفسير روح المعاني ٢/ ٩٢ و تفسير القرطبي ٣/ ٤٢.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٣١٢.

(٤) رواها البيضاوي في تفسيره ١: ٢٣٤ عن ابن عباس.

(٥) قاله قتادة - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣١٢.

(٦) سورة التوبة: ٥/ ٩.

على «صدّ» لفصله بين الموصول والصلة . وقيل : على «صدّ» بتقدير: صدّ المسجد، وردّ: بضعف حذف المضاف وبقاء جرّ المضاف اليه .

وقيل : على الهاء في «تساءلون به» ويشهد لصحته بدون إعادة الجار: ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^(١) - بالجسر -، وهو من السبع،^(٢) وشعر الفصحاء،^(٣) ولعلّ الكفر به: عدم احترامه ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ أهل المسجد وهم: النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ من فعل السرية - بناءً على ظنهم -، وهو خبر للأربعة المذكورة ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ أي: الكفر، أو: الإخراج ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ قتل عمرو ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي: الكفار ﴿يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ لدوام عداوتهم لكم ﴿حَتَّى يَرْدُّوكُمْ﴾: كي يردوكم ﴿عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾ استبعاد لاستطاعتهم ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ صريح في ثبوت الإحباط بالردة - مع الموت عليها -؛ إذ الموافاة بالإيمان شرط في استحقاق الثواب - كما عليه الأصحاب -، ويحمل نفهم الإحباط على أنّ الثواب المستحق لا يحبط ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ لفوات فوائد الإسلام الدنيوية ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ لإنتفاء الثواب ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لكفرهم .

[٢١٨] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ظنّ قوم أن السرية إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فنزلت^(٤) ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ نصرته في الدنيا وثوابه في الآخرة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم .

(٧) قاله المبرّد - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣١٢ - .

(١) سورة النساء: ١/٤ .

(٢) وهي قراءة حمزة - كما في تفسير البيضاوي ١: ٢٣٤ .

(٣) وفي خاتمة كتاب «الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله» بحث وافٍ حول هذا الموضوع، ينظر.

[٢١٩] - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾ وهو كل شراب مسكر، وفي حكمه: الفقاع؛ لأخبار أئمتنا عليهم السلام،^(١) وهو في الأصل: مصدر «خمره»: إذا ستره، سمي به للمبالغة ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ مصدر - كـ «المَوْعِذُ» - سمي به القمار؛ لأنه أخذ مال الغير بيسر، أو: سلب يساره، أي يسألونك عن تعاطيهما ﴿قُلْ فِيهِمَا﴾ في تعاطيهما ﴿إِنْ كَبُرَ﴾ يؤدي إلى ارتكاب سائر المحرمات وترك الواجبات ﴿وَمَنْ أَعْلَسَ النَّاسَ﴾ من كسب المال واللذة والطرب والقوة ﴿وَإِنْ مُمِيتُهُمَا﴾: عقابهما الأخروي الدائم ومفاسدهما الدنيوية ﴿أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ الدنيوي القليل الزائل، فإفادتها لتحريمهما ظاهرة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ سألته صلى الله عليه وآله وسلم «عمرو بن الجموح» عن النفقة في الجهاد أو الصدقات ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾: الوسط بين الإسراف والإقتار، أو: ما فضل عن قوت السنة، أو: أطيب المال، أو: ما سهل إنفاقه ﴿كَذَلِكَ﴾ التبيين لأمر النفقة والخمر والميسر أيها الجمع.^(٢) ومحل الكاف: النصب، صفة لمصدر محذوف أي: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾: الحجج في الأحكام تبيناً، مثل ذلك التبين ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

[٢٢٠] - ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما نفعاً ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ لما نزل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾^(٣) اجتنبوا مخالطتهم

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٣١٣.

(١) تفسير العياشي ١: ١٠٦ الحديث ٣١٣ وتفسير نور الثقلين ١: ٣١٠.

(٢) كذا في النسخ وفي تفسير البضاوي ١: ٢٣٦: وإنما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تأويل القبيل والجمع.

وفي تفسير التبيان ٢: ٢١٤ إنما وحد الكاف في كذلك وإن كان الخطاب لجماعة لاحد أمرين: احدهما في تقدير كذلك أيها السائل والثاني: أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ويدخل فيه الأمة.

والإهتمام بشأنهم فشق ذلك عليهم، فذكر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت ^(١) ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ﴾ أي: مداخلتهم لإصلاحهم ﴿خَيْرٌ﴾ من مجانبتهم ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾ وتعاشروهم ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي: في الدين، ومن حق الأخ أن يخالط أخاه ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ لا يخفى عليه من داخلهم بإفساد وإصلاح فيجازيه بفعله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَكُكُمْ﴾: لحملكم على العنت، وهو المشقة ولم يطلق لكم مداخلتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب قادر على ما يشاء ﴿حَكِيمٌ﴾: يفعل ما توجبه الحكمة.

[٢٢١]- ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾ لا تزوجوهن ﴿حَتَّى يُؤْمِنَ﴾ قيل: لا يشمل الكتابيات، ^(٢) وقيل: يشملها ^(٣) لكنه منسوخ أو مخصص بقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ ^(٤) وقيل: هو ناسخ لذاك. ^(٥)

روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم بعث «مرثداً» إلى «مكة» ليخرج ناساً من المسلمين فدعته «عناق» إلى نفسها، فأبى، وكانت خلته في الجاهلية، فقالت: هل لك أن تزوج بي فقال: حتى استأذن رسول الله، فاستأذنه فنزلت ^(٦) ﴿وَلَا أَمَةٌ﴾: مملوكة ﴿مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ﴾ حرة ﴿مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ لما لها أو جمالها. و«لو» بمعنى: «إن» ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ لا تزوجوهم المؤمنات ﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ والتحريم ثابت في الكتابي - أيضاً - سواء شمله المشرك أم لا، للإجماع والأخبار ﴿وَلَعَبْدٌ﴾ مملوك ﴿مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ﴾ حر ﴿مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ ماله أو جماله.

(٢) سورة النساء: ٤/١٠.

(١) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣١٦.

(٢) قاله قتادة وسعيد بن جبير - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣١٨.

(٣) قاله ابن عمر وبعض الزيدية وهو مذهبنا - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣١٨.

(٤) سورة المائدة: ٥/٥.

(٥) نقل هذا القول القرطبي في تفسيره ٣: ٦٧ عن اسحاق بن ابراهيم الحربي.

وتفسير «الامة» و«العبد» بما يعمّ الأحرار - لأنّ الناس إماء الله وعبيده - خلاف الظاهر، مع تفويت المبالغة ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى المشركين والمشركات ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ أي: الكفر المؤدي إلى دخولها فحقهم ألا يواصلوا ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾ إلى ما يوجبهما ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بأمره وتوفيقه ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ﴾ حججه: أوامره ونواهيه ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لكي يعلموا ويتذكروا.

[٢٢٢] - ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ قيل: كانوا في الجاهلية لم يواكلوا^(١) الحيض ولم يساكنوها كفعل اليهود، فسئل صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فنزلت^(٢) ﴿عَنِ الْمَحِيضِ﴾ مصدر كـ«المبيت» ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾ أي: الحيض قذر مؤذ من يقربه، نفرة منه ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ إسم زمان أو مكان، أي: اجتنبوا مجامعتهن في الفرج زمان الحيض، أو: في مكانه، وقيل إجتنبوا ما تحت الإزار^(٣) ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾ تأكيد للحكم ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ بيان غايته، وشدّد «حمزة» و«الكسائي» أي: يغتسلن، فيحرم الوطء قبل الغسل، وخفّفه الباقون،^(٤) أي: ينقين، فلا يحرم قبله، وعليه الأصحاب، وجمعوا بين القراءتين بحمل «تطهر» على معنى «طهر» لوروده لغة كـ«تبيّن» بمعنى «بان» وكذا ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: طهرن، أو غسلن الفرج، حملاً على المعنى اللغوي؛ إذ لمنع إرادة الغسل؛ لم تثبت الحقيقة الشرعية. ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾ للإباحة بالمعنى الأخص، أو الأعم، فتأتى فيه الأحكام الأربعة ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ من قبل الطهر لا الحيض، أو من قبل النكاح لا الفجور، وعن «الفراء» لو أراد الفرج لقال: «في حيث» ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب أو الكبائر ﴿وَيُحِبُّ

(١) كذا في النسخ، والصحيح: لا يواكلون، وكذا فيما بعده.

(٢) قاله الحسن وقتادة والربيع - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣١٩.

(٣) قاله أبو حنيفة والشافعي - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣١٩.

(٤) حجة القراءات: ١٣٤.

الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٣﴾ بالماء، ويعضده سبب نزول ﴿فِيهِ رِجَالٌ . . .﴾ الآية^(١) أو من الصغائر.
[٢٢٣] - ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ﴾ : محلّ حرث ﴿لَكُمْ﴾ قيل نزلت ردّاً على اليهود،
قالوا: إذا أتى الرجل المرأة من خلفها في قبلها خرج الولد أحول^(٢) ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ﴾
أي: نساءكم ﴿أَنْتَى﴾ من أين ﴿سِتْمٌ﴾ واحتجّ به «مالك» على جواز إتيانها في الدبر،
وليس يبعد، وعليه أكثر أصحابنا على كراهة^(٣) واحتجّ به سائر فقهاءهم على المنع
قالوا معناه: فاتوهن من أيّ جهة ستم في القبل؛ لأنّه محلّ الحرث. وردّ بمنع إفادته
المنع؛ إذ الحرث المأمور بإتيانه هو النساء لا القبل.

ولو صرح بالقبل لما أفاد منع غيره إلاّ بمفهوم ليس بحجة. ﴿وَقَدْ مُوا لِنَفْسِكُمْ﴾
الأعمال الصالحة، وقيل: التسمية على الوطاء^(٤)، وقيل: طلب الولد^(٥) ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾
بترك معاصيه ﴿وَاغْلَمُوا أَنْكُمْ مَلَأُوهُ﴾ : ملاقوا جزائه ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالثواب والجنة.
[٢٢٤] - ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ﴾ نزلت في «عبدالله بن رواحة» حلف لا يكلم ختنه^(٦)
ولا يصلح بينه وبين أخته^(٧) ﴿عُرْضَةً﴾ : معرضاً ﴿لِإِيمَانِكُمْ﴾ فتبتذله بكثرة الحلف
به، ويؤيّده: ﴿وَلَا تُطِغْ كُلَّ حِلَافٍ مَّهِينٍ﴾^(٨) ﴿أَنْ تَبْرُؤَا وَتَتَّقُوا وَتُضِلُّهُوا﴾ علة
للتّهي. أي: أنهاكم عنه إرادة بركم وتقواكم وإصلاحكم ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ فإن الحلاف
مجتر على الله، فلا يكون برّاً متقيّاً، ولا مصلحاً ذات البين.

(١) سورة التوبة: ١٠٨/٩.

(٢) قاله ابن عباس وجابر - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٢٠.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٣٢١.

(٤) قاله عطاء - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٢١.

(٥) تفسير مجمع البيان ١: ٣٢١.

(٦) الختن: كل من كان من قبل المرأة مثل الاب والاخ - مختار الصحاح، ختن -.

(٧) تفسير مجمع البيان ١: ٣٢٢.

(٨) سورة القلم: ١٠/٦٨.

وقيل: المعنى: ولا تجعلوا الله حاجزاً لما حلفتُم عليه،^(١) واللام متعلق بـ«تجعلوا»، أو بـ«عُرْضة» ويفيد عدم إنعقاد الحلف على المرجوح، كما وردت به الأخبار^(٢) ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأسراركم.

[٢٢٥] - ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ وهو ما لا عقد معه - كالملفوظ لسبق اللسان به -، أو للجهل بمعناه كـ«لا والله»، و«بلى والله» أي: لا يؤاخذكم بما لا قصد بمعه بعقاب ولا كفارة ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبْتُمْ﴾: قصدت ﴿قُلُوبُكُمْ﴾ من الإيمان، وواطأت فيها ألسنتكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل بالعقوبة.

[٢٢٦] - ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ يحلفون ألا يطؤون مطلقاً، أو: أزيد من أربعة أشهر، وعدي بـ«من» دون «على» لتضمنه معنى البعد ﴿تَرْبُصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ مبتدأ، خبره «لِلَّذِينَ». اضيف الى الظرف اتساعاً، أي: للمولى حق الانتظار في هذه المدة وابتدائها وقت الإيلاء، وقيل: حين الحكم، فلا يطالب بفيئة ولا طلاق ﴿فَإِنْ فَاءُوا﴾^(٣): رجعوا عن اليمين بالوطء - للقادر -، وبإظهار العزم عليه - للعاجز - في المدة أو بعدها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: يغفر ما قصدوا بالإيلاء من ضرار النساء، أو إثم الحلف، فإنه غير مشروع، ولهذا يجب حثه^(٤) والكفارة - إن فاء في المدة - عند أصحاب، أو بعدها - أيضاً - عند أكثرهم، فان مضت المدة ولم يفيء ألزمه الحاكم: إما الطلاق أو الفقة والكفارة، فان أبى منهما حبسه حتى يختار أحدهما.

(١) تفسير التبيان ٢: ٢٢٥ وتفسير مجمع البيان ١: ٣٢٢.

(٢) تفسير العياشي ١: ١٢٢ الحديث ٣٢٩ وتفسير الهرهان ١: ٢١٧.

(٣) يراجع تعليقنا على قوله «ففاءوا» في الآية ٦١ من «هذا السورة».

(٤) في مجمع البحرين مادة «حث»: «والحث في اليمين نقضها والنكث فيها»، وفي التنزيل سورة ص: ٢٨/٤٤: «وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث أنا وجدناه صابراً».

[٢٢٧] - ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ صَمَمُوا قصده ثم أوقعوه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لطلاقهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بضماثرهم .

[٢٢٨] - ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾ أي : الحرائر المدخول بهن من ذوات الأقراء ؛ إذ حكم غيرهن خلاف ما ذكر بمقتضى الأدلة ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ معناه الأمر والتعبير بالخبر للتأكيد ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ بعث لهن على الصبر عن التزويج بقمع نفوسهن الطوامح الى الرجال ﴿ثَلَاثَةَ﴾ مفعول به أو ظرف ﴿قُرُوءٍ﴾ جمع قرء ، للطهر والحيض ، بالإشتراك أو الحقيقة والمجاز . والمراد به - هنا - الطهر - على الأصح - ، وذكر «القروء» وهو للكثرة - والمقام للقلّة ، وصيغتها : الاقراء - ؛ لاستعمال كل من الجمعين مكان الآخر ، أو أثر لكثرة استعماله ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ من الحمل أو الحيض إستعجالاً للعدّة وإبطالاً لحق الرجعة . ويفيد قبول قولها في ذلك ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الغرض منه : أن كمال الإيمان يمنع من الكتمان ، لا اشتراط^(١) تحريمه به ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ جمع : بعل ، وهو : الزوج ، و«التاء» لتأنيث الجمع كالعمومة . والضمير للرجعيات ، وهو أخص من المرجع ، ويمكن تخصيص المرجع به وإن اختلف فيه ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ إلى النكاح ، أي : ليس الرجعة إلّا لهم ، فـ«أفعل» بمعنى : الفاعل ﴿فِي ذَلِكَ﴾ : في زمان التربص ﴿إِنْ أَرَادُوا﴾ بالرجعة ﴿إِصْلَاحاً﴾ حث على قصد الإصلاح لهن ومنع من الضرار ، لا شرط للرجعة ؛ لصحتها مع قصد الضرار - إجماعاً - وإن حرم ﴿وَلَهُنَّ﴾ على الرجال من الحقوق ﴿مِثْلَ الَّذِي﴾ لهم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ في الوجوب - لا في الجنس - ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ : بالوجه الذي لا ينكر شرعاً وعرفاً ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ : شرف وفضيلة ؛ إذ يشاركونهم في اللذة ويفضلونهم بالقيام عليهن والرعاية لهن ، أو زيادة في الحق .

(١) في «ب» و«ج» : لا اشتراط ، وكان في «الف» هكذا ايضاً الا أنه صحح الى ما اثبتناه في المتن ، وذكر معناه في تفسير البيضاوي ١ : ٢٤٠ ايضاً .

وقد بينت الأخبار حقوق الجانبين وزيادة حقوق الرجل ^(١) حتى ورد فيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «لو كنت امرأةً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرات المرأة أن تسجد لزوجها». ^(٢) وإن امرأة سألته عن حق الزوج فذكره لها، فقالت: «فما لي من الحق مثل ما له علي؟ فقال: لا، ولا من كل مائة واحدة» ^(٣) ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ قادر على ما يشاء ﴿حَكِيمٌ﴾ فاعل بمقتضى الحكمة.

[٢٢٩] - ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ أي: التّطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق لا الجمع، ولم يرد التثنية، أو: التّطليق الرجعي إثنان. لما روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم سئل: أين الثالثة؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أو تسريح بإحسان» ^(٤) ﴿فَإِمْسَاكِ بِمَعْرِوْفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾ تخيير لهما بعد تعليمهم كيفية التّطليق بين إمساكهنّ بحسن المعاشرة وتسريحهنّ سراحاً جميلاً كما علمهم، فهو حكم مبتدأ، وعلى الثاني، معناه: فبعد التّطليقتين الواجب إمساك بالمراجعة على وجه لا ينكر عرفاً وشرعاً، أو تسريح بإحسان بالطلقة ^(٥) الثالثة، أو بأن لا يراجعها حتى تبين - وهو المروي عن الصادقين عليهما السلام - ^(٦) ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَاءٍ يَسْمُوهُنَّ﴾ من المهور ﴿شَيْئاً﴾ قيل: كانت زوجة ثابت بن قيس تبغضه، فقالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا أنا ولا ثابت بن قيس، لا يجمع رأسي ورأسه شيء، فنزلت. ^(٧)

واختلفت منه بحديقة أصدقها إياها، والخطاب للحكّام، واسند الأخذ والإعطاء اليهم لأنهما بأمرهم، أو: للأزواج وما بعده للحكّام ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ أي: الزوجان

(١) ذكرت هذه الحقوق بأسهاب في مكارم الأخلاق ٢١٢-٢١٨.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٣٢٧.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٣٢٧ وتفسير نور الثقلين ١: ٢٢٢ الحديث ٨٥٥ وتفسير البرهان ١: ٢٢٠.

(٤) تفسير التبيان ٢: ٢٤٤.

(٥) في «الف»: بالتطليقة.

(٦) تفسير التبيان ٢: ٢٤٤ وتفسير مجمع البيان ١: ٣٢٧.

﴿أَلَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ ترك إقامة أحكامه - من لوازم الزوجية - . وبنى «حمزة» : «يخافا» للمفعول، ^(١) ف«أن» بصلتها بدل اشتغال من الضمير ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أيها الحكماء ﴿أَلَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ نفسها واختلعت به ، ولو بأزيد من المهر - لعموم «ما» - وعليه الأصحاب في الخلع ، ومنعوا من الزائد في المباراة ؛ للأخبار المخصصة للآية . ^(٢)

والمعنى : لا إثم عليه في الأخذ ولا عليها في الإعطاء وإن أئمت في إظهار الكراهة ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ تجاوزوها بالمخالفة ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وظاهرها تقييد الأخذ بالتباعد من الجانبين وهو في المباراة لا الخلع ؛ إذ شرطه البغض من المرأة فقط .

[٢٣٠] - ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الطلاق المكرر المذكور في : «الطلاق مرتان» ^(٣) واستوفى نصابه ، أو الثالثة بعد المرتين ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾ : من بعد ذلك الطلاق ﴿حَتَّى تَنْكِحَ﴾ تزوج ﴿زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ والنكاح يُسند إلى كل منهما كالتزويج ، ويحتج - بإسناده إليها - على عدم اعتبار الولي في البالغة الرشيدة ، وفيه كلام ولا بد من الوطاء ، للأخبار ^(٤) والإجماع ^(٥) وشذذ اكتفاء «ابن المسيب» ^(٦) بالعقد وقد يحمل النكاح على الوطاء ويستفاد العقد من : «زوجاً» كدوامه من ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ أن يرجع كل من الأول والمرأة إلى صاحبه بالزواج ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ

(١) حجة القراءات : ١٣٥ .

(٢) وسائل الشيعة ١٥ : ٤٩٣ الباب الرابع من كتاب الخلع والمباراة .

(٣) هذا بناء على مذهب من جعل التسريح طلاقاً - راجع تفسير مجمع البيان ١ : ٣٣٠ .

(٤) ذكر جملة منها في تفسير العياشي ١ : ١١٦ الحديث ٣٦٤ .

والكافي ٥ : ٤٢٥ كتاب النكاح باب تحليل المطلقة لزوجهما الحديث ٤ .

(٥) نقل الإجماع صاحب كنز العرفان في ٢ : ٢٨٠ .

(٦) هو سعيد بن المسيب .

يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴿ ما شرعه من لوازم الزوجية . ولا وجه لتفسير الظن - هنا - بالعلم ؛ إذ لا يعلم العواقب إلا الله ، ولمنافاة «أن» الناصبة للعلم ﴿وَتِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ للعلماء المستفيعين بالبيان .

[٢٣١] - ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنِ أَجَلَهُنَّ﴾ : آخر عدتهن . والأجل يقال : للمدة وآخرها ، وأريد بالبلوغ : المقاربة ؛ إذ لا إمساك بعد تقضي الأجل ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ : راجعوهن من غير ضرار ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ : اتركوهن حتى تنقضي عدتهن بلا ضرار ، وكرر هذا الحكم للإهتمام به ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ لاتراجعوهن طلب الإضرار بهن ، أو مضرين ، فنصب علة أو حالا . كأن المطلق يترك المطلقة حتى تقارب الأجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها ، وهو : الضرار ﴿لِتَعْتَدُوا﴾ : لتظلموهن ، أو تلجئوهن إلى الافتداء ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بتعريضها للعذاب ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ أي : جدوا في رعايتها ، والعمل بها ، ولا تنهاونوا بها . يقال لمن لم يجد في الأمر : إنما أنت هازي ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم فقابلوها بالشكر ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ : القرآن ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ : السنة ، فاعملوا بهما ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ بما أنزل ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تهديد وتأکید .

[٢٣٢] - ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنِ أَجَلَهُنَّ﴾ : إنقضت عدتهن ، فالبلوغ على حقيقته للسياق ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ : تمنعهن ﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ الخطاب عام ، أي : ليس لأحد ذلك ، أو للأزواج الذين يمنعون نساءهم بعد العدة عن التزويج ظلماً للحمية لقوله : «إذا طلقتم» . أو للأولياء ؛ لما روي : أن «معقل بن يسار» عضل أخته أن ترجع إلى زوجها الأول بعقد جديد .^(١)

ويحتج به على ثبوت الولاية على المرأة ؛ إذ لو استقلت لم يكن لعضل الولي

(١) تفسير مجمع البيان ١ : ٣٢٢ .

معنى . وفيه : بعد تسليم السبب ، منع كون الأخ ولياً ، ولو سلم لم يستلزم كون الخطاب للأولياء ، ولو سلم لم يلزم من استقلالها عدم منع أحد لها ظلماً ﴿إِذَا تَرَاصُوا بَيْنَهُمْ﴾ أي : الخطاب والنساء ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً ، حال عن الواو ، أو صفة مصدر محذوف ، ويفيد جواز العضل عن غير الكفو ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور أيها الجمع ، أو : السامع ، أو : الرسول ﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إذ هو المنتفع به ﴿ذَلِكَ﴾ أي : عملكم الموجب ما ذكر ﴿أَزَكَّى﴾ خير ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ من دنس الذنوب ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما فيه الصلاح ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك .

[٢٣٣] - ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ خبر أريد به : الأمر - مبالغة - ، وهو للندب أو الوجوب ، فيخص فيما إذا تعذر غير الأم . وتخصيصها بالمطلقات ؛ إذ الكلام فيهن - بعيد^(١) ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ : نعت لرفع احتمال التسامح ﴿لِمَنْ﴾ أي : هذا الحكم لمن ﴿أَرَادَ أَنْ يُسَمِّيَ الرِّضَاعَةَ﴾ ، أو : متعلق بـ «يرضعن» ؛ إذ الأب يجب عليه الإرضاع ، والام ترضع له غالباً . وظاهره : أن أقصى مدة الرضاع حولان ، ولا يعتد به بعدهما ، وجواز النقص ويحد بأحد وعشرين شهراً ، وبعض الأخبار يفيد جواز الزيادة على الحولين^(٢) ، وحدها الأصحاب بشهر أو شهرين إذا اقتضتها المصلحة ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أي : الأب - إذ الولد يولد له ، وعبر به إشارة إلى المعنى الموجب للإرضاع . عليه ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ قيل : يفيد وجوب أجره المثل للأم ، وقيل : المراد به نفقة الزوجية ، وقد يخص بالمطلقة^(٣) ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً وعرفاً بحسب وسعه كما نبه عليه : ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فلا تكلف ما لا تطيقه ، كما ثبت امتناعه عقلاً ﴿لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ

(١) اذن كلمة : «الوالدات» تعم المطلقات وغيرهن .

(٢) كما ورد في وسائل الشيعة ١٥ : ١٧٦ الباب ٧٠ من ابواب احكام الاولاد الحديث ٤ .

(٣) قاله الضحاك والثوري - كما في تفسير التبيان ٢ : ٢٥٦ وتفسير مجمع البيان ١ : ٢٣٥ .

يُولَدُهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُولَدُهَا ﴿١﴾ بيان له، أي: لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس في وسعه.
ورفع «ابن كثير» و«أبو عمرو» «تضار»^(١) وأصله - على القراءتين -: «تضارر» بالكسر،
أو الفتح - بناءً للفاعل أو المفعول -، أي: لا يضار كل منهما الآخر بالتعديء إلى
ما لا يجوز بسبب الولد.

وعلى الكسر جاز كونه بمعنى: «يضر»، والباء صلته، أي: لا يضر الوالدان
بالولد فتسيء الأم تعهده، ويقصر الأب في حقه، وإضافته إليها تارة وإلى أخرى
استعطاف لهما عليه، وحث على عدم التقصير في حقه ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾
الذي وجب على الأب، عطف على: «وعلى المولود له» وما بينهما اعتراض للبيان.
و«الوارث»: وارث الأب، وهو الولد، أي: مؤن المرضعة من ماله إذا مات أبوه،
أو: الباقي من الأبوين - وهو: الأم -، ورثة الأب،^(٢) وقيل: ورثة الصبي^(٣) وكلاهما
ضعيف ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أي الوالدان ﴿فَصَالَا﴾ قبل الحولين أو بعدهما، صادراً ﴿عَنْ
تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ مشتمل على مصلحة الطفل

والتشاور: استخراج الرأي - من: «شريت العسل» أي: استخرجته - ﴿فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَا﴾ فيه واشترط رضا الأب لولايته، والأم لأحققتها بالتربية، وهي أعلم بحال
الصبي ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا﴾ المراضع ﴿أَوْلَادَكُمْ﴾ إسترضع كـ «أرضع» ينصب
مفعولين، حذف أحدهما للإستغناء عنه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه، ويفيد أن للأب
إسترضاع غير الأم، لكنه مقيد بما إذا لم يستلزم الإضرار بها؛ للنهي عنه ﴿إِذَا
سَلَّمْتُمْ﴾ إلى المراضع ﴿مَاءَ أَيْتُمٍ﴾: ما أردتم إعطاؤه. وقرأ «ابن كثير»: «أَيْتُمٍ»^(٤)

(١) حجة القراءات: ١٣٦.

(٢) قاله قبيصة بن ذؤيب - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٢٥.

(٣) قاله الحسن وقتادة والسدي - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٢٥.

(٤) حجة القراءات: ١٣٧.

من: «أتى جميلاً» أي: فعله ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً، صلة «سلمتم» وجواب الشرط يعلم مما قبله. وليس التسليم شرطاً لجواز الإسترضاع بل أريد الحث على ما هو الأصلح للطفل ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بالمحافظة على حدوده سيما في أمر الأطفال والمراضع ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وعد ووعيد.

[٢٣٤] - ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي: بعدهم، كقولهم: «السمن منوان بدرهم»: أو: أزواج الذين يتوفون يتربصن ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾ أنت باعتبار الليالي وتدخل الأيام معها، ولم يذكروا في مثله قط، حتى أنهم يقولون: «صمت عشراً».

والحكم يعم الصغيرة والكبيرة، والمدخول بها وغيرها، والمسلمة والكتابية. وأما الحامل: فبأبعد الأجلين؛ لإجماعنا والأخبار^(١)

والوضع عندهم لآية: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ﴾^(٢) وخصت عندنا بالطلاق.

ثم منّا من أدخل المتمتع بها في الحكم، ومنّا من نصّف لها المدة، وكذا الخلاف في الأمة، وأخبارنا مختلفة في كلّ منهما ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الحكماء أو المسلمون ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التعرض للخطاب ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ الذي لا ينكر شرعاً، ويفهم أنّ عليهم منعهن لو فعلن ما ينكر، فإن قصرُوا أثموا ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ترغيب وترهيب.

[٢٣٥] - ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ المعتدات غير

الرجعيات. والتعريض: إيهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً، كقول السائل: جئت لك لأزورك، والكناية: الدلالة على الشيء بذكر لوازمه كـ «كثير الرماد» للمضياف.

(١) وسائل الشيعة: ١٥: ٤٥٥ باب ٣١ من أبواب العدد.

(٢) سورة الطلاق: ٤/٦٥.

والخطبة بالكسر - : طلب المرأة . وتعريض خطبتها ، أن يقول لها : أنت جميلة ، ورب راغب فيك ، ونحوه ﴿أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أضمرت ي قلوبكم بلا تصريح ولا تعريض ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ لرغبتكم فيهن فلا تصبرون على الكتمان .

وفيه نوع توبيخ وحذف ، أي : فاذكروهن ، ليشجه استدراك ﴿وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ : جماعاً لأنه يسر ، أو : لا تواعدوهن في السر بما يستهجن ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ وهو : التعريض بلا تصريح . والاستثناء من محذوف ، أي : لا تواعدوهن مواعدة إلا مواعدة معروفة ، أو : بقول معروف . وقيل : منقطع من «سرّاً»^(١) ويلزمه كون التعريض موعوداً وليس كذلك ، ويفيد : جواز تعريض خطبة المعتدة وحرمة تصريحها ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد أي : لا تعزموا عقد عقدة النكاح ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ ينقضي المكتوب من العدة ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من العزم ﴿فَاخْذُرُوهُ﴾ ولا تعزموا ما لا يجوز ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن عزم ولم يفعل خشية الله ﴿حَلِيمٌ﴾ : يمهل العقوبة .

[٢٣٦] - ﴿لَا جُنَاحَ﴾ : لا تبعة ﴿عَلَيْكُمْ﴾ من مهر ، أو : لا إثم . رفع لتوهم منع الطلاق قبل المسيس ﴿إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ : تجامعوهن . وقرأ «حمزة» و«الكسائي» : «تماسوهن»^(٢) ﴿أَوْ تَقْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أي : وتفرضوا ، أو : إلا أن تفرضوا . أي : لا تبعة على المطلق من المهر ما لم يمسن المطلقة ، ولم يسم لها مهراً ؛ إذ مع المسن عليه المسمى ، أو مهر المثل ، وبدونه مع التسمية نصف المسمى ، فمنطوقها ينفي وجوب المهر في الصورة الأولى ، ومفهومها يشبه في الجملة في الأخيرتين ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ عطف على مقدر ، أي : فطلقوهن ومتعوهن ، وتقدير

(١) نقل هذا القول البيضاوي في تفسيره وضعفه ، ينظر تفسير البيضاوي ١ : ٢٤٨ .

(٢) حجة القراءات : ١٣٧ .

المتعة بحسب حال الزوج لقوله ﴿عَلَى الْمُؤْسِعِ﴾ من له سعة ﴿قَدَرُهُ﴾ بالسكون، أو الفتح - على القراءتين -، ما يطيقه ﴿وَعَلَى الْمُقْتِرِ﴾: الضيق الحال ﴿قَدَرُهُ﴾ والمتوسط داخل في أحدهما. والمحكم في التقدير: العرف، ولا ينافيه ما قدره الأصحاب لكل من الأقسام فوجبت المتعة للمطلقة قبل المس، والفرض بالمنطوق، وانتفى وجوبها لغيرها بالمفهوم ﴿مَتَاعاً﴾: تمتعاً ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً وعرفاً بحسب المروءة ﴿حَقّاً﴾: واجباً، أو حق ذلك حقاً ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ إلى أنفسهم بالإمثال، أو إلى المطلقات بالتمتع. سمووا بالمشاركة محسنين ترغيباً.

[٢٣٧] - ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ أي: فعليكم، أو: فالواجب نصف المسمى، ودل على أن الجناح المنفي آنفاً تبعة المهر ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾ أي: المطلقات عن حقهن كلاً أو بعضاً. والصيغة للمؤنث ووزنها «يفعلن» ولا اثر لـ «أن» فيها؛ لبنائها وتأتي للمذكر، ووزنها «يعفون» بحذف اللام ﴿أَوْ يَعْفُوا﴾ عطف على محل «يعفون» الذي بيده عَقْدَةُ النِّكَاحِ: الولي إذا كانت صغيرة أو غير رشيدة - إذ له العفو إذا اقتضته المصلحة، لكن لا عن الكل - عند الأصحاب..

وقيل: الزوج؛^(١) لأنه المالك لحله وعقده. وعفوه أن يسوق اليها المهر كاملاً، وفيه بعد ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ خطاب للأزواج، فعلى الأول: لما ذكر عفو المرأة ووليها ذكر عفو الزوج، وعلى الثاني: أعيد ذكره تأكيداً، وجمع بإعتبار كل زوج أو للزوجين معاً بتغليب الذكورة ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: ولا تتركوا أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ عليهم.

[٢٣٨] - ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ بأدائها لأوقاتها بحدودها، وكأن الأمر بها خلال أحكام الأولاد والأزواج لئلا تلهيم عنها ﴿وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾ بينها، أو

(١) قاله سعيد بن المسيب وقتادة والضحاك... كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٢.

الفضلى، وخصت بعد التعميم لفضلها، واختلف في تعيينها وبكل واحدة من الخمس قائل. ^(١) وقيل: أخفيت ليهتم بالكل كـ «ليلة القدر» ^(٢) «وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ»: داعين، أو ذاكرين أو: خاشعين أو: طائعين، أو: ساكتين. واحتج بها على وجوب القنوت في الصلاة، وفيه تأمل، وعلى وجوب القيام والنية فيها، وليس ببعيد.

[٢٣٩] - «فَإِنْ خِفْتُمْ» عدواً أو غيره ولم يمكنكم الصلاة بشرائطها «فَرَجَالًا» جمع راجل «أَوْ رُكْبَانًا» أي: فصلوا راجلين، أو راكبين على أي هيئة يمكنكم «فَإِذَا أَمِيتُمْ» من الخوف «فَاذْكُرُوا اللَّهَ» صلوا صلاة الأمن، أو: اشكروه على الأمن «كَمَا» ذكرا مثل ما «عَلَّمَكُم» من الشرائع، أو: شكراً يوازيه. و«ما» موصولة أو مصدرية «مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ» موصولة أو موصوفة.

[٢٤٠] - «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ» نصبها «أبو عمرو» و«ابن عامر» و«حمزة» و«حفص» بتقدير: يوصون وصية، أو: الزموا وصية. ورفعها الباكون بتقدير: وحكم الذين يتوفون وصية، أو: عليهم وصية. ^(٣) «مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ» نصب بـ «يوصون» - أن قدر - وإلا فبـ «وصية» «غَيْرِ إِخْرَاجٍ» بدل منه، أو: حال من أزواجهم، أي: غير مخرجات، والمعنى: أنه يجب على المقاريين للوفاة أن يوصوا بأن تتمتع أزواجهم بعدهم حولاً بالنفقة والسكنى. قال الطبرسي: اتفق العلماء على أن الآية منسوخة. ^(٤)

ونقل عن «الصادق» عليه السلام: نسخها بـ «أربعة أشهر وعشراً»، ولعلّه متأخر نزولاً - وإن تقدم تلاوة -، وبآية المواريث، ولعلّ النسخ لوجوب الوصية دون الجواز

(١) ذكرت الأقوال مع تسمية قائلها في تفسير التبيان ٢: ٢٧٥ وتفسير مجمع البيان ١: ٣٤٣.

(٢) قاله الربيع بن خثيم وأبو بكر الوارق - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٣.

(٣) ذكر ذلك في حجة القراءات: ١٣٨.

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٥.

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ من منزل الزوج ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الحكماء أو الأولياء للميت ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من ترك الحداد ﴿مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ شرعاً. ويفيد أنها كانت مخيرة بين ملازمة المنزل والحداد وأخذ النفقة، وبين الخروج وتركها ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ لا يقهر ﴿حَكِيمٌ﴾ يفعل للمصلحة.

[٢٤١] - ﴿وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ قيل: عموماً وجوب المشقة لكل مطلقة بعد إيجابها لواحدة منهن^(١).

وعندنا أن العموم مخصص بالآية السابقة، وقيل: التمتع يعم الواجب والمندوب، وقيل: أريد به نفقة الزوجة^(٢).

[٢٤٢] - ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ دلائله وأحكامه تبيناً مثل ذلك التبيين للأحكام المذكورة ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تستعملون عقولكم فيها.

[٢٤٣] - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تقرير لمن سمع بقصتهم، أو: الخطاب عام - لأنه كالمثل في التعجب - . ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾: أهل «داوردان» قرية قبل «واسط»^(٣) هربوا من الطاعون فأماتهم الله ثم أحياهم، ليعلموا أن لامفر من حكمه.

أو: قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد ففروا ﴿وَهُمْ أَلُوفٌ﴾ كثيرة ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ مفعول له ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ أي: فأماتهم. وعبر به تنبيهاً على أنهم ماتوا موة رجل واحد بمشيئته تعالى، وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد؛ إذ الموت لا مفر منه، وأفضله الشهادة ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ قيل: مرّ عليهم «حزقيل» عليه السلام: وقد عريت عظامهم، وتقطعت أوصالهم، فتعجب منهم، فأوحى إليه:

(١) قاله سعيد بن جبير وأبو العالية والزهري - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٥.

(٢) قاله أبو علي الجبائي - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٤٥.

(٣) تقع شرقي واسط، وبينها وبين «واسط» فرسخ، كما في معجم البلدان ٢: ٤٢٤ - باب الدال والالف..

نادٍ فيهم أن قوموا بإذن الله، فنادى، فقاموا. ^(١)

وعن الباقر عليه السلام: أنهم ردّوا وعاشوا ما شاء الله ثم ماتوا بأجالهم ^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ كإحياء أولئك ليعتبروا، واقتصاص خبرهم لتستبصروا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ له حق شكره.

[٢٤٤] - ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لما بيّن أن الفرار من الموت غير منج لهم، أمرهم بالقتال في دينه؛ لأنه إن قدر موتهم فازوا بالشهادة وإلا فبالثواب ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بضمائرهم.

[٢٤٥] - ﴿مَنْ﴾ استفهامية مبتدأ، ﴿ذَا﴾ خبره ﴿الَّذِي﴾ صفته - أو: بدل - ﴿يُقْرِضُ اللَّهَ﴾: ينفق في طاعته، أو: يعمل لوجهه، بإقراضه تمثيل لتقديم ما يطلب به ثوابه ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾: إقراضاً خالصاً لوجهه، أو مقرضاً حلالاً طيباً ﴿فِيضَاعِفَهُ لَهُ﴾ فيضاعف جزاءه.

وصيغة المفاعلة للمبالغة ونصبه «عاصم» جواباً للاستفهام ^(٣)؛ إذ المعنى أيقرض الله أحداً؟ وشدّده «ابن كثير» بلا ألف رافعاً، «وابن عامر» ناصباً ^(٤) ﴿أَضْعَافًا﴾ جمع ضعف، نصب حالاً من الضمير المنصوب، أو مصدرأ على أن الضعف اسم للمصدر، وجمع للتنويع، أو مفعولاً ثانياً لتضمن المضاعفة التصيير ﴿كَثِيرَةً﴾ لا يحصيها إلا الله ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾: يقتر على قوم ويوسع على قوم حسب المصلحة، فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم، لئلا يقتر عليكم، وقريء بالسين والصاد ^(٥) واختلف النقل فيهما ^(٦) ﴿وَاللَّهُ يُرْجِعُونَ﴾ تأكيد للجزاء.

(١) ذكر قصتهم الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٢٤٧ عن جماعة من المفسرين.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٢٤٧.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٢٤٨.

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٢٤٨.

(٥) حجة القراءات: ١٣٩.

[٢٤٦] - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ﴾ جماعة الأشراف ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ «من» للتبويض ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ من بعد وفاته، و«من» للإبتداء ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ﴾: «شمعون» أو: «يوشع» أو: «اشمويل» ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أنهض للقتال معنا أميراً نصدر في تدبيره عن رأيه. وجزم «نقاتل» على الجواب ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ وكسر «نافع»: «السين»^(١) ﴿إِنْ كُنْتُمْ عَلَيَكُمُ الْقِتَالُ﴾ شرط فصل بين «عسى» وخبره وهو: ﴿أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ استفهم عما هو متوقع عنده من جبنهم عن القتال تقريراً ﴿قَالُوا وَمَالَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ﴾ وأي داع لنا إلى ترك القتال ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانِنَا﴾ وذلك أن «جالوت» و«العمالقة» كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين، فغلبوا على ديار بني اسرائيل وسبوا ذراريهم ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ ثلاثمائة وثلاثة عشر، عدد أهل بدر ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ في ترك القتال، وعيد لهم.

[٢٤٧] - ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ﴾ اسم عبري كـ «جالوت» - لا «فعلوت» من الطول، لمنع صرفه - قيل: لما دعا الله نبيهم أن يملكهم أتى بعضاً يقاس بها من يملك، فلم يساوها إلا «طالوت»^(٢) ﴿مَلِكًا قَالُوا أَنَّى﴾: من أين ﴿يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ﴾ أي: أنا ﴿أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ وراثته. قيل: إنه كان من سبط «بنيامين» ولم يكن فيهم الملك والنبوة، وإنما كان الملك في سبط «يهوذا» والنبوة في سبط «لاوي» وكان فيهم خلق من السبطين^(٣) ﴿وَلَمْ يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ ولا بد للملك من مال يعتضد به.

(١) حجة القراءات: ١٣٩.

(٢) قاله السدي - كما في تفسير روح المعاني ٢: ٤٤٣.

(٣) ينظر تفسير مجمع البيان ١: ٢٥٢، برواية عن الحلبي عن أبي عبد الله (ع) - ينظر

تفسير العياشي ١: ١٣٢.

قيل : كان سقاءً أو دباغاً ، فأنكروا تملكه لسقوط نسبه وفقره ، ^(١) فردّ عليهم ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ﴾ : اختاره ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وهو أعلم بالمصالح منكم ﴿وَزَادَهُ﴾ ما هو أنفع مما ذكرتم ﴿بَسْطَةً﴾ : سعة ﴿فِي الْعِلْمِ﴾ ولا يتم أمر السياسة إلا به ﴿وَالْجِسْمِ﴾ إذ الجسيم أعظم في النفوس ، وأقوى على مكابدة الحروب . كان إذا مدّ الرجل القائم يده نال رأسه ﴿وَاللَّهُ﴾ له الملك ﴿يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ الفضل ﴿عَلَيْمٌ﴾ بمن يصلح للملك .

[٢٤٨] - ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ حين طلبوا منه الحجّة على تملكك الله «طالوت» : ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ : الصندوق «فعلوت» من التوب ؛ لرجوع ما يخرج منه اليه غالباً ، وهو صندوق التوراة .

وقيل : إنه المنزل على أم موسى لتقذفه به في اليم ، ^(٢) وكان من شمشاد ^(٣) ممّوهاً بالذهب ، نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين ^(٤) ﴿فِيهِ﴾ في إتيانه ﴿سَكِينَةٌ﴾ سكون وطمأنينة لكم ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أو في التابوت أي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة ، وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قدّمه فتسكن نفوسهم ويشبتون ، أو : صورة لها وجه كوجه الإنسان فيها ريح هفافة ^(٥) أو آية يسكنون اليها ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾ رضراض الألواح ، ^(٦) وعصا موسى ، وثيابه ، وعمامة هرون .

(١) نقله الزمخشري في تفسير الكشاف ١: ٣٧٩ .

(٢) ذكره الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٣٥٣ عن علي بن إبراهيم في تفسيره .

(٣) هو خشب الشمشاد .

(٤) ذكره البيضاوي في تفسيره ١: ٢٥٣ .

(٥) الهفافة مؤنث الهفاف . وهي الريح الطيبة .

(٦) في «الف» : رضاض ، والرضراض : فئات الألواح ، وهي مكسوراتها .

وَالْهَمَا: أَنْفُسُهُمَا، ^(١) وَالْأَلْ مَقْحَم، ^(٢) أَوْ: أَنْبِيَاءُ بَنِي يَعْقُوبَ لِأَنَّهُمْ بَنُو عَمَّهُمَا ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قِيلَ: رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا اسْتَخَفُّوا بِهِ بَعْدَ مُوسَى، فَنَزَلَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ وَهُمْ يَشَاهِدُونَهُ ^(٣) وَقِيلَ: كَانَ بَعْدَهُ فِيهِمْ يَسْتَفْتِحُونَ بِهِ فَأَفْسَدُوا فَعَلِبِهِمُ الْأَعْدَاءُ عَلَيْهِ، وَبَقِيَ فِيهِمْ إِلَى أَنْ بَعَثَ «طَالُوتُ» فَابْتَلَوْا بِالْمَوْتِ وَالْوَبَاءِ، فَتَشَاءَ مَوَا بِهِ، فَوَضَعُوهُ عَلَى ثَوْرَيْنِ، فَسَاقَهُمَا الْمَلَائِكَةُ إِلَى طَالُوتَ ^(٤) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مِنْ كَلَامِ نَبِيِّهِمْ، أَوْ خَطَابٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

[٢٤٩] - ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ﴾ أَصْلُهُ فَصَلَ نَفْسَهُ، فَكَثُرَ فَحُذِفَ ^(٥) مَفْعُولُهُ، وَصَارَ كَاللَّازِمِ، أَيِ: انفصل عن بلده ﴿بِالْجُنُودِ﴾ وَكَانُوا ثَمَانِينَ أَلْفًا، اخْتَارَهُمْ إِذْ لَمْ يَخْرُجْ إِلَّا الشَّابُّ النَّشِيطُ الْفَارِغُ، وَكَانَ الْوَقْتُ قِيظًا ^(٦) فَشَكُوا قَلَّةَ الْمِيَاهِ ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾: مُعَامِلُكُمْ مُعَامِلَةَ الْمُخْتَبَرِ ﴿بَنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ فَلَيْسَ مِنْ جَمَلَتِي أَوْ فَلَيْسَ بِمُتَّحِدٍ بِي ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾: لَمْ يَذُقْهُ ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ﴾: اسْتِنَاءَ مِنْ «فَمَنْ شَرِبَ» ﴿غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ فِيهِ قَرَاءَتَانِ: ^(٧) الضَّمُّ بِمَعْنَى الْمَعْرُوفِ، وَالْفَتْحُ مَصْدَرٌ، وَالْمَعْنَى: الرِّخْصَةُ فِي الْقَلِيلِ دُونَ الْكَثِيرِ ﴿فَشَرَبُوا مِنْهُ﴾ كَرَعُوا فِيهِ ^(٨) ﴿إِلَّا

(١) يَعْنِي: مِمَّا تَرَكَ مُوسَى وَهَارُونَ، يَقُولُ الْعَرَبُ آلَ فُلَانٍ، يَرِيدُونَ نَفْسَهُ - كَمَا فِي تَفْسِيرِ مَجْمَعُ الْبَيَانِ ١: ٣٥٣.

(٢) أَيِ: أَقْحَمُ كَلِمَةُ «الْأَل» فِي الْعِبَارَةِ، تَفْخِيمًا لِشَأْنِ مُوسَى وَهَارُونَ كَمَا فِي تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ ١: ٢٥٤.

(٣) قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ - كَمَا فِي تَفْسِيرِ مَجْمَعُ الْبَيَانِ ١: ٣٥٣.

(٤) نَقَلَ هَذَا الْقَوْلَ كُلَّ مَنْ الطَّبْرَسِيُّ فِي تَفْسِيرِ مَجْمَعُ الْبَيَانِ ١: ٢٥٣ وَالزَّمَخْشَرِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْكَشَّافِ ١: ٣٨٠.

(٥) كَذَا وَرَدَ فِي النُّسخِ وَالصَّحِيحِ كَمَا فِي تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ ١: ٢٥٤ - وَأَصْلُهُ فَصَلَ نَفْسَهُ عَنْهُ، وَلَكِنْ لَمَّا كَثُرَ حُذِفَ مَفْعُولُهُ صَارَ كَاللَّازِمِ -.

(٦) الْقِيْظُ: شِدَّةُ الْحَرِّ.

(٧) ذَكَرْنَا فِي حِجَةِ الْقَرَاءَاتِ: ١٤٠.

(٨) يُقَالُ: كَرَعَ فِي الْمَاءِ أَوْ الْإِنَاءِ: إِذَا مَدَّ عُنُقَهُ وَتَنَاوَلَ الْمَاءَ بِفِيهِ مِنْ مَوْضِعِهِ.

قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴿الْقَلِيلُ كَانُوا ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ، وَقِيلَ أَكْثَرُ. ^(١)

روي أن من اقتصر على الغرفة روي، ومن استكثر غلب عطشه وعجز عن المضي ^(٢) ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ القليل ﴿قَالُوا﴾ أي: بعضهم لبعض ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ﴾ جبار من العمالقة من ولد «عمليق بن عاد» ﴿وَجُنُودِهِ﴾ لكثرتهم ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ﴾ وهم الخَلَصُ منهم، الَّذِينَ يَتَّقُونَ لقاء ثواب الله، أو: القليل: المؤمنون، وضمير «قالوا» للكثير المخالفين، كأنهم تقاولوا به والنهر بينهما ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ﴾ فرقة ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره ونصره و«كم» خبرية: أو: استفهامية ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالنصر.

[٢٥٠] - ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾: صب ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَبَثَّ أَقْدَامَنَا﴾ في مداحض الحرب ^(٣) ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ بذلك وبإلقاء الرعب في قلوبهم.

[٢٥١] - ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بنصره ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ كان «إيشا» في جند طالوت مع ستة من بنيهِ وكان داود سابعهم وأصغرهم يرعى الغنم، فأوحى الله إلى نبيهم: أنه الذي يقتل جالوت، فطلبه من أبيه، فأتى فقالت له ثلاثة أحجار في طريقه: إنك تقتل جالوت بنا، فحملها ورماء بها، وقتله وزوجه طالوت بنته ﴿وَعَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ في الأرض المقدسة، ولم يجتمعوا على مُلْكٍ قبل داود ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: النبوة ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ كمنطق الطير والسرد ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي: لولا أن يدفع بعض الناس ببعض، أو: ينصر المسلمين على الكفار ويكفّ بهم فسادهم ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بغلبة المفسدين فيها ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ في دينهم ودنياهم.

(١) قاله السدي - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٥٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس - كما في روح المعاني ٢: ١٤٧.

(٣) المداحض: المساقط والمزالق.

[٢٥٢] - ﴿تِلْكَ﴾ القصص المذكورة من خبر الألوف وتمليك طالوت وآيته، ونصر جنده، وقتل جالوت ﴿ءَايَاتُ اللَّهِ﴾ : دلالاته ﴿تَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ : بالصدق الذي لا يشك فيه أحد ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ لإخبارك بها ولم تقرأ ولم تسمع .

[٢٥٣] - ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ إشارة إلى جماعة الرسل المذكورة في السورة، أو: المعلومة له صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بمنقبة تخصه دون غيره ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ تفضيلاً له ، وهو موسى عليه السلام ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ فضله على غيره بمراتب متفاوتة ، وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم حيث خص بفضائل لا تحصى كالعلوم الوافرة ، والآيات الباهرة ، والحجج المتكاثرة ، والدعوة العامة ، والمعجزة المستمرة القائمة .

والإبهام لتعظيم قدره كأنه العلم المتميز بهذا النعت فلا يشبهه ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ خصه وموسى بالذكر لوضوح معجزاتهما العظيمة التي بها فضلا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ مشيئة الجاء ﴿مَا أَفْتَلَّ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد الرسل ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ : الحجج الواضحة ، لاختلافهم في الدين وتكفير بعضهم بعضاً ﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا مِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ﴾ بتوفيقه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ بخذلانه ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلُوا﴾ كرر تأكيداً ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من العصمة والخذلان .

[٢٥٤] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ مما وجب انفاقه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ﴾ حتى يمكنكم تدارك ما فاتكم بابتياح ما تنفقونه ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ حتى يسامحكم به أخلاؤكم ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ إلا لمن اذن له الرحمن حتى تتكلوا على شفيع يشفع لكم في حط ما في ذممكم . وفتح «ابن كثير» و«أبو عمرو» ثلاثتها ، ورفعها الباقون^(١) ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ أي : التاركون للزكاة . عبر عنهم بالكافرين تغليظاً ﴿هُمْ

(١) حجة القراءات : ١٤١ .

الظَّالِمُونَ ﴿لأنفسهم﴾.

[٢٥٥] - ﴿الله لا إله إلا هو﴾ مبتدأ وخبر. والمعنى أنه المستحق للعبادة لا غيره
 ﴿الْحَيُّ﴾ الذي يصح أن يعلم ويقدر ﴿الْقَيُّومُ﴾: الدائم القيام بتدبير خلقه وحفظه
 ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾: فتور يتقدم النوم فلذلك قدمت على ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ والقياس العكس،
 والجملة نفى للتشبيه، وتأکید لـ «القيوم». إذ لا تدبير ولا حفظ لمن ينعس أو ينام؛
 ولذا فصلت كآتي بعدها ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تقرير لقيوميته،
 وإثبات لتوحيده بالألوهية: وما فيهما يعم ما دخل في حقيقتهما وما خرج عنهما
 متمكناً فيهما ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ بيان لكبريائه، أي: لا أحد يتمالك
 يوم القيامة أن يشفع لأحد إلا إذا أذن له ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما قبلهم
 وما بعدهم، أو عكسه، أو أمور الدنيا وأمر الآخرة أو عكسه، والضمير لـ «ما في
 السموات والأرض» تغليبا للعقلاء، أو لما دل عليه «من ذا» من الملائكة والأنبياء
 ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ من علمه ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أن يعلموه ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ كرسية: علمه، أو: ملكه، تسمية باسم محل العالم، أو:
 الملك، أو: العرش، أو جسم دونه، محيط بالسموات، وهو في الأصل: اسم لما
 يجلس عليه، ولا يفضل عن مقعد القاعد ﴿وَلَا يَؤُودُهُ﴾: لا يثقله من الأود أي العوج
 ﴿حِفْظُهُمَا﴾ حفظ السموات والأرض ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ عن المثل والنذ ﴿الْعَظِيمُ﴾
 الشأن، ولاشتمال الآية على توحيده تعالى، وأصول صفاته الكمالية،
 ونعوته الجلالية.

ورد في شأنها ما ورد؛ كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأ آية الكرسي في دبر كل
 صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد.
 ومن قرأها إذا أخذ مضجعه أمّنه الله على نفسه وجاره، وجار جاره».^(١)

(١) تفسير جوامع الجامع ١: ١٤٠ وفي آخره: والايات حوله.

وقال الباقر عليه السلام : «من قرأ آية الكرسي مرة، صرف الله عنه ألف مكروه من مكاره الدنيا، وألف مكروه من مكاره الآخرة، أيسر مكروه الدنيا : الفقر، وأيسر مكروه الآخرة : عذاب القبر»^(١) إلى غير ذلك .

[٢٥٦] - ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أي : لم يجر الله أمر الإيمان على الإجبار، ولكن على الاختيار ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة . وقيل : إخبار، معناه النهي، أي : لا تكرهوا في الدين .^(٢) وهو إمام عام نسخ بآية السيف،^(٣) أو خاص بالذميين .

قيل : كان لأنصاري إبنان فتنصرا قبل البعثة ثم قدما المدينة فقال أبوهما : والله لا أدعكما حتى تُسلما ، فاختصموا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت^(٤) ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ فعلوت من الطغيان ، مقدم اللآم ، وهو : الشيطان أو : ما عبد من دون الله ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ تمسك ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ : المحكمة ، تمثيل للمعلوم بالنظر بالمحسوس ﴿لَا انْقِصَامَ﴾ لا انقطاع ﴿لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿عَلِيمٌ﴾ بالضمائر .

[٢٥٧] - ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ متولي أمر الذين أرادوا أن يؤمنوا أو : ناصرهم باللطف ﴿يُخْرِجُهُمْ﴾ بلطفه ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ : من الكفر إلى الإيمان . والجملة خبر ثاني أو استئناف ، بيان للولاية ، أو الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبهة في الدين ، إن عرضت لهم بتوفيقه لحلها إلى نور اليقين ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ صمموا

(١) رواه العياشي في تفسيره ١: ١٣٦ عن أبي عبد الله عليه السلام .

(٢) قاله مجاهد كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٦٣ .

(٣) آية السيف هو قوله تعالى : «إِذَا انْشَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحَرَمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ» (سورة التوبة : ٢/٩) .

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٣٦٣ .

على الكفر ﴿أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ﴾: الشيطان، أو: رؤوس الضلالة ﴿يُخْرِجُونَهُمْ﴾^(١) بوسوستهم إليهم ﴿مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾: من الإيمان إلى الكفر، أو: من نور البينات إلى ظلمات الشبهات. وقيل: نزلت في قوم ارتدوا عن الإسلام^(٢) ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وعيد.

[٢٥٨]- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ تعجيب من محاجة «نمرود» وكفره ﴿أَنْ آتَاهُ﴾: لأن آتاه ﴿اللَّهُ الْمُلْكُ﴾ ما تسلط به من المال والخدم، لا التسلط،^(٣) أو: ملكه إيتاء للعباد، أي: أبطره الإيتاء فحاج لذلك، أو: حاج لأجله، أي: وضع المحاجة موضع الشكر على ذلك أو: وقته ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ ظرف لـ «حاج» أو بدل من «أن آتاه» إن أريد به الوقت ﴿رَبِّي الَّذِي يُخَيِّ وَيُمِيتُ﴾ يخلق الحياة والموت. وحذف «حمزة» «باء»، «رَبِّي»^(٤) ﴿قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾: أعطي من القتل وأقتل، وقرأ «نافع»: أنا بالالف^(٥) ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ لم يجب إبراهيم معارضته، لظهور فسادها؛ إذ المراد من الإحياء والإماتة خلقهما - لا الإبقاء والقتل -، وعدل إلى دليل لم يمكنه التمويه فيه.

وعن الصادق عليه السلام: «إن إبراهيم قال له: فأحي من قتلته إن كنت صادقاً»،^(٦) ثم استظهر عليه بما احتج به ثانياً.

قيل: لما كثر إبراهيم عليه السلام الأصنام، سجنه أياماً ثم أخرجه ليحرقه فقال له: من ربك الذي تدعو إليه؟، وحاجه فيه^(٧) ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾: صار مبهوراً ملزماً

(١) قاله مجاهد - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٦٥.

(٢) في «الف»: لا التسلط.

(٣) حجة القراءات: ١٤٢.

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٣٦٧ وجوامع الجامع ١: ١٤١.

(٥) نقله البيضاوي في تفسيره ١: ٢٦٠ - ٢٦١.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم بإيائهم قبول الهداية، أو: لا يهديهم إلى المحاجة؛ أو: إلى الجنة.

[٢٥٩] - ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ﴾ تقديره: أو رأيت مثل الذي، فحذف لدلالة «ألم تر» عليه، أو: الكاف مزيدة، والتقدير: ألم تر إلى الذي حاج أو، الذي مر. وهو «عزير بن شرحبيل» أو: «أرميا» أو: «الخضر» عليه السلام. وقيل: كافر بالبعث. ^(١) ﴿عَلَى قَرْيَةٍ﴾ هي بيت المقدس حين خربه «بخت نصر» أو: التي خرج منها الألوف ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾: خالية ساقطة حيطانها على سقوفها ﴿قَالَ أَنَّى﴾ ظرف أو: حال، أي: متى أو: كيف ﴿يُخْبِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ إقرار بالعجز عن معرفة طريق الإحياء - إن كان القاتل مؤمناً -، أو: استبعاد - إن كان كافراً - ﴿فَأَمَّا اللَّهُ﴾ فلبث «مائة عام ثم بَعَثَهُ»: أحياه ﴿قَالَ﴾ الله تعالى - أسمعته صوتاً، أو: ملك، أو نبي - : ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ - بِالْإِدْغَامِ، وَفَكَهْ - ﴿قَالَ﴾ - قول الظَّانِّ - : ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

وقيل: أميت ضحى وبعث بعد المائة آخر النهار، فقال - ولم يعاين الشمس - : يوماً، ثم التفت ورأى بقية منها فقال: «أو بعض يوم» ^(٢) ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةً عَامًا فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾ قيل: كان تيناً أو: عنباً ^(٣) ﴿وَشَرَابِكَ﴾ كان عصيراً أو: لبناً ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: لم يتغير بمر السنين، أخذ من السنة، ولامها إمّا: هاء - فالهاء أصلية -، أو: واو - فهاء السكت -، وأفرد الضمير لأن الطعام والشراب كالجنس الواحد. وجد الكل على حاله ﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ أي: إلى عظامه أو: إليه، سالماً كما ربطته، أعشناه بلا ماء وعلف ﴿وَلَنَجْزِيَنَّكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ فعلنا ذلك.

(١) قاله مجاهد - كما في تفسير روح المعاني ٣: ١٨ -.

(٢) قاله قتادة كما في تفسير الطبري ١: ٢٥.

(٣) نقل هذا القول كل من القمي في تفسيره ١: ٨٦ وتفسير العياشي في تفسيره ١: ١٤٠ وينظر تفسير البرهان ١: ٢٤٨.

قيل: إنه رجع إلى قومه على حماره، فقال: أنا عزير فكذبوه، فأملى التوراة عن حفظه، وكان «بخت نصر» أحرقها، وكان جدّه دفنها، فأخرجها وعارضوها بما أملى، فما حرم حرفاً، فقالوا: هو «ابن الله».^(١) قيل: رجع وهو شاب وأولاده شيوخ فإذا حدّثهم بحديث قالوا: حديث مائة سنة.^(٢)

وعن عليّ عليه السلام: «أنه خلّف امرأته حاملاً وله خمسون سنة فرجع ابن خمسين، ولابنه مائة»^(٣) ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾: عظام الحمار أو: أهل القرية أو: عظامه. أحيا الله عينه فنظر ﴿كَيْفَ تُنْشِزُهَا﴾ - بالمهملة - : نحييها، و - المعجمة - : نرفع بعضها على بعض للتركيب. والجملة حال من العظام، أي: انظر إليها محيية ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ أمر الأحياء، أو: كمال قدرة الله تعالى ﴿قَالَ أَغْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «إِغْلَمُ»^(٤) - أمراً من مخاطبه، أو: من نفسه تبيكياً - .

[٢٦٠] - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ سأل ذلك ليعلم عياناً. روي: أنه رأى جيفة تاكل منها سباع البر، ودواب البحر، فقال: ربي قد علمت أنك تجمعها من بطون هذه، فأرني كيف تحييها لأعاین ذلك^(٥) ﴿قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ﴾ بأنني قادر على الإحياء؟ قال له ذلك وقد علم أنه أرسخ الناس إيماناً ليحيب بما أجاب؛ فيعلم السامعون غرضه ﴿قَالَ بَلَى﴾ آمنت ﴿وَلَكِنْ﴾ سألت ﴿لِيُطَمِّنَنَّ قَلْبِي﴾: يزداد يقيناً وسكوناً بانضمام العيان إلى الاستدلال ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾ جمع طائر كـ «صحب لصاحب»، أو مصدر سمي به. وهي طاووس وديك

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ١: ٢٦٢.

(٢-٣) تفسير مجمع البيان ١: ٢٧٠.

(٤) حجة القراءات: ١٤٤.

(٥) تفسير مجمع البيان ١: ٢٧٢ وتفسير العياشي ١: ١٤٢ وروضة الكافي: ٣٠٥.

وحمامة وغراب ﴿فَصُرُّهُنَّ﴾ اضممهن ﴿إِلَيْكَ﴾ لتأملها. وكسر «حمزة»: الصاد^(١) ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ أي: ثم جزّئهن، وفرق أجزاءهن على الجبال، وكانت عشرة - عن الصادق عليه السلام -.^(٢) وقيل: سبعة.^(٣) وقيل: أربعة^(٤) ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ قل لهن: تعالين بإذن الله ﴿يَأْتِيَنَّكَ سَفِيًا﴾ ساعيات مسرعات طيراناً أو مشياً. روي: أنه أمر أن يذبحها، ويتنف ريشها، ويقطعها، ويخلط أجزاءها، ويفرقها على الجبال، ويمسك رؤسها، ثم يدعوهن ففعل، فجعلت أجزاء كل واحد تجتمع حتى صارت جثثاً، ثم أقبلن فانضممن إلى رؤسهن^(٥) ﴿وَاعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ في أفعاله وأقواله.

[٢٦١] - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في وجوه البر، أي مثل نفقتهم ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ أو مثلهم كمثّل باذر حبة ﴿أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ أسند الإنبات إلى الحبة لأنها سبب - كالماء والأرض - والمنبت هو الله تعالى.

والتمثيل بذلك لا يقتضي وجوده، وقد يوجد في الدخن^(٦) ونحوه، وفي البر في أرض قوية ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ لا يضيق عليه ما شاء من الزيادة ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحقها بنيتّه، وقدر إنفاقه.

[٢٦٢] - ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾ هو: أن

(١) حجة القراءات: ١٤٥.

(٢) تفسير العياشي ١: ١٤٢ و ١٤٤.

(٣) قاله السدي وابن جريج - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٥٧٣.

(٤) قاله ابن عباس والحسن وقتادة - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٥٧٣.

(٥) جوامع الجامع ١: ١٤٤.

(٦) الدخن - كقفل -: نبات حبه صغير أملس.

يعتد بإحسانه على من أحسن إليه^(١) ﴿وَلَا أَدَى﴾ هو: أن يتناول عليه بسبب إنعامه عليه. و«ثم» للتفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٢٦٣] - ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾: رد جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ ستر على السائل، أو: عفو عن إلحافه،^(٢) أو: نيل مغفرة من الله بالرد الجميل ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَى﴾ خبر لهما. وصح الابتداء بالنكرة للوصف ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن إنفاقكم ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل بعقوبة من يمن ويؤذي.

[٢٦٤] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾ أجراها ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَدَى﴾ المنافين للإخلاص المستحق به الثواب ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ كإبطال المنافق المرابي بإنفاقه، أو: مماثلين للمرابي و«رثاء» مفعول له، أو: حال، أي: مرثياً، أو: مصدر، أي: إنفاقاً رثاءاً ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لا يصدق بثواب الله في الآخرة ﴿فَمَثَلُهُ﴾ فمثل المرابي ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ مطر عظيم القطر ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾: اجرد، لا تراب عليه ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ لا يجدون ثواب ما عملوا رثاءاً. والضمير لـ «الذي ينفق» مراداً به الجنس أو الفريق ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ لا يقسرهم على الطاعة.

وفيه تعريض بأن المن، والأذى، والرثاء، من صفات الكافر لا المؤمن.

[٢٦٥] - ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ اتِّغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيئاً مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وليثبتوا بعضها على الإيمان، فإن المال شقيق الروح، فمن بذل ماله لله تعالى ثبت بعض نفسه، ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها.

أو: تصديقاً للإسلام وتحقيقاً للجزاء مبتدأ من أصل أنفسهم ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ١: ٢٦٣.

(٢) الإلحاف: الإلحاح كما سيذكره المصنف في تفسير الآية ٢٧٣ من هذه السورة.

أي: ومثل نفقتهم كمثل بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾: بمكان مرتفع؛ إذ شجره أنضر وثمره أكثر. وفتح «عاصم» و«ابن عامر»: الراء، وضمها الباقون^(١) ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: مطر عظيم القطر ﴿فَأَثَّ أَكْلَهَا﴾ ثمرتها. وسكنه «ابن كثير» و«نافع» و«أبو عمرو»^(٢) ﴿ضِعْفَيْنِ﴾: مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل، وقيل: أربعة أمثاله^(٣) ونصب حالاً، أي مضاعفاً ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها، أو: فيصيبها طل. والمعنى: أن نفقتهم زاكية عند الله لا تضيع بحال وإن تفاوتت باعتبار ما ينضم إليها من الأحوال.

أو: تمثيل حالهم عنده تعالى بجنة بربرة، ونفقتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في أجرهم بالوابل والطل ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ترغيب في الإخلاص، وترهيب من الرياء.

[٢٦٦] - ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ﴾ الهمزة للإنكار ﴿أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ خصاً بالذكر لأنهما أكرم أشجارها فغلبا ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ يدل على احتوائها على سائر الأشجار ﴿وَأَصَابَةُ الْكِبَرِ﴾ الواو للحال ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ صغار، عجزة عن الكسب، فهو للشيخوخة والعالة أحوج ما يكون إلى جنته ﴿فَأَصَابَهَا إِغْصَانٌ﴾ ريح مستديرة من الأرض نحو السماء كالعمود ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ هذا مثل لمن يعمل الحسنات لا يريد بها وجه الله تعالى، فإذا اشتدت حاجته إليها في الآخرة وجدها محبطة فيتحسر حسرة صاحب الجنة ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها فتعبرون بها.

[٢٦٧] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ من جيده أو: حلاله

(٢٥١) حجة القراءات: ١٤٦.

(٢) نقل هذا القول البيضاوي في تفسيره ١: ٢٦٤ ولعله مبني على الخلاف في أن الضعف هل هو المثل أو المثلان.

﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ حذف المضاف لسبق ذكره، أي: ومن طيبات ما أخرجنا من الغلات والمثار والمعادن. والمراد: إما الإنفاق والفرص، أو ما يعمه والنفل ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ﴾: ولا تقصدوا الرديء أو الحرام من المال مطلقاً ﴿تُنْفِقُونَ﴾ حال من فاعل «تيمموا»، ويجوز تعلق «منه» به، والضمير للخبيث، والجملة حال منه ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخَذِهِ﴾ والحال أنكم لا تأخذونه في حقوقكم لخبيثه ﴿إِلَّا أَنْ تَغْمِضُوا فِيهِ﴾ تتسامحوا في أخذه من «أغمض بصره» أي غضه، وهذا يعضد إرادة الرديء ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن إنفاقكم ﴿حَمِيدٌ﴾ بقبوله.

[٢٦٨] - ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ في الإنفاق - والوعد يأتي في الخير والشر -

﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾: بالبخل، والبخل يسمى فاحشاً، أو: المعاصي ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ﴾ لذنوبكم ﴿وَفَضْلاً﴾: خلفاً أفضل مما أنفقتم في الدنيا والآخرة ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضله للمنفق ﴿عَلِيمٌ﴾ بإنفاقه.

[٢٦٩] - ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾: العلم النافع ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ قدم ثاني المفعولين

اهتماماً به ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ وكسر «يعقوب» التاء^(١) أي: يؤته الله ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ تنكير تعظيم، أي: أي خير كثير ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ بالآيات ﴿إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾: ذوو العقول، العالمون العاملون.

[٢٧٠] - ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ حسنة أو قبيحة ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ في طاعة

أو معصية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ فيجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الذين يمنعون الصدقات، أو ينفقون في المعاصي، أو ينذرون فيها، أو لا يفون بالنذر ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ تمنعهم من عذاب الله.

[٢٧١] - ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ فنعمة شيئاً أبداؤها. وفتح النون

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٣٨٢.

«ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» وكسرهما الباقون ^(١) ﴿وَإِنْ تُخَفُّوْهَا وَتُؤْتُوْهَا الْفُقَرَاءَ﴾ سراً ﴿فَهُوَ﴾ فالإخفاء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ قيل: هذا في النفل، لما روي من أولوية إبداء الفرض ^(٢) فإن صح خصص الآية. وإلا فهي على عمومها ﴿وَيُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ قرأ «ابن عامر» و«عاصم» - في رواية - : بالياء والرفع ^(٣) والفعل لله، و«ابن كثير» و«أبو عمرو» و«عاصم» - في أخرى - : بالتون مرفوعاً ^(٤) خبر لمحذوف و«نافع» و«حمزة» و«الكسائي» مجزوماً على محلّ الجزاء ^(٥) ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ سراً وجهراً ﴿خَيْرٌ﴾ عليهم.

[٢٧٢] - ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ : لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين، وإنما عليك تبليغهم الأوامر والنواهي ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ يُلطف بمن يعلم أنه يصلح باللطف ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ : مال ﴿فَلَا تُنْفِسْكُمْ﴾ ثوابه لا لغيركم، فلا تمنوا عليه، ولا تنفقوا الخبيث ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ ليس نفقتكم إلا طلباً لرضى الله تعالى، أو: معناه النهي ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ ثوابه أضعافاً تأكيداً ^(٦) للشرطية السابقة ﴿وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ﴾ لا تنقصون ثوابه، قيل: كان المسلمون يمتنعون من التصدق على غير أهل دينهم فنزلت ^(٧) وخصت بالنفل؛ لمنع صرف الفرض إلى الكافر.

[٢٧٣] - ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ أي: اعمدوا، أو: صدقاتكم للفقراء ﴿الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أحصرهم الجهاد ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لاشتغالهم به ﴿ضَرْباً﴾ : ذهاباً ﴿فِي﴾

(١) حجة القراءات: ١٤٦-١٤٧.

(٢) رواها الكليني في الكافي ٥٠١: ٢ والطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢٨٤: ١ والحويزي في تفسير نور الثقلين ٢٨٩: ١.

(٣) حجة القراءات: ١٤٧-١٤٨ والكشف عن وجوه القراءات ٣١٦: ١.

(٤) في الأصل والمطبوعة: تأكيداً - وهو خطأ -.

(٥) قاله ابن عباس وابن الحنفية وسعيد بن جبير - كما في تفسير مجمع البيان ٢٨٥: ١ -.

الأزْضِ» للكسب. وقيل: هم أهل الصفة وهم نحو من أربعمائة من فقراء المهاجرين كانوا في صفة المسجد، دأبهم التعلم والعبادة والخروج في كل سرية يبعثها النبي صلى الله عليه وآله وسلم^(١) «يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ» بحالهم «أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ» من جهة امتناعهم عن المسألة «تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ» من الضعف ونحوه. والخطاب له صلى الله عليه وآله وسلم، أو: عام «لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا»: الحاحاً. نصب مصدرأ لأنه سؤال خاص وهو أن يلزم حتى يُعطى، أو: حالاً، والمعنى: لا يسألون وإن سألوا للضرورة لم يلحفوا، أو: نفي الأمرين «وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» ترغيب في الإنفاق.

[٢٧٤] - «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً» يعمون الأوقات والأحوال وأموالهم بالصدقة.

نزلت في علي عليه السلام لم يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بواحد ليلاً وواحد نهاراً وواحد جهراً.^(٢)

وقيل في خيل المرباط،^(٣) والظاهر الأول للأخبار والشهرة،^(٤) لكنها تعم كل من فعل ذلك والسبق له (ع) «فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ» بالاستحقاق «عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ».

[٢٧٥] - «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا» يأخذونه، وذكر الأكل لأنه أغلب منافع المال. والربا: الزيادة في المعاملة أجلاً أو عوضاً، وكتب كـ «الصلوة» - على لغة - تفخيماً، وألحق به^(٥) الفأ تشبيهاً بسواو الجمع «لَا يَقُومُونَ» إذا حشروا من قبورهم «إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ» إلا قياماً كقيام المصروع. هذا على زعمهم أن

(١) قاله الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام مارواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٢٨٧.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٢٨٨.

(٣) قاله أبو امامة وإبوالدرداء وآخرون - كما في تفسير روح المعاني ٣: ٤١.

(٤) هي كثيرة متظافرة من الخاصة والعامة ينظر تفسير العياشي ١: ١٥١ وتفسير البرهان ١: ٢٥٧.

(٥) كلمة «به» زيادة من اقتضاها السياق.

الشيطان يخبطه فيصرع .

والخبط : ضرب على غير استواء ﴿مِنَ الْمَسِّ﴾ : الجنون وهو — على زعمهم — :
أن الجنّي يمسه فيختلط عقله ، يعني : أنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين ، لأنه
تعالى أربى في بطونهم الربا فأثقلهم ، وتلك سيماهم في المحشر ﴿ذَلِكَ﴾ العقاب
﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ قاسوا الربا على البيع ، قالوا : كما جاز بيع ما
يساوي درهماً بدرهمين جاز بيع درهم بدرهمين .^(١) وكان الأصل : إنما الربا مثل
البيع ، ولكن عكس مبالغة ، كأنهم جعلوا الربا أصلاً ، وقاسوا به البيع ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ
الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ ردّ لقياسهم ؛ إذ الأحكام تبع للحكمة فجاز اختلاف حكم
المتماثلين لحكمة يعلمها الله ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ : بلغه وعظ ونهي ﴿مِنْ رَبِّهِ
فَأَنْتَهَى﴾ : فأنعظ ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أخذه قبل النهي لا يلزمه رده ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾
يحكم في شأنه ، ولا اعتراض لكم عليه ، أو يجازيه على انتهائه إن اتعظ لله تعالى
﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى الربا ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لكفرهم بتحليل
ما حرم الله ، أو : أريد المكث الطويل .

[٢٧٦] - ﴿يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ : يهلكه ويذهب ببركته ﴿وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ﴾ بنميتها
بزيادة الثواب والمال .

وفي الحديث : «إِنَّ اللَّهَ يَرِي الصَّدَقَةَ كَمَا يَرِي أَحَدَكُمْ مَهْرَهُ» .^(٢)
وفيه : «ما نقصت زكاة من مال قط»^(٣) ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ : مصرّ على

(١) والفرق واضح : فإن من أعطى درهمين بدرهم ضيّع درهماً ، وأما من اشترى سلعة تساوي درهماً
بدرهمين فلعلّ مساس الحاجة اليها . أو ان توقع رواجها يجبر هذا الغبن .

(٢) تفسير مجمع البيان ١ : ٣٩٠ وهو مروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والمهر : ولد الفرس
أول ما ينتج من الخيل .

(٣) تفسير الكشاف ١ : ٤٠١ ، وقريب منه ما في جوامع الجامع ١ : ١٥١ .

تحليل الحرام ﴿أَتَيْم﴾: متماد في ارتكابه.

[٢٧٧] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ﴾

عطفهما على ما يعمّهما لفضلهما ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٢٧٨] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا﴾: واركبوا ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾

البقايا التي اشترطتم على الناس وهي الربا. قيل: كان له «ثقيف» مال على بعض

قريش، فطالبوهم عند المحل^(١) بالمال والربا، فنزلت^(٢) ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

إن صح إيمانكم.

[٢٧٩] - ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: فاعلموا بها، من

«أذن به» أي: علم به. وقرأ «حمزة» و«عاصم» - في رواية -: «فأذنوا» أي: فأعلموا بها

غيركم،^(٣) من الأذن أي: الإستماع. وتنكير «حرب» للتعظيم، وحرب الله: حرب

رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَإِنْ تُبْشِرُوا﴾ من الإرتباء ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾

بأخذ الزيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالتقصان.

[٢٨٠] - ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ وقع غريم ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾: إعسار ﴿فَنَظَرَةٌ﴾ فالواجب،

أو: فعليكم إنظار ﴿إِلَى مِيسْرَةٍ﴾: يسار.

وعن الصادق عليه السلام: «إِنَّ حَدَّ الإِعْسَارِ أَنْ لَا يَقْدِرَ عَلَى مَا يَفْضُلُ عَنْ قُوَّتِهِ

وقوت عياله على الإقتصاد»^(٤) ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ بالإبراء ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أكثر ثواباً من

الإنظار، أو: خير مما تأخذون لبقاء ثوابه ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير والشر، أو: ما في

(١) أي: الأجل.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٣٩٢ وجوامع الجامع ١: ١٥١.

(٣) حجة القراءات: ١٤٨.

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٣٩٣.

التصدق من الأجر.

[٢٨١] - ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ : يوم القيامة، أو: يوم الموت فتأهبوا للقاءه. وفتح «أبو عمرو» التاء وكسر الجيم^(١) ﴿ثُمَّ تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ جزاءه خيراً كان أو شراً ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب وزيادة عقاب.

روي: أنها آخر آية نزل بها «جبرئيل» عليه السلام وقال: «ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة» وعاش الرسول بعدها أحدًا وعشرين يوماً^(٢) وقيل: سبعة أيام^(٣).
[٢٨٢] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ﴾ : دأين بعضكم بعضاً وتعاملتم ﴿بِدَيْنٍ﴾ بمعاملة أحد العوضين فيها مؤجل. وذكر «الدين» مع «تدأيتم» تأكيداً، أو: لرفع توهمه بمعنى: تجازيتم من أول الأمر.

وعن ابن عباس: أنها في السلم خاصة^(٤) ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مؤقت بالأيام والشهور - لا بالحصاد ونحوه - ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ لأنه أوثق. والأمر للإستحباب أو: الإرشاد ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ بالسوية - لا يزيد ولا ينقص - ويفيد اشتراط كونه فقيهاً أميناً لئتم الغرض ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ : لا يمتنع أحد من الكتابة ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ : مثل ما علمه من الكتابة بالعدل.

قيل: النهي للتحريم، والكتابة فرض كفائي^(٥). وقيل: نسخ وجوبها بـ«ولا يضار كاتب»^(٦) ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ الكتابة المعلّمة. عقب النهي عن الإمتناع منها بالأمر بها

(١) حجة القراءات: ١٤٩.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٣٩٤.

(٣) قاله سعيد بن جبير ومقاتل - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٩٤ - إلا أن فيه: «سبع ليالٍ» وذكر هذا القول وأقوال أخرى: البيضاوي في تفسيره ١: ٣٦٩ والزمخشري في تفسير الكشاف ١: ٤٠٢.

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٣٩٧.

(٥) قاله الشعبي والرماني والجبائي - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٩٧.

(٦) قاله الضحاك - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٣٩٧.

تأكيداً ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ أي: المديون، لأنه المشهود عليه.

والإملا: الإملاء. ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في الإملا: ﴿وَلَا يَنْخَسِ مِنْهُ﴾ ولا ينقص من الحق ﴿شَيْئاً﴾ قدراً أو وصفاً ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾: ناقص العقل مبذراً ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾: صيباً أو: شيخاً مختلاً ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ﴾ أو غير مستطيع ﴿أَنْ يُعْلِلَ هُوَ﴾ لخريس أو جهل اللغة ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ أي من يلي أمره كالأب والجد والوصي والحاكم والوكيل والمترجم، على تفصيل في محله ﴿وَأَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾: اطلبوا أن يشهد شاهدان ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ المؤمنين.

ويفيد اشتراط بلوغ الشاهد وإيمانه.

والأمر لسلاستحباب، أو: الإرشاد ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا﴾ أي: الشهيدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٍ﴾ فليشهد رجل ﴿وَأَمْرَأَتَيْنِ﴾ وهو مخصوص بالأموال ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ لعدالته عندكم. والقيد للجميع ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ الشهادة بأن تنساها ﴿فَتَذْكُرَ إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى﴾ وعلة اعتبار تعدد المرأة: التذكير، لكن جعل الضلال علة لكونه سبباً له، كقولهم: «أعددت الخشبة أن يميل الحائط فادعمه» فكأنه قيل: إرادة أن تذكر إحداها الأخرى إن ضلّت. ويشعر بنقص ضبطهن. وقرأ «حمزة» إن تَضِلَّ - على الشرط -، ورفع «فتذكر»، و«ابن كثير» و«أبو عمرو»: «فتذكر» من «الإذكار»^(١) ﴿وَلَا يَأْتِ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ لإقامة الشهادة أو تحملها.

وسموا «شهداء» لمجاز المشاركة. و«ما» مزيدة. وظاهر النهي: التحريم ﴿وَلَا تَسْتَمُوا﴾: ولا تملأوا ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ أي: الدين أو الحق ﴿صَغِيرًا﴾ كان ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾ إلى أَجَلِهِ المسمى ﴿ذَلِكَكُمْ﴾ أي: الكتب ﴿أَقْسَطُ﴾: أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ﴾: وأثبت ﴿لِلشَّهَادَةِ وَأَذْنَىٰ آلَا تَرْتَابُوا﴾: وأقرب إلى أن لا تشكوا في قدر الدين وأجله ﴿إِلَّا أَنْ

(١) حجة القراءات: ١٥٠ وتفسير مجمع البيان ١: ٣٩٥ وتفسير البيضاوي ١: ٢٧٠.

تَكُونُ تِجَارَةً ﴿١﴾ نصبها «عاصم» خبراً^(١) أي: إلا أن تكون التجارة تجارة ﴿حاضرة﴾ حالة، وتعم المبايعة بعين - أو: دين - غير مؤجل، ولا يبعد تخصيصها بالأول.

ورفعها الباقون^(٢) - على «كان» التامة - أو: على أنها الاسم، والخبر: (تُدِيرُونَهَا) أي: تتعاطونها ﴿بَيْنَكُمْ﴾ يبدأ بيد والإستثناء من التداين والتعامل، أي إن كانت المعاملة بيعاً يبدأ بيد ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ لبعدها عن الشك والتنازع ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ مطلقاً للإحتياط. والأمر للإستحباب أو: الإرشاد ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ نهاهما عن ترك الإجابة والتحريف في الكتابة والشهادة - إن بني للفاعل -، أو: نهى عن الضرر بهما باستعجالهما عن مهم، أو: تكليف الكاتب قرطاساً ونحوه، أو: الشهيد مؤنة مجيئه من بلد - إن بني للمفعول -، ﴿وَأِنْ تَفْعَلُوا﴾ المضارة ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾: خروج عن الطاعة، لاحق ﴿بِكُمْ وَانْقُصُوا اللَّهَ﴾ في أوامره ونواهيه ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ ما فيه مصالحكم ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لعل تكرار لفظة «الله» في الجمل الثلاثة لكونه أدخل في التعظيم من الضمير.

[٢٨٣] - ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ مسافرين ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾

تقوم مقام الوثيقة، أو: فالوثيقة رهان. وتقييد الإرتهان بالسفر وعدم وجدان الكاتب، خرج مخرج الغالب.

واعتبر الجمهور - سوى «مالك» - فيه القبض،^(٣) وعليه أكثر الأصحاب.

وادعى «الطبرسي» عليه الإجماع،^(٤) وكأنه لم يعتد بالخلاف. وقرأ «ابن كثير» و«ابن عامر»: ﴿فَرِهَانٌ﴾^(٥) كـ «سُقْفٌ» وكلاهما جمع رهن، بمعنى: المرهون. ﴿فَإِنْ

(١) حجة القراءات: ١٥١.

(٢) ذكر ذلك البيضاوي في تفسيره ٢٧١: ١.

(٣) تفسير مجمع البيان ٤٠٠: ١.

(٤) حجة القراءات: ١٥٢.

أَمِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا: فَإِنْ وَثِقَ الدَّائِنُ بِالْمَدْيُونِ وَلَمْ يَرْتَهِنْ مِنْهُ ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ أَي: دِينَهُ الَّذِي ائْتَمَنَهُ عَلَيْهِ، وَسَمِيَ أَمَانَةً لِذَلِكَ. ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ فِي الْخِيَانَةِ ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ أَيُّهَا الشُّهُودُ ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا﴾ مَعَ تَمَكُّنِهِ مِنْ أَدَائِهَا ﴿فَإِنَّهُ إِثْمٌ﴾ خَبَرٌ «إِنْ» ﴿قَلْبُهُ﴾ فَاعِلُهُ، أَوْ مَبْتَدَأُ «إِثْمٍ» خَبَرُهُ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرٌ «إِنْ» وَأَسَدُ الْإِثْمِ إِلَى الْقَلْبِ لِأَنَّ الْكُتْمَانَ فَعْلُهُ، أَوْ: لِأَنَّهُ رَئِيسُ الْأَعْضَاءِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: تَمَكَّنَ الْإِثْمُ فِي نَفْسِهِ. وَمَلِكٌ أَشْرَفُ أَعْضَائِهِ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ تَرْهِيْبٌ.

[٢٨٤] - ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مَلَكًا وَخَلْقًا ﴿وَإِنْ تُبْذُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ مِنَ السَّوْءِ ﴿أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ فِي الْقِيَامَةِ ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فَضْلًا ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ عَذْلًا، وَلَا يَدْخُلُ - فِيمَا يَخْفِيهِ الْإِنْسَانُ - مَا لَيْسَ فِي وَسْعِهِ الْخَلْقَ مِنْهُ، كَحَدِيثِ النَّفْسِ، وَلَكِنْ مَا اعْتَقَدَهُ وَعَزَمَ عَلَيْهِ ^(١) وَلَا يَنَافِيهِ مَا اشتهر: أَنَّهُ لَا يَعْاقِبُ بِعِزْمِ الْمَعْصِيَةِ، وَيَثَابُ بِعِزْمِ الطَّاعَةِ، لِحُجُوزِ كَوْنٍ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَا يَعْاقِبُ عِقَابَ تِلْكَ الْمَعْصِيَةِ وَإِنْ عَوَّبَ عِقَابَ الْعِزْمِ، بِخِلَافِ عِزْمِ الطَّاعَةِ فَإِنَّهُ يَثَابُ بِهِ ثَوَابَ تِلْكَ الطَّاعَةِ تَفْضُلًا مِنْهُ تَعَالَى. وَرَفَعَهُمَا ^(٢) «ابْنُ عَامِرٍ» وَ«عَاصِمٌ» اسْتِثْنَاءً، وَجَزَمَهُمَا الْبَاقُونَ عَطْفًا عَلَى الْجُزْأِ ^(٣) ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فَيَقْدِرُ عَلَى الْمَغْفِرَةِ وَالْعَذَابِ.

[٢٨٥] - ﴿أَمِنْ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عَطْفٌ عَلَى الرَّسُولِ ﴿كُلٌّ﴾ أَي: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَالضَّمِيرُ الْمُنَوِي لِلرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ، أَوْ: مَبْتَدَأٌ، وَالضَّمِيرُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَالْخَبَرُ: جُمْلَةٌ: «كُلٌّ» ﴿أَمِنْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾. وَقَرَأَ «حَمْزَةً» وَ«الْكَسَائِي»: «وَكُتَابِهِ» ^(٤) أَي: الْقُرْآنَ أَوْ: الْجَنْسَ ﴿لَا تَفَرَّقُوا﴾ يَقُولُونَ:

(١) يَرِيدُ: لَكِنْ يَدْخُلُ فِيمَا يَخْفِيهِ الْإِنْسَانُ مَا اعْتَقَدَهُ وَعَزَمَ عَلَيْهِ. فَيَعْاقِبُ عَلَيْهِ.

(٢) أَي: «يَغْفِرُ» وَ«يُعَذِّبُ».

(٣) حُجَّةُ الْقُرْآنِ: ١٥٢، وَالْجُزْأُ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ».

(٤) حُجَّةُ الْقُرْآنِ: ١٥٢.

لا تفرّق: وقرأ «يعقوب» بالياء،^(١) والفعل لـ «كلّ»^(٢) ﴿بَيْنَ أَحَدٍ﴾ بمعنى: الجمع - لوقوعه في سياق النفي -، ولذلك دخل عليه «بين» ﴿مِنْ رُّسُلِهِ﴾ أي تؤمن بجميعهم لا ببعض دون بعض ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرك ﴿غُفْرَانِكَ رَبَّنَا﴾: إغفر غفرانك ﴿وَالْيَكَّ الْمَصِيرُ﴾: المرجع بعد الموت، وهو إقرار بالبعث.

[٢٨٦] - ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلّا ما تتسع فيه طاقتها، ولا تضيق عنه، أي: ما دونها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من خير ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من شرّ، لا يثاب بطاعتها، ولا يؤاخذ بذنبها غيرها.

وخصّ الكسب بالخير والإكساب بالشرّ، لأن في الإكساب إعتمالاً، والشرّ تشتهيه النفس الأمارة، فهي أعمل في تحصيله بخلاف الخير ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ إن تعرضنا لما يؤدي بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط أو: إغفال، أو: إن تركنا، أو: أذنبنا، أو يكون الدعاء به لاستدامة فضله تعالى كـ ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٣) ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ عبء^(٤) يأصر حامله، أي: يحبس مكانه لثقله، استعير للتكليف الشاق ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ﴾ حملاً مثل حملك ﴿عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ كتكليف بني اسرائيل بقتل الأنفس، وقطع موضع النجاسة وغير ذلك^(٥) ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ من العقوبات ﴿وَاغْفُ﴾ وامح ﴿عَنَّا﴾ ذنوبنا ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ واسترها ولا تفضحنا بها ﴿وَارْحَمْنَا﴾ وانعم علينا ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ الأولى بنا ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ فمن حق المولى أن ينصر عبيده على أعدائهم.

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٤٠٢.

(٢) أي ان الفعل وهو: «لا يفرّق» - على قراءة يعقوب - لـ «كل آمن».

(٣) في سورة الفاتحة الآية: ٥.

(٤) في «الف»: عبأ والعب: الحمل والثقل.

(٥) للتفصيل ينظر تفسير نور الثقلين ١: ٣٠٦ والاحتجاج للطبرسي ١: ٢٢٧.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

سورة آل عمران

[٣]

مائتين آية مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١ - ٢] - ﴿الَمْ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ حق «الميم» الوقف عليها، والابتداء بما بعدها، وقرأ بها «عاصم» وفتحها الباقون، ^(١) لا لالتقاء الساكنين - لجوازه في الوقف، ولذا لم يحرك في «لام» -، بل لالتقاء فتحة الهمزة عليها، إيذاناً بأنها في حكم الثابت؛ لأنها حذفت تخفيفاً، لا للدرج؛ إذ الميم في حكم الوقف. ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ روي أن ذلك إسم الله الأعظم. ^(٢)

[٣] - ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ : القرآن نجوماً ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصدق في إخباره، أو بما يحقق أنه منه تعالى، وهو حال، وكذا ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ جملة على موسى وعيسى، وهما أعجميان، وقيل: مشتقان من

(١) تفسير مجمع البيان ٤٠٥: ١ وتفسير الكشاف ٤١٠: ١.

(٢) ورد ذلك عن ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٤٠٧: ١.

الوري^(١) والنجل^(٢). ووزنهما: «تفعلة» و«إفعيل».

[٤] - ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل تنزيل القرآن ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ لقومهما ﴿وَأَنْزَلَ

الْفُرْقَانَ﴾ جنس الكتب السماوية، فإنها تفرق بين الحق والباطل، من عطف العام على الخاص، أو: القرآن. وكرر ذكره بوصفه المادح له، تعظيماً لشأنه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ من كتبه وغيرها ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بكفرهم ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: غالب لا يمنع من أن يعذب ﴿ذَوَانِتِقَامٍ﴾ لا يقدر على مثله أحد.

والنقمة: عقوبة المجرم.

[٥ - ٦] - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ كلّي أو: جزئي، إيمان أو: كفر، كائن

﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي: في العالم، فعبر عنه بهما؛ إذ الحس لا يتجاوزهما وفيه تقرير للحياة وفي ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من الصور المختلفة، تقرير للقيومية، وإثبات لعلمه تعالى بإتقان فعله في تصوير الجنين، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا يعلم غيره علمه، ولا يقدر قدرته ﴿الْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله.

قيل: هذا حجاج على من زعم أن «عيسى» كان رباً، وهم وفد «نجران» حاجوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيه، فنزلت أوائل السورة إلى نيف وثمانين آية، تقريراً لحجاجة عليهم^(٣).

[٧] - ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾: أحكمت

عبارتها^(٤) بالحفظ من الإحتمال، ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: أصله، يُردُّ إليها غيرها.

(١) الوري: مأخوذ من: وري الزند. وهو نوره وضياءه.

(٢) الإنجيل معرب انجيلون باليونانية ومعناه إنباء جيد أو بشارة أو خبر مفرح - كما في محيط المحيط «انجيل» -.

(٣) قاله الكلبي ومحمد بن اسحاق والربيع بن أنس - كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٤٠٦.

(٤) في «ط»: عباراتها.

وأفرد «أم» على إرادة كل واحدة، أو المجموع «وَأُخِرُ مُتَشَابِهَاتٍ»: محتملات لا يُعلم مرادها إلا بالنظر؛ ليجتهد العلماء في تدبرها وتحصيل ما يتوقف عليه فهم مرادها، فينالوا بإتباعهم القرائح - في استخراج معانيها، وردها إلى المحكمات - رفيع الدرجات، وقوله تعالى: «كِتَابٌ أُخْكِمَتْ آيَاتُهُ»^(١) أي: حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ، وقوله: «كِتَاباً مُتَشَابِهاً»^(٢) أي: يشبه بعضه بعضاً في صحة المعنى، وجزالة اللفظ «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ»: ميل عن الحق إلى البدع «فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ»: يتعلقون به في باطلهم «إِثْغَاءَ الْفِتْنَةِ»: طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم «وَإِثْغَاءَ تَأْوِيلِهِ»: أن يؤولوه على مرادهم «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ» الحق «إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ»: الثابتون فيه.

عن الصادق عليه السلام: «نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله»^(٣) ومن وقف على «[إِلَّا]»^(٤) الله فسر التشابه بما استأثر الله تعالى بعلمه، كوقت قيام الساعة ونحوه، والأصح الأول «يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ» حال من «الراسخين»، أو: خبر له - إن جعل مبتدأ - «كُلُّ» أي: من التشابه والمحكم «مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ» مدح للراسخين بإلقاء الذهن وإعمال الفكر في رد التشابه إلى المحكم.

[٨] - «رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا» من مقول الراسخين، أي: لا تبلسنا ببلاء تزيغ فيه قلوبنا «بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا» لدينك، أو: لا تمنعنا الطافك بعد إذ لطفت بنا «وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً»: نعمة، أو: لطفاً ثبت به على الإيمان «إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ» للنعم.

(١) سورة هود: ١/١١.

(٢) سورة الزمر: ٢٣/٢٩.

(٣) تفسير نور الثقلين ١: ٣١٦ الحديث ٣٤.

(٤) كلمة: «إِلَّا» زيادة اقتضاها السياق، اخذناها من تفسير البيضاوي ٢: ٥٤.

[٩] - ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ لجزاء يوم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ : في وقوع اليوم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ : الوعد .

[١٠] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي : بدل رحمته أو طاعته أو : من عذابه ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ حطبها .

[١١] - ﴿كَذَّابٍ﴾ مصدر دأب في العمل ، أي : كدح فيه ، فنقل الى معنى الشأن . ومحل الكاف : الرفع ، أي : دأب هؤلاء كذاب ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ في الكفر ، أو : النصب بـ «تغني» أو «وقود» ، أي : لن تغني عنهم كما لم تغن عن أولئك ، أو توقد بهم كما توقد بأولئك ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ عطف على «آل فرعون» ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ تفسر لدأبهم ، أو ييان لسيبه ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ : أهلكهم ﴿يَذُنُّوهُمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ترهيب للكفرة .

[١٢] - ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مشركي مكة ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ أي : يوم بدر ﴿وَتُخْشَرُونَ﴾ إلى جهنم ﴿أَوْ﴾ لليهود حين حذرهم بعد «بدر» أن ينزل بهم ما نزل بقريش ، فقالوا : «لا يغرنك أنك أصبت أغماراً لا علم لهم بالحرب» ، لئن قاتلتنا لعلمت أننا نحن الناس «فنزلت» ^(١) وصدق الوعد بقتل «قريظة» وإجلاء «النضير» وفتح خيبر ^(٢) وضرب الجزية على ما بقي .

وهو من آيات النبوة . وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالياء فيهما - على الأمر - ^(٣) بأن يحكى لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه ﴿وَيَشِ الْمِهَادُ﴾ : جهنم ، أو : ما مهدوا لأنفسهم .

[١٣] - ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ خطاب للمشركين ، أو : اليهود ، أو : المؤمنين

(١) نقله البضاوي في تفسيره ٦: ٢ .

(٢) ما بين المعقوفتين من «ب» .

(٣) حجة القراءات : ١٥٣ .

﴿فِي فِتْنَتَيْنِ التَّقَاتِ﴾ يوم بدر ﴿فِنَّهُ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ﴾ يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين، قريب ألفين، أو: مثلي عدد المسلمين ستمائة وستة وعشرين. قللوا أولاً في أعينهم حتى اجترأوا عليهم كما قال: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾^(١) فلما لا قوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا.

أو: يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين -، وكانوا ثلاثة أمثالهم - ليشتوا ثقة بالنصر الذي وعده في: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾^(٢) وقرأ «نافع» بالتاء^(٣) ﴿رَأَى الْعَيْنَ﴾: رؤية مكشوفة معاينة ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ كما أيد أهل بدر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التقليل والتكثير ونصر القليل على الكثير ﴿لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ عظة لذوي العقول.

[١٤] - ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ أي: المشتهايات جعلها شهوات مبالغة، والمزَيْن هو: الله، للإبتلاء، أو: لبقاء النوع وتعيُّشه.

وقيل: الشيطان،^(٤) إذ الآية في معرض الذم. ويُنَّ الشهوات بقوله: ﴿مِنْ النَّسَاءِ وَالْبَيْنِ وَالْقَنَاطِيرِ﴾ جمع: قنطار، وهو: المال الكثير، وقيل: ملء مسك ثور،^(٥) وقيل: مائة ألف دينار^(٦) ﴿الْمُقَنْطَرَةِ﴾ مبنية منه للتأكيد كـ «بدره مبدرة» ﴿مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾: المعلّمة من السومة، وهي: العلامة، أو: المرعية من أسام الدابة وسومها ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: الإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثِ ذَلِكَ﴾

(١) سورة الأنفال: ٨/٤٤.

(٢) سورة الأنفال: ٨/٦٦.

(٣) حجة القراءات: ١٥٤.

(٤) قاله الحسن - كما في تفسير التبيان ٢: ٤١١ وتفسير مجمع البيان ١: ١٧٤.

(٥) قاله ابونضرة والفراء وهو مروي عن الإمامين الباقر والصادق عليه السلام - كما في تفسير التبيان ٢: ٤١١ وتفسير مجمع البيان ١: ١٧٤.

(٦) قاله سعيد بن جبير - كما في تفسير الكشاف ١: ١٦٤.

المذكور ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾: المرجع .

[١٥] - ﴿قُلْ أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ﴾ المتاع الفاني ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ

جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ استئناف لبيان ما هو خير، أو: يتعلق

اللام بـ «خير» ويرتفع جنات على ^(١) «هو جنات» ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الأدناس خلقاً

وخلقاً ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ وضم «عاصم» «الراء» ^(٢) ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ أي

بأعمالهم فيجازيهم بها .

[١٦] - ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ صفة

للمتقين، أو: مدح منصوب أو مرفوع .

[١٧] - ﴿الصَّابِرِينَ﴾ على الطاعة وعن المعصية، ^(٣) مجرور أو: منصوب كما

مر، وكذا البواقي ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ﴾: المطيعين ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ أموالهم في سبيل

الخير ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ المصلين وقت السحر . عن الصادق عليه السلام:

«من استغفر الله سبعين مرة في السحر، فهو من أهل هذه الآية» ^(٤) .

[١٨] - ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بدلالته على وحدانيته بعجيب صنعه،

وبالآيات الناطقة بها ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ بالإقرار بها ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ به، وبالاحتجاج

عليها، شبه ذلك في البيان بشهادة الشاهد ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾: مقيماً للعدل في أمور

خلقه، نصب حالاً من «الله»، وجاز إفراده - دون «جاء زيد وعمرو ركباً» - لعدم

اللبس، أو: من «هو» فتكون حالاً مؤكدة وعاملها معنى الجملة، أي: تفرّد قائماً،

أو: على المدح، ويندرج في المشهود به - على الأخيرين - ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرر

(١) في «الف» زيادة: تقدير.

(٢) حجة القراءات: ١٥٧.

(٣) وفي الحديث الصبر ثلاثة: صبر على الطاعة وصبر عن المعصية وصبر عند المصيبة .

(٤) تفسير مجمع البيان ١: ٤١٩ وتفسير نور الثقلين ١: ٣٣١ الحديث (٦١) .

تأكيداً ﴿الْعَزِيزُ﴾: الذي لا مغالب له ﴿الْحَكِيمُ﴾: الذي لا يخل بالعدل وهما مقرران للوحدانية والعدل. ورفعاً بدلاً من «هو»، أو: خبراً لمحذوف. وورد في فضلها أخبار. ^(١)

[١٩] - ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ جملة مستأنفة تؤكد الأولى، أي: لا دين مرضي عند الله غير الإسلام، وهو: التوحيد والتمسك بشريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وفتح «الكسائي» «إِنَّ» بدلاً من «أَنَّ» ^(٢) ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود والنصارى وأهل الكتب السالفة في دين الإسلام فأثبتهم قوم، وخصه قوم بالعرب، ونفاه قوم، أو: في التوحيد فثلثت النصارى، وقالت اليهود: ﴿عَزَّيْرُ ابْنِ اللَّهِ﴾ ^(٣) وقيل: هم اليهود، اختلفوا بعد موسى، ^(٤) وقيل: النصارى اختلفوا في أمر عيسى ^(٥) ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بعد أن علموا الحق، أو تمكنوا ^(٦) من العلم به بالدلائل ﴿بَغْيًا﴾ حسداً وطلباً للرئاسة ﴿بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ وعيد لهم. وفسر في البقرة. ^(٧)

[٢٠] - ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ في الدين ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ﴾: أخلصت نفسي ﴿لِلَّهِ﴾ وحده وهو الدين القيم الذي دعت إليه الرسل، وقامت عليه الحجج. وعبر بالوجه عن النفس لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة ﴿وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾ عطف على التاء. وحسن للفصل، أو: مفعول معه. وحذف «عاصم» و«حمزة» و«الكسائي» الياء

(١) ينظر تفسير نور الثقلين ١: ٢٢٢ الحديث (٦٥) وما بعده.

(٢) حجة القراءات: ١٥٧.

(٣) سورة التوبة: ٣٠/٩.

(٤) قاله الربيع - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٤٢١.

(٥) قاله محمد بن جعفر بن الزبير - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٤٢١.

(٦) في «ب» و«ط»: وتمكنوا.

(٧) في تفسير الآية ٢٠٢ من سورة البقرة.

اجتزاء بالكسرة^(١) ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾: من لا كتاب لهم كمشركي العرب ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ بعد وضوح الحجج، أم أنتم بعد على كفركم؟. ومثله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُتَّبِعُونَ﴾^(٢) وفيه توبيخ لهم بالمعاندة ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ فقد نفعوا أنفسهم بإخراجها من الضلال ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ لم يضروك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾: ما عليك إلا أن تبلغ ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ وعد ووعيد.

[٢١] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ هم أهل الكتاب المعاصرون له صلى الله عليه وآله وسلم، قتل أولوهم الأنبياء ومتابعيهم، وهم رضوا به، وحاولوا قتل الرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين فعصعهم الله تعالى. وقرأ «حمزة»: «ويقاتلون الذين»^(٣) ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ تدخل الفاء خبر «إن» المتضمن للجزاء لعدم تغييرها معنى الإبتداء بخلاف «ليت» و«لعل» ومنعه سبويه، فالخير.

[٢٢] - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ كقولنا: «زيد - فاعرف - رجل كريم» ﴿وَمَالَهُمْ مِنْ فَاعِلِينَ﴾ يدفعون عنهم العذاب.

[٢٣] - ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ﴾: التوراة، أو: جنس الكتب المنزلة، و«من» للتبعيض، أو البيان. وتنكير «النصيب» للتعظيم أو: التحقير ﴿يُذْعَوْنَ﴾ يدعوهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾: القرآن أو: التوراة ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو: في أن دين إبراهيم عليه السلام: الإسلام، أو: في أمر الرجم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ استبعاد لتوليهم مع علمهم بوجوب الرجوع إليه ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ شأنهم الإعراض. والجملة حال من

(١) حجة القراءات: ١٥٨.

(٢) سورة المائدة: ٩١/٥.

(٣) حجة القراءات: ١٥٨.

«فريق» وسوّغه الوصف .

[٢٤] - ﴿ذَلِكَ﴾ التولي والإعراض ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب، بقولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ﴾: قلائل ﴿وَعَرَّهْهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من أن آباءهم - الأنبياء - يشفعون لهم .

[٢٥] - ﴿فَكَيفَ إِذَا جُمِعْنَا لَهُمْ يَوْمٌ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ تهويل لما أعد لهم في الآخرة ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾: جزاء ما كسبت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الضمير لـ «كل نفس» لأنه في معنى: كل الناس .

[٢٦] - ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ الميم عوض من «يا» ولذا «لا يجتمعان» وهو من خصائص هذا الاسم، كدخول «يا» عليه مع لام التعريف، وتاء القسم، وقطع همزته ﴿مَالِكِ الْمُلْكِ﴾ كله، تتصرف فيه تصرف الملاك، وهو نداء ثانٍ، وقيل: صفة^(١) ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾ أي: ما تشاء منه ﴿مَنْ تَشَاءُ﴾ وكذا: ﴿وَنُنَزِّعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ فالملك الأول عام، والآخران خاصان. وقيل: الملك - هنا -: النبوة، ونزعه: نقلها من قوم إلى قوم^(٢) ﴿وَنُعَزِّزُ مَنْ تَشَاءُ وَنُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ في الدنيا والدين بالنصر والإدبار، والتوفيق والخذلان ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ لم يذكر الشر لأن أفعاله تعالى من نافع وضار لمصالح، فكلها خير، أو: لأن الكلام وقع في الخير؛ إذ وعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أمته ملك فارس والروم فأنكره المنافقون ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

[٢٧] - ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ تعاقب بينهما بإدخال كل واحد في الآخر، بالنقص والزيادة ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: من النطفة ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾: النطفة ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾ أو: المؤمن من الكافر، وبالعكس، وخفف

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ١١: ٢ .

(٢) قاله مجاهد - كما في تفسير التبيان ٤: ٢٩٩ .

«الميت» «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«ابن عامر» و«أبو بكر»^(١) ﴿وَنَزَّلْنَا مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وفي ذكر قدرته على معاقبة الليل والنهار، وإخراج الحي من الميت وعكسه، وورقه الواسع دلالة على أن القادر على ذلك كله، قادر على إيتاء الملك ونزعه، والإعزاز والإذلال.

[٢٨] - ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ نهوا أن يوالوهم لقراءة ونحوها حتى لا يحبوا ولا يعضوا إلا في الله ﴿مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنهم الأحقاء بالموالاة، فلا يؤثروا الكفرة عليهم ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ ومن يولهم ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾: من ولاية الله ﴿فِي شَيْءٍ﴾ يسمى ولاية؛ إذ لا يجتمع موالاة متعادين ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْيَةً﴾: (٢) إلا أن تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه، أو: مصدر، وعدي الفعل بـ«من» لتضمنه معنى: تخافوا. وقرأ «يعقوب» تَقْيَةً، (٣) رخص لهم إظهار موالاتهم إذا خافوهم، مع إبطان عداوتهم ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه، وهو ترهيب بليغ.

[٢٩] - ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ﴾ من ولاية الكفار وغيرها ﴿يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فيعلم سرركم وعلنكم ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على عقابكم، وهذا بيان لقوله: «ويحذركم الله نفسه» (٤) لأن نفسه متصفة بعلم وقدره ذاتيين، يحيطان بجميع المعلومات والمقدورات فلا يجسر على معصيته لإطلاعه عليها، وقدرته على العقوبة بها.

[٣٠] - ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخَضَّراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ

(١) حجة القراءات: ١٥٩.

(٢) في الأصل: «تقاة» - بالالف -.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٤٢٩.

(٤) في الآية السابقة.

لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴿نَصَبَ يَوْمَ﴾ بـ «تَوَدُّ» أي : تتمنى كل نفس يوم تجد جزءاً عملها من خير وشرٍّ حاضراً لو أَنَّ بينها وبين ذلك اليوم وهولَه مسافة بعيدة ، أو : بـ «اذكر - مضمراً» . و«تَوَدُّ» حال من ضمير «عملت» أو خبر «ما عملت من سوء» وتقصر تجد على «ما عملت من خير» . وليست «ما» شرطية لإرتفاع «تَوَدُّ» ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ترهيب للحث على عمل الخير وترك السوء ، والأول للمنع من موالاة الكفرة ، فلا تكرر ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ومن رأفته أن حذّرهم عقابه .

[٣١] - ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ : تريدون طاعته ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ حتى تصح دعواكم محبته ﴿يُخَبِّئْكُمْ اللَّهُ﴾ جواب الأمر ، أي : يرض عنكم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ : يستر ذنوبكم بالعفو ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن أطاعه واتبع نبيه .

نزلت حين قالت اليهود : نحن أبناء الله وأحباؤه ، أو : حين قال وفد نجران : إنا نعبد المسيح حباً لله .

[٣٢] - ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ماضٍ أو : مضارع ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ لا يرضى عنهم . وعدل عن «لا يحبهم» للتعميم ، والدلالة على ان التولي كفر ، واختصاص محبته بالمؤمنين .

[٣٣] - ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بالنبوة والإمامة والعصمة . وآل إبراهيم : اسماعيل واسحاق وأولادهما ، ودخل فيهم النبي وآله صلوات الله عليهم .

وآل عمران : موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب .
أو : عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود بن ايشا من ولد

(١) وقد ورد في تفسير البيضاوي ٢: ١٣: «انما» وفي تفسير مجمع البيان ١: ٤٣٣: انه قول محمد بن جعفر بن الزبير .

يهوداً^(١) بن يعقوب، وكان بين العمرانين ألف وثمان مائة سنة.

[٣٤] - ﴿ذُرِّيَّةٌ﴾ بدل أو حال من الآلين ﴿بَعْضُهَا﴾ متشعب ﴿مِنْ بَعْضٍ﴾

أو: من بعض في الدين ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿عَلِيمٌ﴾ بالأعمال.

أو لقول امرأة عمران وبتها، فيتصب به، أو: بـ «اذكر - مضمراً».

[٣٥] - ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ بن ماثان «حنة بنت فاقوذا» جدة عيسى،

وكانت لعمران بن يصهر بنت، اسمها: «مريم» أكبر من «هارون»، فظن ان المراد

امراته، ويطله كفالة زكريا؛ لمعاصرتة لابن ماثان، وتزوج بنته «ايشاع» أم يحيى

أخت «مريم» للاب ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾ رأت طائراً يطعم فرخه فحنّت

للولد، فقالت: «اللهم إنَّ لك عليّ نذراً إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت

المقدس، فيكون من خدَمِهِ»، فحملت بمريم، وهلك عمران، وكان هذا النذر

مشروعاً عندهم ﴿مُحَرَّرًا﴾: معتقاً لخدمته - حال - ﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي﴾ ما نذرت ﴿إِنَّكَ

أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لقولي ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنبيي.

[٣٦] - ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ الضمير لما «في بطني» وأنت لأنه كان أنثى، أو:

لتأويله بالنفس، أو: النسمة ﴿قَالَتْ﴾ - تحسراً الى ربها، إذ كانت ترجو أن تلد ذكراً،

ولذا نذرت تحريره -: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ حال ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا﴾ بالشيء الذي

﴿وَضَعَتْ﴾ قاله تعالى تعظيماً لموضوعها، وتجهيلاً لها بقدره، وقرأ «ابن عامر» و«أبو

بكر»: «وضعت»^(٢) تسلياً لنفسها، أي: ولعلَّ الله فيه حكمة، أو: هذه الأنثى خير

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ﴾ الذي طلبت ﴿كَالْأُنْثَى﴾ التي وهبت،^(٣) فاللام للعهد، وإن كان من

قولها فللعنفس، أي: وليس الذكر كالأنثى فيما نذرت ﴿وَأِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ عطف

(١) في تفسير البضاوي ٢: ١٤: يهودا بالمعجمة.

(٢) حجة القراءات: ١٦٠.

(٣) في النسخ - هنا - زيادة: لها.

على «إِنِّي وَضَعْتُهَا»، وما بينهما اعتراض . وذكرت تسميتها لربها طلباً لأن يعصمها حتى يطابق فعلها إسمها ، لأن مريم في لغتهم بمعنى : العابدة ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا﴾ : أجيئها ﴿بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ : المطرود .

[٣٧] - ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ : فرضي بها في النذر مكان الذكر ﴿بِقَبُولِ حَسَنٍ﴾ القبول : ما يقبل به الشيء ، وهو اختصاصها بإقامتها مقام الذكر ، أو : مصدر على حذف مضاف ، أي : بذى قبول حسن ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً﴾ مجاز عن تربيتها بما يصلحها ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ شدد «الفاء» «حمزة» و«الكسائي» و«عاصم» ، وقصروا : «زكريّا» غير «عاصم» - في رواية - على أنه مفعول والفاعل هو الله ، أي جعله الله كافلاً لها ، وضامناً لمصالحها ، وخفف الباقون ومدوا «زكريّا» مرفوعاً .^(١)

روي : أن «حنة» حين ولدتها لفتها في خرقه وأتت بها إلى المسجد ، وقالت للأخبار : «دونكم النذيرة» فتنافسوا فيها ؛ لأنها كانت بنت إمامهم ، وصاحب قربانهم ، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وملوكهم ، فقال زكريّا : «أنا أحقُّ بها ، عندي أختها» فأبوا إلا القرعة فأنطلقوا - وهم سبعة وعشرون - إلى نهر ، وألقوا فيه أقلامهم ، فطفأ قلم «زكريّا» ورسبت أقلامهم ، فتكفلها^(٢) ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ أي : الغرفة التي بناها لها ، أو : المسجد ، أو : أشرف مواضعه ، سمي به لأنه محلّ محاربة الشيطان ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً﴾ قيل : كان يدخل عليها وحده ، وإذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب ، فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء ، والشتاء في الصيف ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنِّي﴾ من أين ﴿لَكَ هَذَا﴾ : الرزق الآتي في غير حينه والأبواب مغلقة ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فلا تستبعد . قيل : تكلمت صغيرة كعيسى ، وما

(١) حجة القراءات : ١٦١ .

(٢) رواه ابن اسحاق وجماعة - كما في تفسير مجمع البيان ١ : ٤٣٦ .

رضعت قط، وكان رزقها يأتيها من الجنة كرامة لها،^(١) ومن منع ذلك لغير الأنبياء جعله إرهاباً^(٢) لنبوّة عيسى - عليه السلام -، أو: معجزة لذكرياً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغير تقدير لكثرة، أو بغير استحقاق تفضلاً به. من كلامها، أو: كلامه تعالى. ولفاظمة عليها السلام مثل هذه الكرامة.^(٣)

[٣٨] - ﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك المكان - أو: الوقت؛ إذ تستعار للزمان - ﴿دَعَا ذَكْرِيًّا رَبَّهُ﴾ لما رأى كرامة مريم على الله ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كما وهبتها له - «حنّة» العاقر العجوز، أو: لما رأى الفاكهة في غير وقتها طمع في ولادة العاقر، فسأل الولد ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾: مجيبه.

[٣٩] - ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ جبرئيل، أي: نودي من جنسهم، وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «فناداه» بالتذكير والإمالة^(٤) ﴿وَهُوَ قَائِمٌ﴾ حال عن «الهاء» ﴿يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ حال من الضمير في «قائم» ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ أي: بأن الله، وكسرهما «حمزة» و«ابن عامر» على إضمار القول أولاً لأن النداء منه، وخفف «حمزة» «يبشرك» فاتحاً ياءه.^(٥) ﴿يَبْخِي﴾ علم أعجمي، وإن كان عربياً فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: بعيسى، سمي بذلك، لأنه حصل بأمره تعالى بلا أب ﴿وَسَيِّدًا﴾ يسود قومه وقد فاق الناس في أنه ما ارتكب سيئة ﴿وَحَصُورًا﴾: لا يقرب النساء حصراً لنفسه عن الشهوات ﴿وَنَبِيًّا﴾ ناشئاً ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أو كائناً من جملة الأنبياء.

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ١٦: ٢.

(٢) الارهاب: الامر المخارق العادة الذي ظهر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل بعثته.

(٣) وردت فيه روايات كثيرة، للتفصيل ينظر تفسير الدر المنثور ١/ ٢٠، تفسير الكشاف ١/ ٣٢١

جوامع الجامع ١/ ١٧١، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣/ ٣٢٩.

(٤) حجة القراءات: ١٦٢.

(٥) حجة القراءات: ١٦٢-١٦٣.

[٤٠] - ﴿قَالَ رَبِّ اَنْتَ اَنْتَ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ تَعَجَّباً ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ﴾ : أدركني كبر السن وأضعفني ، وكان له تسع وتسعون سنة ولإمراته ثمان وتسعون ﴿وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ : لا تلد ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾ أي : مثل ذلك الفعل العجيب وهو خلق الولد من هرمين ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ أو : كما أنتما عليه يفعل ما يشاء من خلق الولد .

[٤١] - ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ : علامة لوقت الحمل لانتلقاه بالشكر ﴿قَالَ آيَتُكَ اَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ : أن لا تقدر على تكليمهم ﴿ثَلَاثَةَ اَيَّامٍ﴾ وإنما خص المنع بتكليمهم لتخلص المدة لذكر الله وشكره على النعمة ، وكأنه قيل : آيتك أن تحبس لسانك إلا عن الشكر ﴿اِلَّا رَمَزًا﴾ إشارة بيد أو غيرها ، والإستثناء منقطع ، أو : متصل إن أريد بالكلام مادلاً على الضمير ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيْرًا﴾ في ايتام المنع وفيه تأكيد لما قبله ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ﴾ : من الزوال إلى الغروب ﴿وَالْاَبْكَارِ﴾ من الفجر إلى الضحى .

[٤٢] - ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾ كلّموها شفهاها كرامة لها . ومنكر الكرامة جعله إرهاباً^(١) لنبوة عيسى - عليه السلام - ، أو معجزة لذكرها ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ أولاً حين تقبلتك من أمك ورباك وأكرمك برزق الجنة ﴿وَوَهَّبَ لَكَ﴾ مما يستقذر من النساء ﴿وَاصْطَفَاكِ﴾ آخرأ بالهداية وتكليم الملائكة والولد بلا أب ﴿عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانك ، إذ فاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين مطلقاً .^(٢)

[٤٣] - ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ أمرت بالصلاة بذكر أركانها ﴿مَعَ الرَّاٰكِعِينَ﴾ أي : في الجماعة ، أو : مع من يركع في صلاته لا مع من لا يركع .

[٤٤] - ﴿ذٰلِكَ مِنْ اَنْبَاِ الْغَيْبِ نُوْحِيْنِهٖ اِلَيْكَ﴾ أي : ما سبق من القصص من

(١) انظر الهامش (٢) في الصفحة السابقة .

(٢) وردت فيه روايات كثيرة ، ينظر الكتب المؤلفة في مناقب السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ومنها الجزء الخاص لحياتها من بحار الأنوار .

الغيوب التي لا تعرف إلا بالوحي ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ التي كانوا يكتبون بها التوراة للإقتراع، أو: قداحهم. قرر كونه وحياً على التهكم^(١) إذ طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع، وعدم السماع متيقن عندهم، فلم يبق إلا المشاهدة ولم يتوهمها عاقل^(٢) ﴿أَيُّهُمْ﴾ أي: ليعلموا أيهم ﴿يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ تشاحاً فيها.

[٤٥] - ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ بدل من «إذ قالت» أو: من «إذ يختصمون» على أن الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع^(٣) ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ﴾ ذكر الضمير نظراً إلى المعنى ﴿الْمَسِيحُ﴾ من الألقاب الشريفة، أصله - في لغتهم - مسيحا، ومعناه: المبارك ﴿عِيسَى﴾ معزب ايشوع ﴿ابْنُ مَرْيَمَ﴾ صفة جعلت من الأسماء لأنها تميز تمييزها، أو المراد: أن اسمه المميز له عن غيره هذه الثلاثة، إذ الاسم علامة المسمى. وإنما قيل: «ابن مريم» والخطاب لها، ليعلم أنه يولد من غير أب؛ إذ لا ينسب إلى الأم إلا إذا عدم الأب. ﴿وَجْنَاهَا﴾ حال من «كلمة» وسوغه وصفها ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالنبوة ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالشفاعة ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ من الله، أو: أريد رفعه إلى السماء.

[٤٦] - ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ أي: يكلمهم حال الطفولة والكهولة كلام الأنبياء بلا تفاوت.

والمهد مصدر، سمي به ما يمهد مضجعاً للصبي. قيل: رفع شاباً فالمراد «وكهلاً» بعد نزوله،^(٤) وذكر تقلب أحواله تنبيهاً على نفي إلهيته ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

(١) في «ب» و«ج» زيادة: لمنكره. والتهكم: السخرية.

(٢) في «ب» و«ج» زيادة: فتعين كونه وحياً.

(٣) في «ط»: واحد.

(٤) قاله زيد بن اسلم - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٤٤٣.

حال رابع من : «كلمة» .

[٤٧] - ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ تعجب ، أو : استفهام عن أنه يكون بزواج أو بدونه ﴿قَالَ﴾ جبرئيل ، أو : الله ، وجبرئيل المبلغ ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فإنه يقدر أن يخلق الأشياء بلا أسباب كما يخلقها بأسباب .

[٤٨] - ﴿وَنُعَلِّمُهُ﴾^(١) عطف على «ييسرك» ، أو «وجيهاً» ، أو : كلام مبتدأ ، وقرأ «عاصم» و«نافع» بالياء^(٢) ﴿الْكِتَابِ﴾ أو جنس الكتب المنزلة ﴿وَالْحِكْمَةِ وَالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ خصاً لفضلهما .

[٤٩] - ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ نصب بمضمر على إرادة القول ، تقديره : ويقول : أرسلت رسولاً بآتي قد جئتكم ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ نصب بدل «أني قد جئتكم» ، أو جرّ بدل «آية» ، أو : رفع على «هي اني» ، وكسرهما «نافع» على الاستئناف^(٣) أي : أقدر لكم شيئاً مثل صورة الطير ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ الضمير للكاف ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ فيصير حيّاً طياراً ، وقرأ «نافع» : «طائراً»^(٤) ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ : بأمره ، دلّ به على أن إحياءه من الله تعالى ، لا منه ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ﴾ : الذي ولد أعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ قيل : ربّما اجتمع عليه ألوف من المرضى من أطاق منهم أناه ، ومن لم يطق أناه عيسى عليه السلام وما يداوي إلا بالدعاء^(٥) ﴿وَأُخِي الْمَوْتَى﴾ وممن أحياء : سام بن نوح عليه السلام ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ كرّر لدفع وهم اللاهوتية ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ كان يقول للرجل : أكلت كذا وخبئ

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «يعلمه» كما يشير إليه المؤلف .

(٢) حجة القراءات : ١٦٣ .

(٣) حجة القراءات : ١٦٤ .

(٥) قاله وهب - كما في تفسير مجمع البيان ١ : ٤٤٥ .

لَكَ كَذَا ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مصدِّقين بالمعجزات

[٥٠] - ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ عطف على «رسولاً» أو: منصوب بمضمر دلَّ عليه «جنتكم»، أي: وجنتكم مصدِّقاً ﴿وَلَا حِلَّ﴾ مقدَّر بالمضمر، أي: وجنتكم لأحلَّ ﴿لَكُمْ بَغْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في شريعة موسى كلحم الإبل، والشحوم، والثرب^(١) وبعض الطير، والسّمك، والسبت ﴿وَجِنتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

[٥١] - ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ أي: جنتكم بآية من إلهام ربكم وهي قولي: إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ، فإنه القول الذي اجمع عليه الرُّسل، وقوله: «واتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا» إعتراض، أو: تكرير لقوله: «قَدْ جِنتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» أي جنتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم من الخلق، والإبراء والإحياء والإنباء وغيره، فاتَّقُوا اللَّهَ في مخالفتي، وأطيعوني في دعوتي، ثُمَّ ابْتَدَأَ بالدعوة، فقال: إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ، إشارة إلى الإعتقاد الحق ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ إشارة إلى العمل ﴿هَذَا﴾ أي: الجمع بين الأمرين ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ موصل إلى النجاة.

[٥٢] - ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ علمه علم ما يدرك بالحواس ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ ذاهباً إليه، أو: الجار متعلق بـ«أنصاري» مضمناً معنى الإضافة، أي: مَنْ الَّذِينَ يضيفون أنفسهم إلى الله في نصري ﴿قَالَ الْخَوَارِثُونَ﴾ حوارِي الرَّجُل: خالسته، من الحور وهو البياض الخالص، سُمي به أصحاب عيسى عليه السلام لنقاء قلوبهم وخلوص نيّتهم ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أنصار دينه ﴿ءَاْمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ استشهدوه لأنَّ الرُّسل يوم القيامة يشهدون لقومهم وعليهم.

[٥٣] - ﴿رَبَّنَا ءَاْمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ بالوحدانية، أو: مع الأنبياء الذين يشهدون لأممهم، أو أُمَّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم شهداء

(١) في «ب» الثروب، والثرب: هو الشحم الرقيق الذي يكون على الكرش والامعاء.

على الناس .

[٥٤] - ﴿وَمَكَرُوا﴾ أي : اليهود الذين أحسّ منهم الكفر بتوكيلهم من يقتله غيلة ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ برفعه عيسى ، وإلقاء شبهه على من أراد اغتياله حتى قُتل ، وإسناد المكر اليه تعالى للمقابلة ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أنفذهم كيداً .

[٥٥] - ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ ظرف له «خير الماكرين» ، أو له «مكر الله» ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ تَوْفِيقِي﴾ : مستوفٍ أجلك ، وعاصمك من قتلهم الى أجلك المسمى ، أو : متسلمك من الأرض ، من : «توفيت كذا» : تسلمته ﴿وَرَأَيْتُكَ إِلَيَّ﴾ الى سمائي ومقر ملائكتي ﴿وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من خبث صحبتهم ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ يعلنونهم بالحجة أو السيف في أكثر الأحوال ، ومتبعوه ، هم المسلمون لأنهم متبعوه في أبواب التوحيد ، دون من كذبه وكذب عليه من اليهود والنصارى ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ الخطاب لعيسى ومن تبعه وكفر به ، على التغليب ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين .

[٥٦-٥٧] - ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَتُوفِيهِمْ﴾^(١) أجورهم تفصيل للحكم ، وقرأ «عاصم» : «فيوفيههم» - بالياء -^(٢) ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ لا يرضى عنهم .

[٥٨] - ﴿ذَلِكَ﴾ أي : ما ذكر من نبأ عيسى وغيره . وهو مبتدأ ﴿تَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ خبره ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ حال من الهاء ، أو : خبر آخر ، أو : لمحذوف ﴿وَالذِّكْرِ﴾ : القرآن ﴿الْحَكِيمِ﴾ وصف به لكثرة حكمه كأنه ينطق بالحكمة .

[٥٩] - ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ ان حاله العجيبة كحال آدم ﴿خَلَقَهُ﴾

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص «فيقويهم بالياء» - كما سيشير إليه المؤلف - .

(٢) حجة القراءات : ١٦٤ .

مِنْ تُرَابٍ ﴿٦٠﴾ جملة مفسرة لما لأجله الشبه، وهو: خلقه بلا أب، كخلق آدم بلا أب وأم، شبه الغريب بالأغرب، ليكون أقطع للخصم، والمعنى: قدّره جسداً من التراب ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ أي: انشأ بشراً كقوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾^(١) ﴿فَيَكُونُ﴾ حكاية حال ماضية.

[٦٠] - ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ خبر محذوف ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ نهيه - صلى الله عليه وآله وسلم - من باب التهيج لزيادة اليقين.

[٦١] - ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾ من النصارى ﴿فِيهِ﴾ في عيسى ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: من الدلائل الموجبة للعلم ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾: هلموا بالعزم ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ أي: يدع كل مني ومنكم أبناءه ونسائه ومن هو كنفسه، الى المباهلة ﴿ثُمَّ تَبَهَّلْ﴾ نتباهل، بأن نلعن الكاذب منا.

والبهلة - بالفتح والضم - اللعنة ﴿فَتَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ عطف مفسر. روي: انهم حين دعوا الى المباهلة قالوا: حتى ننظر، فتخالوا، فقال العاقب - وكان ذا رأيهم -: والله لقد عرفتكم نبوته، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم.

والله ما بأهل قوم نبياً إلا هلكوا، فإن أبيتم إلا إلف^(٢) دينكم فوادعوه وانصرفوا. فأتوه صلى الله عليه وآله وسلم - وقد غدا آخذاً بيد علي بن أبي طالب عليه السلام، والحسن والحسين بين يديه، وفاطمة خلفه -.

فقال أسقفهم: يا معشر النصارى، إنني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تبهلوا. فأبوا المباهلة وصالحوه على ألفي حلة، وعارية ثلاثين درعاً في كل عام.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: والذي نفسي بيده، لو باهلوا لمسخوا قردة وخنزيراً،

(١) سورة المؤمنون: ١٤/٢٣.

(٢) الإلف بكسر الهمزة: الصداقة والمؤانسة.

ولا يضطرم الوادي عليهم ناراً، ولا ستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر.^(١)
وهو برهان واضح على صحة نبوته، وعلو درجة أهل العبا^(٢) في الفضل على من سواهم.

[٦٢] - ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي قُصَّ من نبي عيسى عليه السلام ﴿لَهُوَ﴾ فصل، أو: مبتدأ خبره: ﴿الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ «من» مزيعة للإستغراق، وهو ردٌّ على النصارى في تثليثهم ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ المتفرد في القدرة الكاملة والحكمة البالغة، فلا يشارك في الإلهية.

[٦٣] - ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ وعيد لهم. ولم يقل: «بهم» ليدل على أن الإعراض عن الحجج والتوحيد إفساد للدين بل للعالم.

[٦٤] - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ هم أهل الكتابين، أو: وفد نجران؛ أو: يهود المدينة ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾: مستوية ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ لا يختلف فيها الرسل، والكتب وتفسيرها ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أن نوحده بالعبادة مخلصين ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً﴾ ولا نجعل أحداً شريكاً له في استحقاق العبادة ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ولا نقول: عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ، ولا: المسيح ابن الله، ولا نطيع الأحرار فيما أحدثوا من التحليل والتحریم، لأن كلاً منهم بعضنا وبشر مثلنا.

روي أنه حين نزلت: ﴿إِتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَزُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.^(٣)

قال «عدي بن حاتم»: ما كنا نعبدهم يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله وسلم: أليسوا كانوا يحلون لكم ويحرمون، فتأخذون بقولهم؟ فقال: نعم. قال (ص): «هو

(١) نقل هذه الرواية البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٢ وروى بعضه الطبرسي في تفسير مجمع البيان

(٢) يراد بهم اصحاب الكساء وهم فاطمة وابوها وبنوها صلوات الله عليهم اجمعين.

(٣) سورة التوبة: ٣١/٩.

ذاك»^(١) ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن التوحيد ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: لزمتمكم الحجة

فاعترفوا بأننا مسلمون دونكم، أو: بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق الجلي.

[٦٥] - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا

مِنْ بَعْدِهِ﴾ زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم منهم، فتنازعوا عند النبي

صلّى الله عليه وآله وسلم، ف قيل لهم: إنّ اليهودية والنصرانية حدثتا بعد نزول التوراة والإنجيل

على موسى وعيسى عليهما السلام، وكان إبراهيم قبل موسى بألف سنة، وقبل عيسى

بألفين، فكيف يكون عليهما ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ استحالة دعواكم.

[٦٦] - ﴿هَا﴾ للتنبيه ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ خبره: ﴿حَاجَجْتُمْ﴾ جملة مبيّنة

للأولى، أي: أنتم هؤلاء الحمقاء، وبيان حماقتكم أنكم جادلتم ﴿فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾

مِمَّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ ولا ذكر في كتابكم

من دين إبراهيم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ دين إبراهيم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ جاهلون به.

[٦٧] - ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ تصريح بمقتضى الحجة المقررة

﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾: مائلاً عن الأديان الباطلة ﴿مُسْلِمًا﴾: مخلصاً لله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ﴾ كما لم يكن منكم، أو: تعريض بشركهم به عزيراً والمسيح.

[٦٨] - ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾: أخصهم به وأقربهم منه، من الولي: أي

القرب ﴿لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ سابقاً ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ معه لموافقته له في أكثر

شريعته أصالة ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ناصرهم.

[٦٩] - ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾: هم اليهود، دعوا

«حذيفة» و«عماراً» و«معاذاً» الى اليهودية، و«لو» بمعنى: «أن» ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا

أَنْفُسَهُمْ﴾ وما يلحق وبأل إضلالهم إلا بهم؛ إذ يضاعف به عذابهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

بعود ضرره عليهم.

[٧٠] - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بما نطقت به التوراة والإنجيل من صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بأنها آيات الله ، أو : بالقرآن وأنتم تشهدون نعته في كتابيكم .

[٧١] - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ : تخلطونه به بالتحريف ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ انه حق .

[٧٢] - ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ : أظهروا الإيمان بالقرآن ﴿وَجَهَ النَّهَارِ﴾ : أوله ﴿وَاكْفُرُوا﴾ به ﴿ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي : يشكون في دينهم ظناً بأن رجوعكم لخلل ظهر لكم .

وقيل : لما حولت القبلة الى الكعبة ، قال كعب بن الأشرف لأصحابه : آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلوا إليها أول النهار ، ثم صلوا إلى الصخرة آخره ، لعلهم يقولون : هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون .^(١)

[٧٣] - ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ﴾ ولا تصدقوا إلا لأهل دينكم ، أو : لا تظهروا إيمانكم وجه النهار إلا لمن كان على دينكم فإنهم أرجى رجوعاً ﴿قُلْ إِنْ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ يُوَفَّقْ مِنْ يَشَاءَ لِلْإِسْلَامِ وَيُشْبِثْهُ عَلَيْهِ﴾ «أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ يتعلق بـ «لا تؤمنوا» أي : لا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم ، ولا تفشوه للمسلمين لئلا يزيدهم ثباتاً ، ولا للمشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام . أو بمحذوف ، أي : قلت ذلك ودبرتموه لأن يؤتى ، يعني : دعاكم الحسد إلى ذلك ويؤيده قراءة «ابن كثير» : «أَنْ يُؤْتَى» - على الإستفهام - للتوبيخ ،^(٢) أي : ألان يؤتى ، دبرتم كذا؟^(٣)

(١) تفسير الكشاف ٤٣٦: ١ ونقل معناه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٤٦٠: ١ .

(٢) حجة القراءات : ١٦٥ .

(٣) أي : هل دبرتم كذا لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم .

وقوله: «إِنَّ الْهُدَى هُدَى، اللَّهُ» اعتراض يفيد أَنَّ كيدهم لا ينفع، أو؛ خبر «إِنَّ» و«هُدَى اللَّهُ» بدل من «الهدى» ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ عطف على «أَنْ يُوْتَى» - على الأولين -، و- على الثالث - معناه: حتى يحاجوكم عند ربكم فيقطعوكم، و«الواو» لأحد، لأنه في معنى الجمع ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٧٤] - ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ فلا هداية ولا توفيق إلا من لطفه تعالى.

[٧٥] - ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ﴾ كعبدالله بن سلام، استودعه قرشي ألفاً ومائتي أوقية^(١) ذهباً، فأذاه إليه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ﴾ ك«فيحاص»^(٢) بن عازوراء استودعه قرشي ديناراً فجحده.

وقيل: المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الأمانة فيهم، والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة فيهم^(٣) ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً﴾: إلا مدة دوامك قائماً على رأسه تطالبه بالعنف ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ترك الأداء، الدال عليه: «لَا يُودِّهِ» ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾: بسبب قولهم ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّاتِ﴾ أي: في شأن من ليسوا أهل ديننا ﴿سَبِيلٌ﴾: عتاب. استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا: لم يجعل لهم في كتابنا حرمة.

وقيل: بايع اليهود رجالاً من قريش فأسلموا فتقاضوهم، فقالوا لا حق لكم لترككم دينكم وذلك في كتابنا^(٤) ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بما ادعوا ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون.

(١) الاوقية تساوي نصف سدس الرطل وكانت في القديم وزن اربعين درهماً.

(٢) في تفسير مجمع البيان ١: ٤٦٢ فحاص، وفي تفسير البيضاوي ٢: ٢٦: فحاص.

(٣) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٦.

(٤) قاله الحسن وابن جريج كما في تفسير مجمع البيان ١: ٤٦٣.

[٧٦] - ﴿بَلَىٰ﴾ عليهم فيهم سبيل ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بَعْدِهِ وَأَتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ استئناف مقرر لما نابت «بلى»، والضمير في: «بعده» الله، أو: لـ «من» وعموم المتقين. ناب العائد^(١) من الجزاء الى «من» وأفاد إعتناء بالتقوى، وهو يعم أداء الواجبات وترك المحرمات.

[٧٧] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾: يستبدلون ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: بما عاهدوه عليه من الإيمان لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ وبما حلفوا به من قولهم: والله لنؤمننَّ به ولننصُرَنَّهُ^(٢) ﴿ثُمَّ نَآ قَلِيلًا﴾ عرض الدنيا ﴿أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ﴾ لا نصيب ﴿لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ بما يسرُّهم، أو بشيء أصلاً، وإنما تحاسبهم الملائكة. أو: كناية عن سخطه عليهم مثل: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ إذ مَنْ سخط على غيره واستهان به أعرض عنه وعن تكليمه ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: ولا ينهي عنهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ على فعلهم. نزلت في أحبار كتموا أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وحرفوا التوراة للرشوة، أو: في رجل حلف كاذباً في تنفيق سلعته^(٣).

[٧٨] - ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا﴾ «كعب» و«مالك» و«حيي» وغيرهم ﴿يَلُتَوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾ يفتلون بها بتلاوته عن الصحيح الى المحرّف ﴿لِتُخَسِّبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ الضمير للمحرّف الدال عليه «يلوون» ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ تأكيد لقوله: «وما هو من الكتاب»، وتشنيع عليهم بالكذب، لإدعائهم ذلك تصريحاً لا تعريضاً ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ تأكيد وتسجيل بتعمد الكذب على الله.

[٧٩] - ﴿مَا كَانَ لِيَشِيرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا

(١) الظاهر ان العبارة سقط ، والصحيح - كما في تفسير الفيضاوي ٢: ٢٦٦ - ناب مناب العائد.

(٢) إقتباس من قوله تعالى: «ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ».

(٣) نقل الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٤٦٣ الاول عن عكرمة والثاني عن مجاهد والشعبي.

عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿ تَكْذِيبَ لِعِبَادَةِ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَام - . وقيل : إن أبا رافع القرظي ، ورئيس وفد نجران قالوا : يا محمد أتريد أن نعبدك ، ونتخذك ربًّا ؟ قال : معاذ الله أن نعبد غير الله ، وأن نأمر بعبادة غيره ، ما بذلك بعثني ، ولا بذلك أمرني .^(١)

وقيل : قال رجل : يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض ، أفلا نسجد لك ؟ قال : لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ، ولكن أكرموا نبيكم ، واعرفوا الحق لأهله .^(٢) ﴿ وَلَكِنْ ﴾ يقول : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ الرباني : منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون ، وهو : الكامل علماً وعملاً ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ : بسبب كونكم معلمين الكتاب ، وبسبب كونكم دارسين له ؛ إذ ثمرة التعليم والتعلم كسب العلم والعمل وقرأ « نافع » و« ابن كثير » و« أبو عمرو » : « تعلمون » أي : عالمين .^(٣)

[٨٠] - ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾ نصبه « ابن عامر » و« حمزة » و« عاصم » عطفاً على « ثم يقول »^(٤) و« لا » زيدت تأكيداً لمعنى النفي في « ما كان » أي : ما كان لبشر أن يستنبهه ، ثم يأمر الناس بعبادته ، ويأمركم باتخاذ المربوبين أرباباً . ورفع الباقون استثناءً^(٥) ﴿ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ ﴾ إنكار ، والمستتر^(٦) للبشر ، أو : الله ﴿ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ دلّ على أَنَّ الخطاب للمسلمين وهم القائلون : « أفلا نسجد لك » .

[٨١] - ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ

(١) قاله ابن عباس وعطاء - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٤٦٦.

(٢) نقل هذا القول كل من الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٤٦٦ والبيضاوي في تفسيره ٢: ٢٧.

(٣) حجة القراءات : ١٦٧.

(٤) حجة القراءات : ١٦٨.

(٦) أي : الضمير المستتر.

رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴿١﴾ أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَشِّرُوا أُمَّهَم بِهِ ، وَيَأْمُرُوهُمْ بِتَصَدِيقِهِ وَنَصْرِهِ ، أَوْ : أَخَذَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَأُمَّهَم بِذَلِكَ وَاسْتَغْنَى بِذِكْرِهِ عَنْ ذِكْرِ الْأُمَم ، أَوْ أَخَذَ الْمِيثَاقَ الَّذِي وَثَّقَهُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَى أُمَّهَم ، عَلَى إِضَافَةِ الْمِيثَاقِ إِلَى الْفَاعِلِ .

وعن الصادق عليه السلام معناه : أَخَذَ الْمِيثَاقَ أُمَّهَم بِالْعَمَلِ بِمَا أُوتُوا بِهِ ، فَمَا وَفُوا . و«لام» «لما» للقسم ، لأن أَخَذَ الْمِيثَاقَ بِمَعْنَى : الْإِسْتِحْلَاف . و«ما» شرطية ، وَلَتُؤْمِنُنَّ سَدٌّ مَسَدٌ جَوَابُ الْقَسَمِ وَالشَّرْطِ .

أَوْ : مَوْصُولَةٌ . وَكَسَرَ «حمزة» لام «لما» ^(١) فَتَكُونُ «ما» مُصَدِّرِيَّةً ، أَي : لِأَجْلِ إِيْتَائِي إِيَّاكُمْ بَعْضَ الْكُتُبِ ثُمَّ مَجِيءِ رَسُولٍ مُّصَدِّقٍ أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ .

أَوْ : مَوْصُولَةٌ أَي : أَخَذَهُ لِلَّذِي أَتَيْتَكُمْ بِهِ وَجَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لَهُ . وَقَرَأَ «نافع» : آتَيْنَاكُمْ ^(٢) ﴿قَالَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ : عَهْدِي ، سَمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ يُؤْصَرُ ، أَي : يَشَدُّ ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ : فَلْيَشْهَدْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْإِقْرَارِ ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أُمَمِكُمْ ، وَهُوَ تَحْذِيرٌ بَلِيغٌ .

[٨٢] - ﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الْمِيثَاقَ وَالتَّوَكِيدَ ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

الْمُتَمَرِّدُونَ كُفْرًا .

[٨٣] - ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ نَبِغُونَ﴾ ^(٣) عَطَفَ عَلَى الْجُمْلَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، وَتَوَسَّطَ

بَيْنَهُمَا هَمْزَةُ الْإِنْكَارِ أَوْ عَلَى مُحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ «تَتَوَلَّوْنَ فَنُغَيِّرُ دِينَ اللَّهِ تَبِغُونَ» وَقَدَّمَ الْمَفْعُولَ بِهِ لِتَوَجُّهِ الْإِنْكَارِ إِلَيْهِ . وَقَرَأَ «أَبُو عَمْرٍو» وَ«حَفْصٌ» بِلَفْظِ الْغِيَّةِ ، وَالْبَاقُونَ :

(٢-١) حجة القراءات : ١٦٨ .

(٣) فِي الْمَصْحَفِ الشَّرِيفِ بِقِرَاءَةِ حَفْصٍ : «يَبِغُونَ» كَمَا سَيُشِيرُ إِلَيْهِ الْمُؤَلِّفُ .

بالتاء، ^(١) بتقدير «قل لهم»، ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ طائعين بالنظر في الحجج، وكارهين بالسيف أو معاينة ما يلجىء إلى الإسلام ﴿وَالَّذِينَ تَرْجِعُونَ﴾ ^(٢) وقرأ «حفص» بالياء، ^(٣) والضمير له «من».

[٨٤] - ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أمر صلى الله عليه وآله وسلم بأن يُخبر عن نفسه ومن معه بالإيمان، أو: بأن يتكلم عن نفسه تكلم الملوك؛ إجلالاً له، والنزول يُعدَّى بـ «على» و«إلى» لأنه من فوق، ويتهى إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ﴿لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: منقادون موحدون.

[٨٥] - ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾ غير الإنقياد لله تعالى وتوحيده ﴿دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي من طلب غير الإسلام فقد النفع ووقع في الخسران.

[٨٦] - ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَتْهُمْ﴾ ^(٤) **الْبَيِّنَاتُ** ﴿كَيْفَ يُلْطَفُ بِهِمْ وَقَدْ عَلِمَ تَصْمِيمَهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ؛ إِذْ تَرَكُوا الْحَقَّ بَعْدَ مَا وَضَحَ لَهُمْ، وَتَمَسَّكُوا بِهِ، وَهُوَ اسْتِعَادَ وَإِنْكَارَ، وَلَا يَنَافِي قَبُولَ تَوْبَةِ الْمُرْتَدِّ، لَعَلَّمَهُ تَعَالَىٰ بِتَرْكِهِ الْإِصْرَارَ. وَ«شَهِدُوا» عَظَفَ عَلَىٰ مَعْنَى الْفَعْلِ فِي «إِيمَانِهِمْ»، أَوْ: حَالٍ مِنْ «كَفَرُوا» بِتَقْدِيرِ «قَدْ» ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لَا يُلْطَفُ بِهِمْ لَعَلَّمَهُ بِأَنَّ اللَّطْفَ لَا يَنْفَعُ بِهِمْ لِعِنَادِهِمْ.

(١) حجة القراءات: ١٧٠.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «يرجعون» كما يشير إليه المؤلف.

(٣) حجة القراءات: ١٧٠ وعليه المصحف الشريف المطبوع في إيران بقراءته.

(٤) في: «ط»: جاءتهم. واثبتناه على ما في المصحف الشريف بقراءة حفص.

[٨٧] - ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّا عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

والتمسك بمفهومه في منع لعن غيرهم ضعيف .

[٨٨] - ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ في اللعنة أو العقوبة التي استحقوها بها ﴿لَا يُخَفَّفُ

عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ .

[٨٩] - ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ : الإرتداد ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوا ، أو :

دخلوا في الصلاح ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ : يغفر ذنوبهم ﴿رَحِيمٌ﴾ : ينعم عليهم . نزلت

في الحارث بن سويد ، حين ندم على رذته ، فأرسل الى قومه : سلوا هل لي من توبة؟

فأرسلوا إليه بالآية ، فأتى المدينة فتاب .^(١)

[٩٠] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ هم اليهود كفروا بعبسى

عليه السلام بعد إيمانهم بموسى ، ثم ازدادوا كفراً بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أو : بمحمد

صلى الله عليه وآله وسلم بعد إيمانهم به قبل مبعثه ، ثم ازدادوا كفراً بإصرارهم وطعنهم فيه ،

وصدّهم عن الإيمان .

أو : قوم ارتدّوا ولحقوا بمكة ، ثم ازدادوا كفراً بقولهم : «نترى بمحمد ريب

المنون» فَإِنْ رَجَعْنَا نَافِقًا بِإِظْهَارِ التَّوْبَةِ^(٢) ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ لنفاقهم فيها ، أو : لأنهم

لا يتوبون إلّا عند المعاينة لارتدادهم وزيادة كفرهم ، ولذا ترك «الفاء» فيه ﴿وَأُولَٰئِكَ

هُمْ الضَّالُّونَ﴾ .

[٩١] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ

ذَهَبًا﴾ أتى بـ«الفاء» ايذاناً بأن سبب امتناع قبول الفدية : الموت على الكفر ، و«ذهباً»

تميز ﴿وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ التقدير : فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملاء

الأرض ذهباً .

(١) تفسير مجمع البيان ١ : ٤٧١ .

(٢) في «ط» : فَإِنْ رَجَعْنَا أَظْهَرْنَا التَّوْبَةَ .

أو: «وَلَوْ افْتَدَى» بمثله، أي: معه، وكثر حذف المثل؛ إذ المثلان كشيء واحد ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إقناط من العفو عنهم تفضلاً ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾: يدفعون العذاب. و«من» زيدت للإستغراق.

[٩٢] - ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ لن تبلغوا كمال البر، أو: لن تكونوا أبراراً، أو: لن تدركوا بر الله، وهو: ثوابه ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أي: من المال، أو: مما يعمه والنفس والبدن والجاه في سبيل الله وطاعته ومعاونة الناس.

ويعم الإنفاق الواجب والنفل و«من» للتبويض أو للتبيين ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ أي من أي شيء طيب أو خبيث، و«من» بيانية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فيجازيكم بحسبه.

[٩٣] - ﴿كُلِّ الطَّعَامِ﴾ أي: المطعومات ﴿كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ حلالاً لهم، وهو مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث، والمفرد والجمع، قال الله تعالى: ﴿لَهُنَّ حُلٌّ لَهُمْ﴾^(١) ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ﴾ يعقوب ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ كان به عرق النساء^(٢) فنذر إن شفي لم يأكل العروق ولحوم الإبل، و[كان] ذلك أحب الطعام إليه.^(٣)

وقيل: أشارت عليه الأطباء باجتنابه فحرمه بإذن من الله^(٤) ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزَلَ التَّوْرَةُ﴾ مشتملة على تحريم ما حرم الله عليهم فيها بظلمهم. وهو تكذيب لدعوى اليهود ببراءتهم مما نعي عليهم في: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾^(٥) الآية

(١) سورة الممتحنة: ١٠/١٠.

(٢) وهو من أوجاع المفاصل، والنساء بالفتح والقصر - اسم عرق مخصوص وهو وريد يمتد على الفخذ وتقدير الكلام: وجع العرق الذي هو النساء، فالإضافة بيانية.

(٣) وهذا قول ابن عباس ومجاهد والضحاك - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٤٧٥.

(٤) ذكر هذا القول الزمخشري في تفسير الكشاف ١: ٤٤٥. وكذا البيضاوي في تفسيره ٢: ٣١.

(٥) سورة النساء: ٤/١٦٠.

ونحوها إذ قالوا: لسنأ أول من حرمت عليه وقد كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعده حتى انتهى التحريم إلينا .

وردّ لمنعهم النسخ وإنكارهم دعوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم موافقة إبراهيم عليه السلام في تحليل لحوم الإبل ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أمر بتبكيّتهم بما في كتابهم من أنه تحريم حادث بظلمهم لا قديم، فلم يجسروا أن يأتوا بها، وفيه حجة على صدقة .

[٩٤] - ﴿فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بزعمه أن تحريم ذلك قديم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الذي لزمهم من الحجة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بمكابرة الحق الواضح .

[٩٥] - ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ تعريض بكذبهم، أي: ثبت أنه صادق فيما أنزل، وأنتم الكاذبون ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ ملة الإسلام التي هي مثل ملة إبراهيم لتخلصوا من اليهودية التي حملتكم على التحريف، وألزمتكم تحريم طيبات أحلت لإبراهيم وأتباعه ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض بشركهم .

[٩٦] - ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ جعل متعبداً لهم، والواضع هو الله تعالى - لقراءة البناء للفاعل - ﴿لِلَّذِي﴾ للبيت الذي ﴿بِبَكَّةَ﴾ لغة في «مكة» .

وقيل: موضع المسجد .

وبكة: البلد،^(١) من البك، أي: الزحم، أو: الدق للإزدحام فيها ودقها أعناق العتاة .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «أول مسجد وضع، المسجد الحرام، ثم بيت المقدس»^(٢) .

وعن عليّ عليه السلام: «كان قبله بيوت لكنه أول بيت وضع للعبادة»^(٣) وأول من بناه

(١) نقل هذا القول البيضاوي في تفسيره ٢: ٣١ .

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٤٧٧ .

«إبراهيم» ثم قوم من «جرهم» ثم «العمالقَة» ثم «قريش»^(١) وقيل: «آدم» ثم «إبراهيم»^(٢) وفيه روايات أخر^(٣) ﴿مُبَارَكًا﴾ كثير الخير لمن حجّه واعتمره، حال من المستكن في «بيكة» أو «وضع» ﴿وَهْدَى لِلْعَالَمِينَ﴾ لأنه متعبد بهم.

[٩٧] - ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ كإهلاك أصحاب الفيل وغيرهم، ومخالطة السباع الصّيد في حرمة ولم تتعرض له،^(٤) وأنّ الطير لا يعلوه ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ بدل البعض من «آيات»، أو مبتدأ حذف خبره، أي: منها، أو عطف بيان لها، على أنّ كلّاً من أثر القدم في الحجر، وغوصها الى الكعبين، وحفظه مع كثرة الأعداء، وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء آية.

وسبب هذا الأثر قيامه عليه حين بنى البيت. أو عطف بيان لخبر «إنّ»؛ إذ الحرم كلّ مقامه فضلاً عن البيت ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ عطف على «مقام» من حيث المعنى، أي: ومنها أمن من دخله، أو: فيه آيات المقام والأمن. وطوى ذكر غيرهما إيداناً بكثرة الآيات، أي هي هاتان وكثير سواهما، أو: جملة مستأنفة والضمير في «دخله» لـ «مقام»، وهو خبر عن إجابة دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾.^(٥)

وعن الصادق عليه السلام: «من دخله عارفاً بما أوجبه الله عليه كان آمناً في الآخرة من النار»^(٦) أو: أمر، أي: ليؤمن من دخله جانياً خارجة، ولا يتعرّض له، ولكن يلجأ الى الخروج ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ﴾: قصده على الوجه المخصوص. وكسر

(١) ورد ذلك باختلاف يسير في تفسير البرهان ١: ٣٠١.

(٢) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٣١.

(٣) راجع تفسير البرهان ١: ٢٩٩.

(٤) كذا في النسخ، والمراد: ان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها.

(٥) سورة البقرة: ١٢٦/٢.

(٦) رواه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٤٧٨ عن أبي جعفر عليه السلام.

الحاء «حمزة» و«الكسائي» و«حفص»^(١) ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ بدل البعض من الناس .

وفسرت الإستطاعة بالزاد والراحلة ، ونفقة واجبي النفقة ولو مبدولة ، وصحة البدن ، وتخلية السرب ، وعليه أصحابنا ، لكن اشترط بعضهم الرجوع الى كفاية لرواية ضعيفة^(٢) معارضة بالآية وأخبار صحيحة^(٣) مع تأويلها ، والضمير في «إليه» للبيت أو الحج . ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ أكد أمر الحج بإيجابه بصيغة الخبر .
والجملة الإسمية ، وإيراده على وجه يفيد أنه حق لله في رقاب الناس ، وتخصيص الحكم بعد تعميمه ، وهو تكرير للمراد ، وبيان بعد ابهام ، وتغليظ تركه بتسميته كفراً ، كما سُمي تاركه في الحديث يهودياً أو نصرانياً .^(٤)

وذكر الإستغناء الدال على المقت والسخط ، وإبدال «عنه» بـ«عن العالمين» الدال على الإستغناء عنه بالبرهان أو : على عظم السخط .

[٩٨] - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الذالة على صدق محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ والحال أنه مطلع على أعمالكم فمجازيكم بها .^(٥)

[٩٩] - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ﴾ التي أمر بسلوكها ، وهو الإسلام . كانوا يحتالون لصدد المؤمنين عنه ، ويغرون بين الأوس والخزرج بتذكيرهم تحاربهم وتعاديهم الجاهلي ليعودوا لمثله ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ حال

(١) حجة القراءات : ١٧٠ .

(٢) أوردها الحر العاملي في وسائل الشيعة ٨ : ٣٥ في الباب التاسع من ابواب وجوب الحج - الحديث الرابع - .

(٣) ينظر الوسائل ٨ : ١٩ الباب السابع من ابواب وجوب الحج - الحديث الاول - .

(٥) في «ط» فيجازيكم بها .

من «الواو»، أي طالبين اعوجاجاً بتلييسكم على الناس لتوهموا أن فيه عوجاً عن الحق، أو: بإغرائكم بين المؤمنين ليختل أمر دينهم ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ أنها سبيل الله، والصاد عنها ضال مضل، أو: وأنتم ثقة عند أهل دينكم يستشهدون بكم في أمورهم ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد لهم.

[١٠٠] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ نزلت في الأوس والخزرج إذ مرّ «شاس بن قيس» اليهودي بنفر منهم جلوس يتحدثون؛ فغاضه تألفهم فأمر يهودياً أن يذكرهم «يوم بعث»^(١) وينشدهم مما قيل فيه، فتنازعوا وتغاضبوا، ودعوا بالسلاح، فاتاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام، «وألّف بينكم» فعرفوا أنها نزغة شيطان وكيد عدو، فألقوا السلاح وبكوا وتعانقوا، وانصرفوا معه صلى الله عليه وآله وسلم».

[وَأَمَّا]^(٢) خاطبهم الله تعالى بنفسه بعد أمره نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بخطاب أهل الكتاب إجلالاً لهم وإيذاناً بأنهم الأحقاء بأن يخاطبه.

[١٠١] - ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ استبعاد لكفرهم حال وجود ما يدعوهم إلى الإيمان، ويصرفهم عن الكفر ﴿وَمَنْ يَغْتَصِم بِاللَّهِ﴾: يتمسك بدينه، أو: يلتجئ إليه في مهامه ﴿فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فقد اهتدى ألبته.^(٣)

[١٠٢] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ واجب تقواه، وهو فعل

(١) جاء في هامش «الف» مايلي: بعث - بالباء موحدة والعين مهملة والشاء مثثة -: يوم مشهور في

الجاهلية وكان الظفر فيه للأوس . منه رحمه الله.

(٢) الزيادة اقتضاها السياق .

(٣) في «الف»: فقد اهتدى إليه .

الواجب وترك الحرام .

وعن الصادق عليه السلام: «هو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر»^(١) ونحو ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٢) وفيه تأكيد للنهي عن طاعة أهل الكتاب .

واصل تقاة «وقية» قبلت واوها «تاء» وياؤها «ألفاً» ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ولا تكوننَّ على حال سوى الإسلام إذا أدرككم الموت .

[١٠٣] - ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ بدينه أو كتابه . وعن الصادق عليه السلام: «نحن حبل الله»^(٣) استعير الحبل لذلك ، لأنَّ التمسك به سبب للنجاة من النار، كما أن التمسك بالحبل سبب للنجاة من التردّي . والاعتصام ترشيح^(٤) ﴿جَمِيعاً﴾ : مجتمعين عليه ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ : ولا تتفرقوا عن الحق تفرق أهل الكتاب باختلافهم ، أو تفرقكم الجاهليّ بالمحاربة ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ في الجاهلية ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ متواصلين متحابين .

كان الأوس والخزرج أخوين تطاولت الحروب والعداوة بين أولادهما مائة وعشرين سنة حتى أزالها الله وألف بينهم بالإسلام وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ مشفين على الوقوع في جهنم لكفركم ؛ إذ لو متم عليه لوقعتم فيها .

وشفا الشيء جرفه : كشفته^(٥) ولامها واو، قلبت في المذكر وحذفت في المؤنث

(١) تفسير الثبيان ٢: ٥٤٤ وتفسير نور الثقلين ١: ٢٧٦ عن معاني الأخبار.

(٢) سورة التغابن: ١٦/٦٤ .

(٣) تفسير البرهان ١: ٣٠٧ .

(٤) أي استعار للوثوق به والاعتماد عليه كلمة «الاعتصام» ترشيحاً للمجاز.

(٥) أي كشفة الشيء ، فإن شفا بمعنى الشفة، وشفا البشر وشفتها : طرفها ، كالجانب والجانبية . وأصله شفو . وهذا ما قصده المصنّف بقوله : ولامها واو.

﴿فَأَنْقَذَكُمْ﴾ بالإسلام ﴿مِنْهَا﴾ من الحفرة أو النار ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك البيان ﴿يُبَيِّنُ﴾ الله آيَاتِهِ دلائله ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لكي تثبتوا على الهدى، أو تزدادوه.

[١٠٤] - ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ «من» للتبويض. واحتج به من أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كفاية، ومن قال بالعينية، جعلها للتبيين، أي: وكونوا أمة ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ يعم الأفعال والتروك الحسنة شرعاً وعقلاً ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالطاعة ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: المعصية، وهو من عطف الخاص على العام، إيداناً بفضله ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الأخصاء بالفلاح.

[١٠٥] - ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ في الدين، وهم اليهود والنصارى ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الدلائل الموجبة للاتفاق على الحق ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وعيد للمتفرقين.

[١٠٦] - ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ نصب بالظرف وهو «لهم» أو بـ «اذكر» مضمراً.

والبياض من النور، والسواد من الظلمة، فيوسم أهل الحق ببياض الوجه، والصحيفة، وسعي النور بين يديه ويمينه، وأهل الباطل بأضداد ذلك، أو: هما كناية عن ظهور البهجة والكتابة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: فيقال لهم: أكفرتم. والهمزة للتوبيخ، أو التعجب من حالهم، وهم المرتدّون أو أهل البدع، أو أهل الكتاب، كفروا بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد إيمانهم به قبل مبعثه، أو جميع الكفار كفروا بعد إقرارهم حين أشهدهم على أنفسهم،^(١) أو تمكنوا من الإيمان بالنظر في الحجج. ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أمر إهانة. ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفركم.

(١) كما ورد في قوله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى...» (سورة الاعراف: ١٧٢).

[١٠٧] - ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ ثوابه الدائم . سمي رحمة - وهو مستحق - ، بإعتبار سببه ، وهو التكليف الذي هو تفضل . وعكس الترتيب في ذكرهم ليكون مطلعاً ومقطعاً للكلام . ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ استئناف للتأكيد ، كأنه قيل : كيف يكونوا فيها ؟ فأجيب به .

[١٠٨ - ١٠٩] - ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ المتضمنة للوعد والوعيد ﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ متلبسة ﴿بِالْحَقِّ﴾ والعدل ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا﴾ شيئاً من الظلم ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ لأحد من خلقه ؛ إذ لا يظلم إلا جاهل أو محتاج ، وهو منزّه عن ذلك . وبين غناه بقوله : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فيجازي بما وعد وأوعد كلاً بفعله .

[١١٠] - ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ دل على الخيرية فيما مضى ، ولم يدل على انقطاع طاريء كقوله : ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١) أو : كنتم في علم الله ، أو : في الأمم قبلكم ﴿أُخْرِجَتْ﴾ أظهرت ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ استئناف لبيان خيريتهم ، أو : حال عنها ، فيفيد اشتراطها بالأوصاف المذكورة ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ يعتم الإيمان بكل ما أمر أن يؤمن به ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ إيماناً يعتد به ﴿لَكَانَ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ مما هم عليه ﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ﴾ كعبد الله بن سلام وأضرابه ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المتمردون في الكفر .

[١١١] - ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ إلا ضرراً يسيراً كطعن ووعيد ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُبْلُوكُمْ﴾ الأدبائ منهزمين ، ولا يضروكم بقتل وأسر ﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ لا يعانسون عليكم ، ولا يمنعون منكم وهو عطف على الشرطية لا الجزاء ، فيكون نفي النصر مطلقاً لا مقيداً بقتالهم . و«ثم» للتراخي في المرتبة .

والآية من الغيب الذي وافقه الواقع من حال «قريظة» و«النضير» و«بني قينقاع»

و«يهود خبير» .

[١١٢] - ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ﴾ فهي محيطة بهم إحاطة البيت المضروب على أهله ﴿أَيْنَ مَا تُقِفُوا﴾ وجدوا ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾ استثناء من أعم الأحوال، أي: ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا معتصمين بذمة الله تعالى وذمة المسلمين ﴿وَبَاءُوا﴾: ^(١) رجعوا ﴿بِفَضْبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ فاليهود غالباً فقراء ومساكين ﴿ذَلِكَ﴾ الضرب والبوء ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفرهم ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ﴾ ويقتلهم ﴿الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ﴾ الكفر والقتل ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله؛ إذ الإصرار على الصغائر يجرُّ إلى الكبائر، أو: ذلك الضرب والبوء بعصيانهم واعتدائهم مع الكفر والقتل إذهم مخاطبون بالفروع أيضاً.

[١١٣] - ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ ليس أهل الكتاب مستوين ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾: مستقيمة عادلة، من «أقامت العود فقام» وهو الذين أسلموا منهم. وهو استئناف لبيان نفي استوائهم ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنْاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ عبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود. لأنه أبلغ في المدح. أو: أريد صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها.

[١١٤] - ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ وصفوا بصفات ليست في اليهود؛ لا نحرافهم عن الحق وعدم تهجدهم، وشركهم وتغييرهم صفة الآخرة، ومداهنتهم وتباطبهم عن الخيرات ﴿وَأُولَئِكَ﴾ الموصوفون ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين صلحت أحوالهم عند الله تعالى.

[١١٥] - ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ نُكْفِّرُوهُ﴾ فلن تنقصوا ثوابه، سمي ذلك كفراناً كما سمي توفية الثواب شكراً، وضمن معنى الحرمان فعدى إلى مفعولين.

(١) يراجع تعليقنا على كلمة «باءوا» في الآية ٦١ من سورة البقرة.

وقرأ «حفص» و«حمزة» و«الكسائي» بالياء فيهما^(١) ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ بشارة لهم، وإيدان بأنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى.

[١١٦] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ﴾ : لن تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ : من عذابه ﴿شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ملازموها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

[١١٧] - ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ﴾ سمعة أو قربة أو في عداوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ : برد شديد، ويقال للريح الباردة : كالصرصر، فهو وصف للبرد، مبالغة، كقولهم : برد بارد ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالمعاصي ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ عقوبة لهم إذ الإهلاك عن سخط أشد . شبه ما أنفقوا في ضياعه بحرث عصاة أهلكه البرد، فذهب حطاماً، وهو من التشبيه المركب، ولذا جار ايلاء الأداة، الريح دون الحرب، أو يقدر: كمثل مهلك الريح، وهو: الحرث ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ : وما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول، أو: ما ظلم أهل الحرث بإهلاكه، ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة.

[١١٨] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً﴾ هو الذي يعرفه الرجل أسرارته ثقة به، شبه ببطانة الشوب ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ كسائنة من غير المسلمين، أو: متعلق به لا تتخذوا ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾ لا يقصرون لكم في الفساد.

والألو: التقصير، وتعديته بالحرف، ثم عدي الى مفعولين في نحو: لا آلوك جهداً، بتضمين معنى: المنع، ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ في كلامهم؛ لعدم تمالكهم أنفسهم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ مما بدا، والواو للحال ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ الدالة على وجوب موالة أولياء الله، ومعاداة أعدائه ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ما يتناه . والجمل الأربع

مستأنفات للتعليل، وقيل الثلاثة الأول نعوت لـ «بطانة».

[١١٩] — ﴿هَا﴾ للتنبيه ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ، خبره ﴿أَوْلَاءُ﴾ الخاطئون في موالاة

الكفرة ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ بيان لخطئهم في موالاتهم، وهو خبر ثان، أو خبر

لـ «أولاء» والجملة خبر «انتم»، أو: صلة، أو حال عاملها معنى الإشارة ﴿وَتُؤْمِنُونَ

بِالْكِتَابِ﴾ بجنسه ﴿كُلَّةٌ﴾ وهو حال، أي: لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون

بكتابهم، فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم؟.

وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ﴿وَإِذَا لَقُّوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾

نفاقاً ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ من أجله. يوصف المغتاط والنادم

بعض الأنامل ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ دعاء عليهم بزيادة غيظهم بازدياد عز الإسلام

وأهله، حتى يموتوا به ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فيعلم ما في صدورهم من

البغضاء، وهو من المقول، أي قل لهم: ان الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه من

عص الأنامل، أو خارج عنه، أي: قل لهم ذلك ولا تتعجب من إطلاعي إياك على

ما يسرونه، فإنني عليم بالأخفى وهو ضمائرهم.

[١٢٠] — ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ﴾ تصبكم — على الاستعارة — ﴿حَسَنَةٌ تَسُوءُهُمْ وَإِنْ

تُصِيبْكُمْ سَبِيَّةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ بيان لفرط بغضهم؛ إذ حسدوا ما نالهم من نعمة وشمتموا بما

أصابهم من محنة ﴿وَإِنْ تُصِيبُوا﴾ على عداوتهم، أو: التكاليف ﴿وَتَتَّقُوا﴾ موالاتهم،

أو: المعاصي ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ لحفظ الله إياكم، وضم الراء إتباعاً، وقرأ

«نافع» وابن كثير «وأبو عمرو»: «يَضُرُّكُمْ» من ضارة يضيره^(١) ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢)

من الصبر والتقوى وغيرهما «مُحِيطٌ» علماً، ففاعل بكم ما أنتم أهله.

(١) حجة القراءات: ١٧١.

(٢) كذا في النسخ بالتاء، وهو قراءة الحسن وأبو حاتم، وفي المصحف الشريف بالياء وهي القراءة

المشهورة ينظر تفسير مجمع البيان ١: ٤٩٤.

[١٢١] - ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ بالمدينة ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تنزلهم، أو: تتخذ لهم ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ مواطن، واستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان إتساعاً كـ ﴿مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾^(١) و ﴿تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾^(٢) ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتكم.

روي أن المشركين نزلوا بـ «أحد» يوم الأربعاء، فاستشار النبي أصحابه . فقال «عبدالله بن أبي» وأكثر الأنصار: يا رسول الله لا تخرج من المدينة فما خرجنا منها الى عدونا إلا ظفر بنا، ولا دخلها علينا إلا ظفروا به، فكيف وأنت فينا، فدعهم فإن أقاموا فبشر محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال والنساء والصبيان، وإن رجعوا فبالخيبة.

وقال جماعة: اخرج بنا اليهم وألحوا، فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بشعب أحد يوم السبت، وصف أصحابه وجعل ظهره الى «أحد» وأمر «عبدالله بن جبير» على الرماة، وقال: انضحوا عنا بالنبل، لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا، غلبنا أو غلبنا.^(٣)

[١٢٢] - ﴿إِذْ هَمَّتْ﴾ بدل من «إذ غدوت» أو متعلق بـ «سميع عليم» ﴿طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾ «بنو سلمة» من الخزرج «وبنو حارثة» من الأوس، وهما الجناحان^(٤) ﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾ تجبنا.

خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في نحو الف رجل؛ ووعدهم النصر، إن صبروا، فانهزل^(٥) «ابن أبي» بثلاث الناس، وقال: علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فتبعهم «عمرو بن حزم الأنصاري» فقال: أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم. فقال «ابن أبي»:

(١) سورة القمر: ٥٤/٥٥.

(٢) سورة النمل: ٢٧/٣٩.

(٣) تفسير مجمع البيان ١: ٤٩٥ عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل.

(٤) أي كانا جناحي العسكر يومئذ.

(٥) انهزل من المكان: انفرد.

لو نعلم قتالاً لا تبعنكم ، فهم الحيان باتباعه ، فعصمهم الله ، فمضوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ وكأنه همَّ خطرة^(١) لقوله : ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ إذ لا تثبت الولاية مع العزيمة ، أو أريد : والله ناصرهما ، فما لهما يفسلان ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أمرهم بأن لا يتوكلوا إلا عليه .

[١٢٣] - ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ ذكرهم بما نفعهم التوكل ، و«بدر» ماء بين الحرمين ، سمي باسم صاحبه ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ حال ، وعدل عن «ذلان»^(٢) ليدل على قلتهم مع ذلتهم ، لقلة العدة والعدد ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الثبات ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ بتقواكم نعمة نصره .

[١٢٤] - ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ظرف لـ «نصركم» أو بدل ثانٍ من «إذ غدوت» على أن قوله لهم يوم أحد [كان]^(٣) مع اشتراط الصبر والتقوى فلم يصبروا عن الغنائم ، ولم يتقوا مخالفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فلم تنزل الملائكة ﴿الَّذِينَ يَكْفِيكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ انكار أن لا يكفيهم ذلك ، وجيء بـ «لن» اشعاراً بأنهم كانوا لضعفهم وقوة عدوهم كالأيسين من النصر ، وشدد «ابن عامر» : «منزلين»^(٤) .

[١٢٥] - ﴿بَلَى﴾ ايجاب لمنفي «لن» ، أي : بلى يكفيكم ، ثم وعدهم الزيادة على الصبر والتقوى بقوله : ﴿إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ﴾ أي المشركون ﴿مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ مصدر «فارت القدر» أي : غلت ، فاستعير للسرعة . والمعنى : إن يأتوكم من ساعتهم هذه ﴿يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ في حال اتيانهم

(١) لا همَّ عزيمة اذ لو كان همَّ عزيمة وقصد لكان ذمهم أولى من مدحهم .

(٢) في «الف» : ذلائل ، و«الاذلة» جمع قلة و«الذلان» جمع الكثرة .

(٣) الزيادة اقتضاه السياق .

(٤) حجة القراءات : ١٧٢ .

بلا تأخير ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ معلّمين، من التسويم، أي: إظهار السيماء، أو: مرسلين - من التسويم، أي: الإرسال - وكسر الواو «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«عاصم»^(١).

[١٢٦] - ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي إمدادكم بالملائكة ﴿إِلَّا بُشْرَى﴾ بشارة ﴿لَكُمْ﴾ بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ ولتسكن اليه من الزرع ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ لا من العدد والعدة، ولا من الملائكة، وإنما أمدهم ووعدهم به بشارة لهم، وتقوية لقلوبهم ﴿الْعَزِيزِ﴾ الذي لا يغالب في حكمه ﴿الْحَكِيمِ﴾ الذي ينصر، ويخذل بحسب المصلحة.

[١٢٧] - ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ متعلق بـ«نصركم»، أو «وما النصر»، والمعنى: ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر، وهو ما كان «يوم بدر» من قتل سبعين، وأسر سبعين من رؤسائهم ﴿أَوْ يَكْبِتُهُمْ﴾: أو يحتربهم.

والكبت: شدة غيظ يقع في القلب ﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ فينهزموا منقطعي الأمل.

[١٢٨] - ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ اعتراض ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ﴾ عطف على ما قبله، والمعنى: إن الله مالك أمرهم، فإما أن يهلكهم أو يهزمهم، أو يتوب عليهم إن تابوا، أو يعذبهم إن اصرأوا، ليس لك من أمرهم شيء، إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم وجهادهم، أو: على الأمر، بإضمار «ان» أي: ليس لك من أمرهم أو: من التوبة عليهم أو: من تعذيبهم شيء.

وقيل: «أو» بمعنى: إلا أن، أي ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتسرب به، أو يعذبهم فتشتفي بهم. وقيل: شج يوم أحد، وكسرت رباعيته فقال: كيف يفلح قوم نالوا من نبيهم. فنزلت.^(٢)

(١) حجة القراءات: ١٧٣.

(٢) قاله انس بن مالك وابن عباس والحسن وقتادة والربيع - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٥٠١.

وقيل : هم بالدعاء عليهم فنهاه الله لعلمه أن فيهم من يتوب ^(١) ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ مستحقون للعذاب بظلمهم .

[١٢٩] - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فله الأمر كله ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ من مذنبى المؤمنين . ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ ممن لم يتب ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ للمؤمنين .

[١٣٠] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً﴾ لا تأخذوا زيادة مكررة ، ولعل التقيد بحسب ما وقع ، إذ كان الرجل يربى الى أجل ثم يزيد فيه زيادة أخرى ، وهكذا . وقرأ «ابن كثير» و«ابن عامر» : «مضاعفة» ^(٢) ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مناهيه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ راجين الفلاح .

[١٣١] - ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ باجتناب ما يوجب دخولها . ودل على أنها معدة للكفرة أصالة ، وللعصاة تبعاً .
[١٣٢] - ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ترغيب بالوعد بعد التهيب بالوعيد . و«لعل» في نحو ذلك تفيد دقة مسلك الطاعة .

[١٣٣] - ﴿وَسَارِعُوا﴾ : وبادروا . وحذف «الواو» «نافع» و«ابن عامر» ^(٣) ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الى ما يوجب المغفرة كالتوبة والطاعة ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي : عرضها كعرضهما . ذكر العرض مبالغة في وصفها بالسعة لأنه دون الطول ^(٤) قيل : كسبع سماوات وسبع أرضين ، لو تواصلت . ^(٥) ﴿أُعِدَّتْ﴾ هيئت

(١) ذكر معناه الطبرسي في تفسير مجمع البيان ١: ٥٠١ عن ابي علي الجبائي .

(٢) حجة القراءات : ١٧٤ وتفسير البيضاوي ٢: ٤٣ .

(٣) حجة القراءات : ١٧٤ .

(٤) ان العرض انما يفيد معنى مايقابل الطول فيما لو ذكر «الطول» ايضاً ، وحيث انه لم يذكر الطول هنا أصلاً فالعرض بمعنى : السعة . لاما يقابل الطول .

(٥) قاله ابن عباس - كما في تفسير الكشاف ١: ٤٦٣ وتفسير البيضاوي ٢: ٤٣ .

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ فهي مخلوقة اليوم .

[١٣٤] - ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ نعت للمتقين ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ في حالي العسر واليسر، أو: كل الأحوال إذ لا تخلو من مسرة أو مضرة، أي: لا يمنعهم حال عن الإنفاق ما قدروا عليه ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ الممسكين عليه، فلم يمضوه مع القدرة، من «كظم القربة» أي: ملاها وشد رأسها ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ التاركين مؤاخذه من جنى عليهم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ للعهد، إشارة إلى هؤلاء، أو: الجنس، ويدخلون فيه :

[١٣٥] - ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ فعلة عظيمة القبح - كالزنا - ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بارتكاب ذنب .

وقيل : الفاحشة : الكبيرة، وظلم النفس : الصغيرة^(١) ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ تذكروا نهيه أو عقابه أو عظمته ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ بالتوبة ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ استفهام معناه النفي، معترض لبيان سعة رحمته ومغفرته وحث على التوبة وتقوية للرجاء ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ ولم يقيموا على الذنب ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حال من «يصروا» أي: لم يصروا على القبيح، عالمين به .

[١٣٦] - ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ إشتناف يبين ما قبله إن عطف «الذين» على «المتقين»، أو خبر له - ان ابتدء به . وأفاد الكلام ان المؤمنين ثلاث طبقات : متقون وتائبون - ولهم الجنة والمغفرة إستحقاقاً .

ومصرون لا يستحقون ذلك، ولا ينفي التفضل ﴿وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ المخصوص محذوف، تقديره : نعم اجرهم ذلك، أي: المغفرة والجنات .
[١٣٧] - ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ وقائع، سنّها الله تعالى في الأمم المكذبة

(١) قاله القاضي عبد الجبار بن احمد الهمداني - كما في تفسير مجمع البيان ١: ٥٠٦ هـ .

نحو ﴿وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا﴾^(١) ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾^(٢) ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ لتعظوا بما ترون من آثار هلاكهم.

[١٣٨] - ﴿هَذَا﴾ إشارة إلى قوله: «قد خلت» أو: إلى ما ذكر من أمر المتقين والتائبين، وقوله: «قد خلت» اعتراض، أو: إلى القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ لِلنَّاسِ وَهُدًى﴾ أي مع كونه بيان للمكذبين فهو زيادة تثبيت ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

[١٣٩] - ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ لا تضعفوا في الجهاد بما أصابكم ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على من قُتل منكم، تسلياً لهم عما أصابهم بأحد ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ وحالكم أنكم أعلى منهم شأنًا، لأن قتالكم لله، وقاتلهم للشيطان، وقتلاكهم في الجنة، وقتلاهم في النار.

أو: لأنكم نلتهم منهم بـ«بدر» أكثر مما نالوا منكم بـ«أحد» أو: هو بشارة لهم بالغبلة، أي: وأنتم الأعْلون في العاقبة ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لا تهنوا إن صح إيمانكم فإنه يوجب قوة القلب والثقة بالله، أو متعلق بـ«الأعلون».

[١٤٠] - ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ ضم القاف «حمزة» و«الكسائي» و«أبو بكر» وفتحها الباقون^(٣) لغتان في الجراح، أو: الفتح لها، والضم لألمها، يعني: إن نالوا منكم بـ«أحد» فقد نلتهم منهم بـ«بدر»، ثم لم يهنوا وأنتم أولى بأن لا تهنوا؛ إذ ترجون من الله ما لا يرجون.

وقيل: كان المसान يوم «أحد» إذ نال المسلمون منهم قبل أن يخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم^(٤) ﴿وَتِلْكَ﴾ مبتدأ ﴿الْأَيَّامُ﴾ وهي أوقات الظفر، خبره. أو: صفته، والخبر: ﴿نُدَاوِلُهَا﴾: نصرفها ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ ندبل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء.

(١) سورة الأحزاب: ٢٣/٦١.

(٢) سورة الأحزاب: ٢٣/٢٨ و٦٢.

(٣) حجة القراءات: ١٧٤.

(٤) نقل هذا القول اليبضاوي في تفسيره ٢: ٤٤.

والمداولة كالمعاودة، يقال: داوت الشيء بينهم فتداولوا، ﴿وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ المعلن محذوف، أي: وليتميز الثابتون على الإيمان ممن على حرف^(١) فعلنا ذلك، وليس المراد اثبات علمه تعالى، بل إثبات متعلقه، أو المعنى: ليعلمهم علماً يتعلق بالجزاء، وهو العلم بالشيء موجوداً، أو عطف على علة محذوفة، أي: نداولها لحكم، وليعلم الله ايذاناً بأن المصلحة فيه غير واحدة، وإن فيما يصيبهم مصالح لا يعلمونها ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ ويكرم بعضكم بالشهادة يعني: شهداء أحد، أو: يتخذ منكم شهوداً موثقين بصبرهم في الابتلاء ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ اعتراض يفيد بأنه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة، وإنما يمكنهم أحياناً استدراجاً لهم وابتلاء للمؤمنين.

[١٤١]- ﴿وَلْيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ليخلصهم من الذنوب إن كانت الدولة عليهم ﴿وَيَمَحَقَّ﴾ ويهلك ﴿الْكَافِرِينَ﴾ إن كانت عليهم، والمحق: فناء الشيء حالاً فحالاً.

[١٤٢]- ﴿أَمْ﴾: بل أ ﴿حَسِبْتُمْ﴾ وهو الإنكار ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ ولما تجاهدوا، أريد بنفي العلم، نفي متعلقه، إذ لو وقع لعلمه تعالى. و«لما» كـ«لم» مع تضمنه توقع الفعل فيما يستقبل ﴿وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾ نصب بإضمار «إن» على أن الواو للجمع.

[١٤٣]- ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ بالشهادة، خطاب لمن لم يشهدوا بدرأ، وتمنوا أن يحضروا مشهداً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليكرموا بالشهادة كشهداء «بدر» فالحوا يوم «أحد» في الخروج ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوَهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ رأيتموه معانين له، حين قتل من قتل منكم.

(١) الذي ورد ذكرهم في قوله تعالى: «ومن الناس من يعبد الله على حرفٍ فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه...» (سورة الحج: ٣٢/١١).

وَبَخُوا عَلَى تَمَنِّيهِمُ الْمَوْتَ ثُمَّ انْهَزَامِهِمْ ، وَيَجُوزُ تَمَنِّي الشَّهَادَةِ وَإِنْ تَضَمَّنَتْ غَلْبَةَ الْكُفَّارِ؛ إِذْ لَمْ يَقْصِدْ بِهِ إِلَّا نِيلَ الْكَرَامَةِ فَقَطْ .

[١٤٤] - ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فَيَخْلُو كَمَا خَلُوا ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ إنكار لانقلابهم عن دينه لخلوه بموت أو قتل، مع علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به .

روى أن «عبدالله بن قمية»^(١) لما كسر رباعية النبي، وشجّه ذبّ عنه صاحب الراية «مصعب بن عمير» فقتله ابن قمية - ويرى أنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم - فقال: قتلت محمداً، وصرخ صارخ أن محمداً قتل، فانكفأ الناس، وجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو: «إِلَى عِبَادِ اللَّهِ» فاجتمع إليه ثلاثون، وكشفوا عنه المشركين، وقال بعض المسلمين: «لَيْتَ ابْنُ أَبِي يَأْخُذَ لَنَا أَمَانًا مِنْ أَبِي سَفْيَانَ» . وقال ناس منافقون: لو كان نبياً ما قتل، ارجعوا إلى دينكم .

فقال «أنس بن النضر»: إن كان محمد قتل، فربّه حيّ، وما تصنعون بالحياة بعده؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه، اللهم إني أعتذر إليك ممّا يقولون، وأبرأ منه . ثم قاتل حتى قتل، فنزلت^(٢) ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ يَرْثِ﴾ ﴿فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ بل يضر نفسه ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ نعمة الإسلام بشباتهم عليه كـ «أنس» وأمثاله .

[١٤٥] - ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بعلمه وأمره، أي: لكل نفس أجل مسمّى في علمه، لا يؤخره إحجام^(٣) عن الجهاد، ولا يقدمه إقدام عليه، وفيه تشجيع على الجهاد ﴿كِتَابًا﴾ مصدر مؤكد، أي: كتب الموت كتاباً ﴿مُؤَجَّلًا﴾ مؤقّلاً

(١) كذا في الاصل - بتشديد الياء المشناة من تحت - . ولكنه في جوامع الجامع ١: ٢٠٨: قمّة . وفي تفسير الكشاف ١: ٤٦٧ وتفسير البيضاوي ٢: ٤٦: قميّة .

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٥١٣ وجوامع الجامع ١: ٢٠٨ .

(٣) الاحجام ضد الاقدام .

لا يتقدم ولا يتأخر ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ تعريض بمن أخلوا مراكزهم وأقبلوا على الغنائم، فأتاهم المشركون من ورائهم فهزموهم ﴿نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ من ثوابها ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ للنعمة فلم يؤثروا شيئاً على الجهاد.

[١٤٦] - ﴿وَكَايُنْ﴾ بمعنى «كم»، وأصله: «أي» دخلتها الكاف واثبت تنوينها خطأ على غير قياس. وقرأ «ابن كثير»: «وكاين» كـ «كاعن» ^(١) ﴿مِنْ نَبِيٍّ﴾ بيان له ﴿قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ ربانيون علماء عبّاد، أو: جماعات، وقرأ «ابن كثير» و«نافع» و«أبو عمرو»: «قتل» ^(٢) والفاعل «ربيون»، أو: ضمير النبي، و«معه ربيون» حال عنه ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾: فما فتروا ﴿لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من قتل النبي، أو بعضهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ عن الجهاد ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ وما خضعوا لعدوّهم، أصله: استكن، فاشبعت الفتحة ألفاً من السكون؛ إذ الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يشاء، وهذا تعريض بما أصابهم بالإرجاف بقتله صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ فينصرهم ويرضى عنهم.

[١٤٧] - ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: وما كان قولهم - مع كونهم ربانيين - إلا هذا القول، وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم، كسرأ لها، والإستغفار منها قبل طلب الثبوت في مواطن الحرب والنصر على العدو، ليكون عن خضوع وزكاء، ^(٣) فيكون أخرى بالإجابة. وإنما جعل «ان قالوا» اسماً لأنه أعرف، لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث.

[١٤٨] - ﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ﴾ بما قالوا ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النصر والغنيمة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابٍ

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٥١٦ حجة القراءات: ١٧٤.

(٢) حجة القراءات: ١٧٤.

(٣) أي: طهارة.

الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ خَصَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ بِالْحَسَنِ إِذَا نَأَى بَأَنَّهُ الْمَعْتَدَ بِهِ عِنْدَهُ .
[١٤٩] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ
فَتَقْلَبُوا وَخَاسِرِينَ﴾ نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة : «ارجعوا الى
دين اخوانكم» .^(١)

وقيل : ان تستأمنوا «أبا سفيان» واصحابه يردوكم الى دينهم .^(٢)

وقيل : عام في إطاعة الكفرة فإنها تجرّ الى موافقتهم .^(٣)

[١٥٠] - ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلِيكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ فلا تحتاجون معه
الى نصر غيره .

[١٥١] - ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ قذف في قلوبهم الخوف يوم
«أحد» فرجعوا من غير سبب . وقيل : لما رجعوا ندموا ببعض الطريق وعزموا ان يعودوا
اليهم يستأصلوهم فألقى الله في قلوبهم الرعب .^(٤) وضمّه «ابن عامر» و«الكسائي»^(٥)
﴿بِمَا أَشْرَكُوا﴾ بسبب اشراكهم ﴿بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ آلهة ليس على اشراكها
حجة ، فالمراد نفي الحجة ونزولها . وأصل السلطنة : القوة ﴿وَمَا أَوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ
مَثْوًى لِلظَّالِمِينَ﴾ أي : مثواهم ، وعدل الى الظاهر للتعليل .

[١٥٢] - ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ اياكم النصر بشرط الصبر والتقوى وكان
كذلك حتى خالفتهم ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ تقتلونهم من «حسّه» : إذا أبطل حسّه ، لما
أقبل^(٦) المشركون جعل الرماة يرشقونهم ، وباقي المسلمين يضربونهم بالسيف حتى

(١) تفسير مجمع البيان ١: ٥١٨، عن علي عليه السلام .

(٢) قاله السدي - كما في تفسير الكشاف ١: ٤٦٩ .

(٣) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٤٧ .

(٤) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٤٧ والزمخشري في تفسير الكشاف ١: ٤٧٠ .

(٥) حجة القراءات: ١٧٦ .

(٦) في «ط» : لما أشرف .

هزموهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُشِلْتُمْ﴾ جببتم وضعف رأيكم ﴿وَتَنَارَغْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ حين انهزم المشركون قال بعض الرماة: فما موقفنا ها هنا؟ .

وقال آخرون: لا نخالف أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فثبت أميرهم في نفر دون العشر ونفر الباقيون للنهب، وهو معنى: ﴿وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْيَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ ومن النصر والغنيمة وحذف جواب «إذا» وهو «ابتلاكم» ﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ وهم من أخلوا مراكزهم للغنيمة ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ وهم من ثبتوا، طاعةً لأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾: كفكم ﴿عَنْهُمْ﴾ إذ كروا عليكم فغلبوكم ﴿لِيَتَلَيَّكُمْ﴾ ليمتحن صبركم ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ بعد أن عصيتم أمر الرسول ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ يتفضل عليهم بالعفو.

أو في كل الأحوال سواء غلبوا أو غلبوا؛ إذ الابتلاء نعمة .

[١٥٣] — ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ نصب بـ «صرفكم» أو: بـ «يتليكم» أو

بإضمار «إذكروا» .

والإصعاد: الإبعاد في الأرض ﴿وَلَا تَلْمِزُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ لا يقف أحد لأحد ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ إلَيَّ عباد الله، أنا رسول الله ﴿فِي أُخْرَىٰكُمْ﴾ في ساقيةكم ﴿فَأَنَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ عطف على «صرفكم»، أي فجازاكم غمًّا بسبب غم اذقتموه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعصيانكم له .

أو فجازاكم عن فشلكم وعصيانكم غمًّا متصلًا بغم بالإرجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وظفر المشركين والقتل والجرح ﴿لَكَيْلًا تَحْزَنُوا﴾ لتتمروا على تجرُّ الغموم فلا تحزنوا فيما بعد ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من نفع ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من ضرر ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ عالم بأعمالكم .

[١٥٤] — ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً﴾ أَمْنًا، مفعول . ﴿نُعَاسًا﴾ بدل منه،

أو هو المفعول و«أمنة» حال منه .

عن أبي طلحة : غشنا النعاس في مصافنا وكان السيف يسقط من يد أحدنا
 فيأخذه ﴿يَغْشَى﴾ النعاس . وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالتاء للأمة^(١) ﴿طَائِفَةٌ مِنْكُمْ﴾
 خلّص المؤمنين ﴿وَطَائِفَةٌ﴾ هم المنافقون ، أي : ومنكم طائفة ﴿قَدْ أَهْمَتَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾
 ما بهم إلا هم خلاص أنفسهم ﴿يَظُنُّونَ بِاللّٰهِ﴾ صفة أخرى لـ «طائفة» أو حال ، أو
 إستئناف ﴿غَيْرِ﴾ الظن ﴿الْحَقُّ﴾ الذي يجب أن يظن به . نصب مصدراً ﴿ظَنَّ﴾
 الجاهلية بدل له ، أي ظناً : يختص بالملة الجاهلية أو أهلها ﴿يَقُولُونَ﴾ للرسول
 صلى الله عليه وآله وسلم . وهو بدل : «يظنون» ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ هل لنا من أمر
 الله ، أي : النصر والفتح نصيب ؟ ﴿قُلْ إِنْ الْأَمْرُ﴾ النصر ﴿كُلَّهُ لِلّٰهِ﴾ وأولياءه . وهو
 اعتراض . ورفع «أبو عمرو» : «كله» بالابتداء^(٢) ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُتَدُونَ لَكَ﴾
 استئناف ، أو حال من «يقولون» ، أي : يظهرون انهم مسترشدون ، ويطنون النفاق
 ﴿يَقُولُونَ﴾ في انفسهم ، أو بعضهم لبعض ، بدل «يخفون» أو استئناف لبيانهم ﴿لَوْ
 كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ﴾ النصر الذي وعدناه ﴿شَيْءٌ﴾ أو كان لنا اختيار ولم نخرج ﴿مَا قُتِلْنَا
 هَهُنَا﴾ لما غلبنا وقتل اصحابنا في هذا الموطن ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ
 كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾ في علم الله ﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم ليكون ما علم كونه
 ﴿وَلِيَتْلِيَّ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ من الإخلاص . وهو علة لمحذوف ، أي : فعل ذلك
 ليتلي ، أو عطف على محذوف ، أي : لبرزوا لمصالح ولإبتلاء ، ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي
 قُلُوبِكُمْ﴾ وليخلصه من الشك ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بأسرارها قبل ظهورها ،
 وفيه وعد ووعيد .

[١٥٥] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ انهزموا به «أحد» ﴿يَوْمَ الْقِتَّةِ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا
 اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ أي : كان السبب في توليهم ان طلب الشيطان

(١) حجة القراءات : ١٧٦ .

(٢) حجة القراءات : ١٧٧ .

منهم الزلل ، فأطاعوه واقتربوا ذنوباً بترك المركز حرصاً على الغنيمة ، فمنعوا التأيد .
وقيل : إستزلاً له لهم : توليهم ، وهو بسبب ذنوب قدّموها ؛ إذ الذنب يجزّ الى
الذنب - كالطاعة - ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لتوبتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿حَلِيمٌ﴾
لا يعجل العقاب .

[١٥٦] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : المنافقين ﴿وَقَالُوا
لَاخَوَانِهِمْ﴾ لأجلهم ، وأخوتهم : اتفاقهم نسباً أو مذهباً ﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾ سافروا ﴿فِي
الْأَرْضِ﴾ لتجارة ونحوها . ومجيء «إذا» مع «قالوا» على حكاية الحال الماضية ﴿أَوْ
كَانُوا غُرَى﴾ جمع غاز كـ «عفى» «عاف» ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ مقول
﴿قَالُوا﴾ ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ متعلق : بـ «قالوا» واللام للعاقبة كـ «لام»
﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ﴾^(١) أو : لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل
حسرة في قلوبهم خاصة وذلك إشارة الى اعتقادهم الدال عليه قولهم أو مادلاً عليه
النهي ، أي : لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم ؛ إذ
مخالفتهم نغمهم ﴿وَاللَّهُ يُخَيِّ وَيُمِيتُ﴾ لا الحضر ولا السفر ، فقد يحيى في السفر
ويميت في الحضر ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فلا تماثلوهم . وقرأ «ابن كثير» و«حمزة»
و«الكسائي» بالياء ،^(٢) أي : الذين كفروا .

[١٥٧] - ﴿وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ في سبيله . وكسر «الميم» ، «حمزة»
و«الكسائي» من مات يمات^(٣) ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ﴾ جواب القسم ، وأغنى عن

(١) سورة القصص : ٢٨/٨ .

(٢) حجة القراءات : ١٧٧ .

(٣) حجة القراءات : ١٧٨ وفيه : قال الفراء : «مت» مأخوذة من يمات على وزن فعل يفعل مثل سمع
يسمع ، وكان الأصل : يموت ، ثم نقلوا فتحة الواو الى الميم وقلبوا الواو ألفاً لانفتاح ما قبلها
فصارت «يمات» الا انه لم يجز «يمات» في المستقبل .

الجزاء . والمعنى : ان السفر والغزو لم يقدموا أجلاً ، وان وقع ذلك في سبيل الله ، فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت ﴿ خَيْرٌ مِّمَّا تَجْمَعُونَ ﴾ من منافع الدنيا ، لو لم تموتوا . وقرأ «حفص» بالياء^(١) أي : الكفار .

[١٥٨] - ﴿ وَلَئِنْ مَثُمْ ﴾ بالقراءتين ﴿ أَوْ قَاتِلْتُمْ لِإِلَهِ اللَّهِ ﴾ الواسع الرحمة ، لا الى غيره ﴿ تُخْشَرُونَ ﴾ فيعظم أجوركم .

[١٥٩] - ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ «ما» مزيدة للتأكيد ، وتقديم الظرف للحصر ، أي ما لنت لهم إلا برحمته وهي أن وفقك للرفق بهم ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا ﴾ : جافياً ﴿ غَلِيظَ الْقَلْبِ ﴾ : قاسيه ﴿ لَا نَفْضُوسًا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ : لتفرقوا عنك ﴿ فَأَعْفُ عَنْهُمْ ﴾ فيما يختص بك ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ فيما لله ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ أي : أمر الحرب ونحوه مما لم يوح اليك ، تطيباً لنفوسهم ، وتأسيساً لسنة المشاورة للأمة ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ ﴾ عقدت قلبك على شيء بعد الشورى ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ في امضاء أمرك على الأصلح إذ لا يعلمه غيره ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ فيهديهم للصالح .

[١٦٠] - ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ ﴾ كما نصركم بـ «بدر» ﴿ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ فلا أحد يغلبكم ﴿ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ ﴾ كما خذلكم بـ «أحد» ﴿ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ ﴾ بعد خذلانه . أو بعد الله ، أي : إذا تعدىتموه فلا ناصر لكم .

وفيه تنبيه على الموجب للتوكل وحث على ما يستحق به نصر الله ، وتحذير عما يوجب خذلانه ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ فليخصوه بالتوكل عليه لإيمانهم به ، وعلمهم أن لا ناصر سواه .

[١٦١] - ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ وما صحّ لنبي أن يخون في المغنم ؛ إذ النبوة تنافي الخيانة . يقال : غل في الغنيمة : إذا أخذ منها خفية - كـ «أغل» - ، والمراد به براءة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مما اتهم به ؛ إذ فقدت قطيفة حمراء يوم بدر ، فقال

(١) تفسير مجمع البيان ١ : ٥٢٤ . وعليه القراءة في المصحف الشريف المتداول .

بعض المنافقين: لعلَّ النبيَّ أخذها، أو ظنَّ به الرماة يوم «أحد» حين اخلوا المركز للغنيمة وقالوا: نخشى ان لا يقسم لنا، أو نهيه صلى الله عليه وآله وسلم، إذ روي انه قسم المغنم ولم يقسم لطلائع بعثها. ^(١) فعُرِفَ الحكم.

وسمي حرمانهم غلولاً مبالغة. وقرأ «نافع» و«ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» «يغل» - بصيغة المجهول - ^(٢) ومعناه: وما صحَّ له أن يوجد غالاً، أو أن ينسب الى الغلول ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يأت بالذي غلَّه يحمله على ظهره - كما في الحديث - ^(٣) أو: بما حمل من وباله ﴿ثُمَّ تُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ تعطى جزاؤه وافياً. ولم يقل يوفي ما كسب، للمبالغة فإنه إذا كان كل كاسب مجزياً بعمله شمل الحكم الغال وغيره ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ فلا ينقص ثواب محسنهم ولا يزيد عقاب مسيئهم.

[١٦٢] - ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بطاعته ﴿كَمَنْ بَاءَ﴾: رجع ﴿بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ بسبب المعصية ﴿وَمَأْوَاهُ﴾ ومصيره ﴿جَهَنَّمَ وَيَشْسُ الْمَصِيرُ﴾ يفرق بينه وبين المرجع بمخالفته للحالة الاولى بخلاف المرجع.

[١٦٣] - ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: متفاوتون في الثواب والعقاب تفاوت الدرجات، أو: ذووا درجات ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ عالم بأعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها.

[١٦٤] - ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ خصوا - مع عموم نعمة البعثة - لأنهم المنتفعون بها ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ من جنسهم عربياً ليسهل عليهم فهم كلامه، أو: من نسبهم ليكونوا عارفين صدقه وأمانته، ويفخروا به ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ

(١) نقل الرواية البيضاوي في تفسيره ٢: ٥١.

(٢) حجة القراءات: ١٨٠.

(٣) والحديث طويل، نقل الطبرسي موضع الحاجة منه في تفسير مجمع البيان ١: ٥٢٠.

ءَايَاتِهِ ﴿الْقُرْآنَ﴾، وكانوا قبل جهالاً لم يسمعوا وحياً ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ويطهرهم من دنس العقائد والأعمال ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ القرآن والسنة ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ «إن» المخففة واللام فارقة، أي: وإن الشأن كانوا من قبل بعثته في ضلال ظاهر.

[١٦٥] - ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مِصْيَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِنْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ «الهمزة» للتقريع، و«الواو» لعطف الجملة على قصة «أحد». و«لما» ظرف «قلتم» مضاف إلى «أصابتكم» أي: حين أصابتكم مصيبة - وهو قتل سبعين منكم بـ«أحد» والحال انكم نلتهم ضعفها بـ«بدر» من قتل سبعين وأمر سبعين - قلتم من أين هذا أصابنا وقد وعدنا النصر ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: انتم السبب فيه لترككم المركز أو لاختياركم الخروج من المدينة.

أو الفداء يوم بدر ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على النصر ومنعه.

[١٦٦] - ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ بأحد ﴿فِي إِذْنِ اللَّهِ﴾ فتخلّيته الكفار. سميت «اذناً» لأنها من لوازمه ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٦٧] - ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ لتمييز الفريقان فيظهر إيمان المؤمنين وكفر المنافقين ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ عطف على «نافقوا» أو كلام مبتدأ: ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا﴾ خيروا بين أن يقاتلوا للآخرة أو للدفع عن أنفسهم.

أو المعنى: قاتلوا العدو أو ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فإن كثرة السواد مما يروّعهم ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ﴾ لو نحسن ﴿قِتَالاً لَا تَبْعُنَاكُمْ﴾ لو نعلم ما يسمى قتالاً لا تبعنكم فيه، لكنه ليس بقتال، بل إلقاء النفس إلى التهلكة ﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ إذ انخزلهم وقولهم هذا، أمانة تؤذن بكفرهم. أو: هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان، إذ كان فعلهم وقولهم تقوية للمشركين ﴿يَقُولُونَ يَا أَهْلَهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يظهرون بالاستهتار الإيمان ويطنون الكفر. وذكر الأفواه

تأكيداً لنفي تواطؤ قلوبهم لألستهم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق، فإنه يعلمه مفصلاً بإحاطة، وأنتم تعلمون مجملًا بأمارت.

[١٦٨] - ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ رفع بدلاً من واو «يكتُمون» أو نصب وصفاً لـ «الذين

نافقوا» أو على الذم ﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ لأجلهم يعني: من قتل بأحد من جنسهم أو أقاربهم ﴿وَقَعَدُوا﴾ أي؛ قالوا وقد قعدوا عن القتال ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ على القعود ﴿مَا قُتِلُوا﴾ كما لم نقتل ﴿قُلْ فَادْرَأُوا﴾ فادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في ان سبب نجاتكم من القتل القعود. يعني إن القعود غير مغني، لأنه كما يكون سبباً للنجاة والقتال سبباً للموت، قد يكون الأمر على العكس.

[١٦٩] - ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا﴾ نزلت في شهداء بدر، أو

أحد، والخطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أو لكل أحد. وشدد «ابن عامر»: «قتلوا»^(١) لكثرتهم ﴿بَلْ أَحْيَاءُ﴾ بل هم أحياء ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ مقربون شرفاء ﴿يُرْزَقُونَ﴾ من الجنة وهو تأكيد لكونهم أحياء.

[١٧٠] - ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهو كرامة الشهادة والحياة وشرف

الرتبة والتنعيم في الجنة ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ يسرون بالبشارة ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي بإخوانهم المجاهدين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ زماناً أو رتبة ﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بدل من «الذين» والمعنى: يستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم إذا بعثوا لم يصبهم خوف، ولا حزن. وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة، وازدياد الطاعة.

[١٧١] - ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ كرر ليتعلق به ما هو بيان لقوله «ألا خوف». أو الأول

بحال إخوانهم والثاني بحال انفسهم ﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أجراً لأعمالهم ﴿وَفَضْلٍ﴾ زيادة عليه. ونكراً تعظيماً ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عطف على «فضل» وكسرها

(١) تفسير كثر الدقائق ٢: ٢٦٨ وتفسير البضاوي ٢: ٥٢.

«الكسائي»^(١) استثنافاً معترضاً يفيد أن ذلك أجراً لإيمانهم .

[١٧٢] - ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لَِّ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ وضمه

«حمزة» و«الكسائي» و«أبو بكر»^(٢) والموصول صفة «المؤمنين»، أو نصب على المدح، أو مبتدأ خبره: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ و«من» للبيان، إذ المستجيبون كلهم محسنون متقون .

لما رجع «أبو سفيان» وأصحابه فبلغوا «الروحاء» ندموا وهموا بالعود، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فندب أصحابه لطلبهم وقال:

لا يخرجنَّ معنا إلا من حضر يومنا بالأمس، فخرج في جماعة مع ما بهم من القرح، حتى بلغوا «حمراء الأسد» على ثمانية أميال من المدينة، فألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا، فنزلت .

[١٧٣] - ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ لما

انصرف «أبو سفيان» من «أحد» نادى: يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن شاء الله . فلما كان القابل خرج في أهل مكة حتى نزل «مر الظهران»^(٣) فألقى الله عليه الرعب فبدا له [أن يرجع]^(٤) فلقى «نعيم

(١) حجة القراءات: ١٨١.

(٢) أي قرأوا قاف «القرح» بالضم.

(٣) كذا في الأصل وتفسير البيضاوي ٥٤: ٢ وتفسير الكشاف ٥٨٠: ١ ولكنه في تفسير مجمع البيان ٥٤٠: ١ هكذا: «حتى نزل مجنة من ناحية الظهران» وفي معجم البلدان ٧: ٣٩٠ مايلي: «مجنة» بالفتح وتشديد النون اسم المكان من الجنة وهو الستر والاحفاء . . . اسم سوق للعرب كان في الجاهلية، وكان «ذوالمجاز» و«مجنة» و«عكاظ» = اسواقاً في الجاهلية . قال الاصمعي: وكانت مجنة يمر الظهران قرب جبل يقال له: الاسفل، وهو بأسفل «مكة» على قدر بريد .

(٤) الزيادة اقتضاها السياق، واخذناها من تفسير البيضاوي ٥٤: ٢ .

ابن مسعود^١ وقد قدم معتمراً، فجعل له عشراً من الإبل إن ثبّط المسلمين، فأتى فوجدهم يتجهّزون، فقال لهم: أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم إلا شريد، أفتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم، ففتروا.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: والذي نفسي بيده لأخرجنّ ولو وحدي، فخرج في سبعين وهم يقولون: حسبنا الله،^(١) و«الناس» الأول: «نعيم»؛ لأنه من جنسهم. والثاني: أبو سفيان وأصحابه «فَزَادَهُمْ» المقول أو القول أو القائل «إِيمَانًا» إذ لم يصغوا له، بل قوى يقينهم والعزم على الجهاد. ويفيد أن الإيمان يزداد وينقص كما جاء في الأثر^(٢) «وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ» محسبنا وكافينا من «أحسبه» أي كفاه «وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» ونعم الموكول إليه هو

[١٧٤] - «فَانْقَلَبُوا» فرجعوا من بدر «بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ» بعافية وزيادة إيمان «وَفَضْلٍ» وريح في التجارة التي وافوا بها سوق بدر «لَمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ» من كيد عدوّ «وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ» بجرأتهم وخروجهم «وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ» قد تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا. وفيه تحسير لمن تخلف؛ إذ حرم نفسه ما نالوا.

[١٧٥] - «إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ» يعني المشبّط «نعيمًا» أو «أبا سفيان»، و«الشيطان» خبر «ذلكم» وما بعده بيان لشيطنته، أو صفة وما بعده الخبر. أو الإشارة إلى القول على نيّة مضاف أي: إنما ذلكم قول الشيطان أي ابليس. «يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ» القاعدين عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو يخوفكم من أوليائه أبي سفيان واتباعه «فَلَا تَخَافُوهُمْ» يعني الناس على الأول، و«أوليائه» على الثاني «وَتَخَافُونَ» فاطيعوا رسولي وجاهدوا معه، وأثبت «أبو عمرو» «الياء» وصلًا «إِنْ كُنْتُمْ

(١) في «ط»: حسبنا الله ونعم الوكيل.

(٢) وفي تفسير البيضاوي ٤: ٥٤ قلنا: يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص؟ قال: نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخل صاحبه النار.

مُؤْمِنِينَ ﴿ إِذِ الْمُؤْمِنُونَ لَا يَخَافُونَ إِلَّا اللَّهَ .

[١٧٦] - ﴿ وَلَا يَحْزَنُونَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ يقعون فيه سريعاً وهم المنافقون المتخلفون ، أو قوم ارتدوا ، أي : لا يحزنونك خوف أن يضروك ﴿ إِنَّهُمْ لَنُيَضِّرُوا اللَّهَ ﴾ لن يضروا أولياء الله بكفرهم وانما يضرون به أنفسهم ﴿ شَيْئاً ﴾ مفعول أو مصدر ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزْباً ﴾ نصيباً من الثواب ﴿ فِي الْآخِرَةِ ﴾ وفي ذكر الإرادة ، اشعار ببلوغهم الغاية في الكفر حتى أراد أرحم الراحمين أن لا يرحمهم ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ بدل الثواب .

[١٧٧] - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنُيَضِّرُوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ تكرير للتأكيد ، أو عام والأول خاص بالمنافقين أو المرتدين .

[١٧٨] - ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾ خطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل أحد ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ مفعول ﴿ أَنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ﴾ بدل منه ، ناب مناب المفعولين ولكونه المفعول عليه اقتصر على مفعول واحد أو المفعول الآخر على حذف مضاف أي : ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب أن املاءنا خير لهم .^(١)

أو لا تحسبن حال الذين كفروا : ان املاءنا خير لهم . و«ما» مصدرية حقها الفصل خطأ ، وانما وصلت تبعاً للرسم وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«عاصم» و«الكسائي» بالياء ،^(٢) فـ«الذين» فاعل و«ان» وما في حيزها ناب مناب المفعولين .

(١) لمزيد من التوضيح للقارئ الكريم نقول :

ان «أنما نملي . . .» بدل اشتمال من «الذين» ناب مناب مفعولي «حسب» لكون البدل هو المفعول عليه ، او بتقدير مفعول آخر مضافة وهو «اصحاب» بمعنى اهل ، فيكون للفعل «تحسب» في هذه الحالة مفعولان : الأول هو «الذين» والثاني هو كلمة «اصحاب» المضاف الي ما بعدها اي «أنما نملي» - للتصيل ينظر تفسير روح المعاني ٤ : ١٢٠ .

(٢) كنز الدقائق ٢ : ٢٨١ وحجة القراءات : ١٨٢ .

وفتح سينه - أين جاء - «ابن عامر» و«عاصم» و«حمزة»^(١).

والإملاء: الإمهال وإطالة العمر ﴿إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ لِيَسْزُدُوا إِثْمًا﴾ استئناف يعلل ما قبله، و«ما» كافة، واللام للعاقبة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

[١٧٩] - ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ﴾ ليترك ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أيها المخلص والمنافقون من اختلاطكم لا يعرف مخلصكم من منافقكم ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ حتى يعزل المنافق عن المخلص بإخباره رسوله بأحوالكم أو بالتكاليف الصعبة كبدل النفس والمال لله ليظهر به ما تضمرون ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظِلَّكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ وما كان ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من إيمان وكفر ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَصِي بِرُسُلِهِ﴾ يختار لرسالته ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ فيعرفه بعض المغيبات بوحى أو نصب دليل ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ بأن تعلموه وحده مطلعاً على الغيب وتعلموهم عباداً مصطفىين، لا يعلمون إلا ما علمهم الله.

قيل: قال الكفرة: ان كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم صادقاً فليخبرنا من يؤمن ومن يكفر. فنزلت^(٢) ﴿وَإِنْ تَوَمَّنَا﴾ بإخلاص ﴿وَتَقَوَّا﴾ النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ على ذلك.

[١٨٠] - ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ بالقراءتين. «التاء» على نية مضاف، أي: ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيراً لهم، وكذا «الياء»^(٣) ان جعل الفاعل ضمير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أو أحد، وان جعل «الذين» فالمفعول الاول محذوف يدل عليه «يبخلون» أي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيراً لهم ﴿بَلْ هُوَ الْبَخْلُ﴾ البخل ﴿شَرٌّ لَهُمْ﴾ ويفسره ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ

(١) كترالدقائق ٢: ٢٨٢ وتفسير البيضاوي ٢: ٥٥.

(٢) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٥٦.

(٣) حجة القراءات: ١٨٤.

الْقِيَمَةِ ﴿سِيلْزَمُونُ وَبَالَهُ الْإِزَامُ الطُّوْقُ﴾.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل في عنقه شجاع يوم القيامة - وتلاها - ^(١) ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وله ما فيهما مما يتوارث، فما لهم يخلون عليه بملكه، أو انه يرث ما يمنعونه ويبقى عليهم وباله ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ من اعطاء ومنع ﴿خَيْرٌ﴾ فيجازيهم به. وقرأ «نافع» و«ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» بالتاء ^(٢) - على الإلتفات -.

[١٨١] - ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ قاله اليهود حين سمعوا ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرض الله﴾ ^(٣) والمعنى انه لم يخف عليه وانه أعد لهم العقوبة عليه ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ في صحف الحفظة أو سنحفظه في علمنا، وقرن بقوله: ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ إيداناً بأنهما في العظم سيان، وان هذا ليس بأول عزيمة أجترحوها، وان من قتل الأنبياء لم يستبعد منه هذا القول، وقرأ «حمزه» «سيكتب» بالياء بصيغة المجهول ورفع «قتلهم» و«يقول» بالياء ^(٤) ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ومنتقم منهم بأن نقول لهم: ذوقوا العذاب المحرق. واستعمل الذوق له اتساعاً.

[١٨٢] - ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ بما عملتم من المعاصي، وذكر الأيدي لأن أكثر الأعمال بها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ عطف على «بما قدمت» وسببته انه يستلزم العدل الموجب معاقبة المسيء وإثابة المحسن.

[١٨٣] - ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ هم جماعة من اليهود: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ أمرنا في

(١) حجة القراءات: ١٨٣.

(٢) تفسير البضاوي ٢: ٥٧.

(٣) حجة القراءات: ١٨٤.

(٤) سورة البقرة: ٢/٢٤٥.

التوراة واوصانا ﴿أَنْ﴾ بَأَنْ ﴿لَا تُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ بهذه الآية الخاصة التي كانت لأنبياء بني اسرائيل، وهو أن يقرب قربان فيدعو النبي فتتزل نار فتحرقه، وهذا محض افتراء؛ إذ أكل النار القربان لم يوجب الإيمان إلا بكونه آية فهو وسائر الآيات سواء ﴿قُلْ﴾ في إلزامهم: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي﴾ كـ «زكريا» و«يحيى» ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الكثيرة الموجبة للتصديق ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ وبمقترحكم ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ انكم تؤمنون بذلك.

[١٨٤] - ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوكَ^(١) بِالْبَيِّنَاتِ﴾ تسلياً له صلى

الله عليه وآله وسلم عن تكذيب قومه واليهود ﴿وَالزُّبُرِ﴾ جمع زبور وهو الكتاب المتضمن للحكم أو الزواجر. وقرأ «ابن عامر»: «وبالزبر»، بإعادة «الباء» للتأكيد^(٢) ﴿وَالكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ التوراة والإنجيل والزبور.

[١٨٥] - ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ﴾ تعطون جزاء أعمالكم

من ثواب وعقاب وافياً ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يوم قيامكم عن قبوركم. وأما نعيم القبر وعذابه فبعض الأجور لا توفىها ﴿فَمَنْ رَزَحَ﴾ نَحَى^(٣) ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ فقد ظفر بالبغيه ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي شهواتها وزيتها ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ شبهت بمتاع يغتر به طالبه بالتدليس حتى يشتريه. والغرور مصدر أو جمع غار.

[١٨٦] - ﴿لَتَبْلُؤَنَّ﴾ أي: والله لتمتحنن ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بتكليف الإنفاق وآفات

تصيبها ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ بالقتل والأسر والجراح والمصائب ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً﴾ من هجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم والطعن في الدين والصد عن الإيمان، أخبروا بذلك قبل كونه ليوطنوا أنفسهم على

(١) يراجع تعليقنا على كلمة «باءوا» في الآية ٦١ من سورة البقرة.

(٢) حجة القراءات: ١٨٥.

(٣) في «ج» و«ط»: نجا.

الصبر حتى لا يرهقهم وقوعه ﴿وَإِنْ تَضَيَّرُوا﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا﴾ المعاصي ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ﴾ أي الصبر والتقوى ﴿مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ من معزومات الأمور التي يجب العزم عليها، أو ممّا عزم الله عليه، أي: أوجبه.

[١٨٧] - ﴿وَإِذْ﴾: واذكروا إذ ﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي العلماء به ﴿لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ حكاية مخاطبتهم. وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«عاصم» - في رواية - بالياء^(١) لغيتهم، واللام جواب قسم نابه «أخذ ميثاقهم»، والهاء للكتاب ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ أي الميثاق ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فلم يراعوه.

والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الإعتناء ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ﴾ وأخذوا بدله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من عرض الدنيا ﴿فَبَشِّرْ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من كتم علماً من أهله ألجم بلجام من نار.^(٢)
وعن علي عليه السلام: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا.^(٣)

[١٨٨] - ﴿لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴿خطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والمفعول الاول الموصول^(٤) والثاني: «بمفازة»، وقوله «فلا تحسبنهم» تأكيد، تقديره: لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من كتمان الحق ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الاخبار بالصدق بمفازة: بمنجاة من العذاب، أي فائزين بمنجاة منه، وقرأ «ابن كثير» و«ابن عامر» بالياء وفتح باء الاول وضم باء الثاني،^(٥) ف«الذين» فاعل، ومفعولا

(١) حجة القراءات: ١٨٥.

(٢) تفسير جوامع الجامع ١: ٢٢٧.

(٣) تفسير جوامع الجامع ١: ٢٢٧ وتفسير مجمع البيان ١: ٥٥٢.

(٤) أي «الذين يفرحون».

(٥) حجة القراءات: ١٨٦.

«يحسبن» محذوفان بقرينة مفعولي تأكيده، والتقدير: «لا يحسبن الذين يفرحون فلا يحسبن أنفسهم بمفازة» ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بكفرهم وكذبهم.

نزلت في اليهود إذ سألهم صلى الله عليه وآله وسلم عن شيء في التوراة فأخبروه بخلاف ما فيها، وأروه أنهم صدقوا وفرحوا بما فعلوا، أو في المنافقين؛ إذ يفرحون بمنافقتهم المسلمين ويستحمدون اليهم بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة.

[١٨٩] - ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيملك أمرهم ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ﴾ فيقدر على عقابهم.

[١٩٠] - ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ كل يخلف

الآخر ﴿لَايَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ لدلائل على وجود الصانع ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته لذوي العقول السليمة.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر [فيها]». ^(١)

[١٩١] - ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ يذكرونه دائماً على كل

الحالات من قيام وقعود واضطجاع.

وقيل: معناه: يصلون لله على هذه الأحوال حسب قدرتهم ^(٢) ﴿وَيَتَذَكَّرُونَ فِي

خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعتباراً، وهو أفضل العبادات.

عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «لا عبادة كالتفكير» ^(٣) ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ أي

يتفكرون قائلين ذلك، و«هذا» إشارة إلى الخلق على إرادة المخلوق من السماوات

والأرض، أي ما خلقته عبثاً ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك عن العبث. وهو اعتراض ﴿فَقِنَا

عَذَابَ النَّارِ﴾ لإحلالنا بالتفكير فيه. و«الفاء» تفيد أن علمهم بما لأجله خلقت

(١) تفسير البضاوي ٢: ٥٩-٦٠ والزيادة منه.

(٢) كما ورد في رواية أبي حمزة الثمالي عن الباقر عليه السلام ينظر تفسير البرهان ١: ٢٢٢.

(٣) تفسير جوامع الجامع ١: ٢٢٩.

السموات والأرض دعاهم إلى الاستعاذة.

[١٩٢] - ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ فقد أبلغت في إخزائه، ونظيره ﴿فَقَدْ فَازَ﴾^(١) ويشعر بأن العذاب الروحاني أشد ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ الْمَدْخِلِينَ﴾ المدخلين ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يدفعون عنهم العذاب قهراً، فلا ينفي الشفاعة؛ إذ لا قهر فيها. وفيه أن ظلمهم سبب إدخالهم النار وفقدهم الأنصار.

[١٩٣] - ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ أوقع الفعل على المسمع، وحذف المسموع لغناء صفته عنه.

وفي إطلاق «منادياً» ثم تقييده تفخيم لشأنه، والمراد به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقيل: القرآن.^(٢) والنداء ونحوه يعدى إلى واللام لتضمنه الانتهاء والاختصاص ﴿أَنْ﴾ بأن أو أي ﴿ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ فأجبنا ﴿رَبَّنَا فَافْرِزْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ كبائرنا ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ صغائرنا بتوفيقنا لإجتنب الكبائر ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ مصاحبين لهم، معدودين من جملتهم. والأبرار: جمع بر أو بار.

[١٩٤] - ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ على تصديقهم من الثواب، أو على ألسنتهم، أو يتعلق بمحذوف، أي: ما وعدتنا منزلاً على رسلك. سألوا انجاز ما وعد تعبداً أو تذلاً، أو طلباً للتوفيق في حفظ أسبابه ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ولا تفضحنا، أو: ولا تهلكنا ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ بإثابة المؤمن وإجابة الداعي، وتكرير «ربنا» للمبالغة في السؤال والإشعار باستقلال الطلبات.

وعن الصادق عليه السلام «من حزنه أمر فقال خمس مرات: «ربنا» نجاه الله مما يخاف واعطاه ما أراد»^(٣) - وتلاها -.

(١) في الآية ١٨٦ من هذه السورة.

(٢) قاله محمد بن كعب القرظي وقتادة - كما في تفسير التبيان ٤: ٨٤.

(٣) تفسير جوامع الجامع ١: ٢٣٠.

[١٩٥] - ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ ما طلبوا . ويعدى بنفسه وباللام ﴿أَنْي﴾ بأنني ﴿لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى﴾ بيان لـ «عامل» ﴿بَغَضُكُمْ مِنْ بَغْضٍ﴾ يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد، أو الإسلام . وهو اعتراض لبيان شركة النساء مع الرجال فيما وعد العمال .

قيل : قالت «أم سلمة» : يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون في الهجرة دون النساء؟ فنزلت .^(١) ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ تفصيل لعمل العامل على جهة المدح ، أي هاجروا الشرك أو أوطانهم ، أو قومهم ، للدين ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي﴾ من أجل ديني وبسببه ﴿وَقَاتَلُوا﴾ المشركين ﴿وَقُتِلُوا﴾ واستشهدوا . وعكس «حمزة» و«الكسائي» .^(٢) إذ «الواو» لا توجب ترتيباً .

أو المراد : لما قتل منهم قاتلوا ولم يهتروا . وشدد «ابن كثير» و«ابن عامر» «قاتلوا» للتكثير^(٣) ﴿لَا كُفْرًا﴾ لأمحون ﴿عَنْهُمْ سَبَاتِهِمْ وَلَدْخَلْنَهُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا﴾ أي اثيبهم بذلك إثابة ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يستحقونه منه ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ على الأعمال ، لا يقدر عليه سواه .

[١٩٦] - ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ خطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أريد به الأمة ، أو لكل أحد ، والنهي للمخاطب ، وجعل للتقلب مبالغة بتنزيل السبب منزلة المسبب ، أي لا تنظروا الى ما هم عليه من السعة والحظ ، ولا تغتر بما ترى من تصرفهم في البلدان ، يكتسبون ويتجرون .

قيل : كان بعض المؤمنين يرون المشركين في سعة ورخاء فيقولون : إن أعداء الله

(١) تفسير التبيان ٤ : ٨٩ .

(٢) حجة القراءات : ١٨٧ .

(٣) حجة القراءات : ١٨٨ .

في العيش الرخيّ وقد هلكنا جوعاً. فنزلت. ^(١)

[١٩٧] - ﴿مَتَاعٌ﴾ أي: تقلّبهم متاع ﴿قَلِيلٌ﴾ في جنب ما أُعد للمؤمنين، أو لزواله ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ أي ما مهدوا لأنفسهم.

[١٩٨] - ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ النزل ما يعد للنازل من الكرامة، ونصب حالاً من «جنان» والعامل «لهم» أو مصدراً مؤكداً، أي: انزلوها إنزالاً ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ لدوامه ﴿خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ مما يتقلب فيه الفجار لزواله.

[١٩٩] - ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ دخلت «اللام» في إسم «إن» لفصل الظرف بينهما.

نزلت في «ابن سلام» واصحابه، أو في ثمانين بين نجراني وحبشي ورومي، كانوا على دين «عيسى» فأسلموا.

أو: في «أضخمة» ^(٢) النجاشي حين نعه جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فخرج فصلّى عليه، فقال المنافقون: انظروا إليه يصلي على علج نصراني لم يره قطّ ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ من القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ من الكتابين. ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾ حال من فاعل «يؤمن» وجمع نظراً إلى المعنى ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ كما يفعل المحرّفون ^(٣) ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الأجر المختص بهم الموعد في «أولئك يؤتون أجرهم مرتين» ^(٤) ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لعلمه بالأعمال وجزائها، فأجرهم

(١) ذكره البيضاوي في تفسيره ٢: ٦٢.

(٢) «ب» و«ج»: أضخمة وفي «د»: ضخمة، وفي تفسير الكشاف وتفسير البيضاوي: أضخمة، ومعنى أضخمة: عطية - بالعربية - كما في تفسير الكشاف ١: ٤٩١.

(٣) في «ط»: المجرمون.

(٤) في سورة القصص: ٥٤/٦٨.

الموعود سريع الوصول .

[۲۰۰] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا﴾ على مشاق التكاليف ﴿وَصَابِرُوا﴾ وغالبوا
عدوكم بالصبر على القتال، أو على مخالفة الهوى . وذكر بعد الصبر مطلقاً
تخصيصاً لشدته ﴿وَرَابِطُوا﴾ : وأقيموا في الثغور، رابطين خيلكم، مستعدين للغزو
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ باجتناب المعاصي ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ لكي تظفروا بالبنية .



مرکز تحقیقات کتاب و تفسیر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

سورة النساء

[٤]

مائة وخمسة وسبعون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يا بني آدم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾

آدم عليه السلام ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ عطف على محذوف، أي: من نفس واحدة أنشأها، وخلق من ضلعها، أو من فضل طيبتها أمكم «حواء» - بالمد-، أو: على خلقكم، أي: خلقكم من نفس واحدة وخلق منها أمكم ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ بيان لكيفية تولدهم منهما، أي ونشر من النفس وزوجها ذكوراً وإناثاً كثيرة.

واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها لاقتضاء الحكمة كثرتهم. ورتب الأمر بالتقوى على هذه القصة لدلالاتها على كمال القدرة الموجبة خشية القادر، وتمام النعمة الموجبة طاعة المنعم، أو لأن المراد أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم كما تعطيه الآيات الآتية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ تتساءلون، فأدغم التاء الثانية في السين، وحذفها «عاصم» و«حمزة» و«الكسائي»^(١) أي يسأل

(١) حجة القراءات: ١٨٨.

بعضكم بعضاً بالله ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ بالنصب عطف على محل «به» أو على «الله» أي واتقوا الأرحام فصلوها . وجرها «حمزة»^(١) عطفاً على الضمير المجرور . وقرنها بإسمه تعالى ليؤذن بأن صلتها منه بمكان ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ : حافظاً .

[٢] - ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ جمع يتيم ، وهو الذي مات أبوه ، من اليتيم وهو الانفراد ، على أنه اجري مجرى الأسماء ، كصاحب . وجمع «يتايم» فقلب «يتامى» أو جمع «يتمى» ثم جمع يتمى على يتامى ، كأسرى وأسارى .

ومقتضى الإشتقاق وقوعه على الصغار والكبار ، ولكن خص عرفاً بمن لم يبلغ . والمراد به - هنا - اما للبلغ على القياس أو الإتساع ؛ لقرب عهدهم بالصغر حثاً على دفع أموالهم اليهم أول بلوغهم إن أونس منهم رشد ؛ ولذا أمر بابتلائهم صغاراً . أو غير البالغ ، والحكم مقيد ببلوغهم ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا﴾ ولا تستبدلوا ﴿الْخَيْثَ﴾ الحرام من أموالهم ﴿بِالطَّيِّبِ﴾ بالحلال من أموالكم ، أو بما أعد في الجنة لمن عفت عن مالههم ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ ولا تنفقوها مضمومة الى أموالكم حتى لا تفرقوا بينهما إلا قدر أجرة المثل بسبيل القرض ، أو الإستحقاق - على الخلاف - ، «فليأكل»^(٢) بالمعروف «إِنَّهُ» أي الأكل ﴿كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ . ذنباً عظيماً .^(٣)

[٣] - ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾ ألا تعدلوا ﴿فِي الْيَتَامَىٰ﴾ يتامى النساء إذا تزوجتم بهن ﴿فَانكِحُوا﴾ فتزوجوا ﴿مَاطَابَ﴾ ما حل ﴿لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ من غيرهن . إذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها فربما جمع عنده عشراً منهن

(١) حجة القراءات : ١٨٨ .

(٢) في «الف» : وليأكل . والعبارة غير مرتبطة بما قبلها - كما ترى - وفي تفسير البضاوي ٢ : ٦٥ جاءت العبارة هكذا : ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم : ولا تأكلوها مضمومة الى أموالكم اي لا تنفقوها معاً ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام ، وهو فيما زاد على قدر أجره لقوله تعالى : «فليأكل بالمعروف» .

(٣) الآية ٦ من هذه السورة .

فيَقْصُر فيما يجب لهنَّ .

أو إن خفتن أن تجوروا في أمر اليتامى وتحرجتن منه فخافوا أيضاً الجور في أمر النساء، فانكحوا مقداراً تفون بحقه، فلإنهم تحرجوا^(١) من ولاية اليتامى خوف الحرب،^(٢) ولا يتخرجون من تكثير النساء واضاعتهن .

أو تحرجوا^(٣) منهم ولا يتخرجون من الزنا، فقليل لهم : ان خفتن الجور في أمرهم فخافوا الزنا، فانكحوا ما أحل لكم . وعبر بـ «ما» قصداً الى الوصف، وايداناً بقلّة عقولهن ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ حال من «ما طاب» معدولة عن أعداد مكررة هي : ثنتان ثنتان^(٤) وثلاث ثلاث، وأربع أربع، منع صرفها للعدل والوصف، أو لتكرير العدل باعتبار الصيغة والتكرير .

ومعناه : الإذن لكل ناكح يريد الجمع أن ينكح ما شاء من العدد المذكور، متفقين فيه أو مختلفين، نظيره : اقتسموا هذا المال درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة، ولو افردت وقيل اثنتين وثلاثاً وأربعاً لزم جواز الجمع بين الأعداد دون التوزيع، ولو قيل «أو» لمنع الاختلاف في العدد ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ بين هذه الأعداد أيضاً ﴿فَوَاحِدَةً﴾ فانكحوا واحدة وذروا الجمع ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ سوى بين الحرة الواحدة والإمام لخفة مؤنتهن ﴿ذَلِكَ﴾ أي اختيار الواحدة أو التسري ﴿أَذْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ أقرب من أن لا تميلوا، من عال الميزان : مال، والحاكم جاز .

وقيل : أن لا تكثر عيالكم، من «عال الرجال عياله» مأنهم، فكنى عن كثرة

(١) كذا في النسخ، والصحيح : كانوا يتحرجون .

(٢) في «ط» : خوف الجور .

(٣) كذا في النسخ، والصحيح : كانوا يتحرجون - كما في تفسير البيضاوي ٢ : ٦٥ .

(٤) في النسخ : ثنتين ثنتين، وفي تفسير البيضاوي ٢ : ٦٥ وتفسير الكشاف ١ : ٤٩٧ : ثنتين ثنتين وثلاثاً ثلاثاً وأربعاً .

العيال بكثرة المؤن، ويعضده قراءة: «أن لا تُعيلوا» من «عال» كثر عياله، وقلة العيال بالتسري؛ لأنه مظنة قلة الولد بالعزل.

[٤] - ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ مهورهن ﴿نَحْلَةً﴾ عطية، من «نحله كذا» أعطاه إياه عن طيب نفس نحلة ونحلاً. ونصبت مصدراً، إذ معناها الإيتاء، أو حالاً من «الواو» أو «الصدقات» أي آتوهن صدقاتهن ناحلين أو منحولة، أو عطية من الله لهن، أو فريضة منه، فهي حال من الصدقات، والخطاب للأزواج، وقيل للأولياء، لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم ﴿فَإِنْ طَبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ﴾ من الصداق، حملاً على المعنى ﴿نَفْسًا﴾ تمييز، وتوحيدها لأنها لبيان الجنس، أي فإن وهبن لكم شيئاً من الصداق، وتجاوزت عنه نفوسهن طيبات ﴿فَكُلُّوه﴾ خذوه وانفقوه ﴿هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ حلالاً بلا تبعة، ^(١) من «هنؤ الطعام ومرؤ» أي ساغ بلا غص.

وقيل: الهني ما يلذه الأكل، والمرى ما يحمد عاقبته. وهما وصف للمصدر، ^(٢) أو حال من الواو، ^(٣) أو صفتان ^(٤) نابتا مصدريهما ^(٥) قيل: تأثم ناس أن يقبل أحدهم من زوجته شيئاً مما نحلها، فنزلت.

[٥] - ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ نهى للأولياء أن يعطوا من لا رشد لهم أموالهم، فيضيّعوها. وأضيفت إلى الأولياء لأنها بأيديهم، أو نهى لكل أحد عن إعطاء ماله كل سفيه، أو زوجته وأولاده؛ ثم ينظر إلى أيديهم.

(١) في هامش «الف»: في نسخة: أي عقوبة.

(٢) في هامش «الف»: أي اكلاً هنيئاً مريئاً فنصبهما على أنهما مفعول مطلق. كذا.

(٣) في هامش «الف»: أي: حال كون المأكول هنيئاً. بل حالان من الضمير، وهو «الهاء».

(٤) في هامش «الف»: أي حال كونكم هنيئين. وتفسير البيضاوي على أنهما حال من الضمير فيحتمل الواو. (ع. ق.).

(٥) في هامش «الف»: فيكون الأصل هتوتم هنيئاً - على الدعاء - والوقف على ذكر الفعلان (كلمات لاتقراء) فصار هنيئاً مريئاً فيكون (كلمة لاتقراء) المصدرية بالنيابة عن (كلمة لاتقراء).

وَسَمُوا سَفَهَاءَ اسْتَخْفَافاً بِعَقْلِهِمْ ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾ أي تقومون بها، وعلى الأول يراد به التي من جنس ما جعل لكم قياماً. وقرأ «نافع»: «قيماً» بمعناه. ^(١)
﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ واجعلوها مكاناً لرزقهم وكسوتهم، بأن تتجروا فيها وتموتوهم من ربحها ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ حسناً شرعاً، أو عقلاً من وعد جميل.

[٦]- ﴿وَابْتَئُوا الْيَتَامَى﴾ اختبروهم قبل البلوغ بتتبع حالهم في صلاح الدين وإصلاح المال ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ كنى بذلك عن البلوغ وهو بأن يحتلم أو ينبت أو يبلغ الذكر خمس عشرة، والأنثى تسعاً ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُمْ﴾ أبصرتهم ﴿مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ تهدياً الى حفظ المال ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ عند تحقق البلوغ والرشد بلا تأخير ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ مسرفين ومبادرين كبرهم، أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِفْ﴾ عن أكلها ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر أجرته أو كفايته، أو أقلهما مع الرد إذا أيسر، أو لا - على الخلاف - ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾ بأنهم تسلموها، دفعاً للتهمة والتخاصم ولزوم الضمان ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ محاسباً، فلا تتعدوا حدوده.

[٧]- ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ هم المتوارثون بالقرابة ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ بدل من «مما» بتكرير العامل ﴿نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ نصب مصدرأ، بمعنى قسمة مفروضة، أو على الاختصاص، أي أعني نصيباً مقطوعاً واجباً لهم.

نزلت رداً للسنة الجاهلية من عدم توريث النساء. ^(٢)

[٨]- ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ قسمة التركة ﴿أُولُوا الْقُرْبَى﴾ ممن لا يرث ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ من المقسوم شيئاً، أمر ندب للورثة البالغ، وقيل أمر

(١) حجة القراءات: ١٩٠.

(٢) في «ب»: النساء والأطفال.

وجوب، واختلف في نسخه ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ هو الدعاء لهم والاعتذار اليهم.

[٩] - ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ أمر للأوصياء بأن يخشوا الله في أمر اليتامى ليفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذرايهم الصغار بعدهم.

أو للحاضرين المريض عند الايصاء بأن يخشوا الله في أولاده، ويحبون لهم ما يحبون لأولادهم فلا يتركوه أن يضرّ بهم بصرف ما زاد على الثلث عنهم.

و«لو» بما في حيزه صلة «الذين» ومعناه: وليخش الذين صفتهم أنهم لو شافوا أن يخلّفوا ذرية ضعافاً خافوا عليهم الضياع ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ تأكيد للأمر بالخشية ﴿وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ لليتامى بالشفقة والملاطفة كما يقولون لأولادهم، أو للمريض بمنعه عن تجاوز الثلث، وأمره بالتوبة وغيرها.

[١٠] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ ظالمين، أو على وجه الظلم ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ ملؤها ﴿نَارًا﴾ ما يجر الى النار، أو يأكلونها يوم القيامة. عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يبعث ناس من قبورهم يوم القيامة تاجع من أفواههم نار» ف قيل: من هم؟ فقرأ الآية^(١) ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ وسيدخلون ناراً ملتهبة فظيعة.

وضم «الياء» «ابن عامر» و«أبو بكر»^(٢) يقال: «صلى النار» أي قاسى حرّها، وأصليته: ألقيته فيها.

[١١] - ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ يأمركم ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ في شأن ميراثهم وهو اجمال، تفصيله: ﴿لِلذَّكَرِ﴾ أي منهم، وحذف للعلم به ﴿مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيْنِ﴾ حيث

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ١٣.

(٢) حجة القراءات: ١٩١.

اجتمع الصنفان .

وقدم «الذكر» لفضله كما ضوعف حظّه لذلك ﴿فَإِنْ كُنَّ﴾ أي المولودات ﴿نِسَاءً﴾ خلصاً ليس معهنّ ذكر ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ خبر ثان، أو صفة لـ «نساء» ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ الميّت المعلوم من المقام ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ أي المولودة ﴿وَاحِدَةً﴾ . ورفعها «نافع» ^(١) على التامة ﴿فَلَهَا النِّصْفُ﴾ .

واختلف في الإثنتين فقال ابن عباس: ^(٢) حكمهما حكم الواحدة: لأنّ الثلثين لما فوقهما، وقال الباقر - وهو الحق - : حكمهما حكم ما فوقهما للإجماع بعد ابن عباس .

ويعضده أن للواحدة الثلث مع أخيها، فأولى أن تستحقه مع أخت مثلها، وأنّ للأختين الثلثين، والبتان أمّس رحماً ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ ولأبوي الميت ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا﴾ بدل منه بإعادة العامل . وذكر تنصيصاً على استحقاق كل واحد منهما السدس، وتأكيذاً بتفصيل بعد اجمال ﴿السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ﴾ للميت ﴿وَلَدٌ﴾ وإن نزل ذكراً أو أنثى متعدداً أو لا، لكنهما يشتركان البنت في الباقي بعد السهام فيقسم أخماساً ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ مما ترك أجمع ولو مع أحد الزوجين عندنا، وثلث ما بقي بعد نصيبه عند الجمهور، ولم يذكر ما للأب لظهور أن له الباقي ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ لأب أو أبوين، أقلهم ذكران، وتنوب الاختان ذكراً، وأريد بالجمع ما فوق الواحد اجماعاً ما عدا ابن عباس إذ اعتبر الثلاثة فما زاد ﴿فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ يحجبها الإخوة عن الثلث إلى السدس، ولا يرثون .

وعن ابن عباس: أن لهم ما حجبوا عنه الأم، ^(٣) وكسر «حمزة» و«الكسائي» همزة

(١) حجة القراءات: ١٩٢ .

(٢) تفسير مجمع البيان ١٤: ٢ وتفسير البيضاوي ٧١: ٢ .

(٣) تفسير البيضاوي ٧١: ٢ .

«فَلأُمة»^(١) إتباعاً لما قبلها . ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ متعلق بجميع ما تقدم من قسمة الموارث .
أي : هذه الحصص للورثة من بعد ﴿وَصِيَّةٌ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٌ﴾ «أو» للإباحة وتنفيذ
تساويهما في وجوب التقديم على القسمة انفراداً أم اجتماعاً .

وقدمت الوصية على الدين مع تقدمه شرعاً اهتماماً بشأنها ، لأنها شاقة على
الورثة لشبهها بالإرث فهي مظنة التفريط بخلاف الدين لا طمثنانهم الى أداءه .

وبنى «ابن كثير» و«ابن عامر» و«أبو بكر» «يوصى» للمفعول^(٢) ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ
لَا تَذَرُونَهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ اعتراض مؤكد لأمر القسمة ، أو تنفيذ الوصية ، أي :
لا تعلمون من أنفع لكم ممن يرثكم من أصولكم وفروعكم ، فاقسموا على ما بينه الله
ولا تفضلوا بعضاً وتحرموا بعضاً ، أو ممن ترثونه منهم : أمن أوصى فعرضكم للأجر
بتنفيذ وصيته ، أم من لم يوص فوفر عليكم ماله ﴿فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد ، أي
فرض ذلك فريضة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالمصالح ﴿حَكِيمًا﴾ فيما فرض .

[١٢] - ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ وان نزل ذكراً أو
انثى ، منكم أو من غيركم ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ
يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ في صورتين ﴿وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ ولو من
غيرهن ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾
وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثلث ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ﴾ وهو الميت
﴿يُورِثُ﴾ من «وَرِثَ» أي يورث منه ، صفة لـ «رجل» ﴿كَلَالَةً﴾ خبر «كان» أو الخبر
«يورث» ، و«كلالة» حال من الضمير فيه ، وهو من لم يخلف ولداً ولا والدأ ، ويحتمل
كون الرجل الوارث ويورث من أورك .

وكلالة من ليس بولد ولا والد ، وهي في الأصل مصدر بمعنى الكلال ،

(١) حجة القراءات : ١٩٢ .

(٢) حجة القراءات : ١٩٣ .

فاستعيرت لقربة ليست بأحدهما، لأنها كالة بالإضافة اليهما، ثم وصف بها الموروث والوارث، بمعنى: ذي كالة ﴿أَوْ امْرَأَةٍ﴾ عطف على «رجل» ﴿وَلَهُ﴾ أي للرجل وحذف حكم المرأة للعلم به من العطف ﴿أَخٍ أَوْ أُخْتٍ﴾ من الأم للإجماع والأخبار^(١) أيضاً، ويؤيده قراءة «أخ أو أخت من الأم»^(٢) وإن آخر السورة أن للأختين الثلثين، وللإخوة الكل، ولا يليق بأولاد الأم، والمقدر هنا فرض الأم فيليق بأولادها ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ يستوي الذكر والأنثى في القسمة ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ﴾ فيه القراءتان^(٣) ﴿بِهَا أَوْ ذَيْنِ غَيْرِ مُضَارٍ﴾ حال من فاعل «يوصى» المذكور على البناء للفاعل، أو المدلول عليه بـ«يوصى» على البناء للمفعول، أي: غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث أو قصد المضارة بالوصية لا القرية، أو الإيضاء بدين لا يلزمه ﴿وَصِيَّةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمن صار وغيره ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل بالعقوبة.

[١٣] - ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة في اليتامى والوصايا والموارث ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ شرائعه، فإنها كالحدود المضروبة، الممنوع تعديها ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ﴾ وحد الضمير للفظ. وقرأ «نافع» وإن عامر بالنون^(٤) ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة لا صفة «جنان»، وإلا لأبرز الضمير لجريانها على غير من هي له، وجمع للمعنى ﴿وَذَلِكَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٤] - ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ﴾ بالقراءتين ﴿نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾ حال لا صفة «نار» لما مر ﴿وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يتضمن إهانته.

[١٥] - ﴿وَاللَّاهِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِّسَائِكُمْ﴾ يفعلنها، يقال: «أتى الفاحشة

(١) راجع الكافي ٧: ١٠١-١٠٣.

(٢) تفسير البضاوي ٢: ٧٢.

(٣) حجة القراءات: ١٩٣.

وجاءها وغشيها ورهقها» أي فعلها.

والفاحشة: الزنا؛ لزيادة قبحه ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾ فاطلبوا من قاذفهن شهادة أربعة رجال من المؤمنين عليهن ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ فاحبسوهن ﴿فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ ملك الموت، أو: يستوفى أرواحهن الموت. قيل: كان ذلك عقوبتهن أول الإسلام فنسخ بالحد^(١) واحتمل ارادة صيانتهم بعد جلدهن عن مثل فعلهن فكفى عنه بالإمساك ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ هو النكاح، أو الحد.

قيل: لما نزلت آية الجلد، قال: صلى الله عليه وآله وسلم: «قد جعل الله لهن سبيلاً»^(٢).

[١٦] — ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيهَا مِنْكُمْ﴾ يريد الزاني والزانية. وشدد «ابن كثير» نون «الذان»^(٣) ﴿فَآذُوهُمَا﴾ بالتوبيخ والتعير ﴿فَإِنْ تَابَا وَأُضْلِحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ فكفوا عن ايذائهما ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ علة الأمر بالإعراض. قيل: هذه سابقة على الأولى نزولاً،^(٤) وكانت عقوبة الزنا الأذى ثم الحبس ثم الجلد.

[١٧] — ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ﴾ قبول التوبة — من تاب عليه قبل توبته — واجب ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ بمقتضى وعده وفضله ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ﴾ متلبسين بها، سفهاء،^(٥) إذ ارتكاب الذنب جهل وسفه ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ من زمان قريب، وهو ما قبل حضور الموت لقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾^(٦) وقوله صلى الله عليه وآله

(١) جوامع الجامع ١: ٢٤٣.

(٢) تفسير التبيان ٣: ١٤٣.

(٣) حجة القراءات: ١٩٣.

(٤) قاله الحسن — كما في تفسير التبيان ٣: ١٤٤.

(٥) في «ب»: سفهاً. وفي «ج»: متلبسين بها حكما سفهاء.

(٦) في الآية الآتية.

وسلم: «من تاب قبل ان يغرغر، تاب الله عليه»^(١) و«من» للتبعض، أي يتوبون في أي جزء من الزمان القريب الذي هو أمد الحياة ﴿فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ عدة بالوفاء بما اوجب على نفسه بقوله: «انما التوبة على الله» ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ فيعلم توبتهم ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يعاملهم به.

[١٨] - ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ نفى التوبة عن سؤفها الى حضور الموت ومن مات كافراً، وسوى بينهما في نفيها؛ لمجاورة كل منهما وقت التكليف والاختيار ﴿أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يؤذن بقدرته على عذابهم متى شاء، ويؤكد عدم قبول توبتهم.

والإعتاد: التهيئة من العتاد، وهو العدة.

[١٩] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ وضمه «حمزة» و«الكسائي» أين جاء،^(٢) وهما لغتان.

كان الرجال إذا مات قريبه ألقى ثوبه على امرأته وقال: أنا أحق بها، فإن شاء تزوجها بصداقها الأول، وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقها، ف قيل: لا يحل لكم أن تأخذوهن على سبيل الإرث كارهات لذلك أو مكرهات عليه ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ عطف على «أن ترثوا»، و«لا» لتأكيد النفي، أي ولا تمنعهن من النكاح.

وأصل العضل: التضييق ﴿لَتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ كان الرجل يمسك زوجته إضراراً بها لتفتدي بما لها فنهوا عن ذلك ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ﴾ كالنشوز، أو كل معصية.

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٢.

(٢) حجة القراءات: ١٩٥.

والإستثناء من أعم عام الظرف، أي لا تعضلوهم للإفتداء إلا وقت إتيانهم بفاحشة. وفتح ياء «مبينة» ابن كثير و«أبو بكر»^(١) ﴿وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالنصفة في الفعل، والإجمال في القول ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ أي فلا تفارقوهم لكرهه النفس، إذ قد تكره الأصلح ديناً والأكثر خيراً وتحب ضده.

و«عسى» علة الجزاء نائبة عنه، والتقدير: فان كرهتموهن فاصبروا عليهن، فعسى أن تكرهوا ما هو خير لكم.

[٢٠] - ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾ تزويج امرأة ومفارقة أخرى ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدِيَهُنَّ﴾ إحدى الزوجات إذ أريد جنس الزوج ﴿فَنظَارًا﴾ مالا عظيماً ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ إنكار، أي أتاخذونه باهتين وآثمين، أو للبهت والإثم. كان الرجل إذا اراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها أن تفتدى بما أعطاها ليتزوج به غيرها، فنهوا عن ذلك والبهتان: كذب يبهت المكذوب عليه، ويقال للباطل.

[٢١] - ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ إنكار لأخذه، والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها، ووجب المهر ﴿وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ عهداً وثيقاً، وهو حق الصحبة والمضاجعة، أو قول الولي: «أنكحك على ما في كتاب الله من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان»^(٢).

[٢٢] - ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾ التي نكحها ﴿وَإِنْ عَلُوا مِنَ النِّسَاءِ﴾ بيان «ما» ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ استثناء من لازم النهي، أي فتعاقبون بنكاح ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف، أو من اللفظ مبالغة في التحريم كـ ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا

(١) حجة القراءات: ١٩٦.

(٢) اقتباس من الآية ٢٢٩ من سورة البقرة.

الموتة الاولى^(١) أي لا تنكحوهن إلا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه .
أو منقطع ، أي ولكن ما سلف فلا تؤاخذون عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاَحِشَةً وَمَقْتًا﴾ علة
النهي أي نكاحهن كان فاحشة وموجباً لمقت الله ما حل لأمة قط ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾
سبيل من دان به .

[٢٣] - ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ أي نكاحهن ، لما قبله وبعده ، وللتبادر
كالأكل في «حرمت عليكم الميتة» . والأم من ولدتك أو ولدت من ولدك وان علت
﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ يعتم من ولدتها أو ولدت من ولدها وان نزلت ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ الأخت :
الانثى التي ولدها من ولدك بلا واسطة ﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾ العمة أخت كل ذكر ولدك وان
علا ﴿وَوَحَالَاتُكُمْ﴾ الخالة أخت كل انثى ولدتك وان علت ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ
الْأَخْتِ﴾ وإن نزلن ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾ نزل تعالى
الرضاع منزلة النسب ، فسمى المرضعة أمّاً والمرضعة أختاً .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»^(٢) فيحرم
منه السبع المحرمات بالنسب ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُم مِّنْ
نِّسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ يحرم بالمصاهرة أم الزوجة وان علت ، وبنتها من غير
الزوج وان نزلت ، ربّاه أم لا .

وسميت «ربيبة» وقيدت بالحجر لتربيته لها في حجره غالباً . وللبعث على
حفظها كولده . و«من نسائكم» متعلق بـ«ربائبكم» ، لقربه فلا تحرم الربيبة مؤبداً إلا
بالدخول بالأم - اجماعاً . ولا يصح تعلّقه بـ«امهات نسائكم» أيضاً لأن «من» إذا
عُلِّقت بها تكون بياناً لـ«نسائكم» ، وإذا عُلِّقت بالربائب تكون ابتدائية ولا تحمل
كلمة واحدة على معنيين . فتحرم أم الزوجة مدخولاً بها أم لا .

(١) سورة الدخان : ٤٤ / ٥٦ .

(٢) جوامع الجامع ١ : ٢٤٧ . وتفسير التبيان ٣ : ١٥٧ .

ومنا من اعتبر الدخول كبعض العامة ، واخبارنا فيه مختلفة .^(١) و«دخلتم بهن» كناية عن الجماع ، أي دخلتم معهن السر ، وقد يلحق به المس والتجريد «فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكن» يشعر بعدم اعتبار مفهوم القيود «وحلائل أبنائكن» زوجاتهم من الحل للزوج ، أو الحلول معه «الذين من أصلابكن» دون من تبنيتن ، فيعم ولد الولد «وأن تجمعنوا بين الأختين» عطف على المحرمات ، فالمحرم الجمع دون العين ، فلو فارق إحداها حلت له الأخرى «إلا ما قد سلف» ولكن ما مضى مغفور؛ لقوله : «إن الله كان غفورا رحيما» فلا تيأسوا من رحمته .

[٢٤] - «والمحصنات من النساء» ذوات الأزواج ، أحصنهن التزويج عطف على المحرمات «إلا ما ملكت أيمانكن» من سبايا دار الكفر المزوجات ، فإنهن حلال ؛ لرفع السبي النكاح ، أو ما ملكتم من الإماء المزوجات ، فإن للمالك فسخ نكاحهن ووطنهن بعد العدة على بعض الوجوه «كتاب الله» كتب ذلك كتاباً «عليكن وأجل لكن» عطف على «كتاب» المضمر وبناء «حمزة» و«الكسائي» للمفعول^(٢) عطف على «حرمت» «ما وراء ذلك» ما عدا ما ذكر من المحرمات إلا ما خص بالسنة كالمنكوحة على عمتها وخالتها وغيرها «أن تبتغوا» بدل اشتغال من «ما» أو مفعول له ، أي أحل ذلك إرادة أن تطلبوا النساء «بأموالكن» بصادق أو ثمن . وقد لا يقدر له مفعول كأنه قيل أن تصرفوا أموالكم «مُخَصِّنِينَ» اعفاء «غير مُسَافِحِينَ» غير زناة «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ» فمن تمتعتم «بِهِ» الهاء للفظ «ما» «مِنْهُنَّ» من النساء . المراد به نكاح المتعة بدلالة قراءة «أبي» و«ابن عباس» و«ابن مسعود» : «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى» .^(٣)

(١) تفسير البرهان ١: ٣٥٦ .

(٢) حجة القراءات: ١٩٨ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٢ .

ولا خلاف في شرعيته ، وفعله الصحابة في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزمن أبي بكر وبرهة من زمن عمر، ثم نهى عمر عنه، وادّعى نسخه، وخالفه جماعة من الصحابة والتابعين .

وأطبق أهل البيت عليهم السلام على بقاء شرعيته .

وقال علي عليه السلام : «لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي» .^(١)

واعترف عمر أيضاً بشرعيته ونسب النهي عنه الى نفسه،^(٢) واضطرب نقلهم للنسخ بحيث لا يفيد الظن فضلاً عن القطع فكيف ينسخ به القطعي «فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ» التي وقع العقد عليها . والضمير لمعنى «ما» «فَرِيضَةً» أي مفروضة، حال من الأجور أو ابتاء مفروضاً، أو فرضها فرضاً «وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ» من استئناف عقد آخر بعد انقضاء المدة بزيادة في الأجر والمدة «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً» بمصالحكم «حَكِيماً» فيما شرع لكم .

[٢٥] - «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً» غني، وأصله : الفضل والزيادة، أي :

ومن لم يجد غنى يبلغ به «أَنْ يَنْكِحَ الْمُخَصَّنَاتِ» الحرائر «الْمُؤْمِنَاتِ فِيمَنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» فليتزوج من مملوكاتكم، أو فليستر «مِنْ فِتْيَانِكُمْ» إمائكم «الْمُؤْمِنَاتِ» وظاهره جواز تزوج الأمة مع عدم امكان الحرية على الأول، ومفهوم الشرط عدم جوازه للحر مع امكان الحرية وقال به بعضنا .

وردّ باحتمال ارادة المعنى الثاني وعدم صراحة الشرط، وأن حججه فيما إذا لم يظهر له فائدة سوى نفي الحكم عن المسكوت وظاهر انه يفيد الحث على النكاح ولو بأمة .

وأولوية الحرية مع القدرة مع المعارضة بعموم «وأحلّ لكم ما وراء ذلكم» [و]

(٢) تفسير العياشي ١: ٢٢٢ وتفسير التبيان ٤: ١٦٧ وكترالعمال ١٦: ٥٢٢ الحديث ٤٥٧٢٨

(٤) يراجع سنن البيهقي ٧/ ٢٠٦ ومسند احمد ٢/ ٢٥٦ - ٢٦٢ .

﴿وَانكحوا الأيامى...﴾ الآية^(١) ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ فافتفوا بظاهر الإيمان واكلوا السرائر اليه فإنه العالم بها، فرب أمة تفضل الحرّة فيه. وهذا تأنيس بنكاح الإماء ﴿بَغْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ كلكم من آدم ودينكم الإسلام، فلا تستنكفوا من نكاحهن ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ مالكيهن ﴿وَهُنَّ أَجُورُهُنَّ﴾ مهورهن، ولعل المراد: وآتوا اهلهن. ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بلا مطل ونقص ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾: عفاف غير مسافحات: غير معلّات بالزنا ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ أخلاء يزنون بهن سرّاً ﴿فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ﴾ بالتزويج. وبناء «حمزة» و«أبو بكر» و«الكسائي» للفاعل^(٢) ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ بزنا ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ أي الحرائر ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ من الجلد كقوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا﴾^(٣).

وليس الإحصان شرطاً للحد وإنما ذكر لإفادة أنه لا رجم عليهن أصلاً لأنه لا يتنصف ﴿ذَلِكَ﴾ أي نكاح الإماء ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ لمن خاف الوقوع في الزنا.

وأصله انكسار العظم بعد الجبر، فاستعير للمشقة، ولا مشقة أعظم من الإثم. وقيل: أريد به الحد. والكلام في مفهومه ما مر^(٤) ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ وصبركم عن نكاح الإماء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ للحقوق العار بالولد، وعدم اصلاحهن البيت ﴿واللهُ عَفُورٌ﴾ لذنوبكم بالتوبة أو بفضله ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم.

[٢٦] - ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أحكام دينكم ومصالحكم وأصله «أن يبين»، فزيدت اللام لتأكيد ارادة التبين ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ طرائق من

(١) سورة النور: ٢٤/٣٢.

(٢) حجة القراءات: ١٩٨.

(٣) سورة النور: ٢٤/٢.

(٤) يراجع الآية ٢٢٠ من سورة البقرة و١١٨ من سورة آل عمران.

تقدمكم من أهل الحق لتقتدوا بهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ ويقبل توبتكم أو يرشدكم الى ما يحثكم على التوبة، أو الى طاعات تكفر سيئاتكم إن قمتم بها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالحكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دبر لكم.

[٢٧] - ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرر للتأكيد وليبني عليه ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ المبطلون، أو الزناة، أو المجوس، أو اليهود فإنهم يحلّون الاخوات من الأب، وبنات الأخ وبنات الأخت ﴿أَنْ تَمِيلُوا﴾ عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات أو احلال المحرمات ﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾ إذ لا ميل أعظم من ذلك.

[٢٨] - ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ بإحلال نكاح الأمة وغيره من الرخص ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ لا يصبر عن النساء أو الشهوات.

[٢٩] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ بما حرّمه الشرع كالربا والقمار والظلم ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ منقطع، أي ولكن كون تجارة صادرة عن رضا المتبايعين غير منهي عنه.

وقيل : اريد بالمنهي عنه صرف المال فيما لا يرضاه الله، وبالتجارة صرفه بما يرضاه. ونصب الكوفيون «تجارة» على الناقصة^(١) أي : إلا أن تكن التجارة تجارة ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ بإلقائها الى التهلكة، أو بالبخع^(٢) كفعل بعض الجهلة، أو بارتكاب ما يؤدي الى هلاكها في الدنيا والآخرة، أو اريد بالأنفس من كان من أهل دينهم، إذ المؤمنون كنفس واحدة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ أي : نهاكم عن ذلك لفرط رحمته بكم.

[٣٠] - ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي القتل، أو ما ذكر من المحرمات ﴿عُدُوًّا وظُلْمًا﴾ إفراطاً في تعدي الحق، وإيماناً بما لا يستحق، أو اريد بالعدوان التعدي

(١) حجة القراءات: ١٩٩.

(٢) في «ط»: النجع، والبخع قتل الانسان نفسه غماً.

على الغير، وبالظلم ظلم النفس ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ ندخله ﴿نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هيناً لا مانع عنه .

[٣١] - ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ وهي كل ما أوعده الله عليه عقاباً، أو جعل فيه حداً . وقيل كل ما نهى الله عنه .

وصغر الذنب وكبره بالإضافة الى ما فوقه وما تحته، وروي أنها سبع،^(١) والمعنى ان تركوا كبائر الذنوب ﴿نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ نغفر لكم ما سوى ذلك من الصلاة الى الصلاة، ومن الجمعة الى الجمعة، ومن شهر رمضان الى شهر رمضان .

وقيل : إن تركوا كبائر ما نهيتهم عنه في هذه السورة نكفر عنكم ما ارتكبتموه منها فيما سلف^(٢) ﴿وَنُذْخِلْكُمْ مَدْخَلًا﴾ وفتح «نافع» «الميم»^(٣) أي موضعاً ﴿كَرِيمًا﴾ وهو الجنة، أو ادخالاً مع كرامة .

[٣٢] - ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ من جهة الدنيا كالمال والجاه لثلا يؤدي الى التحاسد والتباغض، وارضوا بما قسم الله لكم ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ أي لكل من الرجال والنساء حظ وفضل بسبب ما اكتسب بالعمل لا بالחסد، أو مما اكتسب من نعيم الدنيا بالتجارة وغيرها . فليرض بما قسم له، أو من الميراث . جعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص مكتسباً له ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي لا تتمنوا ما لغيركم واسألوا الله مثله من خزائنه . وقرأ «ابن كثير» و«الكسائي» «وَسْأَلُوا»^(٤)

(١) رواه كل من العياشي ١: ٢٣٧ عن الباقر عليه السلام والطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٨ عن

النبي وابن عباس، وهي : الإشراف بالله، وقتل النفس، وقذف المحصنة، واكل مال اليتيم،

والربا، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين .

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٨ .

(٣) حجة القراءات : ١٩٩ .

(٤) حجة القراءات : ٢٠٠ .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فيلعم من يستحق التفضيل .

قيل : قالت ام سلمة : «يا رسول الله ، يغزوا الرجال ولا تغزوا ، وانما لنا نصف الميراث ، ليتنا رجالا» فنزلت .^(١)

[٣٣] - ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ ولكل ميّت جعلنا ورثاً لما ترك . الضمير لـ «كل» و«من» صلة «موالي» لأنه بمعنى الوارث والوالدان استئناف مبين لـ «موالي» ، أو لكل قوم جعلناهم موالي حفظ ممّا ترك الوالدان والاقربون على أن «جعلنا موالي» صفة «كل» والعائد اليه محذوف ، والجملة مبتدأ وخبر . ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدْتَ^(٢) أَيْمَانَكُمْ﴾ جمع يمين بمعنى اليد ، أو القسم ، أي الحلفاء الذين عاهدتموهم على النصر والإرث ، وهو مبتدأ ضمّن معنى الشرط ، وخبره ﴿فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ﴾ أو عطف على «الوالدان» وقوله : «فأتوهم نصيبهم» تأكيد للجملة المتقدمة والضمير لـ «موالي» .

وقرأ أهل الكوفة : «عقدت»^(٣) قيل : التورث بالتعاقد منسوخ^(٤) بقوله تعالى : ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ^(٥)﴾

وعند اصحابنا أنه باق عند عدم الوارث النسبي والسببي وهو المسمّى بضمان الجريرة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ مطلقاً .

[٣٤] - ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ﴾ قيمون مسلطون ﴿عَلَى النِّسَاءِ﴾ في السياسة والتدبير ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل

(١) تفسير مجمع البيان ٢ : ٤٠ .

(٢) وقد وردت الكلمة في المصحف الشريف بقراءة حفص : «عقدت» .

(٣) حجة القراءات : ٢٠١ .

(٤) تفسير مجمع البيان ٢ : ٤٢ وجوامع الجامع ١ : ٢٥٣ .

(٥) سورة الأنفال : ٨ / ٧٥ وسورة الاحزاب : ٦ / ٢٣ .

والعلم وحسن الرأي وغير ذلك ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ عليهن من المهر والنفقة .
 قيل : إن «سعد بن الربيع» من نقباء الأنصار نشزت عليه امرأته «حبيبة بنت زيد»
 فلطمها ، فانطلق بها ابوها الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فشكا . فقال صلى الله عليه وآله
 وسلم : «لتقتص منه» فنزلت ، فقال : «أردنا امرأ وأراد الله امرأ ، والذي أراد الله خيراً» .^(١)
 ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ مطيعات لله ولأزواجهن ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ لموجب الغيب
 أي يحفظن ما يجب حفظه في غيبة الأزواج من النفس والمال ، أو لأسرارهم ﴿بِمَا
 حَفِظَ اللَّهُ﴾ بحفظ الله إياهن بالتوفيق لحفظ الغيب ، أو بالذي حفظه الله لهن عليهن
 من المهر والنفقة ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم
 لظهور أسبابه ، أو أريد بالخوف العلم ﴿فِعْظُوهُنَّ﴾ فخوفوهن بالله ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي
 الْمَضَاجِعِ﴾ المراقد ، فلا تدخلوهن تحت اللحف أو لا تجامعهن ، أو ولوهن
 ظهوركم ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ ضرباً غير مبرح ولا مدم . والثلاثة مترتبة فيتدرج فيها ﴿فَإِنْ
 أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ الى التوبيخ والايذاء ، إذ التائب من الذنب كمن
 لا ذنب له ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ فاخذروه فإنه أقدر عليكم منكم عليهن ، أو : انه
 مع علو شأنه تعصونه ويقبل توبتكم ، فاقبلوا توبتهن .

[٣٥] - ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ﴾ خلاف ﴿بَيْنَهُمَا﴾ أصله شقاقاً بينهما ، فأضيف الى

الظرف اتساعاً ، والضمير للزوجين المدلول عليهما بذكر الرجال والنساء ﴿فَابْتَغُوا﴾
 أيها الحكام ﴿حَكَمًا﴾ رجلاً عدلاً صالحاً للحكومة والإصلاح ﴿مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ
 أَهْلِهَا﴾ إذ الأقارب أعرف بأحوالهما وبما يصلحهما .

والمشهور أن هذا على الأغلب ، فلو بعثا من الأجانب صحح . والأظهر أن بعثهما
 تحكيم لا توكيل ، فلا يشترط رضاهما إلا في التفريق ، وقيل : لا يشترط مطلقاً^(٢) ﴿إِنْ

(١) تفسير مجمع البيان ٢ : ٤٣ .

(٢) قاله مالك . كما في تفسير البيضاوي ٢ : ٨٦ .

يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّيهِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۖ الضميران للحكمين، أي: إن قصدا الإصلاح يوفق الله بينهما فتتفق كلمتهما ويحصل الغرض، أو للزوجين، أي: إن ارادا الإصلاح وزوال الشقاق أوقع الله بينهما الوفاق والألفة. والاول للحكمين، والثاني للزوجين، أي إن قصدا الإصلاح أوقع الله بحسن نيتهما الوفاق بين الزوجين ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿خَيْرًا﴾ بالبواطن كالظواهر.

[٣٦] — ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ غيره، أو شيئاً من الاشراك ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ واحسنوا بهما ﴿إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ القرابة ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ والجوار ذى القربى في الجوار، أو النسب أو الدين ﴿وَالْبَحَارِ الْجُنُبِ﴾ البعيد جواراً أو نسباً أو ديناً ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ﴾ الرفيق في سفر أو تعلم أو حرفة. وقيل: الزوجة^(١) ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المسافر أو الضيف ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أرقائكم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا﴾ متكبراً لا يلتفت الى أقاربه وجيرانه واصحابه ﴿فَخُورًا﴾ عليهم.

[٣٧] — ﴿الَّذِينَ يَخْلُونُ﴾ نصب بدلاً من «من كان» أو على الذم، أو رفع عليه، أو مبتدأ حذف خبره، تقديره: الذين يخلون بما وجب عليهم، أو بإظهار صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به. وفتح «حمزة» و«الكسائي» «الباء» و«الخاء»^(٢) ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ المال والعلم أحقاء بالعقوبة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ بذلك وغيره ﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾ لهم. نزلت في اليهود الذين كانوا يتنصّحون للأنصار، ويقولون: لا تنفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر، أو: الذين

(١) قاله عبدالله بن مسعود وابن ابي ليلى والنخعي كما في تفسير مجمع البيان ٤٦/٢ وفي تفسير

التيبان ٣: ١٩٤ ان القائل: عبدالله بن مسعود وعلي عليه السلام وابراهيم ابن ابي ليلى.

(٢) حجة القراءات: ٢٠٣.

كتموا صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .^(١)

[٣٨] - ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ عطف على «الذين يبخلون»، أو «الكافرين»، أو مبتدأ حذف خبره، ودل عليه «ومن يكن الشيطان» ﴿رِثَاءَ النَّاسِ﴾ مرثين، أو مرااة لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هم المنافقون أو مشركو مكة ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾ صاحباً، يتبع أمره كهؤلاء، أو هو وعيد لهم بأن يُقرن بهم في النار ﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾ هو.

[٣٩] - ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أي ضرر عليهم بالإيمان والإنفاق في سبيل الله. وهو توبيخ لهم؛ إذ كل [الـ] منفعة في ذلك وانما الضرر فيما هم عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ فيجازيهم بأعمالهم.

[٤٠] - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ﴾ لا ينقص من أجر ولا يزيد في عقاب ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ زنة نملة صغيرة، أو جزء من أجزاء الهباء، لغناه عن الظلم وعلمه بقبحه، فيستحيل عليه تعالى في الحكمة - لا في القدرة - ﴿وَإِنْ تَكُ﴾ وإن يك مثقال الذرة، وأنت الضمير لتأنيث الخبر، أو لإضافة المثقال إلى مؤنث ﴿حَسَنَةً﴾ ورفع «ابن كثير» على التامة^(٢) ﴿يُضَاعَفُهَا﴾ يضاعف ثوابها وقرأ «ابن كثير» و«ابن عامر»: «يضعفها»^(٣) ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ﴾ ويعط صاحبها من عنده تفضلاً مع المضاعفة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ عطاءً جزيلاً. وسمي «أجراً» لأنه تابع للأجر.

[٤١] - ﴿فَكَيْفَ﴾ حال هؤلاء الكفرة ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليها بعملها وهو نبيها ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ الكفرة أو الشهداء أي على تصديقهم ﴿شَهِيدًا﴾.

[٤٢] - ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ﴾ يتمنى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾

(١) تفسير التبيان ٣: ١٩٦.

(٢-٣) حجة القراءات: ٢٠٣.

أن لم يبعثوا، أو كانوا هم والأرض سواء، أو أن يدفنوا فتسوى بهم الأرض كالموتى ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ ولا يقدرون على كتمانهم لأن جوارحهم تشهد عليهم. وقيل: الواو للحال، أي: يودّون أن يدفنون تحت الأرض، وأنهم لا يكتُمون الله حديثاً، ولا يقولون: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾^(١) لأنهم إذا قالوا ذلك ختم على أفواههم، فتشهد عليهم جوارحهم، فيشتد الأمر عليهم، فيتمنون لو تسوى بهم الأرض. وقرأ «نافع» وابن عامر: «تسوى» على أنه تسوى، أذغم التاء في السين، وحذف «حمزة» والكسائي التاء الثانية.^(٢)

[٤٣] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ أي مواضعها، وهي المساجد، أو لا تصلّوا ﴿وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ من النعاس أو الخمر. والخطاب لهم قبل زوال عقولهم ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ في الصلاة بأن تصحّوا.

نقل: أن عبد الرحمن بن عوف ونفر من الصحابة شربوا خمرًا قبل نزول تحريمها، فصلّوا سكارى، وقرأ إمامهم: «أعبد ما تعبدون» فنزلت.^(٣) ويشعر أنه ينبغي للمصلي أن يعلم ما يقوله في الصلاة ويلاحظ معانيه ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ عطف على «وأنتم سكارى» إذ محله النصب على الحال.

والجنب يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ استثناء من عامة الأحوال، أي لا تدخلوا المساجد جنباً في عامة الأحوال إلا حال اجتيازكم فيها من باب إلى باب وهو مقيد بما عدى المسجدين، لمنع الجواز فيهما بأخبار أهل البيت عليهم السلام.

أو لا تصلّوا جنباً في حال إلا مسافرين، إذا لم تجدوا ماءً فيرخص لكم الصلاة

(١) سورة الانعام: ٢٣/٦.

(٢) حجة القراءات: ٢٠٣.

(٣) تفسير البيضاوي ٢: ٨٨.

بالتيمم وإن لم يرفع الجنابة ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ غاية النهي عن القربان حال الجنابة ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ مرضاً يضره الماء أو يعجز عن تناوله ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ تفقدونه فيه . خص أولاً بالرخصة في التيمم المرضى والمسافرين جنباً أو محدثين ، لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر أسباب الرخصة .

ثم عمّ كل من وجب عليه طهارة وفقد الماء من هؤلاء وغيرهم بقوله : ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ هو المنخفض من الأرض ، كني به عن الحدث بخروج الخارج من أحد السيلين لأنه يقصد له . وقيل «أو» بمعنى الواو ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ وقرأ «حمزة» و«الكسائي» : «لمستم» ^(١) وهما بمعنى جامعتموهن ، عن أئمتنا عليهم السلام ، وعليه أصحابنا وأبو حنيفة . ^(٢) وقيل : ماستموهن بالبشرة ، وبه احتج الشافعي لنقض المس للوضوء ، ^(٣) ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ لعدمه ، أو لضرره إذ واجده كفاقده ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ فاقصدوا شيئاً من وجه الأرض طاهراً مباحاً ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾ أي بعضها ، إذ الباء للتبعيض بنص الباقر عليه السلام وهو الجبهة والجبينان إلى طرف الأنف الأعلى للنص ^(٤) ﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾ ظهورها من الزند إلى أطراف الأصابع ، للنص .

ومنا من أوجب استيعاب الوجه واليدين إلى المرفقين كأكثر العامة لأخبار توهم ذلك ^(٥) ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ فلذلك خفف عنكم ورتخص لكم .

[٤٤] - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ من رؤية القلب . عدي بـ«إلى» بتضمين معنى : «ألم يتته

(١) حجة القراءات : ٢٠٤ .

(٢) تفسير التبيان ٣ : ٢٠٥ .

(٣) تفسير اليباوي ٢ : ٨٩ .

(٤) تفسير البرهان ١ : ٤٥١ الحديث ٦ و ١٦ .

(٥) تفسير البرهان ١ : ٣٧١ الحديث ٧ و ١٥ .

علمك ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ حظاً من علم التوراة وهم أحبار اليهود ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ﴾ يستبدلونها بالهدى بإنكار نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ تخطئوا طريق الحق كما أخطأوه .

[٤٥] - ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِأَعْدَائِكُمْ﴾ وقد أخبركم بهم فاحذروهم ﴿وَكَفَى﴾ بالله ولياً ﴿يُلي أمركم﴾ ﴿وَكَفَى﴾ بالله نصيراً ﴿يعينكم﴾ فافتفوا به عن غيره، وزيدت الباء للتأكيد .

[٤٦] - ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ بيان لـ «الذين أوتوا» وما بيهما اعتراض، أو لأعدائكم، أو صلة لـ «نصيراً»، أو خبر محذوف، أي منهم قوم ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ يميلونه ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله فيها بتبديله بغيره، أو بتأويله على ما يشتهون ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَاسْمَعْ﴾ منا ﴿غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ حال تضمن الدعاء، أي لا سمعت، أو اسمع غير مجاب لك ﴿وَرَاعِنَا﴾ انظرنا، يريدون به السب أو السخرية ﴿لَيَا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ فتلاً بها وتحريفاً بالحق إلى الباطل بوضعهم «راعنا» مكان «انظرنا» و«غير مسمع» مكان «لا سمعت مكروهاً» أو يفتلون بها ما يضمرون من التحقير إلى ما يظهرونه من التوقير ﴿وَطَعْنَا﴾: عيباً ﴿فِي الَّذِينَ﴾: الإسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَانْظُرْنَا﴾ ولو حصل قولهم هذا بدل ما قالوه ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ مما قالوه ﴿وَأَقْوَمَ﴾ وأعدل منه ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أبعدهم عن رحمته بسبب كفرهم ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم كلبن سلام واصحابه، أو إلا إيماناً قليلاً ضعيفاً لا إخلاص فيه .^(١)

[٤٧] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَنْطَلِسَ وَجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ نمحو ما فيها من عين وأنف وحاجب، فنجعلها على هيئة أدبارها، وهي الأقفية أو ننكسها إلى خلف

(١) تفسير مجمع البيان ٥٥: ٢ .

﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ نخزيهم بالمسخ، والضمير لأصحاب الوجوه، أو لـ«الذين» على الالتفات ﴿كَمَا لَعْنَا﴾ أخزينا ﴿أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ وهذا وعيد مشروط بعدم إيمانهم، فلما آمن بعضهم رفع.

أو: يقع في الآخرة، أو: منتظر يقع قبل يوم القيامة، أو أريد باللعن متعارفه، وقد لعنوا بكل لسان ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بكون شيء أو وعيده أو قضاؤه ﴿مَفْعُولًا﴾ كإثناً فلا بد أن يقع ما اوعدوا به إن لم يؤمنوا.

[٤٨] - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ﴾ أي الشرك ﴿بِهِ﴾ بدون توبة؛ للإجماع على غفرانه بها ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ ما سوى الشرك من المعاصي بدون توبة ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ تفضلاً، ومقتضاه الوقوف بين الخوف والرجاء، فلا إغراء فيه.

وتقييد المعتزلة آياه بالتوبة لاحجة له، وتخصيصه بالعمومات الوعيدية ليس أولى من العكس بل الأولوية للعكس، وإلا لساوى الشرك في الحكم، فيلغو التقسيم اليهما، وأن هذا يغفر وذاك لا يغفر، والتعليق بالمشيئة لا يجابهم الغفران بالتوبة - حاشا كلامه تعالى - ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ارتكبه، ^(١) والإفتراء يقال للقول والفعل كالإختلاق.

[٤٩] - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ هم أهل الكتاب، قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾، ^(٢) ﴿وَلَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ ^(٣) ويعم كل من زكى نفسه ومدحها ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ فتزكيته هي المعتد بها دون تزكية غيره لعلمه بمن هو أهل التزكية، وقد ذمهم وزكى من ارتضاه من المؤمنين.

(١) هنا في هامش «الف» - بخط يغاير خط المتن - مايلي: يقول ارتكبه على انه اثماً مفعول به لامفعول مطلق كما قال الطبرسي (ع - ق).

(٢) سورة المائدة: ١٨/٥.

(٣) سورة البقرة: ١١١/٢.

والتزكية : التطهير والوصف به ، وأصلها نفي المستقبح ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ بعقابهم على تزكية أنفسهم ﴿فَتِيلاً﴾ قدر ما في شق النواة .

[٥٠] - ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في زعمهم أنهم ازكياء عنده ﴿وَكَفَى بِهِ﴾ بزعمهم هذا ﴿إِنَّمَا مُبِينًا﴾ بيناً .

[٥١] - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ صنمان لقريش ، أو كل ما عبد من دون الله .

نزلت في «حبي» و«كعب» خرجا في جمع من اليهود الى مكة يحالفون قريشاً على محاربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالوا : «انتم أقرب الى محمد منكم الينا ، فلا نأمن مكركم ، فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم» ففعلوا^(١) ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي فيهم ﴿هَؤُلَاءِ﴾ اشارة اليهم ﴿أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلاً﴾ أرشد طريقاً .

[٥٢] - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْسَعِنْ اللَّهَ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾ دافعاً عنه العذاب .

[٥٣] - ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ﴾ «أم» منقطعة ، والهمزة للإنكار ، أي ليس لهم حظ منه ، ولو كان ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ قدر النقرة في ظهر النواة لفرط بخلهم ، و«إذا» بعد الواو والفاء يجوز اعمالها والغاؤها ولذلك قرئ «لا يؤتوا» بالنصب .

[٥٤] - ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ بل أيعسدون الرسول وأهل بيته صلوات الله عليهم ﴿عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من النبوة والإمامة .

وعن الصادق عليه السلام : «نحن المحسودون الذين قال الله : «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ . . . الآية»^(٢) ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وآله

(١) جوامع الجامع ١ : ٢٦٢ وتفسير البضاوي ٢ : ٩٣ .

(٢) تفسير البرهان ١ : ٣٧٨ الحديث ٢٢ .

وَسَلَّمَ ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ النُّبُوَّةَ وَالْعِلْمَ ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ افتراض الطاعة، أو ملك «يوسف» و«داود» و«سليمان» فليس يبدع ان يؤتى محمد وآله عليهم السلام مثل ما اوتوا.

[٥٥] - ﴿فَمِنْهُمْ﴾ فمن اليهود ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ﴾ أعرض ﴿عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به، أو: فمن أمة ابراهيم من آمن به، ومنهم من كفر، فلم يؤمن ذلك أمره، فكذا كفر هؤلاء لا يؤمن أمرك ﴿وَوَكَّفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ ناراً موقدة يعذبون بها، أي: إن لم يعجل عقابهم فقد كفاهم ما أعد لهم من النار.

[٥٦] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ يخلقها^(١) مكانها.

ومدرك العذاب النفس العاصية لا الجلد، وإنما هو آلة لإدراكها، أو بإعادتها بنفسها على صورة أخرى كتبديل الخاتم خاتماً، أو بإذهاب اثر الإحراق عنها ليعود اثر الإحساس بها^(٢) ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أي ليدوم احساسهم به ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في تعذيب من يعذبه.

[٥٧] - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من كل دنس وقذر ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ كثيفاً لا حر فيه ولا برد، ودائماً لا تنسخه الشمس. وصف اشتق من الظل لتأكيد كـ «ليل الليل».

[٥٨] - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ يعم كل مكلف، وكل أمانة إئتمنها الله من أوامره ونواهيه.

(١) في «الف»: يخلقها.

(٢) في «الف»: ليعود اجسامها، وفي «د»: ليعود احساسها.

أو العباد بعضهم بعضاً. ومن ذلك ما روى عن أهل البيت عليهم السلام: «أنه أمر لكل واحد من الأئمة أن يسلم الأمر الى من بعده»^(١).

وقيل: أمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم برّد مفتاح الكعبة الى «عثمان بن طلحة» حين قبضه منه يوم الفتح.^(٢) والسبب الخاص لا يخصص «وَإِذَا حَكَمْتُمْ» أي ويأمركم ايها الولاة إذا قضيتم «بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ» بالنصفة والسوية «إِنَّ اللَّهَ يَعْظُمُكُمْ بِهِ» «ما» موصوفة منصوبة، أو موصولة مرفوعة، والمخصوص محذوف، أي نعم شيئاً، أو الشيء الذي يعظكم به الأداء والعدل «إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا» لأقوالكم «بَصِيرًا» بأفعالكم.

[٥٩] - «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» هم الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ لا يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق، كما أوجب طاعته وطاعة رسوله إلا من أيد بالعصمة، وكان أفضل ممن أمر بطاعته على الإطلاق، ولا أحد بهذا الوصف إلا أئمة الهدى الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً صلوات الله عليهم «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ» من أمور الدين «فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» فارجعوا فيه الى الكتاب والسنة بسؤال من جعل القيم عليهما. واستودع علمهما، وهو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حياته، وبعده عترته الأوصياء الحافظون لشريعته، الذين أوجب التمسك بهم بعده بقوله:

«إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٣) فإن الكتاب والسنة

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٦٣.

(٢) قاله ابن جريج - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٦٣.

(٣) هو حديث الثقلين، وقد رواه العامة والخاصة. علماً أنّ المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام بصدد نهضة موسوعة تجمع كلّ ما يتعلّق بهذا الحديث الشريف، نأمل من الله تعالى التوفيق لانجازها بأحسن الوجوه، إنّه وليّ قدير.

لا يرفعان نزاعاً بدون قِيم، كيف وكل فرقة من الثلاثة والسبعين تحتج بهما لمذهبا
﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فَإِنَّ مِنْ أَبِي ذَلِكَ لَا إِيْمَانُ لَهُ ﴿ذَلِكَ﴾ أي الرد
﴿خَيْرٌ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي والتشهي ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً.

أو احسن تأويلاً من تأويلكم بلا رد.

[٦٠] - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ خاصم منافق يهودياً فدعاه اليهودي الى النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ليحكم بينهما، ودعاه المنافق الى كعب بن الأشرف، فنزلت.

فالطاغوت «كعب» وكل من يحكم بغير الحق سمي بذلك لفرط طغيانه،
أو لتشبيهه بالشیطان، أو لأن التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان لقوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ
يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

[٦١] - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ في القرآن من الحكم ﴿وَأِلَى
الرَّسُولِ﴾ ليحكم به ^(١) ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ﴾ حال. أي: يعرضون ﴿عَنْكَ﴾ الى
غيرك ﴿صُدُّودًا﴾.

[٦٢] - ﴿فَكَتِفَ﴾ يصنعون ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾
من النفاق والصد عنك ﴿ثُمَّ جَاؤُكَ﴾ بعد ذلك عطف على «أصابتهم» أو «يصدون»
وما بينهما اعتراض ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ حال ﴿إِنْ أَرَدْنَا﴾ ما اردنا بالتحاكم الى غيرك
﴿إِلَّا إِحْسَانًا﴾ تخفيفاً عنك أو صلحاً بين الخصمين دون الحكم الموروث للضغائن
﴿وَتَوْفِيقًا﴾ تأليفاً بينهما بالتوسط دون الحمل على مَرَّ الحق، ولم نرد مخالفتك.

[٦٣] - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾
لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ﴿وَعِظْهُمْ﴾ بلسانك ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ في
شأنها، أو خالياً بهم، إذ النصح سرّاً أنجع ﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾ بالغاً منهم مؤثراً فيهم، وهو

(١) في «د»: ليحكم بينهم.

التوعد بالقتل .

[٦٤] - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ في أمره وحكمه ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بسبب اذنه بطاعته ، وأمره المرسل اليهم بأن يطيعوه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بنفاقهم وتحاكمهم الى الطاغوت ﴿جَاءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ من ذلك يا خلاص ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ واعتذروا اليك حتى صرت شفيعاً لهم .
وعدل عن الخطاب تفخيماً لشأنه صلى الله عليه وآله وسلم .

وعن أهل البيت عليهم السلام : أن الخطاب لعلي عليه السلام ^(١) ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا﴾ لعلموه قابلاً لتوبتهم ﴿رَحِيمًا﴾ بهم .

[٦٥] - ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ «لا» زائدة لتأكيد القسم ، أي : فوربك ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾ اختلف واختلط ﴿بَيْنَهُمْ﴾ من الشجر؛ لتداخل أغصانه ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾ ضيقاً أو شكاً من حكمك ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وينقادوا لك انقياداً في الظاهر والباطن .

[٦٦] - ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا﴾ أوجبنا ﴿عَلَيْهِمْ أَنْ﴾ مصدرية أو مفسرة ﴿اقتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أو اخرجوا من دياركم ﴿كما أو جبنا على بني اسرائيل قتل انفسهم وخروجهم الى التيه . وكسر «أبو عمرو» نون «ان اقتلوا وضم واو «أو اخرجوا» وكسرهما «عاصم» و«حمزة» وضمهما الباقون ^(٢) ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ أي المكتوب عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ وهو المخلصون . رفع على البدل ، ونصبه «ابن عامر» على الإستثناء ، ^(٣) أو على إلا فعلاً قليلاً ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من طاعة الرسول والإنقياد له ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ أجلاً وعاجلاً ﴿وَأَشَدَّ تَثِيئًا﴾ لإيمانهم .

(١) تفسير نور الثقلين ١: ٥١٠ عن تفسير القمي والمناقب لابن شهر آشوب ٣: ٤٠٠ .

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٦٩ .

(٣) حجة القراءات: ٢٠٦ .

قيل : نزلت الآية والتي قبلها في شأن المنافق واليهودي .^(١)

وقيل : في حاطب ابن أبي بلتعة ، خاصم الزبير في شراج من الحرة ،^(٢) كان يسقيان بها النخل ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « اسق يا زبير ، ثم ارسل الماء الى جارك » فقال حاطب : « لأن كان ابن عمك . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقه ، ثم ارسل الى جارك » .^(٣)

[٦٧] - ﴿وَإِذَا﴾ جواب سؤال مقدر ، كأنه قيل : وما يكون لهم بعد التثبيت ؟ فقيل : وإذا لو ثبتوا ﴿لَأَتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لأن « اذن » جواب وجزاء .
[٦٨] - ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ ولطفنا بهم ووفقناهم للثبات على طريق الحق .

[٦٩] - ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ بيان لـ «الذين» ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ الصادقين في القول والعمل ، المصدقين بما جاءت به الرسل ﴿وَالشَّهَدَاءِ﴾ المقتولين في سبيل الله ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ الملازمين للصلاح غير من ذكر ﴿وَحَسَنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ فيه معنى التعجب ، و«رفيقاً» تمييز أو حال ، يقال للواحد والجمع ، كالصديق ؛ فلذلك لم يجمع .
أو أريد «وحسن كل واحد منهم رفيقاً» .

قال الصادق عليه السلام لأبي بصير : «يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه ثم تلا الآية ، وقال : فالنبي : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ونحن الصديقون والشهداء ، وأنتم الصالحون فاتسموا بالصلاح كما سماكم الله » .^(٤)

(١) تفسير البيضاوي ٢: ٩٨ .

(٢) الشراج : جمع شرج ، وهو : مسيل الماء من الحرة الى السهل .

(٣) جوامع الجامع ١: ٢٦٧ .

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٧٢ .

قيل : قالت الصحابة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : ينبغي لنا ألا نفارقك ، فإننا لانراك إلا في الدنيا ، واما في الآخرة فإنك ترفع فوقنا بفضلك ، فنزلت .^(١)
وقيل : في «ثوبان» مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال له نحو قولهم .^(٢)
[٧٠] - ﴿ذَلِكَ﴾ أي كونهم مع المنعم عليهم مبتدأ ﴿الْفَضْلُ﴾ خبره ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ حال ، أو هو الخبر و«الفضل» صفة ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَليْمًا﴾ بجزاء المستطيعين وتوفير الحظ فيه .

[٧١] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ تيقظوا واحترزوا من عدوكم .
والحذر : الحذر ، كالإثر والأثر ، أو ما يحذر به كالسلاح ﴿فَأَنْفِرُوا﴾ فاخرجوا الى الجهاد ﴿ثُبَاتٍ﴾ : جماعات متفرقة ، سرية ، سرية ، جمع «ثبة» وتجمع أيضاً على ثبين ﴿وَأَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين .
[٧٢] - ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ﴾ أي من عسكريهم أيها المؤمنون ﴿لَمَنْ﴾ اللام للإبتاء ، دخلت على اسم «ان» للتأكيد ﴿لِيَبْطِئَنَّ﴾ ليتأخرن ويتأخرن عن الجهاد ، وهم المنافقون من «بطأ» بمعنى «أبطأ» لازم ، أو لِيَبْطِئَنَّ غيره كما ثبت ابن أبي ناساً يوم أحد من «بطأ» المتعدي بالتضعيف ، واللام جواب قسم محذوف ، تقديره : «وان منكم لمن أقسم بالله لِيَبْطِئَنَّ» ﴿فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ كقتل أو هزيمة ﴿قَالَ﴾ المبطىء ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ حاضراً فأصاب .

[٧٣] - ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾ كفتح وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ متحسراً ﴿كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ حال من القائل ، أو اعتراض بين القول ومقوله وهو : ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ للإيذان بأن قوله هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه ، وإنما اراد الكون معكم للمال لا للقتال و«كأن» مخففة ، واسمها ضمير شأن

(١) قاله قتادة ومسروق بن الأجدع - كما في تفسير مجمع البيان ٢ : ٧٢ .

(٢) قاله الكلبي - كما في تفسير روح البيان ٥ : ٦٨ .

مقدّر. وقرأ «ابن كثير» و«حفص»: «تكن» بالياء^(١) والمنادى في «يا ليتني» محذوف، أي يا قوم ليتني.

وقيل: «يا» للتنبيه على الاتساع، ونصب «فأفوز» على جواب التمني.

[٧٤] - ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ يبيعون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ أي: إن صدّ المنافقون عن القتال، فليقاتل المخلصون المختارون للآخرة على الدنيا ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ﴾ فيستشهد ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ يظفر بالعدو ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وعد المجاهد الثواب الجزيل، غلب أو غلب، حثاً على الجهاد في إعزاز الدين، ورداً لقولهم: ﴿قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً﴾.^(٢)

[٧٥] - ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ مبتدأ وخبر ﴿لَا تُقَاتِلُونَ﴾ حال عاملها معنى الفعل في الظرف ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ عطف على اسم «الله»، أي وفي سبيل المستضعفين وهو خلاصهم من أيدي المشركين، أو على «السبيل» بحذف مضاف أي وفي خلاص المستضعفين ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ بيان للمستضعفين، وهم المسلمون الذين لم يستطيعوا الهجرة وبقوا بمكة مستذلين، يلقون الأذى من أهلها.

وذكر «الولدان» مبالغة في الحث وإيذاناً بتناهي ظلم الكفرة حتى آذوا الصبيان ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ داعين ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ مكة ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ صفتها وذكر لتذكير فاعله ﴿وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ يلي أمرنا ﴿وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ يعيننا عليهم، فاستجاب الله دعاءهم، فيسرّ لبعضهم الخروج،

(١) حجة القراءات: ٢٠٨، وقال الشيخ الطوسي في تفسير التبيان ٣: ٢٥٦: قرأ أبو جعفر المدني وحفص ورويس والبرجمي: «كان لم تكن» بالياء، لأن لفظة المودة مؤنثة، ومن قرأ بالياء فلأن التانيث ليس بحقيقي، ومع ذلك فقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل.

(٢) مرّ آنفاً في الآية/ ٧٢.

وجعل - لمن بقي - نبيه صلى الله عليه وآله ولياً وناصراً حين فتح مكة واستعمل عليها
«عتاب ابن أسيد» فتولاهم ونصرهم ، فكانوا أعز أهلها .

[٧٦] - ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في طاعته الموصلة الى رضوانه
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ في طاعة الشيطان ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ
الشَّيْطَانِ﴾ اتباعه ، ينصركم الله عليهم ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ للمؤمنين ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾
في جنب كيد الله للكافرين ، وفيه تشجيع للمؤمنين .

[٧٧] - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ﴾ قلت لهم في مكة قبل الهجرة : ﴿كُفُّوا
أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قتال الكفرة حين طلبوه لإيذائهم لهم ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾
واشتغلوا بما فرض عليكم ^(١) ﴿فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ في المدينة ﴿إِذَا﴾
للمفاجأة جواب «لما» ﴿فَرِيقٌ﴾ مبتدأ ﴿مِنْهُمْ﴾ صفته ، والخبر ﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾
الكفار أن يقتلوهم ﴿كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾ كما يخشون الله أن ينزل عليهم بأسه . من اضافة
المصدر الى المفعول ، حال من الواو ﴿أَوْ أَشَدَّ﴾ عطف عليه ﴿خَشْيَةً﴾ تمييز ، أي
يخشون الناس مشبهين لأهل خشية الله ، أو حال كونهم أشد خشية من
أهل خشية الله .

وانما لم يقدر «يخشون خشية مثل خشية الله» ليكون صفة للمصدر ، لأن «أشد»
عطف عليه ولا يجوز فيه سوى الحال ، إذ لو كان مصدراً لجر ما بعده حتى يكون
المفضل من جنس المفضل عليه ، فنصب ما بعده أوجب ألا يكون من جنسه ، فلا
يكون مصدراً ﴿وَقَالُوا﴾ خوفاً من الموت ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا﴾ هلاً
﴿أَخْرَجْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ استزادة في مد الكف عن القتال ﴿قُلْ﴾ لهم : ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا
قَلِيلٌ﴾ نافذ ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ أي ثوابها الباقي ﴿خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ الله ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾
لاتنقصون من أجوركم أدنى شيء ، وقرأ «ابن كثير» و«حمزة» و«الكسائي» :

(١) في «د» : بما فرض الله عليكم .

يظلمون» بالياء^(١) لسبق الغيبة .

[٧٨] - ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ﴾ يلحقكم ويحل بكم ﴿الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ في قصور أو حصون مرفعة أو مجصصة، فلا ينجيكم منه ترك القتال ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ﴾ أي اليهود أو المنافقين ﴿حَسَنَةٌ﴾ نعمة كالخصب ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ بليّة كالجدب ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ بشؤمك يا محمد ﴿قُلْ﴾ لهم : ﴿كُلُّ﴾ من النعمة والبليّة ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ صادر عن حكمته حسب المصالح ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ لا يقاربون أن يفهموا قولاً، فيعلمون أن الباسط والقابض هو الله .

[٧٩] - ﴿مَا أَصَابَكَ﴾ يا انسان ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ من نعمة ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ تفضلاً منه وامتحاناً ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ من بليّة ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ لأنك السبب فيها لارتكابك الذنوب الجالبة لها ، ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ حال مؤكدة ﴿وَوَكَّفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على ارسالك .

[٨٠] - ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ لأنه إنما يأمر بما أمره الله به ، وينهى عما نهى الله عنه ﴿وَمَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض عن طاعته ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ تحفظ أعمالهم بل نذيراً ، وعلينا حسابهم .

[٨١] - ﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا أمرتهم بشيء ﴿طَاعَةٌ﴾ أي شأننا طاعة ﴿فَإِذَا بَرَأُوا﴾ خرجوا ﴿مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ أضمرت خلاف ما قالت لك وأظهرت من الطاعة ، أو ما قلت وأمرت به .

والتبييت من البيتوتة ؛ لأنه يدبر ليلاً ، أو من بيت الشعر لأن الشاعر يدبره ، وأدغم «أبو عمرو» و«حمزة» : «بَيَّتَ طَائِفَةٌ»^(٢) ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُيْسُونَ﴾ يشبهه في

(٢) حجة القراءات : ٢٠٨ .

(١) تفسير مجمع البيان ٢ : ٨٠ .

صحائفهم فيجازيهم عليه ، أو في جملة ما يوحى اليك لتطلع على سرهم ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بالصَّفْحِ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثِقْ بِهِ ، ^(١) يكفك أمرهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ حافظاً لما فوض اليه .

[٨٢] - ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ يتأملون معانيه . وأصل التدبّر: النظر في أدبار الأمور ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ﴾ كما زعموا انه قول البشر ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ من تناقض معانيه وتفاوت نظمه بشهادة الإستقراء لقصور القوة البشرية .

[٨٣] - ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ﴾ إذا بلغ المنافقين ، أو: ضعاف المسلمين عن سرايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم خبر مما يوجب الأمن كالنصر ، أو الخوف كالهزيمة ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ أفشوه وكانت اذاعتهم مفسدة و«الباء» زائدة أو لتضمين «اذاعوا» معنى تحدثوا ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أي الخبر ﴿إِلَى الرَّسُولِ﴾ الى رأيه ﴿وَأِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ الائمة المعصومين عليهم السلام .

وقيل أمراء السرايا ^(٢) أي لو سكتوا حتى يظهر لهم ﴿لَعَلِمَهُ﴾ لعلم تدبيره ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ يستخرجون تدبيره بأفكارهم .

وقيل : كانوا يسمعون أراجيف المنافقين فيذيعونها فتكون مفسدة ، ولو ردّوه الى الرسول ، وإلى أُولِي الْأَمْرِ منهم لعلمه أيذاغ أم لا ، الذين يطلبون علمه وهم المذيعون منهم ، أي من جهة الرسول وأُولِي الْأَمْرِ .

والاستنباط : إخراج النبط ، وهو: الماء يخرج من البشر ، أول ما يحفر ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بالإسلام والقرآن ، أو: النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ عليه السلام ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ بالكفر ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منكم ، اهتدوا بعقل راجع الى الحق كـ«قس بن ساعدة» وامثاله ، أو إلا اتباعاً قليلاً .

(١) في «ط» : توثق به .

(٢) قاله السدي وابن زيد وابوعلى - كما في تفسير مجمع البيان ٨٢: ٢ وتفسير التبيان ٢٧٣: ٢ -

[٨٤] - ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ولو وحدك ﴿لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ إِلَّا فعل

نفسك ولا يهملك تقاعدهم عن الجهاد معك فإن الله ناصرك لا الجنود.

قيل: دعا صلى الله عليه وآله وسلم الناس في بدر الصغرى الى الخروج لوعده «أبي

سفيان» فكرهه بعضهم، فنزلت، فخرج في سبعين ولو لم يخرجوا لخرج وحده

^(١) ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حَثَّهُمْ ﴿عَلَى الْقِتَالِ﴾ ما عليك في شأنهم إِلَّا التحريض

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يمنع حربهم وقد فعل بإلقاء الرعب في

قلوبهم فلم يخرجوا ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ منهم ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ تعذيباً منهم.

[٨٥] - ﴿مَنْ يَشْفَعْ لِلنَّاسِ﴾ شَفَاعَةً حَسَنَةً ﴿تَوَافَقَ الشَّرْعُ﴾ يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ

مِنْهَا ﴿بِسَبِّهَا﴾ وهو أجرها ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ تخالفه ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ﴾ نصيب

وكانه مختص بالشر ﴿مِنْهَا﴾ بسببها، وهو وزرها ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْبِتًا﴾

مقتدرًا، أو حفيظًا من القوت لحفظه النفس.

[٨٦] - ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾ وهي السلام المتعارف شرعاً، لا الجاهلي ﴿فَحَيُّوا

بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رَدُّوْهَا﴾ أوجب الرد إما بأحسن منها، وهو أن يزيد «ورحمة الله» فإن

قالها المسلم، زاد «وبركاته» وهي النهاية. ووجوبه كفائي.

وظاهر الإطلاق وجوبه في الخطبة وقراءة القرآن، والحمام، والخلاء، وعدم

مشروعية السلام في هذه ممنوع، ولو سلم فعدم وجوب الرد ممنوع.

قيل: الرد بالأحسن للمسلمين، وبالمثل لأهل الكتاب^(٢) والظاهر أن كليهما

للمسلمين، وأما أهل الكتاب فيقال لهم: «وعليكم» لأنهم ربما قالوا: السَّام، أي:

الموت، ويحتمل عدم وجوب الرد لهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من تحية

وغيرها ﴿حَسِيرًا﴾ محاسباً.

(١) قاله الكلبي كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٨٣.

(٢) قاله قتادة وابن عباس ووهب - كما في تفسير التبيان ٣: ٣٧٨.

[٨٧] - ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبره، أو إعتراض والخبر: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾

أي الله، والله ليجمعنكم أي يفضين بكم جميعاً ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ أو ليحشرنكم فيه والقيامة: قيامهم من قبورهم أو للحساب ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في اليوم أو الجمع ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ﴾ انكار، أي: لا أحد أصدق منه ﴿حَدِيثًا﴾ تمييز.

[٨٨] - ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ تفرقتم ﴿فِي الْمُنَافِقِينَ﴾ في شأنهم ﴿فَتَتَّبِعِنَا﴾ فرقتين، ولم

تجتمعوا على كفرهم. وهو حال، عاملها: «مالك» ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ﴾ ردهم الى حكم الكفر، أو خذلهم حتى ارتكسوا فيه ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من الكفر وهم قوم قدموا من «مكة» وأظهروا الإسلام ثم رجعوا وأظهروا الشرك، ثم سافروا الى اليمامة، فاختلف المسلمون في اسلامهم.

وقيل: هم المتخلفون يوم أحد^(١) ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْذُوا﴾ تعدوا من جملة المهتدين

﴿مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ من حكم الله بضلاله، أو خذله لخبث نيته حتى ضلَّ ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ﴾ يحكم بضلاله أو يخذله ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ حجة أو محجة تنجيه.

[٨٩] - ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا﴾ تمنوا أن تكفروا ككفرهم ﴿فَتَكُونُونَ﴾ انتم

وهم، عطف على «تكفرون» ﴿سَوَاءٌ﴾ في الكفر ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ فلا توالوهم وان اظهروا الإيمان ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هجرة صحيحة تحقق ايمانهم في طاعة الله ودينه لا في غرض دنيوي ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان والهجرة ﴿فَعُذُّوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ في الحل والحرام كسائر الكفرة ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ وان بذلوا لكم الولاية والنصرة.

[٩٠] - ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ أي فخذوهم واقتلوهم إلا الذين يلجئون ﴿إِلَى قَوْمٍ

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد، والقوم هم المسلمون فإنه صلى الله عليه وآله وسلم وادع «هلال

(١) قاله زيد بن ثابت - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٨٦.

بن غويمر الأسلمي^(١) على ألا يعينه ولا يعين عليه، ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ما له ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ﴾ عطف على الصلة، أي: أو الذين جاءوكم ممسكين عن قتالكم وقتال قومهم.

أو: على صفة قوم، والتقدير: إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين، أو قوم كافين عن الحرب لكم وعليكم. ويعضد الأول «فإن اعتزلوكم» ﴿حَصِرَتْ﴾ حال بإضمار «قد» أي ضاقت ﴿صُدُّوهُمْ﴾ عن ﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ أو كراهة أن يقاتلوكم مع قومهم ﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ معكم وهم بنو مدلج،^(٢) أتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير مقاتلين. وهذا وما بعده نسخ بآية السيف^(٣) ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بتقوية قلوبهم ﴿فَلَقَاتِلُوكُمْ﴾ ولكنه لم يشأ فخذف في قلوبهم الرعب ﴿فَإِنْ اغْتَرَزُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ فإن كفوا عنكم ﴿وَالْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ الإستسلام أي انقادوا لكم ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ بأخذ وقتل.

[٩١] - ﴿سَتَجِدُونََ الْآخِرِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يُأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ هم ناس أتوا المدينة وأظهروا الإسلام ليأمنوا المسلمين، فلما رجعوا كفروا ﴿كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ دعوا إلى الشرك ﴿أَزْكُسُوا﴾ انتكسوا ﴿فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَغْتَرِزْ لَكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ ولم يستسلموا لكم ﴿وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ﴾ عن قتالكم ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ صادفتموهم ﴿وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ حجة بيّنة على قتلهم ومسيبهم لوضوح عدواتهم وكفرهم، أو تسلطاً ظاهراً بالإذن لكم في قتلهم.

[٩٢] - ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ وما صح، أو وما جاز له ﴿أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ بغير حق

(١) كذا في تفسير مجمع البيان وجوامع الجامع وتفسير الكشاف وتفسير البضاوي، ولكن في النسخ التي بأيدينا: هلال بن عويم الأسلمي.

(٢) في «ج»: بنو مدحج.

(٣) وهي الآية الخامسة من سورة التوبة.

في حال من الأحوال ، أو لعله من العلل ﴿إِلَّا خَطَأً﴾ إِلَّا مَخْطَأً ، أو إِلَّا لِلخَطَأِ ، أو إِلَّا قَتْلًا خَطَأً^(١) أو أريد به النهي ، والإستثناء منقطع ، أي : لا يقتله لكن قتله خطأ جزاؤه ما يذكر . والخطئان : أن لا يقصد بفعله قتله . نزلت في «عياش ابن ابي ربيعة» أخي «أبي جهل» لأمه ، قتل «حارث بن زيد» ولم يعلم بإسلامه ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي فعله أو فالواجب في ماله اعتاق نسمة ﴿مُؤْمِنَةٍ﴾ مسلمة ولو حكماً ، فتجزئ الصغيرة في الأظهر ﴿وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ مؤداة من العاقلة الى ورثته ﴿إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾ يتصدقوا عليهم بالدية بأن يعفوا عنها . استثناء من وجوب التسليم ، أي يجب تسليمها إليهم إِلَّا حال تصدقهم أو زمانه ، فهو حال أو ظرف ﴿فَإِنْ كَانَ الْقَتِيلُ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ﴾ محاربين ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ ولم يعلم قاتله إيمانه ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ فعلى قاتله الكفارة ، ولادية لأهله ، لأنهم [أهل]^(٢) حرب ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد ﴿فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ تلزم عاقلة قاتله ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ يلزم قاتله كفارة .

قيل : المراد كون القتيل مؤمناً للسرقة وللکفارة ، ولكن تعطى ديته لورثته المسلمين خاصة .^(٣)

وقيل : أريد به الكافر ، ولزوم الدية بسبب العهد^(٤) ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ رَقَبَةً لَفَقْدَهَا ، أو فقد ما يحصلها به ﴿فَصِيَامٌ﴾ فعليه صيام ﴿شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ ويتحقق التابع بشهر ويوم من الثاني ﴿تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ﴾ مصدر أو مفعول له ، أي قبل توبتكم بالكفارة

(١) في «ب» : أو الأ قتلاً خطأ ، وفي «د» : الأ مخطئاً أو الأ قتلاً خطأ .

(٢) الزيادة اقتضاها السياق .

(٣) قاله إبراهيم والحسن ينظر تفسير التبيان ٣ : ٢٩٢ .

(٤) قاله ابن عباس والزهري والشعبي وإبراهيم النخعي وقتادة وابن زيد . كما في تفسير التبيان

قبولاً، أو شرع ذلك للتوبة، أي لقبولها، من «تاب الله» أي قبل التوبة.
 قيل التوبة في الخطأ لترك التحرز. وفيه أنه لم يكلف به، وقيل: أريد بالتوبة:
 التخفيف بالصيام بدل الرقبة كـ «علم ان لن تحصوه فتاب عليكم»^(١) ﴿وَكَانَ اللَّهُ
 عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره.

[٩٣] - ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ قاصداً عالماً بإيمانه ﴿فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَالِدًا
 فِيهَا﴾ أن لم يتب، أو يعفو الله عنه، وأول بمستحلّه، كما فسر «عكرمة» وجماعة
 المتعمد بالمستحل لقتله.

وعن الصادق عليه السلام: «هو أن يقتله على دينه» ويعضده أنه نزل في «مقيس بن
 ضبابة» وجد أخاه قتيلاً في بني النجار، ولم يظهر قاتله، فأمرهم النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم بدفع ديته اليه، فأخذها ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدّاً، أو بأن
 هذا جزاؤه إن جوزي، وخلف الوعيد حسن ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.^(٢)
 أو كنى بالخلود عن طول المكث؛ إذ قام الدليل على انقطاع عذاب عصاة
 المؤمنين ﴿وَعَظِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ هدد قاتل المؤمن بأبلغ
 تهديد، وتوعد بعقوبات كل واحدة منها كافية في الدلالة على عظم جرمه.

[٩٤] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم للغزو ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾
 وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «فتثبتوا»^(٣) أي فاطلبوا ببيان الأمر أو ثباته، ولا تعجلوا فيه
 ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ حياكم بتحية الإسلام، أو استسلم - كقراءة
 «نافع» و«ابن عامر» و«حمزة» بحذف الالف - ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وإنما قلت ذلك تقيةً
 فتقتلونه ﴿تَبْتَغُونَ﴾ بذلك ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ حطامها النافذ وهو ماله ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ

(١) سورة المزمل: ٢٠ / ٧٣.

(٢) هذه السورة / ٤٨ و ١١٦.

(٣) حجة القراءات: ٢٠٩.

مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴿تَغْنِيكُمُ عَنْ قَتْلِ مِثْلِهِ لَمَّا لَهُ﴾ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ ﴿أَيَّ أَوَّلِ دُخُولِكُمْ فِي الْإِسْلَامِ تَفَوَّهْتُمْ بِالشَّهَادَةِ فَعَصَمْتُمْ بِهَا دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَلَمْ تَعْلَمْ بِوَاطِنِكُمْ﴾ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴿بِالْإِسْتِقَامَةِ وَالْإِشْتِهَارِ بِالْإِيمَانِ﴾ فَتَبَيَّنُوا ﴿كَرَّرَ تَأْكِيداً، أَيَّ لَا تَبَادَرُوا إِلَى قَتْلِ مَنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ ظَنّاً بِأَنَّهُ دَخَلَ فِيهِ تَقِيَّةً، وَافْعَلُوا بِهِ كَمَا فَعَلَ بِكُمْ﴾ إِنْ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿عَالِماً فَاحْتَاطُوا فِي الْقَتْلِ﴾.

قيل : غزت سرية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل «فدك» فهربوا، وبقي «مرداس» للإسلامه وانحاز بغنمه الى جبل فتلاحقوا، فنزل وقال : السلام عليكم، لا إله إلا محمد رسول الله، فقتله «أسامة» واستاق غنمه، فنزلت. ^(١)

[٩٥] - ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ عن الجهاد ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حال ﴿غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ﴾ من مرض أو عمى أو زمانة ونحوها بالرفع صفة لـ «القاعدون» إذ لم يعينوا، ونصبه «نافع» و«الكسائي» على الحال أو الإستثناء. ^(٢)

قيل : نزلت بدون «غير أولي الضرر»، فقال «ابن أم مكتوم» فكيف وأنا اعمى . فغشي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوحي فقال : اكتب «لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر» ^(٣) ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ وفيه ترغيب للقاعد في الجهاد بالإعلام بما بين الفريقين من التفاوت ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ جملة موضحة لما نفي من استواء المجاهدين والقاعدين غير أولي الضرر ﴿دَرَجَةً﴾ نصب بنزع الخافض أي بدرجة، أو على المصدر لوقوعه موقع تفضيله ﴿وَكُلًّا﴾ من المجاهدين والقاعدين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَ﴾ المثوبة الحسنی وهي الجنة ؛ لحسن نيتهم وإن فضل المجاهدين بالعمل

(١) تفسير البيضاوي ١٠٩/٢.

(٢) حجة القراءات : ٢١٠.

(٣) قاله زيد بن ثابت - كما في تفسير مجمع البيان ٩٦:٢ -.

﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ نصب على المصدر لأن «فضل» بمعنى أجر.

[٩٦] - ﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ إبدال من «أجراً» ويجوز نصب «درجات» على المصدر أي فضلهم تفضيلات و«أجراً» حال عنها، تقدمتها لتكثيرها «ومغفرة ورحمة» على المصدر بتقدير فعلهما. كرر تفضيلهم لزيادة الترغيب في الجهاد. وقيل: «الدرجة» ما خولوا في الدنيا من الغنيمة والثناء، و«الدرجات» ما لهم في الآخرة^(١) وقيل: القاعدون الأول: الإضرء، والثاني: المأذون لهم بالقعود إكتفاء بغيرهم.^(٢)

وقيل: المجاهدون الأول: من جاهد الكفار، والآخر: من جاهد نفسه كما سماه صلى الله عليه وآله وسلم: الجهاد الأكبر^(٣) ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لعباده ﴿رَحِيمًا﴾ بهم. [٩٧] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ﴾ ماض أو مضارع أي قبضت أو قبض أرواحهم ﴿الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ في حال ظلمهم بالمقام مع الكفرة وترك الهجزة. وهم ناس من «مكة» اسلموا ولم يهاجروا ﴿قَالُوا﴾ أي الملائكة توبيخاً لهم ﴿فِيمَ﴾ في أي شيء ﴿كُنْتُمْ﴾ من أمر دينكم؟ ﴿قَالُوا﴾ اعتذاراً: ﴿كُنَّا مُسْتَضَعِّفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ عجزاً عن الهجرة أو إقامة الدين ﴿قَالُوا﴾ أي الملائكة ردّاً لإعتذارهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ إلى بلد آخر، كمن هاجر إلى المدينة أو الحبشة ﴿فَأُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ خبر «إن» والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط. و«الوافين» كنتم حال من «الملائكة» بتقدير «قد» أو الخبر «قالوا» بتقدير عائد أي قالوا لهم ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ هي، ودلت على وجوب الهجرة عن بلد لا يتمكن فيه من

(١) قاله ابو علي الجبائي - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٩٧.

(٢) جوامع الجامع ١: ٢٨١ وتفسير الكشاف ١: ٥٥٦.

(٣) تفسير البيضاوي ٢: ١١١.

إقامة الدين .

[٩٨] - ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ﴾ منقطع ، إذ لم يدخلوا في «اولئك» ﴿وَالْوِلْدَانَ﴾ الضبيان . ذكروا مبالغة ، أو المماليك ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ صفة «المستضعفين» إذ لم يعينوا ، أو حال عنهم أي لا يجدون أسباب الهجرة لعجزهم ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ لا يعرفون طريقاً الى دار الهجرة .
وعن الباقر عليه السلام : «لا يهتدون حيلة الى الكفر فيكفروا ، ولا سبيلاً الى الإيمان فيؤمنوا» .^(١)

وعنه أيضاً : «لا يستطيعون حيلة الى الإيمان ولا يكفرون» .^(٢)

[٩٩] - ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ عَنْهُمْ﴾ ذكر العفو وكلمة الإطماع إشعاراً بخطر ترك الجهاد ، حتى أن المضطر من حقه ان لا يقطع بالعفو فكيف غيره ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ .

[١٠٠] - ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافَعًا كَثِيرًا﴾ متحولاً من الرغام ، أي ؛ التراب ، أو طريقاً يراغم بسلوكه قومه ، أي يهاجرهم على رغم أنوفهم من الرغام أيضاً ﴿وَسَعَةً﴾ في الرزق ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ﴾ في الطريق كما وقع لـ «جندب بن ضمرة» هاجر الى المدينة محمولاً على سرير ، فأشرف على الموت^(٣) في «التنعيم» فصقق بيمينه على شماله ، وقال : «اللهم هذه لك وهذه لرسولك ، ابايعك على ما بايعك عليه رسولك» فمات ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ﴾ وجب ثوابه ﴿عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ .

[١٠١] - ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم ﴿فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنْ

(١) معاني الاخبار: ٢٠١ الحديث (٤) .

(٢) تفسير البرهان ٤٠٦: ١ الحديث (٥) .

(٣) في «ط» فادرکه الموت .

الصَّلَاةُ ﴿الرَّابِعِيَّةُ رَكَعَتَيْنِ، وَهُوَ صِفَةٌ مَحْذُوفٌ أَيُّ شَيْئاً مِنَ الصَّلَاةِ، أَوْ مَفْعُولٌ «تَقْصِرُوا» بِزِيَادَةِ «مِنْ» فَالسَّفَرُ شَرْطٌ لِلْقَصْرِ. وَظَاهِرُ نَفْيِ الْجَنَاحِ أَنَّهُ رَخْصَةٌ، وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ عَزِيمَةٌ، وَعَلَيْهِ أَصْحَابُنَا لِإِجْمَاعِهِمْ وَنُصُوصِ انْتِمَائِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامِ وَأَخْبَارِ عَامِيَّةٍ، وَلَا يَنَافِيهِ نَفْيُ الْجَنَاحِ كَمَا فِي ﴿فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾^(١).

وَأَقْلَ سَفَرٍ يَقْصُرُ فِيهِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ سِتَّةُ بَرَدٍ^(٢) وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ أَرْبَعٌ. وَعِنْدُنَا بِرِيدَانٍ. وَفِي بَعْضِ أَخْبَارِنَا بِرِيدٌ ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يَتَعَرَّضُوا لَكُمْ بِمَكْرِهِ. شَرْطٌ بِاعْتِبَارِ الْغَالِبِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَلَا مَفْهُومَ لَهُ، وَلِثَبُوتِ الْقَصْرِ فِي الْأَمْنِ بِالْإِجْمَاعِ وَالْأَخْبَارِ. نَعَمْ الْخَوْفُ مُوجِبٌ لَهُ أَيْضاً فَالْشَّرْطُ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ بَيْنَ الْعَدَاوَةِ.

[١٠٢] - ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ فِي الْخَائِفِينَ. وَتَشَبُّثٌ بِمَفْهُومِهِ مِنْ خَصِّ ذَلِكَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَرَدَّ ثَبُوتِ الْعُمُومِ بِإِجْمَاعِنَا وَدَلِيلِ التَّأْسِي، وَإِنْ حَكَمَ الْأُئِمَّةُ حُكْمَهُ ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ بِأَنْ تَأْتِيَهُمْ ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ يَصَلُّونَ وَتَكُونُ طَائِفَةٌ تَجَاهُ الْعَدُوَّ ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ أَيُّ الْمَصَلِّينَ ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ مِمَّا لَا يَشْغُلُ عَنِ الصَّلَاةِ كَالسِّيفِ وَنَحْوِهِ ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ صَلُّوا ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ أَيُّ غَيْرِ الْمَصَلِّينَ ﴿مِنْ وَرَائِكُمْ﴾ يَحْرُسُونَكُمْ حَتَّى تُوَدُّوا الصَّلَاةَ كُلَّهَا جَمَاعَةً - كَصَلَاةِ «بَطْنِ النَّخْلِ»^(٣).

أَوْ تَجْمَعُوا فِي رَكْعَةٍ وَيَنْفَرُوا وَيَتِمُّوا الرُّكْعَةَ الْآخَرَى، - وَأَنْتَ قَائِمٌ مُنْتَظَرٌ - كَصَلَاةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ^(٤).

(١) سورة البقرة: ١٥٨/٢.

(٢) البرد: جمع برید، وهو أربعة فراسخ أو اثنا عشر ميلاً أو ما بين المنزلين.

(٣) أي: صلاة النبي في محل اسمه بطن النخل - انظر تفسير البيضاوي ١١٣: ٢.

(٤) أي: صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في حرب ذات الرقاع.

والضمير في «فليكونوا» لمصلين، أي: فليصبروا بعد فراغهم من الصلاة من ورائكم مكان غير المصلين ﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾ لاشتغالهم بحراسة المصلين ﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ بصلاة مستأنفة، هي لك نافلة ولهم فريضة، أو بتممة صلاتك بالأولى على ما مر من الإحتمالين ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ جعل الحذر وهو التحرز آلة يعتصم بها الغازي فجمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾ أي تمنوا أن يجدوا منكم غرة في الصلاة ﴿فَيَمِيلُونَ﴾ يحملون ﴿عَلَيْكُمْ مِثْلَهُ﴾ حملة ﴿وَاحِدَةً﴾ وهو علة الأمر بأخذ السلاح ﴿وَلَا جُنَاحَ﴾ ولا حرج ﴿عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تأخذوها. وهذا يفيد أن الأمر بأخذها للوجوب لا للندب ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ واحترزوا إذ ذاك من عدوكم ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ أمرهم بالحزم قد يوهمهم انه لضعفهم وغلبة الكفار، فأزيل الوهم بوعدهم أن الله تعالى يهين عدوهم وينصرهم عليه ليقوي قلوبهم.

[١٠٣] - ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ فرغتم منها ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتسبيح ونحوه ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ مضطجعين أي في كل حال، أو إذا أردتم فعل الصلاة حال الخوف فصلوا كيفما أمكن قياماً مقارعين، وقعوداً مرامين، وعلى جنوبكم مشخنين^(١) ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ﴾ بالأمن ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ﴾ فأدوها بحدودها وشرائطها، أو أتموها ولا تقصروها ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا﴾ فرضاً ﴿مَوْقُوتًا﴾ مدوداً بأوقات لا يجوز إخراجها عنها، وهذا يؤذن بأنه أريد بالذكر الصلاة.

[١٠٤] - ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ ولا تضعفوا ﴿فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ في طلب الكفار بالقتال ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ﴾ أي ليس ما تجدون من ألم القتال مختصاً بكم، إنما هو مشترك بينكم وبينهم وهم يصبرون عليه ﴿وَتَرْجُونَ﴾ أنتم ﴿مِنْ

(١) اتخن: اثقل بالجراح.

الله ﴿من النصر والثواب عليه ﴿مَالًا يَرْجُونَ﴾ هم، فأنتم أولى بالصبر عليه والرغبة فيه. نزلت في بدر الصغرى ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره. [١٠٥] - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾.

سرق «أبو طعمة بن ابيرق» درعاً وخبأها عند يهودي، فوجدت عند، فقال دفعها إلي «أبو طعمة» فانطلق قومه «بنو ظفر» الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه أن يجادل عنه ويبريه، فهم أن يفعل فنزلت. ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ﴾ لأجلهم ﴿خَصِيمًا﴾ للبراء. [١٠٦] - ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ مما هممت به ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ للمستغفرين ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

[١٠٧] - ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعصية، إذ وبال خيانتهم عليها. والضمير لـ «أبي طعمة» وأمثاله، أو: له ولقومه إذ نصره وبرأوه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا﴾ كثير الخيانة والإثم مصراً عليهما. [١٠٨] - ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ يستترون ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ حياءً وخوفاً ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ﴾ ولا يستحيون ﴿مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ عالم بهم ﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ﴾ يدبرون ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ من الحلف الكاذب وشهادة الزور ورمي البريء ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ عليمًا.

[١٠٩] - ﴿مَا أَنْتُمْ﴾ مبتدأ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ خبره ﴿جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ جملة تبين كون «أولاء» خبراً، أو صلة إن جعل موصولاً ﴿فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ حافظاً من عذاب الله.

[١١٠] - ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ ذنباً يسوء به غيره، أو صغيرة، أو ما دون الشرك ﴿أَوْ يَظْلِمِ نَفْسَهُ﴾ بذنب لا يتعداه الى غيره، أو كبيرة، أو الشرك ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ يتب ﴿يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا﴾ لذنوبه ﴿رَحِيمًا﴾ به.

[١١١] - ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ ذنباً ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ لا يتعدى ضرره

الى غيره ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بكسبه ﴿حَكِيمًا﴾ في عقابه .

[١١٢] - ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ صغيرة، أو ما لا يتعمده ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ كبيرة^(١) أو ما تعمله ﴿ثُمَّ يَرَمْ بِهِ بَرِيئًا﴾ كرمى أبي طعمة اليهودي ﴿فَقَدْ اخْتَمَلَ بُهْتَانًا﴾ برميهِ البريء ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ بيناً بكسبه .

[١١٣] - ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة أو الطافه ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بالعصمة، أو إعلامك سرهم بالوحي ﴿لَهَمَّتْ﴾ اضمرت ﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ من بني ظفر ﴿أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ عن الحكم بالحق . ولم يُرد نفسي همتهم بل نفي تأثيره فيه ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لعود وبالهم عليهم ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ﴾ لأن الله عاصمك ومسددك ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ في محل المصدر أي شيئاً من الضرر ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ القرآن والأحكام ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ من الشرائع وخفيات الأمور ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ إذ ختم بك النبوة .

[١١٤] - ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾ من تناجيهم ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ إلا نجوى من أمر . أو منقطع ، أي : ولكن من أمر ؛ ففي نجواه الخير ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ عمل برّ أو قرض ، أو إغاثة ملهوف ، أو صدقة تطوع ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ تأليف بينهم بالموادة ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿إِتِّفَاءً﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ لا لغرض دنيوي ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ وقرأ «حمزة» و«أبو عمرو» بالياء^(٢) ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يحتقر في جنبه ما فات من أعراض الدنيا .

[١١٥] - ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ يخالفه من الشق ، إذ مخالفه في شق غير شقه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ ظهر له الحق بالدلائل ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذي هم عليه من الدين ﴿تُولِيهِ مَا تَوَلَّى﴾ نجعله والياً لما تولى من الضلال ، ونخلي

(١) هكذا وردت الصفة «كبيرة» مؤنثة في تفسير البيضاوي ١١٥:٢ .

(٢) حجة القراءات : ٢١١ .

بينه وبينه ﴿وَنُضِّلِهِ جَهَنَّمَ﴾ وندخله فيها ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ هي . واحتج به على حجية الإجماع ، وفيه بحث .

[١١٦] - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ كثر تأكيداً ، أو لقصة «أبي طعمة» ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق إذ الشرك أبعد أنواع الضلال عنه .

[١١٧] - ﴿إِنْ يَدْعُونَ﴾ ما يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ دون الله ﴿إِلَّا إِنَانَا﴾ اصناماً مؤنثة كاللات و«العزى» و«مناة» . كان لكل حي صنم يعبدونه ، ويسمونه انثى بني فلان ، أو : إلآ جمادات لأن الجمادات تؤنث .

أو : إلآ ملائكة ؛ لقولهم : «الملائكة بنات الله» ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ﴾ وما يعبدون بعبادتها ﴿إِلَّا شَيْطَانًا﴾ لطاعتهم له فيها ﴿مَرِيدًا﴾ عاتياً خارجاً عن الطاعة .

[١١٨] - ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ طرده عن رحمته ، صفة ثانية ﴿وَقَالَ﴾ عطف عليه ، أي : شيطاناً مريداً جامعاً بين لعنه وقوله ﴿لَا تَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ مقطوعاً فرضته لنفسه من قولهم : «فرض له في العطاء» فكل من أطاعه فهو من نصيبه .

[١١٩] - ﴿وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ﴾ عن الحق بالوسوسة ﴿وَلَا مَنِيْنَهُمْ﴾ الأمانى الكاذبة كطول العمر ، وأن لا بعث ولا حساب ﴿وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيُبَيِّنَنَّ﴾ فليقطعن أو يشققن ﴿ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ لتحريم ما أحل الله وقد فعلوه بالبحائر والسواحب ﴿وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ دينه ، بتحريم ما أحل وتحليل ما حرّم أوفق عين الحامي وإخصاء العبيد أو الوشم . ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بإيثار طاعته على طاعة الله ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ إذ استبدل الجنة بالنار .

[١٢٠] - ﴿يَعِدُّهُمْ﴾ الشيطان الأكاذيب ﴿وَيُؤْمِنِيْنَهُمْ﴾ الأباطيل ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ هو إيهام النفع فيما فيه ضرر .

[١٢١] - ﴿أُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيضًا﴾ معدلاً من «حاص»

أي عدل و«عنها» حال عنه ، لا صلة له .

[١٢٢] - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لنفسه لأنّ مضمون الجملة قبله وعد ﴿حَقًّا﴾ أي حقّ ذلك حقًّا، مصدر مؤكد لغيره ﴿وَمَنْ﴾ أي : لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ قولاً تمييز، والجملة مؤكدة، والآية تضمنت معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعده الله الصادق لأوليائه، وبولغ في توكيده ترغيباً في نيّله .

[١٢٣] - ﴿لَيْسَ﴾ ما وعد الله من الثواب ينال ﴿بِأَمَانِيكُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ بل بالعمل الصالح ، أو : ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل .

قيل : تفاخر المسلمون وأهل الكتاب ، فقال أهل الكتاب : نبينا وكتابنا قبل نبيكم وكتابكم ، ونحن أولى بالله منكم .
وقال المسلمون : نحن أولى منكم ، نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فتزلت .^(١)

وقيل : الخطاب للمشرّكين أي ليس الأمر بامانيكم أن لا جنة ولا نار، ولا أمانى أهل الكتاب أنه ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾^(٢) ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ آجلاً أو عاجلاً بالآلام والمصائب ما لم يتب أو يعفو الله عنه بفضلله ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إذا جاوز موالاته ونصرته ﴿وَلِيًّا﴾ يحميه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينجيه من العذاب .

[١٢٤] - ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ﴾ شيئاً ﴿مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ أو بعضها، وهو ما في وسعه وكلف به ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ حال من المستكن في «يَعْمَلْ» و«مِنْ» بيانية، أو من «الصالحات»، و«مِنْ» ابتدائية ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حال، لبيان أن الطاعة لا تنفع بدونه

(١) قاله قتادة والضحاك - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٤٠.

(٢) قاله مجاهد وابن زيد - كما في تفسير التبيان ٣: ٣٣٧، والآية من سورة البقرة: ١١١/٢.

﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ وبناءه «ابن كثير» و«أبو عمرو» للمفعول^(١) ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ بنقص شيء من أجرهم ويعلم منه أنه لا يزداد في عقاب المجرم، ولذلك اكتفى بذكره عقيب الثواب.

[١٢٥] - ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ اسلم نفسه أو أخلص قلبه ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ قولاً وعملاً، أو موحداً ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الموافقة لملة الإسلام ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الأديان. حال من المتبع، أو الملة، أو إبراهيم ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ مجاز عن اصطفاؤه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله.

والخلة من الخلال؛ وهو: الود أو من الخلل إذ كل من الخليين يسدّ خلل الآخر، أو: من الخلة بمعنى الخصلة لتوافقهما في الخلال. والجملة اعتراضية تفيد الترغيب في اتباع ملته.

[١٢٦] - ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ علماً وقدرة.

[١٢٧] - ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿فِي النِّسَاءِ﴾ في ميراثهن ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ يبين لكم حكمه ﴿فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ عطف على اسم الله، أي: الله يفتيكم وما في القرآن من آية الموارد يفتيكم كقولك: نفني زيد وعلمه أو «ما يتلى عليكم» مبتدأ، خبره «في الكتاب» ويراد به اللوح المحفوظ.

والجملة معترضة لتعظيم المتلو عليهم ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾ صلة «يتلى» ان عطف «ما يتلى» على ما قبله، وإلا فبدل من «فيهن» والإضافة بمعنى «من» ﴿الَّتَاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ﴾ فرض ﴿لَهُنَّ﴾ من الميراث ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ﴾ في أن، أو: عن أن ﴿تَنْكِحُوهُنَّ﴾ كان الرجل منهم يضمّ اليتيمة، فإن كانت جميلة تزوجها وأكل مالها،

وإلا عضلها ليرثها. والواو للعطف أو الحال ﴿وَالْمَسْتَضْعِفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ﴾ الصبيان عطف على «يتامى النساء» وكانوا لا يرثونهم كالنساء ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل في حقوقهم، عطف عليه أيضاً، أو: منصوب بتقدير فعل، أي: ويأمركم أن تقوموا ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ في أمر هؤلاء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ فلا يضيقه.

[١٢٨] - ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ﴾ فاعل فعل يفسره ﴿خَافَتْ﴾ علمت أو توقعت ﴿مِنْ بَغْلَهَا﴾ لأمارات ظهرت لها ﴿نُشُوزًا﴾ ترفعاً عنها بمنع حقوقها كراهة لها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ بتقليل محادثتها وموانستها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا﴾ يتصالحا ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ بأن تهب له بعض القسم، أو المهر، أو غيره فتستعطفه به، هكذا فسر.

وفيه لزوم إباحة الأخذ بفعل الواجب وترك الحرام. ويمكن حمله على ترك بعض الأمور المتعارفة بين الزوجين من التلطف والمودة زيادة على الوجوب.

وقرأ الكوفيون: «أن يصلحا» من أصلح بين الخصمين، وحيث جاز كون «صلحاً» مفعولاً به و«بينهما» ظرف أو حال منه، وكونه مصدراً كالقراءة الأولى ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة أو من النشوز^(١) والإعراض، أو: من الخصومة، أو: خير من الخيور، كما أن الخصومة شر من الشرور؛ فلا يراد التفضيل، وهو اعتراض، وكذا ﴿وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ جبلت عليه وجعل حاضراً لها لا ينفك عنها فلا تكاد المرأة تسمح بنصيبها من زوجها ولا الرجل يسمح بإمساكها على ما ينبغي إذا كرهها ﴿وَإِنْ تُخْسِنُوا﴾ العشرة ﴿وَتَتَّقُوا﴾ النشوز والإعراض ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيشيكم عليه.

[١٢٩] - ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ بحيث لا يقع ميل قلبي أصلاً، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقسم بين نساءه فيعدل ويقول: «هذا قسمي»^(٢)

(١) في «ط»: من الفرقة ومن النشوز.

(٢) في «ب» و«ج»: هذه قسمتي.

فيما أملك فلا تأخذني فيما تملك ولا أملك»^(١) ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذلك فلا تكلفون منه إلا ما تستطيعون ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾ فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور بترك المستطاع ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ التي ليست بأيّ ولا ذات بعل ﴿وَإِنْ تُضِلُّوهُمْ﴾ بترك الميل ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله فيه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ فيغفر لكم ما سلف من ميلكم.

[١٣٠] - ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾ أي الزوجان بالطلاق ﴿يُغْنِ اللَّهُ كِلَا﴾ منهما عن الآخر ببدل أو غيره ﴿مِنْ سَعَتِهِ﴾ غناه واقتداره ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾ غنياً مقتدرًا ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره.

[١٣١] - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تقرير لكمال^(٢) سعته وقدرته ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ جنسه من اليهود والنصارى وغيرهم ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ متعلق بـ «وصَّينا» أو بـ «أوتوا» ﴿وَأَيَّاكُمْ﴾ ووصيناكم ﴿أَنْ﴾ بأن، أو: أي ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أطيعوه ولا تعصوه ﴿وَإِنْ﴾ أي: وقلنا لهم ولكم إن ﴿تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً؛ فلا يضركم كفركم كما لا تنفعه تقواكم، وإنما وصاكم رحمة بكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن خلقه وطاعتهم ﴿حَمِيدًا﴾ مستحقاً للحمد.

[١٣٢] - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ذكر ثالثاً؛ تقريراً لغناه واستحقاقه الحمد لحاجة الخلق إليه وانعامه عليهم بإصناف النعم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ حافظاً ومدبراً لخلقه.

[١٣٣] - ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يعدمكم ﴿وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ ويوجد قوماً آخرين بدلكم، أو خلقاً آخرين بدل الإنس ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ﴾ على الإعدام والإيجاد ﴿قَدِيرًا﴾ بليغ القدرة وهو تقرير لقدرته، وتخويف لمن خالف أمره.

(١) رواء البيضاوي ذيل تفسيره للآية.

(٢) في «ب»: تقدير لكمال.

وقيل: الخطاب لمن عادى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أي: إن يشأ يمتكم ويأت بناس آخرين يوالونه^(١) قيل: لما نزلت، ضرب [الرسول]^(٢) صلى الله عليه وآله وسلم يده على ظهر سلمان قال: «هم قوم هذا»^(٣).

[١٣٤] - ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بجهاده ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ الغنيمة ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لمن أراداه فلم يطلب أحدهما، وهلا طلبهما أو طلب الأشرف بإخلاصه له فينالهما معاً ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ عالماً بما يقصد بالأقوال والأعمال، فيجازي به.

[١٣٥] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ مجتهدين في إقامة العدل، ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ بالحق. خبر ثان، أو حال ﴿وَلَوْ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ بأن تقرؤا عليها ﴿أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ ولو على والديكم وأقاربكم ﴿إِنْ يَكُنْ﴾ المشهود عليه أو كل منه ومن المشهود له ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ فلا تمتنعوا من الشهادة عليهما أولهما محاباة أو ترحمًا ﴿فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ وانظر لهما؛ فلو لا أن الشهادة عليهما أو لهما مصلحة لما شرعها. والضمير لجنسي الفقير والغني المدلول عليهما بالمذكور، لا له؛ إلا لأفرد. ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ ارادة العدول عن الحق أو كراهة العدل بين الناس ﴿وَإِنْ تَلَوُّوا﴾ تحرفوا الشهادة وقرأ «ابن عامر» و«حمزة»: «وإن تلووا»^(٤) أي: وإن وليتم إقامة الشهادة ﴿أَوْ تُعْرَضُوا﴾ عن اقامتها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به.

[١٣٦] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ على الحقيقية أو نفاقاً أو الخطاب لمؤمني أهل

(١) نقله جوامع الجامع ١: ٢٩٣. ولم ينسبه.

(٢) ما بين المعقوفتين من «ب».

(٣) رواه أبوهريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - كما في تفسير التبيان ٣: ٣٥٢.

(٤) حجة القراءات: ٢١٥.

الكتاب كـ «ابن سلام» وأصحابه ، إذ قالوا يا رسول الله نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه ، فنزلت ﴿ءَامِنُوا﴾ اثبتوا على الإيمان أو اخلصوا فيه ، أو آمنوا إيماناً عاماً ﴿بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الَّذِي نَزَّلَ﴾ منجماً ، وبناءه «الكوفيون» و«نافع» للفاعل ^(١) ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ﴾ أي جنسه ﴿الَّذِي أَنْزَلَ﴾ جملة . وفيه القراءتان ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي ومن يكفر بشيء من ذلك ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق .

[١٣٧] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هم اليهود ، آمنوا بموسى ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعبادة العجل ﴿ثُمَّ ءَامَنُوا﴾ بعد ذلك ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بـ «عيسى» ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أو المنافقون تكرر منهم الإرتداد سراً بعد إظهار الإيمان ، ثم اصرّوا على الكفر ﴿لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ﴾ إذ يستبعد منهم التوبة والثبات عليها لتمررتهم على الرّدة ، لا أنهم لو آمنوا بإخلاص لم يغفر لهم ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ الى الجنة أو لا يلفظ بهم .

[١٣٨] - ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يفيد أن الآية في المنافقين ووضع «بشر» موضع «خبر» تهكم بهم .

[١٣٩] - ﴿الَّذِينَ﴾ نصب أو رفع على الذم ﴿يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَنُّونَ﴾ أيطلبون ﴿عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ﴾ القوة والمنعة بموالاتهم ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ لا يعز إلا أولياءه .

[١٤٠] - ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن ، وبناء «عاصم» للفاعل ^(٢) ﴿أَنْ﴾ مخففة ، أي : إنه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللهِ﴾ القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ حالان من «الآيات» ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ مع الكفار والمستهزئين ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ

غَيْرِهِ ﴿وَالْمَنْزِلَ عَلَيْهِمْ فِي الْكِتَابِ مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ فِي «الْأَنْعَامِ» : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا . . .﴾ الآية^(١) ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ في الإثم لقد رتكم على الإنكار عليهم ، أو في الكفر لرضاكم بذلك ، وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأبحار هم المنافقون ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ يعني القاعدين والمقعود معهم .

[١٤١] - ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من «الذين يتخذون» ، أو صفة للمنافقين والكافرين ، أو ذم منصوب أو مرفوع ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾ ينتظرون ﴿بِكُمْ﴾ وقوع أمر ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ مجاهدين ، فاعطونا من الغنيمة ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوَذْ﴾ نستول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونقدر على قتلهم فأبقينا عليكم ﴿وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بتخذيلهم عنكم وإفشاء أسرارهم اليكم فاعطونا مما أصبتم ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ بالحجة أو يوم القيامة .

[١٤٢] - ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ فسر في البقرة^(٢) ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ متشاقلين ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ في صلاتهم ليحسبوهم مؤمنين .

و«المراءات» مفاعلة من الرؤية إذ المرائي يري غيره عمله وهو يريه استحسانه ، أو بمعنى التفعيل كنعم وناعم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ بالتسبيح ونحوه ، أو لا يصلون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إذ لا يفعلونه إلا بحضرة من يراؤونه وهو قليل ، أو اريد الذكر في الصلاة إذ لا يذكرون فيها غير التكبير وما يجهر به .

[١٤٣] - ﴿مُذَبِّحِينَ﴾ حال من واو «يراءون» مثل «ولا يذكرون» أي يراءونهم غير

(١) سورة الانعام : ٦٨/٦ .

(٢) في تفسير الآية (٩) من سورة البقرة .

ذاكرين، مذبذبين، أو ذم منصوب من الذبذبة وهي جعل الشيء مضطرباً، وأصله الذب بمعنى الطرد أي ذبذبهم الشيطان ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي الإيمان والكفر، فهم مترددون بينهما ﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ لا منسوبين إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين ﴿وَمَنْ يَضِلِلِ اللَّهُ﴾ يمنعه اللطف بسوء اختياره ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ إلى الحق.

[١٤٤] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كصنع المنافقين فتكونوا مثلهم ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا اللَّهَ عَالِيَكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ حجة بينة، إذ موالاتهم دليل النفاق، أو سبيلاً إلى عذابكم.

[١٤٥] - ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ﴾ الطبق. وسكن «الكوفيون» الرء^(١) ﴿الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وهو قعرها، وسميت طبقاتها السبع دركات لأنها متدارك متتابعة، بعضها فوق بعض. وإنما استحقوا ذلك لضمهم إلى الكفر تمويهاً واستهزاء ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ ينقذهم منه.

[١٤٦] - ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من نفاقهم ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ نياتهم ﴿وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ وثقوا به ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ رفقاؤهم في الدارين ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فيشاركونهم فيه.

[١٤٧] - ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾ يستجلب به نفعاً، أو يدفع به ضرراً؟! وهما مستحيلان عليه، وإنما يعاقب المسيء، لأن إساءته كالسبب للمرض له، ^(٢) فإذا زال بالإيمان والشكر تخلص من العذاب ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ مثيباً يعطي الجزيل على القليل ﴿عَلِيمًا﴾ بما يستحقونه من الجزاء.

[١٤٨] - ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ إلا جهر من ظلم

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ١٢٩.

(٢) في «ط»: لأن إساءته كالمرض له.

بأن يشكو ظالمه ويدعو عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ للأقوال ﴿عَلِيمًا﴾ بالأعمال .
 [١٤٩] - ﴿إِنْ تُبْذُوا خَيْرًا﴾ تظهروا برًّا ﴿أَوْ تُخْفَوْهُ﴾ تعملوه سرًّا ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ ظلم وهو المقصود . وذكر إبداء الخير وإخفاءه تسبب له بدليل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ يكثر العفو عن الجناة مع قدرته على الانتقام فاقتدوا بسنته .

[١٥٠] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ بالإيمان به دونهم ﴿وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ من الرسل ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ منهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخَذُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي الإيمان والكفر ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً وسطاً . ولا واسطة بينهما إذ الكفر ببعض الرسل كفر بالله وبجميع الرسل ؛ ولذلك قال :

[١٥١] - ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ الكاملون في الكفر ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لغيره . أي حق ذلك حقاً ، أو صفة مصدر الكافرين ، أي هم الذين كفروا كفراً حقاً ثابتاً ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ لهم .

[١٥٢] - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ وعموم «أحد» في سياق النفي سوَّغ دخول «بين» المقتضي للمتعدد عليه ﴿أُولَٰئِكَ سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ﴾^(١) وقرأ «حفص» بالياء^(٢) ﴿أَجُوزُهُمْ﴾ المستحقة بإيمانهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا﴾ لزلاتهم ﴿رَحِيمًا﴾ بهم بتفضله^(٣) عليهم .

[١٥٣] - ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ اليهود ﴿أَنْ تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ قالوا : ان كنت صادقاً فأتنا بكتاب من السماء جملة ، كما أتى به موسى . أو كتاباً مكتوباً من السماء كما كانت التوراة على الألواح ، أو كتاباً إلينا بأعياننا بأنك رسول الله ﴿فَقَدْ﴾ جواب شرط مقدر ، أي : فإن استكبرت ذلك ﴿سَأَلُوا مُوسَى﴾

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «يؤتيهم» - كما يشير إليه المؤلف - .

(٢) حجة القراءات : ٢١٨ .

(٣) في «ج» و«ط» : بتفضله .

أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ ﴿ أَسَدَ هَذَا السُّؤَالِ لَهُمْ - وَهُوَ مِنْ آبَائِهِمْ - لِرِضَاهُمْ بِهِ وَمُضَاهَاتِهِمْ لَهُمْ فِي التَّعَنُّتِ ﴾ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴿ عَيْنَانَا ﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ﴿ نَارُ نَزَلَتْ فَأَهْلَكَتَهُمْ بِظُلْمِهِمْ ﴾ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ ، وَهُوَ سُؤَالُهُمُ الْمُسْتَحِيلُ ﴿ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ ﴿ إِلَهًا ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ ﴿ الْمَعْجَزَاتِ عَلَى أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ ﴿ بِتَرْكِ اسْتِثْصَالِهِمْ ﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿ تَسْلُطًا ظَاهِرًا عَلَيْهِمْ ، إِذْ أَمَرَهُمْ بِقَتْلِ أَنْفُسِهِمْ تَوْبَةً فَأَطَاعُوهُ .

[١٥٤] - ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ ﴾ الْجَبَلَ ﴿ بِمِثْقَالِهِمْ ﴾ بِسَبَبِ مِثْقَالِهِمْ لِيَخَافُوا فَلَا يَنْقُضُوهُ ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ ﴾ وَهُوَ مَطْلٌ عَلَيْهِمْ : ﴿ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ مَنْحِنِينَ ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ ﴾ بِأَخْذِ الْحِيتَانِ . وَفَتْحُ « وَرَشَ » « الْعَيْنِ » وَشَدَّدَ « الدَّالِ » عَلَى أَنَّهُ « تَعَدُّوا » فَادْغَمَتْ التَّاءُ فِي الدَّالِ ^(١) ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِثْقَالَ غَلِيظًا ﴾ وَثِيقًا عَلَى ذَلِكَ فَتَنْقُضُوهُ .

[١٥٥] - ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ ﴾ « مَا » زَائِدَةٌ ، وَالْبَاءُ لِلْسَّبِيَةِ ، تَعَلَّقَتْ بِمَحْذُوفٍ ، أَيْ فَعَلْنَا بِهِمْ مَا فَعَلْنَا بِنَقْضِهِمْ ﴿ مِثْقَالَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ دَلَالُهُ عَلَى صِدْقِ رِسَالِهِ ﴿ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ فِي أَكِنَّةٍ لَا تَعِي قَوْلَكَ ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا ﴾ خَذَلَهَا وَمَنْعَهَا أَلْطَافَهُ ﴿ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ مِنْهُمْ كـ « ابْنِ سَلَامٍ » وَأَصْحَابِهِ ، أَوْ إِلَّا إِيْمَانًا قَلِيلًا نَاقِصًا .

[١٥٦] - ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ ﴾ بَعِيسَى ، عَطْفٌ عَلَى « فَبِمَا نَقْضِهِمْ » أَوْ عَلَى « بِكُفْرِهِمْ » ﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ وَهُوَ رَمِيهَا بِالزَّانَا .

[١٥٧] - ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ بِزَعْمِهِمْ ، أَوْ قَالُوهُ اسْتِهْزَاءً ، أَوْ هُوَ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ اللَّهِ لِمَدْحِهِ ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ قِيلَ : لَمَّا مَسَخَ اللَّهُ الَّذِينَ سَبَّوْا « عِيسَى » وَأُمَّهُ بِدَعَائِهِ ، اتَّفَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى قَتْلِهِ ، فَأَخْبَرَهُ

(١) حجة القراءات : ٢١٨ .

الله بأنه يرفعه الى السماء، فقال لأصحابه: «أيكم يرضى أن يلقي عليه شبهي فيقتل، ويصلب، وله الجنة؟» فقام أحدهم فألقى الله عليه شبهه، فقتل، وصلب.^(١)
وقيل: دلّ عليه رجل كان ينافقه فألقى الله عليه شبهه، فأخذ وصلب،^(٢) و«شبهه» مسند الى «لهم» أو الى ضمير المقتول الدال عليه «إنا قتلنا» «وإن الذين اختلفوا فيه» في «عيسى» فقال بعضهم: رفع الى السماء، وقال بعضهم: قتلناه، وقال بعضهم: صُلب الناسوت وصعد اللاهوت وتردد آخرون فقال بعضهم: الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا، وقال بعضهم: ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وان كان صاحبنا وأين عيسى؟ «لَفي شك منه» أريد بالشك ما يقابل العلم، ترجح أحد طرفيه أم لا «مالهم به من علم إلا اتباع الظن» استثناء منقطع ولكنهم يتبعون الظن «وما قتلوه يقيناً» قتلاً يقيناً كما زعموا، أو متيقنين، أو هو تأكيد للنفي.

[١٥٨] - «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا» لا يقهر «حَكِيمًا» فيما يدبر.

[١٥٩] - «وَأَنَّ» وما «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» أحد «إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ» بعيسى أنه عبد الله ورسوله «قَبْلَ مَوْتِهِ» أي الكتابي حين يعاين ولا ينفعه إيمانه. ويعضده أن قرئ: «إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ» - بضمّ النون - لأن أحداً بمعنى الجمع.

وهذا بعث لهم على معاجلة الإيمان به أو أن الانتفاع، أو قبل موت عيسى إذا نزل من السماء، فإنه ينزل في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به، ويصلي خلف المهدي من آل محمد عليه السلام، وتكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام، وتقع الأمانة حتى ترتع السباع مع الأنعام، ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه «وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا» بكفر

(١) قاله قتادة، والسدي، ومجاهد، وابن اسحاق، وابن جريج - كما يفى تفسير التبيان ٤: ٣٨٢ وتفسير مجمع البيان ٣: ١٢٦.

(٢) قاله بعض النصارى - كما في تفسير التبيان ٣: ٣٨٣.

اليهود به وغلّو النصرارى فيه .

[١٦٠] - ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ فبسبب ظلم عظيم ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ هي ما في قوله : ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا . . .﴾ الآية^(١) ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أناساً ، أو صدأً ﴿كَثِيرًا﴾ .

[١٦١] - ﴿وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ في التوراة . ويفيد ان النهي للتحريم ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ بالرشا ونحوها ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ .

[١٦٢] - ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ الثابتون في علم التوراة ﴿مِنْهُمْ﴾ كـ «ابن سلام» وأصحابه ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ من المهاجرين والأنصار . وخبر المبتدأ ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ نصب على المدح ، أو عطف على «ما انزل اليك» ويراد بهم الأنبياء أو الأئمة المعصومون ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ عطف على «الراسخون» أو مبتدأ ، والخبر : «اولئك» . ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الذين حازوا الإيمان بطرفيه ﴿أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ وقرأ «حمزة» بالياء^(٢) ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ على إيمانهم وعملهم .

[١٦٣] - ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ احتجاج على المقترحين أن ينزل عليهم كتاباً ، بأن شأنه في الوحي كسائر الأنبياء ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَعِيسَى وَيُوحَنَّا وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾ خصّوا بالذكر مع دخولهم في النبيين تعظيماً لهم ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ مصدر ، أو بمعنى مزبور وضمّه «حمزة»^(٣) .

[١٦٤] - ﴿وَرُسُلًا﴾ نصب بمضمر في معنى «أوحينا» كأرسلنا ، أو بما فسرهُ ﴿قَدْ

(١) سورة الأنعام : ١٤٦/١ .

(٢-٣) حجة القراءات : ٢١٩ .

قَضَضْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ﴿١٦٥﴾ قَبْلَ الْيَوْمِ ﴿١٦٥﴾ وَرُسُلًا لَمْ نَقْضُضْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٦﴾ بِلا واسطة .

[١٦٥] - ﴿رُسُلًا﴾ نصب على المدح ، أو بإضمار «أرسلنا» ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ بالثواب للمطيع ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ بالعقاب للعاصي ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فيقولوا : ﴿لولا أرسلت الينا رسولا فتتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾^(١) و«اللام» متعلقة بـ«أرسلنا» مضمرًا ، واسم كان «حجة» ، وخبرها «للناس» ، و«على الله» حال ، أو بالعكس ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ لا يقهر ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يدبر .

[١٦٦] - ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ﴾ لما اقترحوا عليه إنزال كتاب واحتج عليهم به «إنا أوحينا» فكانه قيل : انهم لا يشهدون ، ولكن الله يشهد ، أو أنهم قالوا : لا نشهد برسالتك فنزل لكن الله يشهد ، يشتها ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن الدال بأعجازه على صدقك ﴿أَنْزَلَهُ﴾ متلئبًا ﴿بِعِلْمِهِ﴾ بأنه معجز ، أو بأنك أهل لإنزاله اليك . والجملة كالبيان لما قبلها ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ أيضاً برسالتك ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ بها بما نصبه من الدلائل عليها وإن لم يشهد غيره .

[١٦٧] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ بعيداً عن طريق الحق لضمهم الى الضلال والإضلال .

[١٦٨] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بتكذيبه ، أو أعم من ذلك ، أي الذين جمعوا بين الكفر والظلم ، فالكفار مخاطبون بالفروع ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿طَرِيقًا﴾ .

[١٦٩] - ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ الموصل اليها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ حال مقدرة ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هيناً .

[١٧٠] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾

أي واثقوا أمراً خيراً لكم مما أنتم فيه ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً؛ فلا يضره كفركم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾ بخلقه ﴿حَكِيماً﴾ في تدبيره لهم.

[١٧١] - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ خطاب للفريقين. غلت اليهود

في حطّ «عيسى» حتى قالوا: «وَلِدَ لَغَيْرِ رَشْدَةٍ»^(١) والنصارى في رفعه حتى عبده، أو للنصارى خاصة بدليل ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ من تنزيهه عن الشريك والولد ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا﴾ أوصلها ﴿إِلَى مَرْيَمَ﴾ وسمي كلمته لأنه وجد بكلمته ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ ذو روح اخترع من قدرته لا بتوسط ما هو كالمادة ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا﴾ الآلهة ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ الله، وعيسى، وأمه. ويعضده: ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.^(٢)

أو الله ثلاثة أقانيم: الأب والابن وروح القدس - ان صحّ عنهم ذلك - ﴿إِنْتَهُوا﴾ عمن التثليث وأتوا ﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾ منه وهو التوحيد ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ بالذات، لا شريك له، ولا ولد ولا صاحبة ﴿سُبْحَانَهُ﴾ استبحه تسيحاً من ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وذلك ينافي البنوة ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ قيماً ومديراً وحافظاً لخلقه؛ فهو الغني عن أن يكون له ولد ليخلقه.

[١٧٢] - ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ﴾ لن يأنف، من نكفت الدمع نحيته بإصبعك

﴿أَنْ﴾ من أن ﴿يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ قال وفد نجران للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: لم تعيب صاحبنا؟ قال: وأي شيء أقول؟ قالوا: تقول: انه عبد الله. فنزلت ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ﴾ ولا يستنكف الملائكة ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾ عند الله أن يكونوا عبيداً لله.

واستدل به على فضل الملائكة على الأنبياء إذ سبق لردّ غلوّ النصارى في المسيح، ومقتضاه أن يكون ما عطف عليه أعلى درجة منه.

(١) الرّشدة: ضد الزّنية.

(٢) سورة المائدة: ١١٦/٥.

ورد بأن الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتم ذلك، ولم سلم اختصاصها بالنصارى فلعل العطف للمبالغة باعتبار التكثير دون التفضيل ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ يترفع عنها.

والإستكبار طلب الكبر بلا استحقاق والتكبر قد يكون باستحقاق ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَٰهُ جَمِيعًا﴾ للمجازاة.

[١٧٣] - ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب إيمانهم وأعمالهم ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أضعاف ما يستحقونه من الثواب ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ يحميهم من العذاب ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينجيهم منه.

[١٧٤] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ﴾ حجة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وهو محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - أو معجزاته أو: السدين، أو: القرآن ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ بيناً وهو القرآن.

مركز تحقيق تكامل علوم الشريعة

وعن الصادق عليه السلام: أنه ولاية علي عليه السلام. (١)

[١٧٥] - ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ﴾ نعمة وهي الجنة ﴿وَفَضْلٍ﴾ إحسان زائد على ما يستحقون ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَٰهُهُ﴾ إلى الله أو الفضل ﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ هو الإسلام أي: يوفقهم له ويثبتهم عليه.

[١٧٦] - ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: في الكلالة بدليل ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ مرّ تفسيرها. (٢)

قيل: مرض «جابر» فعاده النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «إني كلاله فكيف

(١) تفسير مجمع البيان ٣: ١٤٧.

(٢) في تفسير الآية (١٢) من هذه السورة.

أصنع في مالي؟ فنزلت^(١) ﴿إِنْ أَمْرُؤَا﴾ فاعل فعل يفسره ﴿هَلَكَ﴾ مات ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ ذكر أو انثى، صفة له، أو حال عن فاعل «هلك» وهو مقيد بعدم الوالد أيضاً للإجماع والسنة، ودلالة الكلالة عليه - ان فسرت بالميت - ﴿وَلَهُ﴾ عطف أو حال ﴿أُخْتُ﴾ لأبوين أو لأب، لسبق حكم الأخت للأم ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ بالفرض، والباقي رد عليها، لا للعصبة ﴿وَهُوَ يَرِثُهَا﴾ أي المرء يرث أخته كل المال إن انعكس الأمر ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ ذكر أو انثى، ولا والد لما مرَّ ﴿فَإِنْ كَانَتْ﴾ أي من يرث بالاخوة.

والتأنيث باعتبار المعنى ﴿أُنْتَيْنِ﴾ فصاعداً خبر «كان» وفائدته بيان ان الحكم باعتبار العدد دون غيره من الصفات ﴿فَلَهُمَا الثَّلَاثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ الميت بالفرض والباقي بالرد ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ الكلام فيه كما في «كانتا» ﴿إِخْوَةً﴾ تغليب للمذكر ﴿رِجَالاً وَنِسَاءً﴾ بدل أو صفة أو حال ﴿فَلِلَّذَكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الأحكام كراهة ﴿أَنْ تَضِلُّوا﴾ أو لأن لا تضلوا ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيعلم الأصلح لعباده فيفعله لهم.

مركز تحقيق كتاب تيسر علوم اسلامی

(١) تفسير جوامع الجامع ١: ٣٠٦.

سورة المائدة

[٥]

مائة وعشرون آية مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ الوفاء والإيفاء بالعقد: القيام بمقتضاه. والعقود أوكد العهود، والمراد بها ما عقده الله على عباده وكلفهم به، أو ما يتعاقدونه بينهم في معاملاتهم ونحوها، أو ما يعتمها ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهَيْمَةَ الْأَنْعَامِ﴾ لعله تفصيل للعقود.

والبهيمة: كل حي لا يميز، أو كل ذي أربع، وضافتها الى الأنعام بيانية، أي البهيمة من الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه كآية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾^(١) ﴿غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ﴾ حال من ضمير «لكم» أو «أوفوا» ﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ حال من ضمير «محلي» و«حرم» جمع حرام للمحرم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَخُكُّمُ مَا يُرِيدُ﴾ من تحليل وغيره.

[٢] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ حدوده أو فرائضه أو مناسكه،

(١) وهي الآية الثالثة من هذه السورة.

أو دينه، جمع شعيرة أي علامة ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾ ما أهدى إلى الكعبة جمع هدية كـ «جدي» جمع جدية: السرج ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ جمع قلادة، وهي ما قلده به الهدي من نعل وغيره، علامة له فلا يتعرض له.

والنهي عن أخذها مبالغة في النهي عن الهدي، أو: أريد ذات القلائد من الهدي. وعطفها عليه لشرفها ﴿وَلَا آمِينَ﴾ قاصدين ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ بأن تقاتلوهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ ثوابه ورضاه عنهم في الآخرة، والجملة حال من مستكن «آمين» يعطى علة المنع.

وقيل: يبتغون رزقاً منه بالتجارة، و«رضواناً» بزعمهم،^(١) إذ قيل: نزلت الآية في المشركين حجاج اليمامة حين هم المسلمون أن يتعرضوا لهم.^(٢) وقيل: أنها منسوخة بآيات منع المشركين عن المسجد،^(٣) وقيل: محكمة إذ لا يجوز أن يبدنوا بالقتال في الأشهر الحرم^(٤) ويؤيده ما اشتهر أن «المائدة» آخر ما نزل.

وأما آيات منعهم فمخصصة لهذه فيما إذا وصلوا وأرادوا دخول الموضع المحرم ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ إباحة للإصطياد بعد زوال ما حرّمه ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ لا يكسبنكم ﴿شَتَاؤُنْ قَوْمٍ﴾ بغضهم مصدر مضاف إلى الفاعل أو المفعول. وسكن نونه «ابن عامر» و«أبو بكر» و«نافع»^(٥) ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾ لأن صدوكم. وكسر الهمزة «ابن كثير» و«أبو عمرو» على الشرط^(٦) ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ عام الحديبية ﴿أَنْ تَقْتَدُوا﴾ بقتالهم. مفعول ثانٍ لـ «يجرمنكم» إذ هو كـ «كسب» يتعدى إلى واحد واثنين

(١) قاله قتادة وابن عباس - كما في تفسير التبيان ٣: ٤٢٢.

(٢) قاله السدي - كما في تفسير روح المعاني ٦: ٤٨.

(٣) قاله قتادة وابن عباس - كما في تفسير التبيان ٣: ٤٢٢، وانظر سورة التوبة: ٢٨/٩.

(٤) قاله ابن جريج - كما في تفسير التبيان ٣: ٤٢٢.

(٥) حجة القراءات: ٢١٩.

(٦) حجة القراءات: ٢٢٠.

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ فعل الطاعة وترك المعصية ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المعاصي وتعدي حدود الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أوامره ومناهيه ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه .

[٣] - ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ ما مات بلا تذكية، أكلاً أو انتفاعاً ﴿وَالدَّمُ﴾ مطلقاً إلا ما خرج بدليل كالمتخلف في الذبيحة . ولا يقيد «أو دم» مسفوحاً لعدم حجية مفهومه ، ولا منافاة ﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ رفع الصوت به للصنم ، أو ما لم يُسمَّ الله عليه ، سمي غيره أم لا ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ الميتة خنقاً ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ المقتولة بالضرب .

والوقذ : الضرب ﴿وَالْمُتَرَدِّتَةُ﴾ الساقطة من علو ، أو في بئر فتموت ﴿وَالنَّطِيطَةُ﴾ التي نطحتها أخرى فماتت . وتأوها للنقل ﴿وَمَا أَكَلَ السَّيْعُ﴾ منه فمات ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أدركتم ذكاته مما يقبلها من ذلك . وفيه حياة مستقرة .

والذكاة : الذبح والنحر على وجه مخصوص ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ جمع نصاب ، أو : واحد الأنصاب ، وهي أحجار كانت منصوبة حول البيت ، يذبحون عليها تقرباً إليها .

وقيل : هي الأصنام ^(١) و«على» بمعنى اللام ، أو على أصلها ، أي : على إسم الأصنام ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا﴾ تطلبوا معرفة ما قسم لكم مما لم يقسم ﴿بِالْأَزْلَامِ﴾ جمع زَلَمَ كـ «جمل» و«صرد» قدح لا ريش فيه ولا نصل .

كانوا إذا قصدوا أمراً ضربوا ثلاثة قداح كتب على أحدها : «أمرني ربي» . وعلى الآخر : «نهاني ربي» والثالث غفل ، فإن خرج الأمر فعلوا ، وإن خرج النهي تركوا ، وإن خرج الغفل أجالوها ثانياً .

وقيل : تطلبوا قسمة الجزور بالأزلام ، وهي عشرة - كما روي عن

(١) نقل هذا القول الألوسي في تفسير روح المعاني ٥٢: ٦ .

الصادقين - عليهما السلام^(١) - ﴿ذَالِكُمْ فِشْقٌ﴾ أي تناول هذه المحرمات خروج عن الطاعة، أو الإشارة إلى الاستقسام ﴿الْيَوْمَ﴾ لم يُرد يوم بعينه، بل أريد الحاضر وما بعده من الزمان. وقيل: يوم نزولها وهو يوم الجمعة، عرفة حجة الوداع^(٢) ﴿يَسَّسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ من ارتدادكم عنه بتحليل ما حرم أو غيره أو من أن يغلبوه ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ أن يقهروكم ﴿وَآخِشُونَ﴾ بالإخلاص ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بنصركم على عدوكم، أو ببيان الأحكام والفرائض، وأصول الشرائع.

وعن الصادقين - عليهما السلام: «أنها نزلت بعد أن نصب النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً علماً للأمام يوم غدیر خم، منصرفاً من حجة الوداع، وهو آخر فريضة أنزلها»^(٣) ﴿وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بولاية علي عليه السلام، أو اكمال الدين، أو فتح مكة ﴿وَرَضِيتُ﴾ اخترت ﴿لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ من بين الأديان ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ إلى أكل شيء، من هذه المحرمات. فهذا متصل بها وما بينهما اعتراض يؤكد التحريم ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ مجاعة ﴿غَيْرِ مُتَجَانِفٍ﴾ مائل ﴿لِإِثْمٍ﴾ بأن يأكل تلذذاً. أو يتعدى حد الضرورة، أو يعي على الإمام، أو يقطع الطريق ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب فلا يعاقب المضطر فيما رخص له ﴿رَحِيمٌ﴾ بعباده برخصه لهم.

[٤] - ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ﴾ من المطاعم، كأنهم لما تلا عليهم المحرمات سألوهم عما أحل لهم، وأوقع السؤال على الجملة لتضمنه معنى القول. و«ماذا» مرّ بيانه. ولم يقل «لنا» على الحكاية، لأن «يسألونك» للغيبة، والوجهان صواب ﴿قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ ما لم تستخبثه الطباع السليمة، أو ما لم يدل دليل على حرمة ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ﴾ عطف على «الطيبات» أي: وصيد ما علمتم، أو شرط جوابه «فكلوا»

(١) تفسير البرهان ١: ٤٣٣.

(٢) قاله مجاهد وابن جريج وابن زيد - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٥٨٨.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ١٥٩. وينظر تعليقنا على الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

﴿مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ كواسب الصيد على أهلها من الكلاب بفريضة ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ لاشتقاقه من الكلب أي حال كونكم صاحبي كلاب. وقيل: أريد مطلق الجوارح من سباع البهائم والطيور. ^(١) وإطلاق «مكلبين» لأغلبية تعليم الكلب.

ومنا من قال به ^(٢) وهو خلاف الظاهر والمروى عن أهل الذكر عليهم السلام. وأما ما روي عنهم عليهم السلام من مساواة الفهد والصقور والبازي للكلب ^(٣) فللتقية ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حال أخرى، أو استئناف ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ من علم التأديب إلهاماً، أو اكتساباً بالعقل الذي منحكموه، أو مما عرفكم أن تعلموه من الإسترسال بإغراء صاحبه والإنزجار بزجره ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وإن قتلته.

واختلف في اشتراط عدم الأكل لاختلاف الأخبار ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي سموه على ما علمتم عند إرساله، أو على ما أمسكن إذا أدركتم ذكاته ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في حدوده ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فيؤاخذكم بتعديها.

[٥] - ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ ظاهره يعم ذبائحهم وغيرها. وعليه فقهاء الجمهور ^(٤) وجماعة منا، ويعضده أخبار. ^(٥) ثم منهم من عظم في اليهود والنصارى. ومنهم من استثنى نصارى تغلب؛ للحديث. ^(٦)

(١) قاله الحسن ومجاهد وحيثمة بن عبدالرحمان - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٤٠.

(٢) وهو ابن أبي عقيل رحمه الله، على ما نقله الشهيد - قدس سره - في المسالك ٢: ٢١٧.

(٣) كما ورد في الوسائل ١٦/ ٢٦٦ الباب التاسع من أبواب الصيد، الأحاديث ١٦ و ١٧ و ١٨. وانظر تفسير البرهان ١: ٤٤٨ الحديثان ٩ و ١٦.

(٤) ينظر تفسير روح المعاني ٦: ٥٨.

(٥) كما في الوسائل ١٦: ٣٤٧ الباب ٢٧ من أبواب الذبائح، الأحاديث ١١ و ١٤ و ١٥ و ١٧.

(٦) ذهب إليه الشافعي - كما في الجامع لأحكام القرآن ٦: ٧٨ -، وفي تفسير روح المعاني ٦: ٥٨: ان علياً عليه السلام كان ينهي عن ذبائح بني تغلب ويقول: ليسوا على النصرانية، انهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية الا شرب الخمر.

وأما المجوس فاختلف في إلحاقهم بالكتابيين لاختلاف الأخبار.^(١)
وعن الصادقين عليهما السلام: تخصيص الطعام بالحبوب وشبهها^(٢) وعليه
أكثر الأصحاب^(٣) ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ فيحل لكم أن تطعموهم ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ
الْمُؤْمِنَاتِ﴾ العفاف والحرائر وتخصيصهن للأولوية ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ظاهره حل نكاح كل كتابية ذمية أو حربية دائماً أو متعة أو ملكاً،
فيخصص آية: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرَكَاتِ﴾^(٤) ان شملت الكتابية.
وعن الباقر عليه السلام: منسوخ بتلك،^(٥) ويعارضه شهرة تأخر «المائدة» نزولاً،
وأصحابنا بين مبيح مطلقاً، أو: في المتعة والملك خاصة، ومحرم مطلقاً. والأخبار
مختلفة وكذا في المجوسية ﴿إِذَا عَاتَبْتُمُوهُمْ أَجُورُهُمْ﴾ مهورهم ﴿مُحْصِنِينَ﴾ أعفاء
﴿غَيْرِ مُسَافِحِينَ﴾ غير زانين جهراً ﴿وَلَا مُتَخِذِينَ أَلْدَانِ﴾ صدائق يزنون بهن سراً.
والمخدن يقال للذكر والأنثى ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ ينكر شرائع الإسلام ﴿فَقَدْ
حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الهالكين
[٦] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أي: إذا أردتم القيام إليها مثل:
﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ﴾^(٦) عبر بمسبب الإرادة عنها، أو قصدتموها، إذ القيام
إلى الشيء قصده. وظاهرها يوجب الوضوء على كل قائم لكن خصه الإجماع
والأخبار بالمحدثين بالأصغر.

(١) ينظر الوسائل ١٦: ٣٤٩ الباب ٧ من أبواب الصيد والذبائح، الحديث ٣١ و٣٣ و٣٤.

(٢) ينظر تفسير البرهان ١: ٤٤٨ الحديث الثاني وما بعده.

(٣) في «ط»: أصحابنا.

(٤) سورة البقرة: ٢/٢٢١.

(٥) تفسير مجمع البيان ٢: ١٦٢.

(٦) سورة النحل: ١٦/٩٨.

وعن الصادق عليه السلام: المراد إذا قمتم من النوم^(١).
 وقيل: كان ذلك في الإبتداء فنسخ^(٢) وردّ بشهرة عدم المنسوخ في
 «المائدة» واعتبار الحدث في بدله؛ أي التيمم في الآية. وقيل: الأمر فيه للندب
 لاستحباب التجديد^(٣).

وردّ بأن قرينة «فاطهروا» و«فتمموا» للوجوب وبشوت الوجوب في المحدث.
 وحمله على الرجحان المطلق ليعم الندب والوجوب بعيد.

ويحتج بالآية لوجوب الوضوء لغيره لإفهامها أنه للصلاة، ولأن مفهومها عدم
 وجوبه إذا لم ترد الصلاة. وفيه جواز كونه لها مع كونه واجباً لنفسه. والمفهوم أنّما
 يعتبر فيما لا فائدة للشرط سواء. والفائدة هنا بيان أن الصلاة غرض للوضوء في
 الجملة، ويحتج بها لوجوبه لنفسه لتحقيق الإرادة قبل الوقت فيجب، وإذا وجب قبله
 في الجملة وجب قبله دائماً للإجماع المركب.

وفيه منع عموم «إذا»، ومنع إرادة «إذا أردتم» لجواز إذا تهيأت لها تهيؤاً متصلاً
 بها، وهو انما يتحقق في الوقت «فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ» أمروا الماء عليها ولا يجب
 ذلك ولا تحليل الشعر؛ إذ الوجه ما يواجه به «وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ» غاية للمغسول
 فلا تفيد الإبتداء بالأصابع سيّما إذا جعلت بمعنى «مع» فهي مجملة.

وأوجب جلنا الإبتداء بالمرافق مدعين فهمه من أخبارهم فهي بيان للإجمال.
 ومنا من جوزّ النكس لظاهر الآية، ولا تفيد دخول المرفق لخروج الغاية تارة
 ودخولها أخرى. ودعوى دخولها إذا لم تتميز عن المغيّا لم تثبت وكون «إلى» بمعنى
 «مع» مجاز لا بدّ له من قرينة، ولكن أطبقت الأمة إلّا من شدّ من العامة على دخوله

(١) كما في تفسير العياشي ١: ٢٩٧.

(٢) قاله ابن عمر - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٦٤.

(٣) كما ورد في تفسير القرطبي ٦: ٨١ عن طائفة.

وان اختلفوا في مأخذه أهو الآية أم الاحتياط ، أم كونه مقدمة الواجب وهو الأظهر
﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ أي بعضها لإجماعنا، وللباء بنص^(١) الباقر عليه السلام.^(٢)
ولا يعارضه انكار سيوييه مجيئها للتبويض الموجب لضعف الظن بصدوره عنه عليه
السلام لأنه معارض بإصرار إلامعي وجمع من النحاة على خلافه .

وقيل : معناه الصقوا المسح برؤوسكم ،^(٣) فيتحقق بمسح البعض والكل . ومن
ثم اختلفوا فأوجب «مالك» مسح كل الرأس^(٤) و«أبو حنيفة» ربه ،^(٥) و«الشافعي»
مسمى المسح ،^(٦) ويختص بالمقدم بإجماعنا ونص أئمتنا عليهم السلام .^(٧) وخير العامة
في موضعه .^(٨) وأقل ما يحصل به إصبع في الأظهر ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ جره
«حمزة» و«ابن كثير» و«أبو عمرو» و«أبو بكر» ، ونصبه الباقر .^(٩)

واختلف في مسح الأرجل وغسلها ، فأصحابنا كافة أوجبوا المسح ، وهو مذهب
أئمتنا عليهم السلام وابن عباس وجمع من التابعين .^(١٠)
وأوجب الفقهاء الأربعة الغسل ،^(١١) وجماعة الجمع ،^(١٢) وخير

(١) في «ط» : عن الباقر عليه السلام .

(٢) تفسير البرهان ١ : ٤٥٢ - الحديث (١٦) .

(٣) قاله الطبرسي في جوامع الجامع ١ / ٣١٥ والزمخشري في تفسير الكشاف ١ : ٥٩٧ .

(٤) تفسير مجمع البيان ٢ : ١٦٤ وتفسير الكشاف ١ : ٥٩٧ .

(٥) قاله الشيخ الطوسي في تفسير التبيان ٣ : ٤٥١ : وعندنا لا يجوز المسح الا على مقدم الرأس وورد
النص بذلك في تفسير البرهان ١ : ٤٥٢ ، الحديث ٨ .

(٦) نقل ذلك القرطبي عن ابراهيم والشعبي في الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٨٩ .

(٧) حجة القراءات : ٢٢٣ .

(٨) تفسير مجمع البيان ٢ : ١٦٤ وانظر الخلاف ١ : ١٤ باب الطهارة ، المسألة ٣٩ .

(٩) ذكره القرطبي عن ابن العربي في الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٩١ وينظر كتاب الخلاف ١ / ١٤ باب
الطهارة المسألة ٣٩ .

(١٠) تفسير التبيان ٣ : ٤٥٢ و تفسير روح المعاني ٦ : ٦٦ .

آخرون،^(١) والقراءتان معنا، اما الجر فلعطفها على الرأس، ومقتضاه وجوب المسح، وجعلها معطوفة عليها لا لتمسح، بل ليقصد في صب الماء عليها، ولا يسرف فيه فتغسل غسلاً شبيهاً بالمسح تعسفً وإلغاز وتعمية^(٢) لا يجوز وقوعه في القرآن.

وجعلها معطوفة على الوجوه والجر للمجاورة ضعيف؛ للفصل بجملة المسح، وشذوذ جر الجوار وقصره على السماع وكونه فيما لا لبس فيه، ولا حرف عطف معه كـ «جر ضبّ خرب» وها هنا لبس وعطف.

واما النصب فللعطفها على محل «رءوسكم»، ومثله في القرآن العزيز وغير عزيز، فتطابق القراءتان في وجوب المسح، وعطفها على الوجوه من أقبح الوجوه لإخراجه الكلام عن حلية الانتظام، وتقدير فعل أي: واغسلوا كـ «علفتها تبناً وماءً» أي: وسقيتها ماء خلاف الأصل، وإنما ارتكب في المثال لتعذر الحمل على المذكور، ولم يتعذر ما هنا لصحة العطف على المحل، والكعب عندهم: مانتاً^(٣) عن يمين القدم وشماله.

وعندنا: العظم الناتي وسط القدم، لأخبار أئمتنا.^(٤)

ومناً من جعله مفصل الساق والقدم،^(٥) ويختص المسح بظهر القدم، ولا

(١) وهم الحسن بن أبي الحسن البصري ومحمد بن جرير وابو علي الجبائي - كما في الخلاف ٤٥٢:١.

(٢) الإلغاز والتعمية: عدم بيان المراد.

(٣) نأ الشيء: ارتفع وانتفخ.

(٤) انظر الوسائل ١: ٢٧٥ الباب (١٥) من ابواب الوضوء - الحديث (٩) والباب (٢٤) من ابواب الوضوء، الحديث (٤).

(٥) وهو العلامة، وقد اختاره في المختلف حيث قال: ويراد بالكعبين - هنا -: المفصل بين الساق والقدم.

يجب الاستيعاب عرضاً للإجماع والأخبار.^(١)

ويكفي الإصبع - ولو منكوساً - في الأظهر. واختلف في دخول الكعب . والكلام في «إلى» كما مر.^(٢) وظاهر الآية عدم الترتيب بين الرجلين ، وهو المشهور .
ومنا من أوجبه ولم يتم دليله ، وهو الأحوال ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ فاغسلوا عطف على «فاغسلوا» ويحتج به لوجوب الغسل لغيره أو لنفسه كما مر ، أو على «إذا قمتم» ويحتج به لوجوبه لنفسه وهو قوي ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ فسر في «النساء»^(٣) ﴿مِنْهُ﴾ من الصعيد ، أو التيمم . و«من» للتبعض . ويحتج بها لاشتراط علق التراب ، ويلزمه المنع من الحجر ، وفيه بحث .
وقيل : للإبتداء^(٤) ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ مفعول «يريد» محذوف ، واللام للعلّة ، أي ما يريد الأمر بالوضوء والغسل والتيمم تضيقاً عليكم ، أو زائدة والمفعول «أن يجعل» .

وتضعيف البضاوي تقدير «أن» بعد الزائدة هنا ينافي قوله به في «يريد الله ليبين لكم»^(٥) و«يريدون ليظفروا»^(٦) وكذا القول في ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ من الذنوب بالوضوء وأخويه . ويؤيده حديث : «إن الوضوء يكفر ما قبله»^(٧) أو من الأحداث بالماء أو التراب ، أو ينظفكم بالماء ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ شرعه ما به تطهيركم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمته .

(١) انظر الوسائل ١: ٢٩٣ الباب (٢٤) من ابواب الوضوء .

(٢) مر آنفاً في «إلى المرافق» .

(٣) في تفسير الآية ٤٣ .

(٤) ذكره البضاوي في تفسيره ٢: ٩٠ ولم يرتضه .

(٥) سورة النساء : ٤ / ٢٦ .

(٦) سورة الصف : ٦١ / ٨ .

(٧) مستدرک الوسائل ١: ٥٢ الباب ٤٧ من ابواب الوضوء - الحديث (١٤) .

[٧] - ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ﴾ عاقدكم ﴿بِهِ﴾ من مبايعتكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر، أو ما تبين لكم في حجة الوداع من الأحكام وفرض الولاية، أو بيعة العقبة وبيعة الرضوان ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ فيما تأمر وتنهى. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في كفران نعمه ونقض ميثاقه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بسرائرها فبغيرها أولى.

[٨] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ بحقوقه ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَاؤُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ عدي بـ «على» لتضمنته معنى الحمل، أي لا يحملنكم بغض الكفار على ترك العدل معهم فتنالوا منهم ما لا يحل ﴿اغْدِلُوا هُوَ﴾ أي العدل ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ صرح بأمرهم بالعدل وبين أنه بمكان من التقوى بعد نهيمهم عن تركه وبيان أنه مقتضى الهوى، هذا مع الكفار فكيف المؤمنون ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿فِي جَارِزِكُمْ بِهِ﴾.

[٩] - ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ حذف ثاني مفعولي «وعد» لبيانه بجلمة: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ استئناف، أو: هي المفعول، لأن الوعد ضرب من القول.

[١٠] - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ اتبع حال أحد الفريقين حال الآخر ليقرن الترغيب بالترهيب كما هو عادته تعالى.

[١١] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ للفتك بكم، يقال: بسط اليه يده، إذا بطش به ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ منعها أن تمتد اليكم.

قيل: أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جماعة من أصحابه «النظير» يستقرضهم دية مسلمين، قتلها بعض أصحابه، يحسبهما مشركين. فقالوا: «اجلس حتى

نطعمك ونقرضك، وهموا بقتله، فأخبره الله تعالى فخرج. ^(١)

وقيل: نزل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منزلاً وتفرق الناس فعلق سيفه بشجرة، فجاء أعرابي فسله، فقال: من يمنعك مني؟ فقال: الله، فأسقطه جبرائيل منه، فأخذه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «من يمنعك مني؟» فقال: «لا أحد» وأسلم فنزلت ^(٢) ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فإنه حسب من توكل عليه.

[١٢] - ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا﴾ التفات ﴿مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَفِياً﴾ رئيساً. أمرهم الله بعد هلاك فرعون وهم بمصر أن يسيروا إلى «أريحا» من أرض الشام، وكان يسكنها الجبابرة، فقال: اني كتبته لكم قراراً فجاهدوا من فيها فاني ناصركم، وأمر موسى أن يأخذ من كل سبط كفيلاً عليهم بالوفاء بما أمروا به، فأخذ عليهم الميثاق، واختار النقباء، فسار بهم، ولما قاربها بعث النقباء يتجسسون فرأوا أجراماً عظيمة وشوكة فرجعوا، ونهاهم أن يخبروا قومهم، فأخبرهم إلا «كالب» من سبط «يهوذا» و«يوشع» من سبط «يوسف» ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ﴾ للقسم ﴿أَقِمْتُمْ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَرَّرْتُمْ مَوْتَهُمْ﴾ نصرتموهم.

وأصله: المنع، ومنه: التعزيز ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ﴾ بالإنفاق في سبيله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ مصدر أو مفعول ﴿لَا كُفْرَنَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ جواب للقسم ناب جواب الشرط ﴿وَلَا دَخَلْنَكُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ طريق الحق.

[١٣] - ﴿فِيمَا نَقُضِيهِمْ﴾ «مَا» زائدة ﴿مِيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ﴾ أبعدناهم من رحمتنا أو مسخناهم، أو عذبناهم بالعزبة ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ منعناهم الالطاف حتى

(١) قاله مجاهد وقتادة - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٦٩.

(٢) قاله الحسن - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٦٩.

قست . وقرأ «حمزة» و«الكسائي» «قَسِيَّة» مبالغة^(١) قاسية أو بمعنى رديّة من قولهم : «درهم قسي» للمغشوش من القسوة أيضاً ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ بيان قسوة قلوبهم ، إذ لا قسوة أشدّ من تغيير وحي الله ﴿وَتَسُوا حَظًّا﴾ تركوا نصيباً جزيلاً ﴿مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ في التوراة من إتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ حرفوها ، أو : زلت أشياء منها بشؤم تحريفهم عن حفظهم ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ خيانة ، أو فرقة خائنة ، أي الخيانة عادتهم كأسلافهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ لم يخونوا وهم الذين آمنوا ﴿فَاغْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ ان تابوا ، وبذلوا الجزية . وقيل : مطلق ، نسخ بآية السيف^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ الى الناس .

[١٤] - ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ سموا أنفسهم بذلك ادّعاءً لنصرة الله متعلق بقوله : ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ كما أخذنا من اليهود ﴿فَتَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ في الإنجيل ﴿فَاغْرَيْنَا﴾ ألزمتنا من غيري به : لصق به ﴿بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ بين فرق النصارى الثلاث أو بينهم وبين اليهود ﴿وَسَوْفَ يُبْهِتُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ بالحساب والعقاب .

[١٥] - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ جنسه ، خطاب لليهود والنصارى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ كالترجم ونعته صلى الله عليه وآله وسلم وبشارة عيسى به ﴿وَيَغْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ مما تخفونه لايبيته لعدم باعث ديني عليه ، أو عن كثير منكم ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو : القرآن ﴿وَكِتَابٌ﴾ القرآن ﴿مُبِينٌ﴾ للحق ، أو بين الأعجاز .

[١٦] - ﴿يَهْدِي بِهِ﴾ بالكتاب ﴿اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ من آمن ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ سبل الله أو السلامة من عذابه ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾

(١) حجة القراءات : ٢٢٢ .

(٢) وهي الآية الخامسة من سورة التوبة .

الإيمان ﴿يَإِذْنِهِ﴾ بلطفه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق الحق،
أو: طريق الجنة.

[١٧] - ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ هم «اليعقوبية»

القائلون بالإتحاد: وقيل: لم يصرحوا به ولكن لزمهم لذلك لزعمتهم أنه لا هوتي
وقولهم بوحدة الإله ^(١) ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ﴾ فمن يمنع من أمره ﴿شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ
يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ فالمسيح مقهور لا يملك دفع
الهلاك عن نفسه كسائر الممكنات فكيف يكون إلهاً؟ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ومنه المسيح ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيخلق من ذكر
وأنثى ومن أنثى بلا ذكر كعيسى، ومن ذكر بلا أنثى كحواء، ومن غير ذكر وأنثى كآدم.

[١٨] - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ أشباع إبنه «عزير»

و«المسيح» كما يقول حشم الملوك: نحن الملوك، أو مقربون عنده قرب الأبناء من
أيهم ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ إن صَحَّ ما زعمتم، والأب لا يعذب إبنه
ولا الحبيب حبيبه، وقد عذبكم بالقتل والمسح وسيعذبكم أياماً بإقراركم ^(٢) ﴿بَلْ أَنْتُمْ
بَشَرٌ مِمَّنْ﴾ من جملة ﴿خَلَقَ﴾ من البشر يعاملكم معاملتهم ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وهم
من آمن به ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ وهم من كفر ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فيجازي كلًّا بعمله.

[١٩] - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ أي الدين، حذف

لظهوره، أو يبذل لكم البيان، وهو حال ﴿عَلَى فِتْرَةٍ﴾ أي جاءكم على حين انقطاع
﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ إذ ليس بينه وبين عيسى رسول، بل أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد

(١) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ١٤٢.

(٢) المراد اقرارهم بقولهم: «وقالوا لن تمسنا الا أياماً معدودة». (البقرة: ٨٠/٢) و(آل
عمران: ٢٤/٣).

من العرب «خالد بن سنان العبسي» ومدة ذلك ستمائة أو خمسمائة وتسع وستون سنة. وفيه امتنان عليهم ببعثه اليهم حين درس أثر الوحي أخرج ما يكونون اليه ﴿أَنْ﴾ كراهة أن، أو لأن لا ﴿تَقُولُوا﴾ اعتذاراً ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ فلا عذر لكم إذن ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الإرسال وغيره ﴿قَدِيرٌ﴾.

[٢٠] - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ هداكم وأعزكم بهم ولم يجعل في أمة ما جعل فيكم من الأنبياء.

وقيل: هم الأنبياء ما بين موسى وعيسى مدة الف وسبعمائة سنة، وهم الف نبي^(١) ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ لملك فرعون، أو ذوي دور وخدم، أو مالكين لأموالكم بعد أن كنتم ممالك للقبط ﴿وَمَا تَأْتِيكُمْ مَالٌ يَبُوتُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ من فلق البحر وتظليل الغمام، والمن والسلوى، وغيرها، أو أريد عالمي زمانهم.

[٢١] - ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ أرض بيت المقدس المطهرة بالأنبياء، إذ كانت قرارهم: وقيل: الطور وما حوله،^(٢) وقيل: الشام^(٣) ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ﴾ قسمها أو وهبها ﴿لَكُمْ﴾ أو كتب في اللوح أنها لكم. ولعله بشرط الطاعة إذ حرّمها عليهم حين عصوا ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا﴾ ولا ترجعوا ﴿عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾ منهزمين خوفاً.

قيل: لما عرفهم النقباء حال الجبابة همّوا بالرجوع إلى مصر.^(٤)

أو لا ترجعوا عن طاعة الله بعصيانكم ﴿فَتَقَلَّبُوا﴾ نصب جواباً، أو جزم بالسعطف ﴿خَاسِرِينَ﴾ الدارين.

[٢٢] - ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ من العمالقة أولي قوة وجسامة.

(١) قاله الكلبي - كما في تفسير الكشاف ٦٠٢: ١.

(٢) قاله مجاهد - كما في تفسير التبيان ٤٨٢: ٢ وتفسير مجمع البيان ١٧٨: ٢.

(٣) قاله قتادة - كما في تفسير مجمع البيان ١٧٨: ٢.

(٤) نقل هذا القول الزمخشري في تفسير الكشاف ٦٠٣: ١.

والجبار الذي يجبر الناس على ما يريد من «جبره على كذا» بمعنى أجبره ﴿وَلِإِنَّا لَنَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ إذ لا نطبقهم.

[٢٣] - ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ «كالب» و«يوشع» ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الله. وقيل: كانا من الجبابرة، أسلما وأتيا موسى. ^(١) ف«الواو» لبني إسرائيل، وعائد «الذين» محذوف؛ أي من الذين يخافهم بنو إسرائيل ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالتوفيق للإيمان. صفة أخرى لهما أو اعتراض ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ باب قريتهم ولا تخشوهم فإنهم اجساد بلا قلوب ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ علما ذلك من إخبار موسى به، وقوله «كتب الله لكم» ^(٢) أو مما عهدا من قهر الله اعداء موسى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ به وبوعده.

[٢٤] - ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا﴾ نفى لدخولهم مؤبد مؤكدا ﴿مَا دَامُوا فِيهَا﴾ بدل بعض من «أبدا» ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾ قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله.

[٢٥] - ﴿قَالَ﴾ شاكياً بئس إلى ربه حين عصوه ولم يبق معه من يثق به سوى هارون ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ يجوز نصبه عطفاً على «نفسي» أو على اسم «إن»، ورفع عطفاً على فاعل «أملك» أو على محل اسم ان ﴿فَافْرُقْ﴾ فافصل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ بحكمك.

[٢٦] - ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ لا يدخلونها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ عامله إما «محرمه» فيكون التحريم موقفاً، فلا ينافي قوله: «التي كتب الله لكم» فقد حكى أن موسى فتح «أريحا» بمن بقي من بني إسرائيل، وأقام فيها إلى أن قبض.

وقيل: قبض في التبه، وفتحها بعده «يوشع» قاتلهم حتى غربت الشمس فردها

(١) قاله ابن عباس - كما في تفسير البيان ٤: ٤٨٥ وتفسير مجمع البيان ٢: ١٨٠.

(٢) تقدم آنفاً في الآية ٢١ من هذه السورة.

الله عليه حتى فتح^(١) أو ﴿يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يسيرون متحيرين ، لا يهتدون طريقاً .
فالتحريم مطلق ، وقد قيل : «لم يدخل الأرض المقدسة كل من قال لن ندخلها»
وماتوا في التيه وانما فتحها ذراريهم .^(٢)

قيل : لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ ، يسيرون كل يوم ، فإذا أمسوا كانوا بحيث
ارتحلوا عنه ، والغمام يظلهم عن الشمس ويضيء لهم بالليل عمود نور ، وطعامهم
المن والسلوى ، وماؤهم من الحجر^(٣) والاشهر أن موسى وهارون كانا معهم ، وكان
ذلك لهما روحاً ولهم عقوبة ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ فلا تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ بالندم
على الدعاء عليهم ، فإنهم أحقاه به لفسقهم .

[٢٧] - ﴿وَأَنذَرُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ﴾ هابيل وقايل ، وقد أمر الله آدم أن ينكح كلا
منهما توأم الآخر فأبى قايل ، لأن توأمه كانت أجمل ، فقال لهما آدم : قربا قرباناً فمن
أيكما قبل نكحها ، فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قايل حسداً وفعل ما
قص ﴿بِالْحَقِّ﴾ تلاوة متلبسة بالحق ، أو اتله متلبساً بالصدق ﴿إِذْ قَرَّبَا﴾ ظرف لـ «نبأ»
أو حال منه ﴿قُرْبَانًا﴾ هو ما يتقرب به إلى الله ، وأصله مصدر ، فلذا لم يش ، أو أريد
قرب كل قرباناً . وكان هابيل ذا ضرع فقرب من خير غنمه ، وقايل ذا زرع فقرب أرداه
﴿فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ إذ سخط حكم الله وقرب شر ما له ﴿قَالَ﴾
لأقتلنك ﴿تَوَعَّدَهُ بِالْقَتْلِ حَسْداً لَهُ عَلَى تَقَبُّلِ قَرْبَانِهِ لِأَنَّهُ﴾ ﴿قَالَ﴾ جواباً له ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ
اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي إنما أصبت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي ، فلم
تقتلني ؟ وظاهره اشتراط قبول العمل بالتقوى ويشكل بطاعة الفاسق إذا وقعت على
الوجه الشرعي ويمكن كون الشرط التقوى في ذلك العمل بأن يوقعه على وجهه .

(١) قاله الزجاج - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٨٢ .

(٢) نقله الطبرسي في جوامع الجامع ١: ٢٢٣ .

(٣) قاله الربيع - كما في تفسير الطبري ٦: ١٨١ .

[٢٨ - ٢٩] - ﴿لَئِنْ﴾ للقسمة ﴿بَسَطْتُ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ بِيَدَيْكَ﴾^(١) لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿قِيلَ﴾: كان هابيل أقوى منه ولكن تحرّج عن قتله، واستسلم له خوفاً من الله، إذ السدفع لم ييح بعد،^(٢) وفيه منع الإستسلام، إذ وجوب حفظ النفس عقلي.

والآية لا تدل عليه بل مفادها نفي بسط اليد بقصد قتله، ولا ريب في قبح قصد القتل وحسن الدفع وإن أدى إلى القتل، لأنه لم يقصد، فكأنه قال: لأن ظلمتني لم أظلمك. ولتأكيد نفي هذا الفعل الشنيع عنه، أجاب: «لئن بسطت... ما أنا بباسط» وفتح ياء «يدي» «نافع» و«أبو عمرو» و«حفص» و«يا» «اني» «الحرميان» و«أبو عمرو» و«يا» «إني» «نافع»^(٣) «أُرِيدُ أَنْ تَبْشُرُوا» ترجع متلبساً «بِإِثْمِي» بإثم قتلي «وَإِثْمَكَ» الذي كان منك من قبل، أو إن تحمل اثمي لو بسطت إليك يدي، وإثمك ببسطك يدك إلي. ولم يرد بالذات معصية أخيه وشقاوته، ولكن بفرض كونهما لأحدهما البتة، أو أرادهما لأخيه لاله.

أو أريد بالإثم عقوبته، ولا قبح لإرادة عقاب العاصي «فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» بظلمك لي «وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ» من قوله أو قول الله.

[٣٠] - ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ فيسّره له ووسّعته، من «طاع له المرتع» أي اتسع، أو زينه له. و«له» لزيادة الربط «فَقَتَلَهُ» وهو ابن عشرين سنة، بالهند أو «عقبة حرا» أو موضع مسجد البصرة «فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ» للدارين، إذ بقي عمره طريداً فزعاً.

[٣١] - ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ قيل: قتله فلم يدر ما يصنع به، إذ كان أول ميت من الناس، فبعث الله غرابين، فقتل أحدهما صاحبه فحفر له بمنقاره

(١) قاله الحسن ومجاهد والجبائي - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٨٤.

(٢) انظر كتاب السبعة في القراءات: ٢٥٠.

ورجلية فواراه في الحفيرة،^(١) وهذا يفسد ما قيل : ان ابني آدم كانا من بني اسرائيل^(٢) **﴿لِيرِيَهُ﴾** الله أو الغراب **﴿كَتَفَ﴾** حال من فاعل **﴿يُؤَارِي﴾** أي «يستر» والجملة مفعول ثاني لـ **﴿يُرِي﴾** **﴿سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾** جيفته ؛ إذ هي مما يكره **﴿قَالَ﴾** تحسراً **﴿يَا وَيْلَتَا﴾** يا هلكتا احضري فهذا وقتك . وألفها بدل ياء المتكلم **﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾** في العلم **﴿فَأُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِي﴾** عطف على «أكون» **﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾** على قتله لإسوداد جسده ، وتبرء أبيه منه ، وحمله له سنة ، إذ تحير فيه . ولم يندم توبة .

[٣٢] - **﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** بسبب فعل «قاييل» حكماً عليهم ، وأصله مصدر «أَجَلَ شَرَاءً» أي جناه ، استعمل في تعليل الجناية ثم في كل تعليل توسعاً . و«من» ابتدائية أي ابتداء من أجل ذلك **﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾** بغير قتل نفس يوجب القود **﴿أَوْ﴾** بغير **﴿فَسَادٍ﴾** فعله **﴿فِي الْأَرْضِ﴾** من كفر أو قطع طريق ونحوه **﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾** لأنه هتك حرمة الدماء ، وسن القتل ، وجرأ الناس عليه ، أو لاستواء قتل الواحد والجميع في استجلاب العذاب **﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾** أنقذها من سبب هلكة **﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾** والمقصود تعظيم قتل النفس وأحيائها ، ليرهب ذاك ويرغب في هذا **﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَثَ ذَلِكَ﴾** بعد ما كتبنا عليهم وجاءتهم رسلنا بالآيات الواضحة **﴿فِي الْأَرْضِ لَمُشْرِقُونَ﴾** مجاوزون الحد بالقتل والشرك .

[٣٣] - **﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾** بمحاربة أوليائهما وهم المسلمون . جعل محاربتهم محاربتهم تعظيماً .

والمحارب : من شهر السلاح لإخفاقة المسلم ولو في مصر **﴿وَيَسْعَوْنَ فِي﴾**

(١) قاله ابن عباس وابن مسعود - كما في تفسير مجمع البيان ٢ : ٨٥ .

(٢) قاله الحسن والجبائي وأبو مسلم - كما في تفسير مجمع البيان ٢ : ٨٥ .

الْأَرْضِ فَسَادًا﴿ مفسدين، أو للفساد، أو يفسدون فساداً؛ إذ سعيهم فساد ﴿أَنْ يُقْتَلُوا﴾ قصاصاً، أو حداً على تقدير العفو بلا صلب، إن أفردوا القتل ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ مع القتل إن قتلوا وأخذوا المال ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى إن أخذوا المال ولم يقتلوا ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ من بلد الى بلد بحيث لا يمكنون من القرار في بلد، إن اخافوا فقط.

والآية لم تفد التفصيل بل ظاهرها التخيير. والمخير الإمام بين هذه العقوبات في كل محارب كما نطقت به الأخبار.

وورد بالتفصيل أخبار ضعيفة مضطربة متخالفة^(١) ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ﴾ فضيحة ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ مع ذلك.

[٣٤] - ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ﴾ استثناء بالنسبة إلى حق الله فقط، ويؤيده ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فيسقط القتل الواجب حداً ويبقى الجائز قوداً.

وتقييد التوبة بقبل القدرة يفيد أنها بعدها لا تسقط الحد، وإن أسقطت العذاب.

[٣٥] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ما تتوسلون به إلى

ثوابه من الطاعة من «وسل إليه» أي تقرب، أو درجة في الجنة ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ أعداءه لإعزاز دينه ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ تظفرون بنعيم الأبد.

[٣٦] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ﴾ ثبت ﴿أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ من المال ﴿جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ﴾ اللام متعلق بـ «ثبت» المقدر بعد «لو» ﴿مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٣٧] - ﴿يُرِيدُونَ﴾ يتمنون ﴿أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ

(١) يراجع للتفصيل وسائل الشيعة ١٨: ٥٣٣ الباب الاول من ابواب حد المحارب، الاحاديث ٣ و٤ وغيرها.

عَذَابٌ مُّقِيمٌ» وللمبالغة قيل: «وما هم بخارجين» بدل «وما يخرجون» .
 [٣٨] - ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ مبتدأ حذف خبره، أي فيما يتلى عليكم السارق والسارقة أي حكمهما، أو الخبر ﴿فَاقْطِعُوا﴾ دخلته الفاء لشبهه بالجزاء؛ إذ المعنى: الذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ﴿أَيْدِيَهُمَا﴾ يديهما اليمينين كنفى بشبهة المضاف اليه .
 ولا يقطع إلا إذا سرق من حرز ربع دينار، أو ما يساويه عندنا، والمخالفون بين موافق ومخالف .

والمقطع عندهم: الرسغ^(١) وعند الخوارج: المنكب .
 وعندنا: أصول الأصابع ويترك الإبهام . فإن عاد قطعت رجله اليسرى من أصل الساق ويترك العقب فإن عاد خلّد السّجن ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَسَبَا﴾ مفعول له أو مصدر، وكذا ﴿نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ينتقم بحكمة .
 [٣٩] - ﴿فَمَنْ تَابَ﴾ عن السرقة ﴿مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ سرقة ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أمره بالبقاء على التوبة أو عمله بعدها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ يقبل توبته تفضلاً منه لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ولا ينافي وجوبه للوعد فلا يعذب في الآخرة .
 وأما الحد فعند أكثرهم لا يسقط، وعندنا يسقط قبل ثبوته . أما بعده بيّنة فلا، وإقرار قيل: يتحتم،^(٢) وقيل: يتخير الإمام.^(٣)
 وأما حقوق الناس فلا تسقط بالتوبة .

[٤٠] - ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل أحد ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من العصاة ﴿وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ منهم بدون توبة إذ معها يلغو التعليق بالمشيئة ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه التعذيب

(١) الرسغ: المفصل ما بين الساعد والكف .

(٢) قاله ابن إدريس - على ما نقله عنه العلامة في المختلف: ٥١٩ .

(٣) قاله الشيخ في - النهاية - على ما ذكره العلامة في المختلف: ٥١٩ .

والمغفرة، وقدم عليها لمقابلة تقديم السرقة على التوبة، أو لتقديم استحقاقه.

[٤١] - ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ أي مسارعة المنافقين في إظهاره عند الفرصة ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ للبيان ﴿قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ متعلق بـ «قالوا» ﴿وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ حال أو عطف على «قالوا» ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ عطف على «من الذين» ﴿سَمَاعُونَ﴾ خبر محذوف أي: هم - أي الفريقان - أو: اليهود.

أو مبتدأ، خبره: «ومن الذين»، أي ومن اليهود قوم سماعون ﴿لِلْكَذِبِ﴾ اللام مزيدة لتضمين السماع معنى القبول، أي قابلون لما تفتريه أخبارهم، أو للعلة والمفعول محذوف أي سماعون قولك ليكذبوا عليك ﴿سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أي قابلون لقول قوم آخرين من اليهود لم يحضروا عندك تكبراً وبغضاً لك.

أو سماعون منك لأجلهم ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ يميلونه عن مواضعه بعد أن وضعه الله فيها، والجملة صفة أخرى «لقوم»، أو خبر محذوف، أو استئناف لا محل له وكذا ﴿يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ أي إن افتاكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الحكم المحرف فاقبلوه ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ﴾ بل افتاكم بخلافه ﴿فَاخْذُرُوا﴾ ان تقبلوه.

قيل: زنى محصنان من «خبيير» فكرهوا رجمهما فبعثوا بهما الى «قريظة» ليسألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنهما، وقالوا: إن أمركم بالجلد فاقبلوا، وإن أمركم بالرجم فلا، فأمرهم بالرجم فأبوا، فحكّم «ابن صوريا» بينه وبينهم، وأنشده الله: هل في كتابكم رجم من أحصن؟، قال: نعم، فوثبوا عليه، فقال: خفت ان كذبتة أن ينزل علينا العذاب، فأسلم فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالزانيين فرجما^(١) ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ خذلانه بتركه مفتوناً، أو عذابه ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ فلن تستطيع له من

(١) قاله جماعة من المفسرين لرواية وردت عن أبي جعفر عليه السلام فيه - كما في تفسير التبيان

لطف الله أو من دفع أمره ﴿شَيْئًا أَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرَ قُلُوبَهُمْ﴾ حيث اختاروا تدنيسها بالكفر، لعلمه بأن لطفه لا ينجع فيهم^(١) ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ ذلّ بالجزية والفضيحة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ تخليدهم في النار. والضمير للفريقين أو لليهود.

[٤٢] - ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ كرر تأكيداً ﴿أَكَاوُنَ لِلْسُّخْتِ﴾ للحرام كالرشا من «سحته» أي استأصله، لأنه مسحوت البركة. وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«الكسائي» بضمين وهما لغتان ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ﴾ متحاكمين اليك ﴿فَاخْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ خير صلى الله عليه وآله وسلم بين الحكم والإعراض، وكذا الأئمة والحكام، وقيل: نسخ بآية ﴿وَأِنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ﴾^(٢) ﴿وَأَنْ تُعْرِضَ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾ لن يقدرُوا لك على ضرر: ﴿وَأِنْ حَكَمْتَ فَاخْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ فيشبههم.

[٤٣] - ﴿وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به، مع أن الحكم منصوص في كتابهم، أي لم يقصدوا بتحكيمك معرفة الحق إذ لم يثقوا بك، وإنما طلبوا بتحكيمك الأهون عليهم وفيها حكم الله حال من «التوراة»، وهي مبتدأ، خبره: «عندهم» أو مرفوعة به، وتأنيتها لكونها نظيرة «مومة»^(٣) ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾ عطف على «يحكمونك» أي يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ التحكيم ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بكتابهم، أو بك وبه.

[٤٤] - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى﴾ إلى الحق ﴿وَتُورٌ﴾ بيان للأحكام ﴿يَخْكُمْ﴾

(١) النجع: التأثير، يقال: نجع فيه الدواء. أو الكلام، أي: أثر فيه.

(٢) قاله الحسن ومجاهد وعكرمة - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٩٦، والآية من هذه السورة/ ٤٩.

(٣) الموماء والمومة: المفازة الواسعة الملساء، وقيل الفلاة التي لاماء بها ولا نيس بها - أقرب

الموارد «موم».

بِهَا النَّبِيُّونَ ﴿١﴾ من بني اسرائيل أو موسى ومن بعده فيما يتوافق فيه الشريعتان ﴿الَّذِينَ
 اسْلَمُوا﴾ صفة مادحة للنبیین، منوّهة بشأن المسلمين، معرضة بأن اليهود بعداء من
 دين الأنبياء ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ متعلق بـ «يحكم» أي يحملونهم على أحكامها أو
 بـ «أنزل» ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ﴾ الكاملون علماً وعملاً، عطف على «النبیون» ﴿وَالْأَخْبَانُ﴾
 العلماء ﴿بِمَا اسْتَحْفِظُوا﴾ بسبب الذي كلفهم الله حفظه عن التبديل ﴿مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾
 بيان لـ «ما» ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءُ﴾ أنه حق، أو رقباء لئلا يبدل ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾
 أيها الحكام في حكوماتكم أو أيها اليهود في إظهار الحق ﴿وَإِخْشَوُنِي﴾ في الحكومة
 أو كتمان الحق ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي﴾ ولا تستعوضوا بأحكامي ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ رشوة أو
 جاماً ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ استهانة به ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ لا ستهانتهم
 به، ووصفوا أيضاً بالظلم لحكمهم بخلافه، والفسق لخروجهم عنه.

والصفات الثلاثة قيل: عامة، ^(١) وقيل: في اليهود خاصة، ^(٢) وقيل: هذه في
 المسلمين، والظالمون في اليهود، والفساقون في النصارى. ^(٣)

[٤٥] - ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ فرضنا على اليهود في التوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ﴾ تقتل
 ﴿بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ رفع «الكسائي»
 كلها ^(٤) عطفاً على محل اسم «إن» إذ المعنى: كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين
 بالعين، إذ الكتب يقع على الجمل كالقول، أو استئنافاً، أي وكذا العين تفقاً
 بالعين، والأنف يجدد بالأنف، والأذن تقطع بالأذن، والسِّنّ تطلع بالسِّنّ
 ﴿وَالْجُرُوحَ﴾ غير ما ذكر، أو الأعم. ورفع «الكسائي» أيضاً «ابن كثير» و«أبو عمرو»

(١) قاله ابن عباس والحسن وإبراهيم - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٩٨.

(٢) قاله الجبائي - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ١٩٨.

(٣) قاله الشعبي - كما في تفسير التبيان ٣: ٢٩٥.

(٤) حجة القراءات: ٢٢٦.

و«ابن عامر»^(١) لما مرَّ ﴿قِصَاصٌ﴾ ذات قصاص إن امكن، وإلا فالأرش والحكم مقرر في شرعنا أيضاً ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾ بالقصاص، أي عفى عنه ﴿فَهُوَ﴾ فالتصدق ﴿كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ للمتصدق، يكفر الله به ذنوبه، وقيل: للجاني يسقط مالزمه^(٢) ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من الأحكام ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[٤٦] - ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ﴾ اتبعناهم. حذف المفعول لسد الظرف مسده. وهم النبيون ﴿يَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ مفعول ثاني بتعدي الباء ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله ﴿مِنَ التَّوْرَةِ﴾ و«آتيناه» الإنجيل فيه هدى ونور ﴿حَالٌ﴾ حال ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من التَّوْرَةِ عطف عليه، وكذا ﴿وَهْدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أو مفعول لهما لـ «آتيناه» مقدراً.

[٤٧] - ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ وقلنا ليحكم، ونصبه «حمزة»^(٣) وكسر لامه عطفاً على «هَدًى» إن جعل مفعولاً له، وإلا علق بمحذوف، أي وليحكم ﴿أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ آتيناه آياه ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ والآية تفيد إشتمال الإنجيل على الأحكام، واستقلال شرع عيسى عليه السلام ونسخه اليهودية.

[٤٨] - ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مِنَ الْكِتَابِ من جنس الكتب السماوية ﴿وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ ورقياً على سائر الكتب يشهد بصحتها ويحفظها عن التبديل ﴿فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ اليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ عادلاً ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ أو ضمن «لا تتبع» معنى «لا تزغ» فعدي بـ «عن» ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أيها الأمم ﴿شِرْعَةً﴾ شريعة وهي طريق الماء.

قيل للدين لأنه طريق الى ما به حياة الأبد ﴿وَمِنْهَا جَا﴾ طريقاً واضحاً من نهج أي

(١) حجة القراءات: ٢٢٥.

(٢) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ١٥٢.

(٣) حجة القراءات: ٢٢٧.

وضح . ويفيد أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على دين واحد لم ينسخ أبداً ﴿وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة هل تقبلونها معتقدين ان اختلافها لمصالح بحسب الأحوال أو لا؟ ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ فابتدروها ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ استئناف يعلل «فاستقوا» ﴿فَيَسْئَلُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بالفصل بين محكمكم ومبطلكم وبجزاء كل بعمله .

[٤٩] - ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ عطف على «الكتاب» أو «الحق» أي انزلنا الكتاب وان احكم أو انزلناه بالحق وبأن احكم ﴿وَلَا تَبِيعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ أن يضلوك ، بدل اشتغال من «هم» أي احذر فتنهم أو مفعول له أي احذرهم خشية أن يفتنوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ .

قيل : أرادت الأخبار خدعه صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالوا : إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فاحكم لنا عليهم لنؤمن بك ، فأبى ، فنزلت ^(١) ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الحكم المنزل وطلبوا غيره ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ أي بالتولي عن حكم الله .

عبر عنه بذلك لتعظيمه بالإبهام ، وايداناً بأن لهم ذنباً جمّة ، هذا العظيم من جملتها . ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ لمتردون في الكفر .

[٥٠] - ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ الملة التي هي هوى وجهل ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ أي اليهود للمداهنة والميل وهم أهل كتاب وعلم ، أو كل من يطلب غير حكم الله ، وقرأ «ابن عامر» بالتاء . ^(٢) أي قل لهم : افحكم الجاهلية تبغون ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي عندهم . واللام لبيان ، أي هذا الإستفهام

(١) رواه ابن اسحاق عن ابن عباس - كما في الجامع لأحكام القرآن ٦: ٢١٣ .

(٢) حجة القراءات: ٢٢٨ .

لقوم يوقنون فإنهم الذين يتبينون^(١) أن لا أحسن حكماً من الله .

[٥١] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ توادونهم وتعتمدون عليهم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ علة للنهي أي انما يوالي بعضهم بعضاً لاتحادهم في الكفر واجتماعهم على مضادتكم ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ من جملتهم ، تغليظ في وجوب مجانبتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم بموالاته الكفار.

[٥٢] - ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك ، كلبن أبي ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي في موالاتهم ﴿يَقُولُونَ﴾ - معذرين عنها - : ﴿نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ دولة تدور للكفار فنحتاج اليهم .

قيل : قال عبادة بن الصامت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : ان لي موالي من اليهود كثيراً عددهم ، واني أبرأ الى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله . فقال ابن ابي : لا أبرأ من ولايتهم لأنني أخاف الدوائر ، فنزلت^(٢) ﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّ بِالْفَتْحِ﴾ بالنصر لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم على أعدائه ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ بقتل اليهود وأجلائهم أو بإظهار نفاق المنافقين وقتلهم ﴿فَيُضْبِحُوا﴾ أي المنافقون ﴿عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من الشك في أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وموالاتهم اليهود ﴿نَادِمِينَ﴾ .

[٥٣] - ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نصبه «ابن عامر»^(٣) عطفاً على «أن يأتي» بجعله بدلاً عن اسم «عسى» مغنياً عن الخبر ، فكأنه قيل : عسى أن يأتي الله بالفتح ويقول ، ورفع الباقون استئنافاً بواو ودونه مختلفين^(٤) ﴿أَهْوَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ

(١) في «الف» : يشبتون .

(٢) قاله عطية بن سعد العوفي والزهري - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٠٦ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٠٥ .

(٤) حجة القراءات : ٢٢٩ .

إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴿١﴾ يقوله بعضهم لبعض تعجباً من حال المنافقين واغتراباً بما وفقوا له من الإخلاص .

أو يقولونه لليهود إذ حلف لهم المنافقون بالنصرة، ونصبت «جهداً» مصدراً أو حالاً، أي حلفوا يجتهدون جهداً أيماً، أي أغلظها، فحذف الفعل ونابه المصدر فجاز تعريفها ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ من المقول أو قول الله تعالى، أي بطلت أعمالهم التي تكلفوها رياءً ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ للدارين .

[٥٤] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ أدغمه من عدا «نافع» وابن عامر» ^(١) ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ بدلهم ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ يوفقهم لرضاه ويحسن ثوابهم ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾ بطيعونه ولا يعصونه ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ عاطفين عليهم بتذلل جمع ذليل، ودخول «على» لتضمين معنى العطف، أو للتنبيه على أنهم مع فضلهم وعلوهم على المؤمنين، متواضعون لهم ﴿أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أشداء عليهم من «عزّه» أي: غلبه ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ صفة لقوم أيضاً أو حال عن فاعل «أعز» ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ عطف على «يجاهدون» أي جامعون بين المجاهدة في سبيله والتصلب في دينه أو حال وفي «لومة» وهي المرة من اللوم مبالغة كتذكير «لائم» ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من الأوصاف ﴿فَضَّلَ اللَّهُ يُونُسَ﴾ يوفق له ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ ممن يعلمه أهلاً له ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحقه والموصوف بهذه الصفات قيل: هم أهل اليمن ^(٢) وقيل: هم الفرس ^(٣) وقيل: الأنصار: ^(٤)

والأصح ما روى عن أهل البيت عليهم السلام وعمار وحذيفة وابن عباس: أنها في

(١) حجة القراءات: ٢٣٠.

(٢) قاله مجاهد - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٠٨.

(٣) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٠٨.

(٤) قاله السدي - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٠٨.

علي عليه السلام وأصحابه^(١) وقتالهم للمرتدين بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الناكثين والقاسطين والمارقين إذ اتصافه عليه السلام بكل من هذه الصفات معلوم للمخالف والمؤالف، فالمحبة يشهد له بها ماتواتر من خبر الراية والطائر وغيرهما، ولينه للمؤمنين وشدته على الكافرين وجهاده للمتمردين وتصلبه في الدين لا ينكره أحد من أعدائه فضلاً عن مواليه.

وعنه عليه السلام انه قال يوم البصرة: «والله ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم... وتلا هذه الآية»^(٢).

وروى علي بن ابراهيم: أنها في المهدي عليه السلام واصحابه^(٣) ويعضده لفظه «سوف».

[٥٥] - ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾^(٤) الأولى بكم والمتولي اموركم ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وافرد الولي إيذاناً بأن الولاية لله أصالة ورسوله ومن ينوبه تبعاً ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ صفة للـ «الذين» أو بدل عنه أو منصوب على المدح ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ حال من فاعل «يؤتون»، أي يؤتون الزكاة في حال ركوعهم في الصلاة. وجعلها للفعلين على إرادة وهم متخشعون في صلاتهم وزكاتهم ياباه إطباق المفسرين على نزول الآية في علي عليه السلام حين سأل سائل وهو راکع في صلاته فأوما إليه بخصره، فأخذ خاتمه منها وهو المروي عن أهل البيت عليهم السلام فهي نص في امامته عليه السلام ونفي إمامة من تقدّمه؛ لحصر الولاية في الله ورسوله والمؤمنين الموصوفين بالأوصاف ولم يتصف بها أحد منهم سواه بالإجماع؛

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٠٨.

(٢) تفسير القمي ١: ١٧٠.

(٣) ورد في هامش الأصل - هنا - مايلي: نص على امامة علي عليه السلام.

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٢١٠ وتفسير البرهان ١: ٤٧٩.

فانحصرت الإمامة فيه .

وعبر عنه بالجمع تعظيماً، والحصر اضافي بالنسبة الى من عدا الأئمة من ولده عليه السلام أو لوقوع مثل هذا الفعل من كل منهم عليهم السلام فالحصر حقيقي .

وظاهر الآية ثبوت الولاية لله ورسوله وله بالفعل في الحال لكن امتناع اجتماع تصرف النائب والمنوب عادة وعرفاً صرف عنه في حقه عليه السلام فحملت على ولايته في المآل أو على كمال استعدادها لها في الحال وترتب آثارها عليها في المآل وحصرها بمن له الصفات يأبى حملها على النصرة لعمومها لكل المؤمنين ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾^(١) فلا عبرة بمناسبتها لما قبل وبعد .

[٥٦] - ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ومن يتخذهم أولياء ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ﴾ وضع موضع فإنهم ايذاناً بأنهم حزبه أي ابتاعه تفخيماً لشأنهم وتعريضاً باضدادهم بأنهم حزب الشيطان .

[٥٧] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنْ﴾ بيانية ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ﴾ جره «أبو عمرو» و«الكسائي» عطفاً على «الذين أوتوا» ونصبه الباقي عطفاً على «الذين اتخذوا»^(٢) ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ ثاني مفعولي ، «تتخذوا» ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مناهيه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إذ مقتضى الإيمان حقاً معاداة من يطعن فيه لاموالاته .

[٥٨] - ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ﴾ بالأذان ﴿إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا﴾ أي الصلاة أو المناداة ﴿هُزُؤًا وَلَعِبًا﴾ سخرية وضحكة ويفيد مشروعية الاذان .

قيل : كان نصراني إذا سمع قول المؤذن أشهد أن محمداً رسول الله ، قال : أحرق الله الكاذب ، فدخل خادمه بنار ليلة وهو نائم فتطايير شرر في البيت فاحرقه

(١) سورة التوبة : ٧١/٩ .

(٢) حجة القراءات : ٢٣٠ .

وأهله^(١) ﴿ذَلِكَ﴾ الإِتِّخَاذُ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب انهم ﴿قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إذ خالفوا قضية العقل المانعة من الهزء بالحق .

[٥٩] - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ﴾ تنكرون ﴿مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ من القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ الى الأنبياء ﴿وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ﴾ عطف على «أن آمنّا» أي ما تنكرون منّا إلا مخالفتكم إذ دخلنا الإيمان وانتم خارجون منه ، فالمستثنى لازم الأمرين وهو المخالفة . أو : بحذف مضاف ، أي : واعتقاد ان أكثركم . أو : على المجرور أي ما تنقمون منّا إلا ايماننا بالله وبما انزل وبـ «أن أكثركم فاسقون» خطاب لليهود ، قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بمن تؤمن ؟ قال : «بالله وما أنزل اليّنا» الآية ، فقالوا - حين ذكر عيسى - لانهلم ديناً شراً من دينكم .

[٦٠] - ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ﴾ المنقول ﴿مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ ووضعها موضع العقوبة كأنه للتهكم ونصبت تمييزاً ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعده من رحمته و«مَنْ» بدل من «شَرٍّ» بحذف مضاف أي بشر من أهل ذلك مَنْ لعنه أو : بشر من ذلك دين من لعنه الله ، أو خبر محذوف أي هو من لعنه الله ﴿وَوَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ لكفره ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ مسخ أصحاب السبت قردة وكفار مائدة عيسى خنازير.^(٢)

وقيل : المسخان في أهل السبت ، مسخ شبانهم قردة وشيوخهم خنازير وروعي في «منهم» معنى «مَنْ» وفي ما قبلها لفظها ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ الشيطان بطاعته أو العجل ، وضم «حمزة» «الباء» وجزّ «التاء» ، على انه وصف كحذر بالضم عطفاً على «القردة» ، والمعنى : انه خذلهم حتى عبدوها ، وفتح الباقون «الباء» ونصبوا «التاء» عطفاً على صلة «مَنْ»^(٣) ﴿أُولَئِكَ﴾ الملعونون ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ تمييز . كنى عن شرارتهم

(١) قاله السدي - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢١٤ .

(٢) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢١٦ .

(٣) حجة القراءات ٢٣١ .

بشارة مكانهم وهو «سقر» لأنه ابلغ ﴿وَأَضَلُّ عَنْ مَسْوَى السَّبِيلِ﴾ الطريق المستقيم والمراد بشرّ وأضلّ وصفهم بالشرارة والضلال لا معنى التفضيل .

[٦١] - ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ﴾ أي منافقو اليهود ﴿قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا﴾ اليك متلبسين ﴿بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا﴾ من عندك متلبسين ﴿بِهِ﴾ ولم يؤثر فيهم وعظك .
والجملتان حالان من فاعل «قالوا» ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ من الكفر .

[٦٢] - ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ من اليهود ﴿يُتَسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾ الكذب أو الكفر ﴿وَالْعُدْوَانَ﴾ تعدي حدود الله ﴿وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتَ﴾ الحرام ، كالرشا ﴿لِبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ لبئس شيء أو: الذي عملوه .

[٦٣] - ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ﴾ تحضيض لعلمائهم على النهي ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾ الكذب ﴿وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتَ لِبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ذم علماءهم على ترك نهيمهم بأبلغ من ذمهم من حيث ان العمل انما يستمى صنعا بعد التدرّب فيه فيفيد ان ترك انكار المعصية أقبح من ارتكابها .

[٦٤] - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مقبوضة عن الرزق حين قتره عليهم بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد بسطه لهم والقائل «فيحاص» وأشرك الآخرون لرضاهم بقوله .

وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ دعاء عليهم بالبخل أو بغل الأيدي حقيقة بإغلال الأسر في الدنيا وأغلال النار في الآخرة . والطباق باللفظ ورعاية الأصل ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ في تشبيه اليد بأبلغ رد لإفادتها اثبات غاية الجود إذ غاية ما يبذله الجواد من ماله أن يعطيه بيديه وإشارة الى منح الدارين ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من توسيع وتضييق على مقتضى حكمته وهو تأكيد لوصفه بالجود ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي يزدادون عند نزول القرآن لحسدكم ﴿طُغْيَانًا﴾ تمادياً في الجحود ﴿وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾

إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿ فكلهم مختلف وقلوبهم شتى ﴾ ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا حَرْبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَدَّهُمُ اللَّهُ وَ«لِلْحَرْبِ» صِلَةٌ «أَوْقَدُوا» أَوْ صِفَةُ «نَارًا» ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ ﴿أَيُّ لِفُسَادٍ بِاجْتِهَادِهِمْ فِي الْمَعَاصِي﴾ ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿أَيُّ يَعَاقِبُهُمْ .

[٦٥] - ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا﴾ ﴿بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ ﴿وَاتَّقَوْا﴾ ﴿الْكَفَرُ لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِبْغَاتِهِمْ﴾ ﴿غَفَرْنَا لَهُمْ﴾ ﴿وَلَا دَخَلْنَا لَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ﴿مَعَ مَنْ آمَنَ .

[٦٦] - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ ﴿عَمِلُوا بِمَا فِيهِمَا﴾ ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ ﴿مِنْ سَائِرِ كِتَابِهِ أَوْ الْقُرْآنِ﴾ ﴿لَا كُلُّوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ ﴿لَوْ شِئَ عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ بِإِفَاضَتِهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ أَوْ بِإِنْزَالِ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ ﴿مُعْتَدِلَةٌ ، لَمْ يَغَالُوا وَلَمْ يَقْصُرُوا ، وَهُمْ مِنْ آمَنَ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْمِلُونَ﴾ ﴿بِشَيْءٍ عَمِلَهُمْ أَوْ شَيْءٍ أَوْ الَّذِي عَمِلُونَهُ .

[٦٧] - ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ ﴿جَمِيعَهُ ، لَا تَكْتُمُ شَيْئًا مِنْهُ خَوْفٌ أَحَدٍ﴾ ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾ ﴿فَإِنْ لَمْ تَبْلُغْ جَمِيعَهُ﴾ ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ ﴿وَجَمْعُهَا «نَافِعٌ» وَ«ابْنُ عَامِرٍ» وَ«أَبُو بَكْرٍ»^(١) أَيُّ فَكَانَكَ لَمْ تَوْدُ شَيْئًا مِنْهَا إِذْ كَتَمْتَ بَعْضَهَا كَكْتَمَانَ كُلِّهَا فِي اسْتِحْقَاقِ الْعِقَابِ ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ﴿يُضْمِنُ لَكَ الْعِصْمَةَ مِنْهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكَ فَمَا عَذْرُكَ؟ .

وعن أهل البيت عليهم السلام و«ابن عباس» و«جابر» : ان الله تعالى أوحى الى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يستخلف علياً عليه السلام ، فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه ، فأنزل الآية تشجيعاً له فأخذ بيده فقال : الست أولى بكم من أنفسكم : قالوا : بلى قال : من كنت مولاه فعلي مولاه^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

(١) أي قرأوها : «رسالاته» ينظر حجة القراءات : ٢٣٢ .

(٢) تفسير مجمع البيان ٢ : ٢٢٣ وجوامع الجامع ١ : ٣٤٢ .

لا يمكنهم منك .

[٦٨] - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ يعتد به من الدين ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ من الكتب بالعمل بما فيها، ومنه الإيمان بي واتباع ديني ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ فلا تحزن عليهم لإزديادهم طغياناً وكفراً، لعود ضرره عليهم .

[٦٩] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِثُونَ وَالنَّصَارَى﴾ فسر في البقرة^(١) و«الصابثون» مبتدأ نوي تأخير وحذف خبره لدلالة خبر «ان» عليه أي والصابثون كذلك فهو كاعتراض، يفيد أن الصابثين مع وضوح ضلالهم يتاب عليهم ان صح ايمانهم وصلح عملهم فغيرهم أوليد، ولم يعطف على محل اسم «ان» لعدم مضي خبرها ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ مبتدأ خبره ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ والجملة خبر «أن» والرباط محذوف أي من آمن منهم أو خبرها «فلا خوف» و«من آمن» بدل من اسمها وما عطف عليه .

[٧٠] - ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ بالتوحيد واتباع الرسل ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا﴾ لإرشادهم ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ منهم ﴿بِمَا لَا تَهْوَى﴾ لا تحبه ﴿أَنفُسُهُمْ﴾ من التكاليف ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ جزاء الشرط أو استيناف، دل عليه، والشرطية صفة «رسلاً» وجيء بالمضارع حكاية للحال الماضية لتستحضر فضاعتها وللفاصلة .^(٢)

[٧١] - ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ﴾ بالنصب ورفع «أبو عمرو» و«حمزة» و«الكسائي»^(٣) على «أن» مخففة [من] الثقيلة، أي وظنوا أن لا تقع «فِتْنَةٌ» عقاب لهم بتكذيب

(١) سورة البقرة ٢/٦٢ .

(٢) في «ط»: وللصلة .

(٣) حجة القراءات: ٢٣٣ .

الرَّسُلَ وَقَتْلَهُمْ ، وَنَابَتْ «ان» وما في حيزها مفعول «حسب» ﴿فَعَمُّوْا﴾ عن محجة الحق ﴿وَصَمُّوْا﴾ عن استماع حججه إذ عبدوا العجل ﴿ثُمَّ تَابَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ﴾ لما تابوا ﴿ثُمَّ عَمُّوْا وَصَمُّوْا﴾ أيضاً بطلبهم المحال أي الرؤية أو عن الإسلام ، والضمير لخلفهم ﴿كَثِيْرٌ مِنْهُمْ﴾ بدل من الواو أو خبر محذوف أي أولئك كثير منهم ﴿وَاللّٰهُ بِصِيْرٍ بِمَا يَعْمَلُوْنَ﴾ فيؤاخذهم به .

[٧٢] - ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوْا اِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْمَسِيْحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ هم «اليعقوبية» القائلون بالإنحداد ﴿وَقَالَ الْمَسِيْحُ يَا بَنِي إِسْرَآئِيْلَ اعْبُدُوْا اللّٰهَ رَبِّيْ وَرَبَّكُمْ﴾ فاني لست بآله بل عبد مربوب مثلكم ﴿اِنَّهُ مَن يُّشْرِكْ بِاللّٰهِ﴾ في عبادته غيره ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ منعه منها منع المحرم عليه من المحرم ﴿وَمَا وَاوَاهُ النَّارُ﴾ لا معدل له عنها ﴿وَمَا لِلظَّالِمِيْنَ مِنْ اَنْصَارٍ﴾ أي مالهم من نصار ممّا هم فيه .

وعبر بالظاهر ايذاناً بأنهم ظلموا بإشراكهم وهو من قول عيسى أو كلام الله .
[٧٣] - ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوْا اِنَّ اللّٰهَ ثَالِثُ﴾ آلهة ﴿ثَلَاثَةٍ﴾ أي أحدها والآخران عيسى وأمه ، وهم «الملكانية» أو «الإسرائيلية» ويشمل قول «النسطورية» بالأقانيم الثلاثة أيضاً ان صح عنهم ﴿وَمَا﴾ في الوجود ﴿مِنْ اِلٰهٍ اِلَّا اِلٰهٌ وَّاحِدٌ﴾ لا ثاني له ، و«من» زيدت للإستغراق ﴿وَإِنْ لَّمْ يَنْتَهُوْا عَمَّا يَقُوْلُوْنَ﴾ من التثليث ويوحدوا ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْهُمْ﴾ «من» للبيان ، وعدل عن «ليمنهم» تكريراً للشهادة بكفرهم ، أو للتبعيض أي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر - لأن منهم من تاب - ﴿عَذَابُ اَلِيْمٍ﴾ مؤلم .

[٧٤] - ﴿اَفَلَا يَتُوْبُوْنَ اِلَى اللّٰهِ﴾ ممّا هم عليه ﴿وَيَسْتَغْفِرُوْنَ﴾ ويوحدونه بعد هذا التهديد . وفيه تعجيب من إصرارهم ﴿وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ﴾ يغفر لهم ، وينعم عليهم إن تابوا .

[٧٥] - ﴿مَا الْمَسِيْحُ ابْنُ مَرْيَمَ اِلَّا رَسُوْلٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾

فهو مثلهم، أتى بآيات من الله كما أتوا بها، وليس بإله ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ كبعض النساء المصدقات للأنبياء، أو الملازمات للصدق، بين غاية كمالهما، وأنه لا يوجب إلهيتهما، لمشاركة كثير لهما فيه، ثم بين نقصهما المنافي لئلا لوهية بقوله ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ ويحتاجان إليه كالحيوانات المركبة المصنوعة ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ الدالة على بطلان قولهم ﴿ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن تدبرها. و«ثم» لتفاوت ما بين العجيبين، أي ان بياننا للآيات عجيب وإعراضهم عنها أعجب.

[٧٦] - ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ هو «عيسى» أي لا يملك مثل ما يضر الله به من المحن، وما ينفع به من المنح، وتقديم الضر يعطى أن الخوف أدعى إلى الطاعة من الرجاء، إذ دفع الضر أهم من جلب النفع ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للأقوال ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالأحوال.

[٧٧] - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا﴾ لا تجاوزوا الحد ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ غلوا ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ فترفعوا «عيسى» وتجعلوه إلهاً، أو تضعوه وتجعلوه لغير رشدة أو خطاب للنصارى فقط ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا﴾ عن الحق وهم أسلافهم ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ تبعهم في ضلالهم ﴿وَضَلُّوا﴾ حين بعث صلى الله عليه وآله وسلم فكذبوه ﴿عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ الطريق المستقيم، أي الإسلام.

[٧٨] - ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ لعن داود أهل «أيلة» حين اعتدوا في السبت، فمسخوا قردة، ولعن عيسى أصحاب المائدة حين كفروا، فمسخوا خنازير ﴿ذَلِكَ﴾ اللعن ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ بسبب عصيانهم واعتدائهم.

[٧٩] - ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ لاینهى بعضهم بعضاً، أو لا ينتهون ﴿عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ عن معاودته، أو عن مثله ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ قسم مؤكد لذم فعلهم.

[٨٠] - ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يوالون المشركين بغضاً لك ﴿لَيْسَ مَا﴾ أي شيئاً ﴿قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ من الزاد لمعادهم ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ هو المخصوص بالذم أي : موجب سخط الله وعذابه .
[٨١] - ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾ محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو موسى عليه السلام ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾ القرآن أو التوراة ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ لمنع الإيمان ذلك ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ خارجون عن الإيمان .

[٨٢] - ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ لتضاعف كفرهم وفرط بغضهم للحق وحسدكم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ لسهولة ارعوائهم، ^(١) وميلهم الى الإسلام ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ﴾ بسبب ﴿مِنْهُمْ قَسِيصَ وَرُهْبَانًا﴾ علماء وعباداً ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن اتباع الحق أو يتواضعون .

قيل : هم النجاشي وأصحابه ، هاجر اليهم جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، ووصف لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودينه وتلا عليهم سورة «مريم» فأمنوا . ^(٢)

[٨٣] - ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ من القرآن ﴿تَرَى أَغْبِيَهُمْ تَفِيضَ مِنَ الدَّمْعِ﴾ لرقه قلوبهم ﴿مِمَّا﴾ «من» للإبتداء ﴿عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ «من» للبيان أو للتبويض ، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا﴾ بنبيك وكتابك ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ممن شهدوا بنبوته ، أو من أمتة الشاهدين على الأمم يوم القيامة .

[٨٤] - ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ انكار لانتفاء الإيمان مع وجود موجه وهو الطمع في دخولهم مدخل الصالحين ، أو جواب قائل : «لِمَ آمَنْتُمْ؟» و«لا نؤمن» حال من الضمير ، والعامل

(١) ارعوى الرجل عن القبيح أو الجهل ارعواء : كفي عنه ورجع .

(٢) قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي - كما في تفسير مجمع البيان ٣ : ٥٩٩ .

معنى الفعل في اللام، أي أي شيء حصل لنا غير مؤمنين. «ونطمع» عطف على «نؤمن» أو حال عن فاعله.

[٨٥] - ﴿فَأَنبَاهُهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ بما وحدوا بإخلاص ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ الموحدين.

[٨٦] - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ في ذكر حال المصدقين بالآيات، وتعقيبه بحال المكذبين بها ترغيب وترهيب.

[٨٧] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ مستلذاته.

قيل: وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم القيامة فبالغ، فهم قوم من الصحابة أن يلازموا الصوم والقيام، ويجانبوا الفرش والنساء واللحم، ويسبحوا في الأرض فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهم:

«اني لم أؤمر بذلك. إن لأنفسكم عليكم حقاً، فإني أقوم وأنام واصوم وأفطر، وأكل اللحم، وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» فنزلت ^(١) ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ حدود الله بتحريم ما أحل، أو حدود ما أحل إلى ما حرم، ففيها نهى عن تحليل ما حرم وتحريم ما أحل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ يريد عقابهم.

[٨٨] - ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا﴾ صفة مصدر محذوف، أو حال من «ما» مبينة لا مقيدة، إذ الرزق كله حلال وفائدتها أن الحلال لا معنى لا جتنابه، وكذا ﴿طَيِّبًا﴾ أي طاهراً من كل شبهة، أو مستلذاً. وقيد به لميل النفس إليه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

[٨٩] - ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن أو كائناً ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ هو الحلف بلا قصد: كلا والله، وبلى والله، أو على ما ظن أنه كذلك ولم يكن، أي لا يؤخذكم به بعقاب ولا كفارة ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدْتُمْ﴾ وثقتم ﴿الْأَيْمَانَ﴾ عليه بالقصد

إذا حثتكم، أو بنكت ما عقدتم، وخففه «حمزة» و«الكسائي». وقرأ «ابن عامر» عاقدتم بمعنى عقدتم^(١) ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ فكفارة نكته التي تذهب إثمه ولا تجزي قبله - وظهوره من الآية ممنوع - ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ﴾ مؤمنين. لكل مسكين مد، وقيل: مدان^(٢) ولا يجزي دفع طعامهم الى واحد ﴿مِنْ أَوْسَطٍ مَا تُطْعَمُونَ﴾ منه ﴿أَهْلِيكُمْ﴾ من أقصده في النوع لا أدناه، ويجزي الأعلى. وهو صفة مفعول محذوف تقديره أن تطعموا عشرة مساكين من أوسط.

قيل قرأ الباقر عليه السلام «أهاليكم» بتسكين الياء،^(٣) جمع أهل كـ «أراضي» جمع أرض ﴿أَوْ كَسَوْتُهُمْ﴾ عطف على «إطعام»، وهو مسماها كثوب يوارى العورة وقيل: ثوبان^(٤) ﴿أَوْ تَخْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ إعتاقها. وظاهره إجزاء كل رقبة.

ومنا من اشترط إيمانهم.^(٥) و«أو» للتخيير فالواجب إحدى الخصال الثلاث مطلقاً، والتعيين للمكفر ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ شيئاً منها ﴿فَصِيَامٌ﴾ فكفارته صيام ﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ متتابعة عندنا، ويؤيده قراءة متابعات، واختلف العامة [فيه]^(٦) ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحشتم ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أن تنكثوها مالم تروا خيراً من المحلوف عليه ﴿كَذَلِكَ﴾ البيان ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ دلائله وأحكامه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه التي منها تعليمكم.

[٩٠] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾ الشراب المسكر ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾ القمار ﴿وَالْأَنْصَابُ﴾ الأصنام المنصوبة للعبادة ﴿وَالْأَزْلَامُ﴾ قدامح الاستقسام ﴿رِجْسٌ﴾ قدر

(١) حجة القراءات: ٢٢٤-٢٢٥.

(٢) نقله الطوسي عن علي عليه السلام وإبراهيم وسعيد بن جبير وغيرهم ينظر تفسير التبيان ١٣: ٤.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٢٧ وجوامع الجامع ١: ٣٥٠.

(٤) نقله الشيخ الطوسي عن أصحابنا انظر تفسير التبيان ١٣: ٣.

(٥) وهما السيد المرتضى والعلامة الحلي - كما ورد في كتاب الكفارات من المختلف.

(٦) زيادة اقتضاها السياق.

خبيث، خبر له «الخمر» دال على خبر المعطوفات، أو لمضاف محذوف أي تعاطي الخمر والميسر ﴿مَنْ عَمِلَ الشَّيْطَانُ﴾ لأنه بتزيينه ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أي: الرجس. أو: التعاطي ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ باجتنابه.

أكد تحريم الخمر والميسر بحصرهما في الرجس، وقرنهما بالأصنام والأزلام، وجعلهما من عمل الشيطان والأمر باجتنابهما وجعله من الفلاح وبيان مفاسدهما في الدنيا والدين بقوله:

[٩١] - ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ بتزيينه لكم، تعاطيهما المثير للشر والفتن، وأفراد بالتكرير لانهما المقصود بالذكر، وذكر الانصاب والأزلام، للإعلام باستواء الكل في الإثم ﴿وَيُضِدَّكُمْ﴾ بأن يشغلكم بهما ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ خصت بالذكر لفضلها ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ عنهما بعد بيان ما فيهما من الصوارف، وهو أبلغ من «فانتهاوا».

[٩٢] - ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ عصيانهما ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الطاعة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ولا يضره توليكم وإنما يضركم.

[٩٣] - ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ من الحلال ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ المحرم ﴿وَوَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا﴾ ثبتوا على التقوى والإيمان ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ ثبتوا على اتقاء المعاصي ﴿وَأَحْسَنُوا﴾ عملهم.

قيل: لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: كيف ياخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر؟ فنزلت.^(١)

وقيل: في الذين تعاهدوا على ترك الطيبات^(٢) ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

(١) قاله ابن عباس وابن مالك وغيرهما - كما في تفسير البيان ٤: ٢٠.

(٢) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٤٠.

يشيهم ويكرمهم .

[٩٤] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَلْوَنَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ ابتلاهم به «عام الحديبية» فكان يغشاهم في رجالهم بحيث يتمكنون من صيد صغاره بأيديهم ، وكباره برماحهم وهم محرمون ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ لِيَتَمَيَّزَ مَن يَخَافُ عِقَابَهُ غَائِباً فِي الْآخِرَةِ فَيَجْتَنِبُ الصَّيْدَ مِمَّنْ لَا يَخَافُهُ ، فيقدم عليه ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ﴾ فصاد ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الابتلاء ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وفي إيهامه تشديد لحال الصيد .

[٩٥] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ﴾ المحلل ، وبعض المحرم كالثعلب والأرنب والضب واليربوع والقنفذ والقمل ﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ جمع حرام بمعنى محرم ﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنْكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ ذاكراً للإحرام والحرمة ، ومثله الناسي والمخطيء وذكر المتعمد لنزولها فيه ، وهو «أبو اليسر» قتل حمار وحش برمح مَحْرَمًا ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾ رفعهما الكوفيون،^(١) أي فعلية جزاء يماثل ما قتله ﴿مِنَ النَّعْمِ﴾ صفة جزاء ، ولا يتعلق به ، وإضافه الباقيون إلى «مثل» ويتعلق به «من النعم» أي فعلية أن يجزي منها مثل ما قتله .

والمماثلة عند «أبي حنيفة» باعتبار القيمة ، وعندنا باعتبار الخلقة كالشافعي ، والأظهر رجوعها إلى النص ، وفيما لا نص فيه قيمته^(٢) ﴿يَعْحَكُم بِهٖ﴾ بالمثل ، صفة له ، أو لجزاء ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ مسلمان عادلان فقيهان يعرفان المماثل في الخلقة .
وقرأ الصادقان عليهما السلام : «ذو عدل» وفسراه بالإمام^(٣) ﴿هَدْيًا﴾ حال من الهاء في «به» أو من «جزاء» ﴿بِالْكَفْبَةِ﴾ صفة «هدياً» إذ إضافته لفظية .

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٤٢ .

(٢) في «ط» : يرجع إلى قيمته .

(٣) جوامع الجامع ١: ٣٥٣ .

قيل : بلوغه الكعبة ذبحه في الحرم ، ^(١) والتصدق به .

وعندنا ذبحه بفناء الكعبة في الحزورة ، ^(٢) والتصدق به فيها للمعتمر ، وبـ « منى » كذلك للحاج ﴿ أَوْ كَفَّارَةً ﴾ عطف على جزاء ﴿ طَعَامُ مَسَاكِينَ ﴾ عطف بيان ، أو خبر محذوف . وأضاف « نافع » و « ابن عامر » « كفارة » إضافة بيان ^(٣) كـ « باب ساج » والمعنى أو ان يكفر بإطعام مساكين طعاماً ^(٤) يساوي قيمة الهدى ، لكل مسكين مدّ أو مدّان ، على الخلاف . ^(٥) وله ما زاد على الستين ولا يكمل الناقص ﴿ أَوْ عَذْلٌ ﴾ أو مساوي ﴿ ذَلِكَ ﴾ الطعام ﴿ صِيَامًا ﴾ تمييز « عدل » فيصوم عن طعام كل مسكين يوماً .

واكثرنا رتب الأقسام للأخبار . ^(٦)

ومنا من خيّر ^(٧) لظاهر « أو » وللنص الصحيح أن « أو » في كل القرآن للتخيير ﴿ لَيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِه ﴾ يتعلق بمحذوف أي فعليه كذا ليدوق ثقل جزاء فعله ﴿ عَقَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾ من قتل الصيد محرماً أول مرة مع الجزاء ، أو قبل التحريم ، أو في الجاهلية ﴿ وَمَنْ عَادَ ﴾ إلى ذلك ﴿ فَيَنْتَقِمُ ﴾ أي فهو ممن ينتقم ﴿ اللَّهُ مِنْهُ ﴾ قيل : هذا يقابل الكفارة فلا تلزم العائد ، ^(٨) وقيل : لاتنافيه ، ^(٩) واختلف الفتوى ^(١٠)

(١) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٤٥ .

(٢) الحزورة بالفتح ثم السكون وفتح الواو وراء وهاء وهو في اللغة الراية الصغيرة . . . وكانت الحزورة ، سوق مكة دخلت في المسجد لما زيد فيه يجمع البلدان .

(٣) حجة القراءات : ٢٣٧ .

(٤) في « الف » : طعاماً ما .

(٥) الذي ذكر في تفسير الآية ٨٩ من هذه السورة .

(٦) انظر وسائل الشيعة ٩: ١٨٢ الباب الثاني من ابواب كفارات الصيد .

(٧) وهو الشيخ حيث ذهب اليه في كتاب الحج من كتاب الخلاف المسألة : ٢٦٨ .

(٨) قاله ابن عباس والحسن - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٤٥ .

(٩) قاله عطاء وسعيد بن جبير وإبراهيم - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٤٥ .

(١٠) انظر باب كفارات الاحرام من كتاب الحج في مختلف الشيعة .

كالأخبار^(١) ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾ ممن عصاه .

[٩٦] - ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ ما صيد منه مما يفرخ فيه ، ولا يحل منه عندنا إلا ما له فلس من السمك لا كل صيد كالشافعي ولا كل سمك كأبي حنيفة ﴿وَطَعَامُهُ﴾ طاعم البحر أي القديد وصيده الطري ، أو طعام الصيد أي أكله ﴿مَتَاعًا﴾ مفعول له ، أي تمتيعاً ﴿لَكُمْ وَلِلْمَسِيرَةِ﴾ مسافريكم تتزودونه ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ﴾ ما صيد فيه مما يفرخ فيه ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ محرمين وإن صاده محل عندنا ، واختلف فيها العامة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للجزاء .

[٩٧] - ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ﴾ سميت كعبة لنبوها^(٢) ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ عطف بيان للمدح ﴿قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ مفعول ثانٍ ، أي ما يقوم به أمر دينهم بحججه ، وديناهم بأمن داخله ، وربح التجار عنده . وقرأ «ابن عامر» : «قيماً»^(٣) مصدر «قام» ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ لأمه للجنس ، أي الأشهر الحرام الأربعة ﴿وَالْهَذْيَ وَالْقَلَانِدَ﴾ فسرا في أولها^(٤) ﴿ذَلِكَ﴾ الجعل ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ إذ جعله ذلك لدفع المضار ، وجلب المنافع قبل كونها دليل كمال علمه .

[٩٨] - ﴿إِعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن تاب ﴿رَحِيمٌ﴾ به .

[٩٩] - ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ وقد فعل ، وقامت عليكم الحجة فلا عذر لكم في التفريط ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ من الأعمال فاحذروه .

(١) وسائل الشيعة ٩: ٢٤٤ الباب ٤٧-٤٨ من ابواب كفارات الصيد .

(٢) في بعض كتب اللغة : الكعبة البيت الحرام بمكة قيل سميت به لتوثها وقيل لتربيعها .

(٣) حجة القراءات : ٢٣٧ .

(٤) عند تفسير الآية (٢) من هذه السورة .

[١٠٠] - ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي﴾ عند الله ﴿الْخَيْثُ وَالطَّيْبُ﴾ حرام المال وحلاله، وطالح العمل وصالحه ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾ أيها السامع ﴿كَثْرَةُ الْخَيْثِ﴾ فإن قليل الطيب خير من كثير الخيث ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وآثروا ما هو خير ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ لتفوزوا بالثواب.

[١٠١] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ اسم جمع، أصله شيئا، فعلاء قدمت لامه فصار لفعاء، أي لا تسألوا الرسول عن أشياء مسكوت عنها ﴿إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ إن بينها لكم تغمكم، والشرطية صفة أشياء وكذا ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْءَانُ﴾ أي في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ﴿تُبَدَّ لَكُمْ﴾ يظهرها لكم وإذا ظهرت غمتمكم فلا تسألوا عنها ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ عن مسألتكم التي سلفت فلا تعودوا. وهو استئناف، أو صفة أشياء، أي عن أشياء لم يكلف الله بها ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل العقوبة.

[١٠٢] - ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ أي الأشياء، بحذف «عن» أو المسألة بقرينة «تسألوا» ﴿قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ فأجيبوا ببيانها ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ أي بسببها إذ لم يقبلوها.

[١٠٣] - ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ﴾ رد لبدع الجاهلية، أي ما شرع ﴿مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ «من» مزيدة ﴿وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ كانوا إذا انتجت الناقة خمسة أبطن، آخرها ذكر، بحروا أذننها، أي شقوها، وحرموا ركوبها وحلبها. وكان الرجل يقول: إن قدمت فناقتي سائبة ويحرم منافعها كالبحيرة وإذا ولدت الشاة انثى كانت لهم، وإن ولدت ذكراً كان لألتهن، وإن ولدتهما لم يذبحوا الذكر لها، إذ وصلته اخته، وإذا انتج من الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره، وقالوا: «حمى ظهره» ولم يمنع ماء ولا مرعى ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بنسبة ذلك إليه ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أن ذلك افتراء لأنهم قلدوا فيه كبارهم.

[١٠٤] - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا

عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا ﴿١٠٤﴾ من الدين ، وتمسكهم بالتقليد دليل نقص عقولهم ﴿أ﴾ همزة إنكار دخلت على واو الحال ، أي أحسبهم ذلك ﴿وَلَوْ كَانَ ءَابَاءُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ من الحق ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ اليه .

[١٠٥] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾ إلزموا صلاحها ونصب «انفسكم» بـ «عليكم» لأنه اسم إلزموا ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ﴾ أي الضلال ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ ولم يرد ترك الحسبة ، ^(١) إذ تاركها مع المكنة ليس بمهتد و«لا يضركم» رفع إستئنافاً ، أو جزم جواباً أو نهياً واتبع الرأى للضاد ضمّاً ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازي كلاً بعمله .

[١٠٦] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ أي الاشهاد الذي شرع بينكم ، وأضيفت الى الظرف اتساعاً ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي أسبابه ظرف للشهادة ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾ بدل منه ﴿اِثْنَانِ﴾ خبر «شهادة» بحذف مضاف ، أو فاعلها أي عليكم أن يشهد اثنان ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ من المسلمين وهما صفتان لـ «اثنان» ﴿أَوْ ءَاخِرَانِ﴾ عطف على «اثنان» وظاهرة اعتبار عدالتهما في دينهما ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ من أهل الذمة ولا تسمع شهادتهم إلّا في هذه القضية عندنا ونسخه ممنوع ؛

وارادة الأقارب والأجانب بـ «منكم» و«غيركم» لا تطابق سبب النزول ﴿إِنْ أَنتُمْ صَرَبْتُمْ﴾ سافرتم ﴿فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ أي قاربتكم والجزاء محذوف دل عليه «أو آخران» ﴿تَخْبِسُونَهُمَا﴾ تقفونهما صفة «آخران» والشرط اعتراض يفيد أنه لا يعدل عن المسلمين إلّا إذا تعذرا مطلقاً ، أو في السفر فقط ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ صلاة العصر لاجتماع الناس حيثئذ ، أو أي صلاة ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ إن ارتاب الوارث . وهو اعتراض يخصص القسم بحال الريبة ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ﴾ لا نستبدل بالقسم أو بالله ﴿ثَمَنًا﴾ عوضاً من الدنيا ، بأن نحلف به كذباً لأجله ﴿وَلَوْ

(١) الحسبة : نظارة ضبط الموازين والاسعار ونحو ذلك من طرف الوالي .

كَانَ الْمَقْسَمُ لَهُ ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ قَرِيبًا مِنَّا ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ الَّتِي أَمَرْنَا بِأَدَائِهَا ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَيْمِينَ﴾ أَيِ إِنْ كَتَمْنَاهَا .

[١٠٧] — ﴿فَإِنْ غَيْرَ﴾ أَطْلَعَ ﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ بِخِيَانَةٍ وَتَحْرِيفٍ ﴿فَآخِرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ فِي الْحَلْفِ ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ جُنِي عَلَيْهِمْ، وَهُمْ الْوَرِثَةُ ﴿الْأُولَيَانِ﴾ الْأَحْقَانِ بِالشَّهَادَةِ خَبَرٌ مَحْذُوفٌ، أَيِ «هُمَا الْأُولَيَانِ»^(١) أَوْ بَدَلٌ مِنْ فَاعِلٍ «يَقُومَانِ» أَوْ مِنْ «آخِرَانِ» وَعَلَى قِرَاءَةِ «حَفْصٍ» «اسْتَحَقَّ»^(٢) مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ وَهُوَ فَاعِلُهُ . وَقَرَأَ «حَمْزَةً» وَ«أَبُو بَكْرٍ» «الْأُولَيْنِ»^(٣) جَمْعُ «أَوَّلٍ» صِفَةُ «الَّذِينَ» أَوْ بَدَلٌ مِنْهُ ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ﴾ أَصْدَقُ ﴿مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾ وَمَا تَجَاوَزْنَا الْحَقَّ فِيهَا ﴿إِنَّا إِذَا﴾ إِنْ اعْتَدَيْنَا ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أَنْفُسَهُمْ، أَوْ بِجَعْلِ الْبَاطِلِ حَقًّا .

وَالْمَعْنَى لِيَشْهَدَ الْمُحْتَضِرُ عَدْلَيْنِ مِنْ أَهْلِ دِينِهِ فَإِنْ فُقِدَا لِسَفَرٍ وَنَحْوِهِ فَآخِرَانِ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَإِنْ ارْتَابَ الْوَرِثَةُ فِيهِمَا حَلَفَا عَلَى صِدْقِهِمَا بِتَغْلِيظٍ فِي الْوَقْتِ . وَجَازَ تَحْلِيفُ الشَّاهِدِ هُنَا لِلنَّصِّ، فَإِنْ أَطْلَعَ عَلَى مَا يَكْذِبُهُمَا حَلَفَ آخِرَانِ مِنَ الْوَرِثَةِ عَلَى خِيَانَتِهِمَا الْمَعْثُورِ عَلَيْهَا :

قِيلَ : خَرَجَ مُسْلِمٌ مَعَ نَصْرَانِيَيْنِ تَجَارًا فَمَرَضَ وَكُتِبَ وَصِيَّةٌ وَدَسَّهَا فِي مَتَاعِهِ وَقَالَ : «إِبْلَغَاهُ أَهْلِي» وَمَاتَ، فَفَتَشَاهُ وَأَخَذَا مِنْهُ إِنَاءً فَضَمُّهُ نَقْشَ بَذْهَبٍ، فَوَجَدَ أَهْلُهُ الْوَصِيَّةَ وَطَالَبُوهُمَا بِهِ، فَجَحَدَا فَتَرَافَعُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَتَنَزَّلَتِ الْأُولَى، فَأَحْلَفَهُمَا بَعْدَ الْعَصْرِ، ثُمَّ وَجَدَ الْإِنَاءَ عِنْدَهُمَا، فَقَالَا : ابْتَعْنَاهُ مِنْهُ وَلَا بَيْنَةَ لَنَا فَلَمْ نَقْرَبْهُ، فَرَفَعُوهُمَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَتَنَزَّلَتِ الثَّانِيَةُ فَحَلَفَ رَجُلَانِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ .^(٤)

[١٠٨] — ﴿ذَلِكَ﴾ الْحَكْمُ الْمَذْكُورُ ﴿أَذْنَى﴾ أَقْرَبُ إِلَى ﴿أَنْ يَأْتُوا﴾ أَيِ الشُّهُودِ

(١) فِي الْأَصْلِ : هُمَا الْوَلِيَّانِ، وَفِي «ب» وَ«ج» : هُمَا أَوْلِيَايَا .

(٢) حُجَّةُ الْقِرَاءَاتِ : ٢٣٨ .

(٤) قَالَهُ اسْمَةُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ كَمَا فِي تَفْسِيرِ التَّبْيَانِ ٤ : ٤٢ وَ ٤٧ .

عموماً ﴿بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا﴾ الذي تحملوها عليه بلا تحريف لخوف الحلف ﴿أَوْ﴾ أدنى إلى أن ﴿يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ على الورثة المدعين فيحلفوا على كذبهم فيفتضحوا ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تكذبوا وتخونوا ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ وصيته سماع قبول ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته الى حجة أو الجنة .

[١٠٩] - ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ ظرف «لا يهدي» أو نصب بـ «اذكر» مضمراً ﴿فَيَقُولُ﴾ - لهم توبيخاً لقومهم -: ﴿مَاذَا﴾ ﴿مَاذَا﴾ في موضع المصدر، أي أي إجابة ﴿أَجِبْتُمْ قَالُوا﴾ ﴿أَجِبْتُمْ قَالُوا﴾ تشكياً ورداً للأمر الى علمه بما كابدوا منهم ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بما أنت تعلمه أي لا حاجة الى شهادتنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ فتعلم ما أجابونا وما أسروا في أنفسهم، أو معناه لا علم لنا مع علمك لأنك علام الغيوب فكيف الظواهر. وكسر «حمزة» و«أبو بكر» «غين» الغيوب حيث وقع. (١)

[١١٠] - ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ أي اذكر «إذ يقول» أو بدل من «يوم يجمع» أي يوبخ الكفرة (٢) يومئذ بسؤال الرسل عن إجاباتهم، وذكر ما منحهم من آياته فكذبهم قوم ودعوههم سحرة، وغلا قوم ودعوههم آلهة ﴿إِذْ أَيْدُتُكَ﴾ قويتك ظرف «نعمتي» ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبرئيل عليه السلام، أو روحك المطهرة من الأدناس ﴿تَكَلَّمُ النَّاسُ﴾ حال من كاف «أيدتك» ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ طفلاً ﴿وَكَهْلًا﴾ بلا تفاوت في كمال العقل . ويفيد نزوله قبل الساعة لأنه رفع ولما يكتهل ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَظْفَارِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَظْفَارِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِأَظْفَارِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِأَظْفَارِي﴾ فسر في «آل عمران» (٣) وقرأ «نافع» «طائرا» (٤) ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي

(١) تفسير البضاوي ٢: ١٧٤.

(٢) كذا ظاهر الأصل، وفي «ب»: نوبخ الكفرة وفي «ج» توبيخاً لكفرة وفي «ط» توبيخ الكفرة.

(٣) عند تفسير الآية: ٤٩ من سورة آل عمران.

(٤) حجة القراءات: ١٦٤.

إِسْرَائِيلَ ﴿الْيَهُودُ﴾ عَنْكَ ﴿عَنْكَ﴾ عَنْ قَتْلِكَ ﴿إِذْ جِثَّتْهُمْ بِالْبَيْتَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ﴾ مَا ﴿هَذَا﴾ الَّذِي جِثَّتْ بِهِ ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «ساحر»^(١) أي عيسى .

[١١١] - ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ﴾ أمرتهم على السنة رسلي ﴿أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ «أَنْ» مصدرية أو مفسرة ﴿قَالُوا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون .
[١١٢] - ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ معمول «اذكرا» أو ظرف لـ «قَالُوا» فيؤذن بشكهم حين ادعوا الإخلاص إذ العارف لا يقول ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ وقيل : هل يطيع أي يجيبك و«استطاع» بمعنى «أطاع» وقرأ «الكسائي»: «تستطيع ربك»^(٢) أي سؤال ربك .

والمائدة : خوان عليه طعام من «ماد» أي : تحرك أو «مادة» أي أعطاه ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تقترحوا عليه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ كما ادعيتهم .

[١١٣] - ﴿قَالُوا نُرِيدُ﴾ سؤالها من أجل ﴿أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ تسكن بزيادة اليقين ﴿وَنَعْلَمَ أَنَّ﴾ مخففة [من] الثقيلة^(٣) ﴿قَدْ صَدَّقْتَنَا﴾ في ادعاء الرسالة ﴿وَنَكُونَنَّ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لله بالواحدانية ولك بالرسالة عاكفين عليها .

[١١٤] - ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا﴾ نداء ثان ﴿أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ﴾ أي يكون يوم نزولها . قيل : هو يوم الأحد^(٤) ولهذا اتخذه النصارى عيداً ﴿لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا﴾ أهل زماننا بدل من «لنا» بإعادة الجار ﴿وَأَخِيرِنَا﴾ من يأتي بعدنا ﴿وَعَايَةً﴾ كائنة «مِنْكَ» على قدرتك وبنوتي ﴿وَأَرْزُقْنَا﴾ إياها أو شكرها ﴿وَأَنْتَ

(١) حجة القراءات : ٢٣٩ .

(٢) حجة القراءات : ٢٤٠ .

(٣) في «ط» : مخففة من الثقيلة .

(٤) قاله كعب - كما في تفسير مجمع البيان ٢ : ٣٦٦ .

خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٥﴾ .

[١١٥] - ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ - مجيباً له - : ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا﴾ وشدده «نافع» و«ابن عامر» و«عاصم»^(١) ﴿عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي﴾ وفتح «نافع» الياء^(٢) ﴿أُعَذِّبُهُ عَذَابًا﴾ تعذيباً ﴿لَا أُعَذِّبُهُ﴾ الهاء للمصدر ﴿أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ فنزلت الملائكة بها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات ، فأكلوا منها .

وروى أنها كانت تنزل فيأكلون منها ، ثم ترفع ، فمنع متروهم سفلتهم منها ، فرفعت ببغيهم ومسحوا قردة وخنازير.^(٣)

وقيل : نزلت خبزاً ولحماً ، وامروا أن لا يخونوا ولا يخبثوا ، فخانوا وخبثوا فمسحوا.^(٤) وفيها انقال آخر.^(٥)

[١١٦] - ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ يقول لعيسى توبيخاً لقومه ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي﴾ وفتح ياءها «نافع» و«ابن عامر» و«أبو عمرو» و«حفص»^(٦) ﴿إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الظرف صلة «اتخذوني» أو صفة «إلهين» ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك من أن يكون لك شريك ﴿مَا يَكُونُ﴾ ما ينبغي ﴿لِي﴾ وفتح «الياء» «الحرميان» و«أبو عمرو»^(٧) ﴿أَنْ أَقُولَ مَا﴾ أي قولاً ﴿لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ لا يحق لي

(١) حجة القراءات : ٢٤٢ وفي المصحف الشريف بقراءة حفص عن عاصم «منزلها» بالتشديد . كما ذكره المؤلف - قدس سره - .

(٢) انظر كتاب السبعة في القراءات : ٢٥٠ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٢ : ٢٦٧ .

(٤) رواه عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - كما في تفسير مجمع البيان ٢ : ٢٦٦ .

(٥) المتداول اليوم أن يقال في جمع «نقل» نقول غير أن أنقال أيضاً جمع له آخر صحيح وإن لم يكن متداولاً .

(٦) كتاب السبعة في القراءات : ٢٥٠ .

(٧) انظر كتاب السبعة في القراءات : ٢٥٠ .

أَن أَقُول ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا﴾ أَسْرَهُ ﴿فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾
أي معلوماتك . وذكر «في نفسك» للمشاكلة ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ يقرر
الجمليتين منظوقاً ومفهوماً .

[١١٧] - ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ فيه اقرار بأنه عبد مأمور ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ خبر مضمرة ، أو مفعوله ، أي هو ، أو أغني أو عطف بيان للهاء في «به»
﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ رقيباً ، أمنعهم أن يقولوا ذلك ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾
بالرفع اليك .

والتوفي أخذ الشيء ، وافيأ فيعم الموت وغيره ﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾
تمنعهم من القول به بما أقمت لهم من الحجج أو تحفظ أعمالهم ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع ، عالم به .

[١١٨] - ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلِإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الأحقاء بالعذاب ، إذ عبدوا غيرك ﴿وَأِنْ
تَغْفِرْ لَهُمْ فَلَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ المنيع القادر على الثواب والعقاب الذي انما
يشيب ويعاقب للحكمة . وامتناع غفران الشرك للوعيد لا لذاته ، فلا يمنع تعليقه بأن .

[١١٩] - ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ﴾ ونصبه «نافع»^(١) ظرفاً لـ «قال» أو مستقراً خبراً
لـ «هذا» أي هذا الكلام خبر من عيسى واقع يوم ﴿يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ حال
التكليف لأنه النافع في القيامة ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بعملهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿ذَلِكَ﴾ أي ما عدد من النفع
هو ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ إذ فيه سعادة الأبد .

[١٢٠] - ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ من الأجناس ومنها عيسى
وأمه ، فكذب من زعمهما إلهين . وغلب غير العقلاء لفرط بعدهم^(٢) عن رتبة الألوهية
﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من المقدورات ﴿قَدِيرٌ﴾ .

(١) حجة القراءات: ٢٤٢ .

(٢) في «د» : لفرط جهلهم وبعدهم .

سورة الأنعام

[٦]

مائة وخمسة وستون آية مكية

وقيل : إلا «وما قدرُوا» الآيات الثلاث و«قل تعالوا» الثلاث .^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» اختراعهما بما اشتملا عليه من عجائب الصنع ، وبدائع الحكم وأنواع النعم ، فهو المستحق للحمد . وقدم السماوات لشرفها «وَجَعَلَ» أحدث . والجعل المتعدي الى واحد فيه معنى التضمين كإحداث شيء من شيء أو تصيره شيئاً ، والخلق فيه معنى التقدير فافترقا «الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ» جمعت دونه لكثرة أسبابها إذ لكل جرم ظل ، وقدمت لتقدم العدم على الملكة «ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ» عطف على «الحمد لله» أي هو حقيق بالحمد على ما خلق للعباد ، ثم الذين كفروا به يعدلون عنه . فالباء يتعلق بـ«كفروا» أو على «خلق» أي أنه خلق ما يعجز عنه غيره ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه . فتعلق بـ«يعدلون» ومعناه يسوون به الأصنام . و«ثم» لاستبعاد عدولهم مع قيام هذه الحجة .

(١) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٧١.

[٢] - ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ ابتداء خلقكم ﴿مِنْ طِينٍ﴾ إذ خلق منه أصلكم آدم عليه السلام ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ أجل الموت، أو ما بين الخلق والموت ﴿وَأَجَلَ مُّسَمًّى﴾ عندة ﴿أجل القيامة أو ما بين الموت والبعث. و«أجل» مبتدأ خص بمسمى أي معين وخبره «عنده» أي لا يعلمه ولا يقدر عليه غيره تعالى ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُمْتَرُونَ﴾ تشكون. استبعاد لشكهم في البعث بعد ثبوت أنه ابتداء خلقهم، فإن من قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر.

[٣] - ﴿وَهُوَ﴾ أي: الله، وخبره ﴿الله﴾ ويتعلق بمعناه ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ أي: المعبود فيهما، أو: بـ «يعلم» والجملة خبر ثان، أو: ظرف «مستقر» خبر ثان، بمعنى: أنه لعلمه بما فيهما كأنه فيهما ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ تقرير له ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُكْسِبُونَ﴾ من خير وشر، فيجازيكم به.

[٤] - ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ ما تظهر لهم حجة من حججه المعجزات كآيات القرآن وغيرها. و«من» الأولى مزيدة والثانية للتبويض ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا﴾ أي عن النظر فيها ﴿مُعْرِضِينَ﴾ لم يلتفتوا إليه.

[٥] - ﴿فَقَدْ كَذَبُوا بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ كأنه قيل: إن أعرضوا عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظمها ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا﴾ أخبار الشيء الذي ﴿كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي سيعلمون بأي شيء استهزءوا عند حلول العذاب بهم في الدنيا والآخرة.

[٦] - ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ﴾ خبرية ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ من أهل عصر. والقرن كل طبقة مقترنين في وقت ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أعطيناهم مكاناً فيها بالسعة والقوة وطول المقام ﴿مَا لَمْ نُمَكِّنْ﴾ نعط ﴿لَكُمْ﴾ يا أهل مكة. التفات عن الغيبة ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾ المظلة، إذ الماء منها، أو السحاب، أو المطر ﴿عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ مغزراً ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ تحت مساكنهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾

يُذُنُونَهُمْ ﴿ وَلَمْ يَغْنِ ذَلِكَ عَنْهُمْ شَيْئاً ﴾ ﴿ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخِرِينَ ﴾ ﴿ مَكَانَهُمْ فَالْقَادِرُ عَلَىٰ فَعْلٍ ذَلِكَ بِهِمْ قَادِرٌ أَنْ يَفْعَلَهُ بِكُمْ .

[٧] - ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطَاسٍ ﴾ ﴿ مَكْتُوبًا فِي وَرَقٍ كَمَا اقْتَرَحُوهُ ﴾ ﴿ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ ﴿ أَبْلَغَ فِي نَفْيِ الرَّيْبِ مِنْ «عَايِنُوهُ» . وَذَكَرَ الْإِيْدِي لِلتَّأَكِيدِ ﴿ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ﴿ تَعْتَنَا وَعِنَادًا ﴾ ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ .

[٨] - ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا ﴾ ﴿ أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ ﴿ نَعَايِنُهُ فَيَصْدَقَهُ ﴾ ﴿ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا ﴾ ﴿ كَمَا اقْتَرَحُوا فَلَمْ يَؤْمِنُوا ﴾ ﴿ لَقَضِيَ الْأَمْرُ ﴾ ﴿ لِحَقِّ إِهْلَاكِهِمْ بِمَقْتَضَى الْحِكْمَةِ ﴾ ﴿ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾ ﴿ لَا يَمْهَلُونَ لِحِظَةٍ .

[٩] - ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ ﴾ ﴿ أَيُّ الَّذِي طَلَبُوهُ جَوَابَ ثَانٍ أَوِ الرَّسُولِ فَهُوَ جَوَابُ اقْتِرَاحِ آخِرِ كَقَوْلِهِمْ : لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً ﴾ ﴿ مَلَكًا ﴾ ﴿ يَعَايِنُوهُ ﴾ ﴿ لَجَعَلْنَاهُ ﴾ ﴿ لَمْثَلْنَا الْمَلِكِ ﴾ ﴿ رَجُلًا ﴾ ﴿ كَمَا مِثْلُ جِبْرَائِيلَ فِي صُورَةِ «دَحِيَّةٍ» غَالِبًا إِذْ لَمْ يَقُولُوا أَنْ يَرَوْا الْمَلِكَ بِصُورَتِهِ . وَقَدْ يَرَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِهَا لِقُوَّةَ نَفْسِهِ ﴾ ﴿ وَلَلْبَسْنَا ﴾ ﴿ أَيُّ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ رَجُلًا لَخَلَطْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴾ ﴿ مَا يَخْلُطُونَ عَلَىٰ ضَعْفَتِهِمْ فَيَقُولُونَ «مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» .^(١)

[١٠] - ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ ﴿ تَسْلِيَةً لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ ﴿ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ﴿ فَاحَاطَ بِهِمْ الَّذِي اسْتَهْزَءُوا بِهِ مِنَ الْحَقِّ فَأَهْلَكُوا ، أَوْ فَحَلَ بِهِمْ وَبَالَ اسْتَهْزَائِهِمْ .

[١١] - ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ ﴿ كَيْفَ أَهْلَكُوا لَتَعْتَبِرُوا بِالنَّظَرِ فِي آثَارِهِمْ .

[١٢] - ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ﴿ مَلَكًا وَخَلْقًا - تَبَكُّيًا - ﴾ ﴿ قُلْ لِلَّهِ ﴾ ﴿ إِذْ لَا جَوَابَ غَيْرُهُ بِالْإِتْفَاقِ ﴾ ﴿ كَتَبَ ﴾ ﴿ أَوْجِبَ ﴾ ﴿ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ ﴿ الَّتِي مِنْهَا اللَّطْفُ بِكُمْ بِنَصَبِ الْأَدَلَةِ عَلَى التَّوْحِيدِ فِي الدُّنْيَا ، وَإِثَابَةِ مَطِيعَتِكُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ ﴿ قِسْمَ

للوعيد على اشراكهم وترك النظر ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ أي فيه، أو مبعوثين اليه فيجازيكم بعملكم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في اليوم ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أهلكوها بتعريضها للعقاب لاختيارهم الكفر. نصب ذمماً أو رفع خبراً، أي أنتم الذين، أو مبتدأ خبره ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ رتب على خسرانهم، لأن اختيارهم الكفر أذاهم إلى الإصرار على ترك الإيمان.

[١٣] - ﴿وَلَهُ﴾ عطف على الله ﴿مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ من السكنى أي ما حلَّ فيهما، أو من السكون أي ما سكن وتحرك فيهما، واكتفى بأحدهما عن الآخر ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لكل صوت ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء.

[١٤] - ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا﴾ معبوداً. قَدَم «غير» وأولي «الهمزة» لأن الإنكار لاتخاذ غير الله ولياً، لا لاتخاذ الولي ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما صفة لله ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ يرزق ولا يُرزق. وخص الطعام لشدة الحاجة اليه ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لله من أهل عصري. وفتح «نافع» الياء^(١) ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ وقيل لي لا تكونن ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٥] - ﴿قُلْ إِنِّي﴾ وفتح «الياء» «الحرميان» و«أبو عمرو»^(٢) ﴿أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ كما عصيته بعبادة غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ مفعول «أخاف» والشرط اعتراض، والجملة تنوب جزاءه.

[١٦] - ﴿مَنْ يُضَرْفُ عَنْهُ﴾ العذاب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ وبناء «حمزة» و«الكسائي» و«أبو بكر» للفاعل^(٣) والضمير لله، والمفعول محذوف، أو يومئذ، أي هو له ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ نجاه وأثابه ﴿وَذَلِكَ﴾ الرحم ﴿الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾.

(١) كتاب السبعة في القراءات: ٢٥٠.

(٢) حجة القراءات: ٢٤٣.

(٣) في المصحف الشريف «تكن».

[١٧] - ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بلاء كفقر ومرض ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ﴾ فلا مالك لكشفه ﴿إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ كغنى وصحة ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه ادامته ، فلا يقدر أحد على رفعه .

[١٨] - ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ القادر الغالب مستعلياً ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في تدبيرهم ﴿الْخَبِيرُ﴾ بهم .

[١٩] - ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ تمييز ، نزلت حين قالوا له صلى الله عليه وآله وسلم : إن أهل الكتاب انكروك فارنا من يشهد برسالتك ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ أي الله اكبر شهادة ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ خبر محذوف ، أو الله ، ويلزمه أنه اكبر شهادة ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾ يا أهل مكة ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ أي وأنذر به من بلغه من الثقلين الى يوم القيامة . ويفيد تكليف من سيوجد بأحكامه ﴿أَنْتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ﴾ إنكار ﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾ بذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ لا إله معه ﴿وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ به من الأصنام .

[٢٠] - ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ أي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بنعته في كتابهم ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ بلا شك ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ منهم ومن المشركين ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أذا هم كفرهم إلى الإصرار على ترك الإيمان .

[٢١] - ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الباطل اليه ، كالشريك وغيره ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ بالقرآن ومعجزات محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إِنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ بالكذب والتكذيب .

[٢٢] - ﴿وَيَوْمَ﴾ واذكر يوم ﴿نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ وقرأه «يعقوب» بالياء ، وكذا «نقول»^(١) في قوله : ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ توبيخاً ﴿أَبْنَ شُرَكَائِكُمْ﴾ ألهمتكم التي جعلتموها شركاء لله ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ تزعمونهم شركاء .

[٢٣] - ﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ^(١) فِتْنَتَهُمْ﴾ معذرتهم أو شركهم أي عاقبته . وقرأ «ابن كثير» و«ابن عامر» و«حفص» «تكن» بالتاء ورفع «فتنتهم» ، و«نافع» و«أبو عمر» و«أبو بكر» بالتاء ونصبها خبراً^(٢) والتأنيث له ، والإسم المصدر في ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ والباقون بالياء ونصبها ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ يحلفون على كذب لا ينفع دهشاً وحيرة ، ونصب «حمزة» و«الكسائي» : «رَبَّنَا» نداءً^(٣) .

[٢٤] - ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ بنفي اشراكهم ﴿وَوَضَّلْ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ﴾ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الشركاء .

[٢٥] - ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ حين تقرأ القرآن . استمع له صلى الله عليه وآله وسلم نفر من قريش منهم «النضر» فقالوا له : ما يقول محمد؟ فقال : أساطير الأولين ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ، جمع «كنان» وهو الغطاء ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ كراهة أن يفهموه ﴿وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمماً ، فلا يسمعون . مثل في نبي^(٤) قلوبهم ومسامعهم عن قبوله ، وأسند اليه تعالى دلالة على تمكنه منهم كالجبله ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ ءَايَةٍ لَا يَأْمِنُوهَا﴾ لعنادهم ﴿حَتَّى﴾ هي الداخلة على الجمل بلا عمل ، والجمله ﴿إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ حال ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جواب «إذا» أو «حتى» الجارة أي : حتى وقت مجيئهم . و«يجادلونك» حال ، و«يقول» بيان له ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم ، جمع اسطورة أو أسطار جمع سطر . والمعنى أن تكذيبهم الآيات بلغ إلى أنهم يجادلونك ، فيجعلون أصدق الحديث خرافات الأولين .

[٢٦] - ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ عن القرآن أو الرسول وإتباعه ﴿وَيَسْتَوْنَ﴾ يتباعدون

(١) في المصحف الشريف «تَكُنْ» .

(٢) حجة القراءات : ٢٤٣ .

(٣) حجة القراءات : ٢٤٤ .

(٤) النبي : العلو والترفع .

﴿عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ﴾ بالنهي والنأي ﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لا يتعداهم ضرره الى غيرهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك .

وجعلها في «أبي طالب» أي ينهى عن أذاه ولا يؤمن به ، يبطله أن الضمير للكفرة المجادلين المكذبين ، أبوطالب ما كذبه قط بالإتفاق ؛ بل كان مصداقاً له مؤمناً به ، بشهادة أشعاره ، وخطبه ، ووصاياه لأهله .

وقد أجمع أهل البيت عليهم السلام على إيمانه ، فنسبة الكفر اليه محض عناد ، يدعو اليه فرط النصب لابنه أمير المؤمنين عليه السلام .

[٢٧] - ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾ اروها ، او أطلعوا عليها ، أو أدخلوها فعرفوا عذابها . وجوابه محذوف أي لرأيت أمراً هائلاً ﴿فَقَالُوا﴾ تمنياً ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ الى الدنيا ﴿وَلَا نَكْذِبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ استئناف كـ «دعني ولا أعود» أي وأنا لا أعود ، تركتني أو لا ، أو عطف على «نرد» أو حال من فاعله فيدخل في المتمنى والتكذيب الآتي لما تضمن من الوعد . ونصبهما «حمزة» و«حفص» جواباً للتمنى ، ورفع «ابن عامر» «نكذب» ، ونصب «نكون» .^(١)

[٢٨] - ﴿بَلْ﴾ للإضراب عن ارادة الإيمان المتمنى ﴿بَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ من الكفر أو القبائح بشهادة جوارحهم ، فتمنوا ذلك ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ الى الدنيا بعد ذلك ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ من الكفر ﴿وَأِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في وعدهم بالإيمان .

[٢٩] - ﴿وَقَالُوا﴾ استئناف أو عطف على «لعادوا» ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ .

[٣٠] - ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ على جزائه أو عذفه حق التعريف ، أو مجاز عن حبسهم للسؤال . وجوابه كما مر ﴿قَالَ﴾ توبيخاً لهم ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾ البعث

والجزاء ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ أكدوا اقرارهم بالقسم لوضوح الأمر ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بكفركم.

[٣١] - ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ بالبعث وما يتبعه ﴿حَتَّىٰ﴾ غاية لـ «كذبوا» ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة، حال، أو مصدر ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا﴾ احضري فهذا وقتك ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ قصرنا في الدنيا. أضمرت للعلم بها، أو في الساعة أي في شأنها ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ إذا اعتيد حمل الإثقال على الظهر ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ بشس شيئاً يحملونه حملهم.

[٣٢] - ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي أعمالها ﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ اشتغال بما لا يعقب نفعاً، كما تعقبه أعمال الآخرة ﴿وَلَلْآزَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ المعاصي لدوامها. وقرأ «ابن عامر»: «ولدار الآخرة»^(١) ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾^(٢) ذلك، فيؤمنون. وقرأ «نافع» و«ابن عامر» و«حفص» بالتاء^(٣) تعليلاً للحاضرين.

[٣٣] - ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿نَعْلَمُ إِنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿لَيَحْزَنَنَّ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ كقولهم: «ساحر كذاب» ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ بقلوبهم، أو في الحقيقة. وقرأ «نافع» و«الكسائي»: «لا يُكَذِّبُونَكَ»^(٤) من أكذبه أي وجده كاذباً، أو نسبه إلى الكذب. وقرأه علي والصديق عليهما السلام^(٥) ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ وضع موضع «ولكنهم» إيذاناً بأنهم ظلموا بجحدهم القرآن. والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب.

(١) حجة القراءات: ٢٤٦.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص. تعقلون - كما يشير إليه المؤلف.

(٣) حجة القراءات: ٢٤٦.

(٤) حجة القراءات: ٢٤٧.

(٥) تفسير التبيان ٤: ١٩: وتفسير مجمع البيان ٢: ٢٩٣.

قيل : قال أبو جهل : ما نكذبك ، وإنما نكذب ما جئت به ، فنزلت .^(١)

[٣٤] - ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ تسليية له صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَصَبِّرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا﴾ «ما» مصدرية ﴿حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ فتأس واصبر حتى يأتبك نصرنا ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لمواعيده بنصر رسله ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّي الْمُرْسَلِينَ﴾ من بعض قصصهم .

[٣٥] - ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ﴾ عظم ﴿عَلَيْكَ إِغْرَاضُهُمْ﴾ عن دينك ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا﴾ سرباً ﴿فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا﴾ مصعداً ﴿فِي السَّمَاءِ فَتُتَابِعَهُمْ بِآيَةٍ﴾ فافعل ، أي انك لا تستطيع ذلك ولو استطعت لفعلت حرصاً على إسلامهم ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ جبرهم ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ بالإلجاء ، ولكن لم يفعل لمنافاته الحكمة ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بذلك .

[٣٦] - ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ يجب الى الإيمان ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ وهؤلاء كالموتى ، لا يسمعون ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ من قبورهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ للجزاء وحيث يسمعون ولا ينفعهم ذلك .

[٣٧] - ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ غير ما انزل من الآيات عناداً ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ﴾ وخففه «ابن كثير»^(٢) ﴿آيَةً﴾ تلجنهم الى الإيمان أو يهلكون بجحودها ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ان انزالها بلاء عليهم وان فيما انزل غنى .

[٣٨] - ﴿وَمَا مِنْ﴾ «من» مزيدة ﴿دَابَّةٍ﴾ تدب ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ﴾

(١) رواه سفيان الثوري عن علي عليه السلام كما في تفسير المراغي .

(٢) تفسير التبيان ٤ : ١٢٦ .

بِجَنَاحِهِ ﴿١﴾ في الجوّ، صفة لدفع مجاز السرعة^(١) ﴿إِلَّا أُمَمٌ﴾ جمعت حملاً على المعنى ﴿أَمْثَالُكُمْ﴾ في كتب أرزاقها وآجالها وأحوالها. والقادر المدبر لذلك قادر على انزال الآية ﴿مَا قَرَطْنَا﴾ تركنا ﴿فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي اللوح، ففيه ما يجري في العالم من جليل ودقيق.

أو القرآن، ففيه ما يحتاج اليه من أمر الدين مجملاً أو مفصلاً. و«من» مزيدة ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُخْشَرُونَ﴾ فيقتص لبعض من بعض فيأخذ للجما من القرآن.

[٣٩] - ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿صُمٌّ﴾ عن سماعها بتدبير شهادتها بربوبيته ﴿وَبُكْمٌ﴾ عن النطق بالحق ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي الكفر أو الجهل ﴿مَنْ يَشَأْ﴾ الله يُضِلُّهُ ﴿يَخْذُ لَهُ بَسْوَءَ اخْتِيَارِهِ﴾ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿يُلْطَفُ بِهِ لَأْتِهَ أَهْلُ اللَّطْفِ﴾.

[٤٠] - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ «الكاف» حرف خطاب لحقه ما يبين الضمير لا مفعول، وإلا لقليل: أرايتموكم ومتعلق الاستخبار محذوف أي أخبروني ﴿إِنْ أَنَا كُنتُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾ وهولها من تدعون ﴿أَغْيِرِ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ تكيت ﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ان الأصنام آلهة فادعوها.

[٤١] - ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ لا غير ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ الذي تدعونه الى كشفه ﴿إِنْ شَاءَ﴾ كشفه ﴿وَتَنْسَوْنَ﴾ وتتركون ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ به من آلهتكم فلا تدعونها إذ لا نفع لغيره.

[٤٢] - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ رسلاً ﴿إِلَى أُمَمٍ مِنْ﴾ «من» مزيدة ﴿قَبْلِكَ﴾ فكذبوهم ﴿فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ بالفقر والمرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ يتذللون لنا، فيؤمنون.

(١) حيث يستعمل الطيران مجازاً للسرعة في المشي والحركة فلدفع هذا قال تعالى: «يطير بجناحيه»، وانظر تفسير التبيان ٤: ١٢٨.

[٤٣] - ﴿فَلَوْ لَا﴾ فهلا ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿تَضَرَّعُوا﴾ أي لم يتضرعوا مع وجود الداعي ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فذلك الذي منعهم عن التضرع.

[٤٤] - ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا﴾ وعظروا ﴿بِهِ﴾ من البأساء والضراء فلم يتعظوا ﴿فَتَخَنَا﴾ وشدده ابن عامر، حيث وقع ^(١) ﴿عَلَيْهِمْ أَبْوَابُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من صنوف النعم، امتحاناً لهم بالشدة والرخاء لتلزمهم الحجة أو استدراجاً لهم ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا﴾ أعجبوا ﴿بِمَا أُوتُوا﴾ من النعم ويطروا ولم يشكروا ﴿أَخَذْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ آيسون متحسرون.

[٤٥] - ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ﴾ آخر ﴿الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي استوصلوا ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على إهلاكهم ويفيد أن إهلاك الظلمة نعمة يجب الحمد عليها.

[٤٦] - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ اخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾ أصمكم وأعماكم ﴿وَوَخَّمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ اذهب عقلها بالتغطية عليها ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ أي بما أخذ وختم عليه ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ نبينها أو نوجهها حججاً عقلية وترغيباً وترهيباً وتذكيراً بمن مضى ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْذِقُونَ﴾ يعرضون عنها بعد ظهورها.

[٤٧] - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً﴾ بلا أمانة قبله ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ تسبقه أمارته، أو ليلاً ونهاراً ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾ أي ما يهلك به هلاك سخط ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون.

[٤٨] - ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من النار ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بفوت الجنة.

[٤٩] - ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾

بخروجهم عن الطاعة .

[٥٠] - ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ مقدوراته أو أرزاقه ﴿وَلَا﴾ أتى

﴿أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾ ما لم يوح إلي ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ من الملائكة، أقدر على مقدورهم ﴿إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ أي لم أدع ما يستبعد من الهية أو ملكية، بل أدعي النبوة وهي من كمالات البشر ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ الجاهل والعالم، أو: الكافر والمؤمن ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتعلموا الحق، أو فتؤمنوا .

[٥١] - ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ لـ «ما يوحى» ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ هم

عصاة المؤمنين، أو كل مقر بالبعث من مسلم وكتابي، أو مجوز له ولو متردداً ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ حال من «يخشروا» ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ كي يخافوا فيتوبوا .

[٥٢] - ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ يعبدونه ﴿بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ﴾ بالعدوام أو

في صلاة الصبح والعصر. وقرأ «ابن عامر»^(١) : بالغدوة^(٢) ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ حال أي يدعونه مخلصين فيه . وهم فقراء المسلمين، وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجلسوا إليه فأبى . قالوا: فتحهم عنا إذا جئنا قال: نعم، فنزلت ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي ليس لك إلا اعتبار ظاهرهم وإن كان باطنهم غير مرضي كما زعمه المشركون فحسابهم لا يتعداهم اليك ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ وقيل: الضمير للمشركين أي لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك^(٣) ﴿فَتَطْرُدْهُمْ﴾ جواب النفي ﴿فَتَكُونَنَّ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ جواب النهي .

[٥٣] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الفتن ﴿فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ الغني والشريف

بالفقر والوضيع بأن وفقناه للسبق بالإيمان ﴿لِيَقُولُوا﴾ أي الأغنياء إنكاراً . واللام

(١) أي بالواو وضم الغين - كما في حجة القراءات: ٢٥١.

(٢) رواه ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٠٦.

للعاقبة ، أو للعلة بتضمين «فتنا» معنى «خذلنا» ﴿أَهْوَلَاءِ﴾ الفقراء ﴿مَنْ اللَّه﴾ انعم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بالتوفيق للخير ﴿مِنْ بَيْنَنَا﴾ دوننا ، ونحن الرؤساء وهم الضعفاء ومثله : ﴿لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾^(١) ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ فيوفقهم .

[٥٤] - ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ هم الذين يدعون ربهم . وصفوا بعبادته ، ثم بالإيمان بحججه إيذاناً بأنهم أهل للتقريب والإكرام ، ولا الطرد والإهانة . وقيل : قال قوم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : اصبنا ذنوباً ، فسكت عنهم فنزلت^(٢)

﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ابدأهم بالتسليم وأبلغهم سلام الله ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ﴾ أوجب ﴿عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ تفضلاً ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا﴾ استئناف لبيان الرحمة وفتحها «نافع» و«عاصم» و«ابن عامر» بدلاً منها^(٣) ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ متلبساً بفعل الجهالة ، إذ ارتكاب ما يعقب الضرر جهل وسفه ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد عمله ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل ﴿فَأَنَّهُ﴾ أي الله ﴿غَفُورٌ﴾ له ﴿رَحِيمٌ﴾ به ، وفتحها من فتح الاولى سوى «نافع»^(٤) . مبتدأ أو خبر ، أي فله أو فأمره غفرانه .

[٥٥] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ التفصيل ﴿نُقِصِلُ الْآيَاتِ﴾ نبيّن آيات القرآن ليظهر الحق ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ قرأ «نافع» بالتاء ، ونصب «سبيل» مفعولاً خطاباً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

و«ابن كثير» و«ابن عامر» و«أبو عمرو»^(٥) و«حفص» برفعه فاعلاً ، والباقون بالياء ورفعه على تذكيره .^(٦)

(١) سورة الاحقاف : ١١/٤٦ .

(٢) قاله انس بن مالك - كما في تفسير مجمع البيان ٢ : ٣٠٧ .

(٣) حجة القراءات : ٢٥٢ .

(٤) في «ط» : ابوبكر .

(٦) السبعة في القراءات : ٢٥٨ .

[٥٦] - ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ﴾ عن ﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدونهم أو تسمونهم آلهة ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ استجهاً لهم وبيان لعللة الإمتناع من متابعتهم ، ولسبب ضلالهم من اتباع الهوى لا الحجة ﴿قَدْ ظَلَمْتُ إِذَا﴾ ان اتبعت أهواءكم ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ تعريض بهم .

[٥٧] - ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ حجة واضحة ﴿مِنْ رَبِّي﴾ من معرفته ، أو كائنه منه ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ بربي حيث أشركتم به ، أو بالبينه على المعنى أي القرآن ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ في العذاب وغيره ﴿يَقْضَىٰ﴾^(١) القضاء ﴿الْحَقُّ﴾ أو يصنع الحق ، وقرأ «ابن كثير» و«نافع» و«عاصم» يقض أي يقول^(٢) ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ القاضين .

[٥٨] - ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي﴾ في قدرتي ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بأن أهلككم فاستريح ، ولكنه عند الله ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ وبما توجهه الحكمة من أخذهم وامهالهم .

[٥٩] - ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ ما يتوصل به إليه ، مستعار من المفاتيح جمع مفتاح بكسر الميم ، وهو المفتاح أي هو المتوصل إليه وحده ، أو خزائنه جمع مفتاح بالفتح وهو المخزن ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ فيعلم ما توجهه الحكمة من تعجيلها وتأخيرها فيفعله ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ من حيوان وغيره ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ حال سقوطها قبله وبعده ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ﴾ عطف على «ورقة» ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو علمه تعالى ، أو اللوح .
والإستثناء بدل كل من الإستثناء قبله ، أو بدل اشتمال منه .

[٦٠] - ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ يقبضكم بالنوم فيه ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾

(١) في المصحف الشريف «يقض» .

(٢) حجة القراءات : ٢٥٤ .

كسبتم ﴿يَالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ يوقظكم في النهار ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ ليستوفي المتيقظ ^(١) أجله المضروب له في الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالموت أو البعث ﴿ثُمَّ يُبْعَثُكُمْ فِي مِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بمجازاتكم به .

[٦١] - ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ملائكة تحصي أعمالكم، وفيه لطف للعباد لأنهم إذا علموا أن أعمالهم تكتب وتعرض في القيامة، كان أزجر عن الذنب ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ ملك الموت وأعوانه . وقرأ «حمزة»: «توفاه» ^(٢) بألف مماله ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ لا يقصرون بالتواني عما حد لهم .

[٦٢] - ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ الى حكمه ﴿مَوْلَاهُمْ﴾ المتولي أمرهم ﴿الْحَقِّ﴾ الثابت العدل في حكمه ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ يومئذ لا لغيره ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ يحاسبهم في قدر حلب شاة، لا يشغله حساب عن حساب .

[٦٣] - ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ﴾ وخففه «يعقوب» ^(٣) ﴿مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ شدائد هما يقال لليوم الشديد يوم مظلم، وذو كواكب ﴿تَدْعُونَهُ﴾ حال ﴿تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً﴾ علانية وسراً، حالان أو مصدران وكسر الخاء «أبوبكر» ^(٤) قائلين ﴿لَئِنْ﴾ قسم ﴿أُنْجِيتَنَا﴾ ^(٥) وقرأ «الكوفيون»: «انجانا» ^(٦) ﴿مِنْ هَذِهِ﴾ الظلمات ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ .

(١) في «ط» المستقضي .

(٢) حجة القراءات: ٢٥٤ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٣١٣ .

(٤) حجة القراءات: ٢٥٥ .

(٥) وفي المصحف الشريف بقراءة حفص، «انجيناً» .

(٦) حجة القراءات: ٢٥٥ .

[٦٤] - ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ﴾ وشدده الكوفيون^(١) ﴿مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ سواها ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ به ولم تفوا بوعده الشكر.

[٦٥] - ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ كالطوفان والريح والحجارة والصيحة ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ﴾ كالغرق والخسف ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا﴾ يخلطكم فرقاً مختلفي الأهواء ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ يقتل بعضكم بعضاً ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ نبين الدلائل ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ فيميزون الحق من الباطل.

[٦٦] - ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾ القرآن أو العذاب ﴿قَوْمَكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ الصدق أو الثابت الوقوع ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ فاحفظكم من التكذيب أو اجازيكم ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾^(٢).

[٦٧] - ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ خبر ومنه عذابكم ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ وقت استقرار وحصول ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما يحل بكم ، تهديد لهم.

[٦٨] - ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن بالطعن والإستهزاء بها ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فلا تجالسهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ غير الخوض فيها ﴿وَأِمَّا﴾ هي «ان» الشرطية أدغمت في «ما» الزائدة ﴿يُنْسِيكَ﴾ وشدده «ابن عامر»^(٣) ﴿الشَّيْطَانُ﴾ بوسوسته فجالستهم.

وفرض الإنساء لا يستلزم وقوعه ، أو خوطب صلى الله عليه وآله وسلم والمراد غيره ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ﴾ ذكرك النهي ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وضع موضع معهم إيذاناً بظلمهم بوضع الإستهزاء موضع التعظيم.

(١) حجة القراءات: ٢٥٥.

(٢) سورة ص: ٦٥ / ٢٨.

(٣) حجة القراءات: ٢٥٦.

[٦٩] - ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ما يلزمهم بمجالسة الخائضين ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ شَيْءٍ من ذنوبهم ﴿وَلَكِنْ ذَكَّرُوا﴾ يذكرونهم تذكيراً بالاعراض والوعظ، أو عليهم ذكرى ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوض، فيتركونه أو لعل المتقين يثبتون على التقوى، ويزدادونها بالذكرى.

وقيل: قال المسلمون: «ان قمنا كلما استهزءوا لم نستطع جلوساً ولا طوقاً فترلت»^(١).

[٧٠] - ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ﴾ تشهياً بما لا يعقب نفعاً كعبادة الأصنام، أو اتخذوا دينهم الذي كلفوه ضحكة وسخرية، أي أعرض عنهم ولا تبال بهم. وقيل: كف عنهم. ونسخ بآية السيف^(٢) ﴿وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ وزهرتها ﴿وَذَكَّرَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ مخافة أن تسلم للهلكة ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ بسوء عملها ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ﴾ ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ ينجيها من العذاب ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ﴾ تفد كل فداء ونصب «كل» مصدراً ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ المسند اليه «منها» لا ضمير المصدر بخلاف ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾^(٣) أي فدية ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ أسلموا للهلكة بسوء عملهم ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء مغلي حار ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هو النار ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم.

[٧١] - ﴿قُلْ أَدْعُوْا﴾ أعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾ ان عبدناه. ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ ان لم نعبده ﴿وَنُرْثِدْ عَلَى أَغْقَابِنَا﴾ ونرجع إلى الشرك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ بتوفيقه للإسلام ﴿كَالَّذِي﴾ مشبهين الذي، أو رداً كرد الذي ﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ ذهبت به

(١) نقل الطوسي معناه عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير التبيان ٤: ١٦٧.

(٢) قاله قتادة - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣١٨.

(٣) سورة البقرة: ٤٨/٢.

المردة . من «هوى» أي ذهب . وقرأ «حمزة» بألف مماله^(١) ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ المهمة^(٢) ﴿حَيْرَانَ﴾ متحيراً لا يدري ما يصنع ﴿لَهُ أَصْحَابٌ﴾ رفقة ﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ إلى ان يهدوه طريق الحق ، أو إلى طريق الحق يقولون له ﴿اثْبِتْنَا﴾ فيعرض عنهم فيهلك ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ﴾ وهو الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ وما وراءه ضلال ﴿وَأَمَرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقل : امرنا بذلك لنسلم ، أو امرنا بأن نسلم . فاللام لتعليل الأمر ، أو بمعنى الباء .

[٧٢] - ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ عطف على «لنسلم» أي وإقامتها أو بإقامتها ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ﴾ بعد الموت للجزاء .

[٧٣] - ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قائماً ﴿بِالْحَقِّ﴾ والحكمة ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ خبر لقوله ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ أي تكوينه الحق والحكمة حين يكون الأشياء . وقيل : نصب «يوم» عطفاً على «السماوات» ، أو الهاء في «اتقوه»^(٣) ولقوله الحق «مبتدأ وخبر ، أو فاعل «يكون» أي وحين يقول لقوله الحق أي لقضائه «كن فيكون» .

والمراد بالتكوين إحداث الأشياء ، أو حشر الأموات في القيامة ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ يختص به ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ ينفخ اسرافيل في القرن النفخة الثانية ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله ﴿الْخَبِيرُ﴾ بكل شيء .

[٧٤] - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرْزُ﴾ عطف بيان «لأبيه» .

قيل : هو لقب ذم له ،^(٤) لأن اسمه «تارخ» بالإتفاق وقيل : هما علما له ،^(٥)

(١) حجة القراءات: ٢٥٦ .

(٢) المهمة والمهمة : المفازة البعيدة .

(٣) نقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢ : ٣٢٠ .

(٤) نقله الطوسي في تفسير التبيان ٤ : ١٧٥ .

(٥) قاله سعيد بن عبدالعزيز كما في تفسير الطبري ٥ : ٢٤٣ .

وقيل : اسم صنم ، لقب به للزومه عبادته .^(١)

وعندنا أنه عمه والعم يدعى أباً ، أو جده لأمه ، لإجماعنا على تنزيه آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الكفر الى آدم ، وتعضده الأخبار .^(٢) ومنع صرفه للعلمية والعجمة وضمه «يعقوب»^(٣) منادى «أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا إِلَهَةً» توبيخ له «إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ» عن الحق «مُبِينٍ» ظاهر .

[٧٥] — «وَكَذَلِكَ» التبصير «نُرِي إِبْرَاهِيمَ» نبصره «مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» ملكهما . والتاء للمبالغ ليستدل به على وحدانية مبدعه «وَلْيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» أو التقدير واريناه ليكون .

[٧٦] — «فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ» ستره بظلامه . تفصيل للإراءة أو عطف على «قال» و«كذلك» اعتراض «رَأَى كَوْكَبًا» الزهرة أو المشتري «قَالَ» منبهاً لقومه على خطأهم في عبادة الأصنام والكواكب ، ومرشداً لهم الى طريق النظر المؤدي الى الحق «هَذَا رَبِّي» في زعمكم ، أو قاله في نفسه مستدلاً حين خرج من السرب^(٤) الذي ولدته فيه أمه خوفاً أن يقتله «نمرود» أو حين راجع النظر «فَلَمَّا أَقْلَ» غاب «قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ» ان اتخذهم آلهة ، لاقتضاء الانتقال الحدوث المنافي للالهية .

[٧٧] — «فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا» طالعا «قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَقْلَ قَالَ لَيْتُنِي لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي» بلطفه وتوفيقه «لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ» تعريض بضللال قومه بعبادة المصنوع .

[٧٨] — «فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي» ذكر المبتدأ لتذكير الخبر «هَذَا

(١) قاله سعيد بن المسيب ومجاهد كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٢١ .

(٢) انظر الكافي ١: ٤٤١ الحديث رقم (٩) وتفسير التبيان ٤: ١٧٥ وتفسير مجمع البيان ٢: ٣٢٢ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٢١ .

(٤) السرب : الحفير تحت الأرض .

أَكْبَرُ ﴿ مِنْ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا أَفْلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ بالخالق من الأجرام المخلوقة المحتاجة الى محدث يحدثها .

[٧٩] - ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ﴾ نفسي وعباداتي . وفتح « نافع » و« ابن عامر » و« حفص » « ياء » « وجهي »^(١) ﴿ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ خلقهما وهو الله ﴿ حَنِيفًا ﴾ مائلاً الى توحيده ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ به .

[٨٠] - ﴿ وَحَاجَّةُ قَوْمُهُ ﴾ جادلوه في التوحيد ﴿ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ ﴾ في وحدانيته . وخفف النون « نافع » و« ابن عامر »^(٢) ﴿ وَقَدْ هَدَانِ ﴾ الى توحيده ﴿ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ﴾ من آلهتكم ان تضربني إذ لا تضر ولا تنفع ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ﴾ من سوء يصيبني به من جهتها كأن يرجمني بكوكب إن استوجبتة بذنب ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ تميز، أي : وسع علمه كل شيء ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ فتميزون الحق من الباطل .

[٨١] - ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ ﴾ ولا يضر ولا ينفع ﴿ وَلَا تَخَافُونَ أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ ﴾ أي : اشراككم ﴿ بِاللَّهِ ﴾ الخالق القادر أن يضر وينفع ﴿ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ ﴾ بإشراكه ﴿ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ﴾ حجة ، وهو آلهتكم المخلوقة العاجزة ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ ﴾ من الموحدين والمشركين ﴿ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الأحق به منهما ، ثم استؤنف الجواب عن السؤال بقوله :

[٨٢] - ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ﴾ يخلطوا ﴿ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ بشرك . روى : أنها لما نزلت شق على الناس ، وقالوا : أينما لم يظلم نفسه ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس ما تعنون » إنما هو ما قال « لقمان » : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾^(٣) وليس الإيمان

(١) النشر في القراءات العشر: ٢٦٧ .

(٢) حجة القراءات: ٢٥٧ .

(٣) رواه عبد الله بن مسعود - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٢٧ والآية من سورة لقمان: ٢١/١٣ .

به أن يصدق بالله ويشرك به غيره ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ من العقاب ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ لطريق النجاة.

[٨٣] - ﴿وَتِلْكَ﴾ إشارة إلى ما احتج به إبراهيم من أفول الكوكب وما بعده ﴿حُجَّتْنَا﴾ خبر «تلك» أو بدله والخبر ﴿ءَاتَيْنَاهَا﴾ الهمناها ﴿إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ متعلق بـ «حجتنا» على الأول، وبمحذوف على الثاني، أي: آتيناهما إبراهيم حجة على قومه ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ في العلم والفهم. ونوته الكوفيون^(١) ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في فعله ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوال خلقه.

[٨٤] - ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا﴾ منهما أو منهم ﴿هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل إبراهيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ الهاء لـ «نوح» لقربه ولأن «يونس» و«لوطاً» ليسا من ذرية إبراهيم. وقيل: لإبراهيم^(٢) ومن ذكر في الآية الثالثة عطف على «نوحاً» ﴿دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ﴾ بن «آموص» من أسباط «عيص بن اسحاق» ﴿وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ﴾ أي كما جزيناهم ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

[٨٥] - ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾ ويقيد شمول الذرية لأولاد البنت كالحسنين عليهما السلام ﴿وَالْيَاسَ﴾ قيل: هو «ادريس» جد نوح،^(٣) فيختص البيان بمن في الآية الأولى. وقيل: من أسباط هارون أخي موسى^(٤) ﴿كُلٌّ﴾ منهم ﴿مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ عملاً.

[٨٦] - ﴿وَأِسْمَاعِيلَ﴾ بن إبراهيم ﴿وَالْيَسَعَ﴾ بن اخطوب، وشدد «حمزة» و«الكسائي» «اللام» وسكنا «الياء»،^(٥) وعلى القرائتين علم اعجمي دخلته اللام

(١) حجة القراءات: ٢٥٨.

(٢) قاله الزجاج - كما في تفسير التبيان ٤: ١٩٤ وتفسير مجمع البيان ٢: ٢٢٠.

(٣) قاله ابن مسعود - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٢٠.

(٤) قاله ابن اسحاق - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٢٢٠.

(٥) حجة القراءات: ٢٥٩.

﴿يُونُسَ﴾ بن متى ﴿وَلُوطًا﴾ بن هاران^(١) أخى إبراهيم، وقيل: ابن خالته وأخو سارة ﴿وَكُلًّا﴾ منهم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم بالنبوة.

[٨٧] — ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾ عطف على «كلًا» و«من» للتبعض، لأن بعضهم ليس نبيًا، أو على «نوحًا» ولا يلزم أن يكون في والديهم من ليس بمهدي لجواز أن يراد ببعض آبائهم من عدى العمومة لأن العم أب ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ اصطفيناهم ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ كرر لبيان ما هدوا إليه من الدين الحق.

[٨٨] — ﴿ذَلِكَ﴾ الهدى الذي منحوه ﴿هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ممن يعلمه أهلاً له ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ أي هؤلاء الأنبياء مع فضلهم ﴿لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كما يحبط عمل غيرهم لو أشرك.

[٨٩] — ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ جنس الكتب ﴿وَالْحُكْمَ﴾ الحكمة أو الفصل الحق ﴿وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾ بهذه الثلاثة ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ بمراعاتها ﴿قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ وهم الأنبياء المذكورون، أو الملائكة، أو من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

[٩٠] — ﴿أُولَئِكَ﴾ الأنبياء ﴿الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهَدَاهُمْ﴾ فبطريقتهم مما توافقوا فيه من التوحيد والصبر والتبليغ ﴿اقتداه﴾ الهاء للوقوف. وحذفها «حمزة» و«الكسائي» وصلاً، وأثبتهما الباقر مطلقاً، واشبعها «ابن عامر» كسراً.^(٢) ولا يفيد تعبدته صلى الله عليه وآله وسلم بشرع من قبله ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التبليغ أو القرآن ﴿أَجْرًا﴾ كما لم يستل الأنبياء قبلي، وهذا مما يقتدى بهم فيه ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما التبليغ والقرآن ﴿إِلَّا ذِكْرِي﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الثقلين.

(١) في «ط»: هارون وفي بعض كتب التفسير: جازان.

(٢) حجة القراءات: ٢٦٠.

[٩١] - ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عرفه اليهود حق معرفته في الرحمة لعباده أو السخط على الكفرة ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشِيرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ حين أنكروا الرسل والوحي وذلك من رحمته ، أو حين جسروا على هذا الإنكار الموجب لسخطه . قالوه إنكاراً للقرآن .

وقيل : قاله بعضهم حين غضب من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى ، هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين^(١) - وكان سميناً - ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ وقرأ «أبو عمرو» و«ابن كثير» الثلاثة بالياء ،^(٢) وهو إلزام لهم وذم على تفريقهم التوراة في ورقات ، وإبداء ما يشتهون منها ، وإخفاء كثير كنعيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَعَلَّمْتُمْ﴾ أيها اليهود بالقرآن ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ من بيان ما ألبس عليكم ، واختلفتم فيه ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أي أنزله الله إذ لأجواب غيره ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ﴾ باطلهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾ حال من «هم» الأول أو الثاني .

[٩٢] - ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ كثير النفع ﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ عطف على معنى ما قبله أي أنزلناه للبركة والتصديق ولتنذر ، وقرأ «أبو بكر» بالياء^(٣) ﴿أُمُّ الْقُرَى﴾ أهل مكة .
وسميت أمّاً لأنها قبلة أهل القرى ومحجهم .

أو لأن فيها أول بيت وضع ، أو لدحو الأرض من تحتها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ سائر الناس ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فإن خوف العاقبة يبعث على الإيمان بالرسول والقرآن .

(١) قاله سعيد بن جبير - كما في تفسير مجمع البيان ٢ : ٣٢٣ .

(٢) حجة القراءات : ٣٦٠ .

(٣) حجة القراءات : ٣٦١ .

والهاء لأحدهما أو على المحافظة على عماد الدين .

[٩٣] - ﴿وَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بإعادة النبوة، أو الأعم منه ﴿أَوْ قَالَ أَوْحَى إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ . نزلت في «مسيلمة» وقيل : في «ابن أبي سرح» كان يكتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما نزل ، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ الى قوله ﴿خَلَقًا آخَرَ﴾^(١) قال متعجباً «تبارك الله أحسن الخالقين» .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : اكتبها ، فكذلك نزلت فشك وقال : إن صدق محمد فقد أوحى إلي كما أوحى إليه ، وإن كذب فقد قلت كما قال^(٢) ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وهم الذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا وقيل : «ابن أبي سرح»^(٣) ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ شدائده من غمره الماء : غطاه ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ لقبض ارواحهم أو بالعذاب يقولون تغليظاً عليهم ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ لتقبضها ، أو خلصوها من العذاب ﴿الْيَوْمَ تُجْرَزُونَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ وضافته اليه لتمكنه منه ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ كالإشراك ، ودعوي الإيحاء كذباً ﴿وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ﴾ عن الإيمان بها ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾ وجواب «لو» لرأيت أمراً عظيماً .

[٩٤] - ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ للجزاء ﴿فُرَادَى﴾ منفردين عن الأهل والمال ، جمع فرد ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بدل منه ، أو حال مرادفة ، أو مداخلة أي مُشَبَّهَن ابتداء خلقكم حفاة عراة عزلاء^(٤) ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ ما أعطيناكم من الأموال والولد ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ لم تحملوا منه شيئاً ولا قدمتموه ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ الأصنام

(١) سورة المؤمنون : ٢٣ / ١٢-١٤ .

(٢) قاله ابن عباس وشرحبيل - كما في تفسير القرطبي ٧ : ٤٠ .

(٣) رواه القرطبي في تفسيره ٧ : ٤٠ ، عن ابن عباس وشرحبيل .

(٤) والعزل : هم القلف ، الذين لم يختنوا بعد .

﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ في استعبادكم ﴿شُرَكَاؤُا﴾ لله ﴿لَقَدْ نَقَطَعَ بَيْنَكُمْ﴾ وصلكم؛ وهو للوصل وضده، أو الإسناد الى الظرف اتساعاً، ونصبه «نافع» والكسائي «حفص»^(١) والفاعل المصدر، أو مضمراً أي وقع التقطع، أو تقطع الوصل بينكم ﴿وَضَلَّ﴾ ضاع ﴿عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ من شفاعتها. أو أن لا بعث.

[٩٥] - ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ﴾ شاق ﴿الْحَبِّ﴾ بالنبات ﴿وَالنَّوَى﴾ بالنخل والشجر ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ الحيوان والنامي من النطف، والبيض، والحب والنوى ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ﴾ هذه الأشياء ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾ الحيوان والنامي، محمول على «فالق»، ويخرج الحي كالبيان له ﴿ذَلِكُمْ﴾ الفالق والمخرج ﴿اللَّهُ﴾ المستحق للعبادة ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون عنه مع وضوح الدليل.

[٩٦] - ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ مصدر سمي به الصبح أي شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل، أو شاق ظلمة الإصباح وهي الغيش^(٢) قبله ﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا﴾ يسكن اليه التعب للإستراحة من «سكن اليه» أي اطمأن، أو يسكن الخلق فيه. ونصب بفعل دل عليه «جاعل» ان كان للماضي، أو به ان كان للإستمرار وقرأ الكوفيون «وجعل»^(٣) عطفاً على معنى «فالق»، أي فلق وجعل ﴿وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ﴾ نصبا بإضمار «جعل» أو بالعطف على محل الليل ﴿حُسْبَانًا﴾ حساباً للأوقات أو بحذف الباء، حال عن مقدر أي يجريان بحساب معلوم ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ في سلطانه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بتدبير خلقه.

[٩٧] - ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ﴾ خلق لنفعمكم ﴿النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ

(١) حجة القراءات: ٢٩١.

(٢) الغيش - محرقة -: بقية الليل او ظلمة آخره.

(٣) حجة القراءات: ٢٩٢.

الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴿٩٧﴾ في ظلمات الليل فيهما وأضيفت اليهما للملاسة وهو تخصيص لبعض منافعها بعد الإجمال .

وعن علي بن ابراهيم : النجوم آل محمد عليهم السلام ^(١) ﴿قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِ﴾ بينا الحجج ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ لأنهم المتفكرون به .

[٩٨] - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هو آدم عليه السلام ﴿فَمُسْتَقَرٍّ وَمُسْتَوْدَعٍ﴾ فلكم استقرار في الأرحام أو فوق الأرض واستيداع في الأصلاب أو القبور، أو مكان استقرار واستيداع . وكسر «القاف» «أبو عمرو» و«ابن كثير» ^(٢) اسم فاعل .

والمستودع اسم مفعول أي فمنكم قار ومنكم مستودع ﴿قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ مواقعها . وذكر في السابقة «يعلمون» وهنا «يفقهون» لأن انشاء الأنس من آدم وتصريف أحوالهم أدق ، فيحتاج إلى دقة نظر .

[٩٩] - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من جهتها أو السحاب ﴿مَاءً فَأَخْرَجْنَا﴾ التفات عن الغيبة ﴿بِهِ﴾ بالماء ﴿نَبَاتٌ كُلِّ شَيْءٍ﴾ رزقه ، أو نبات كل صنف ينبت ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ من النبات أو الماء ﴿خَضِرًا﴾ شيئاً أخضر ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ﴾ من الخضر ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ يركب بعضه بعضاً كالسنبل ونحوه ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ خبر ﴿مِنْ طَلْعِهَا﴾ بدل منه ﴿قِنَوَانٌ﴾ مبتدأ أي وحاصلة من طلع النخل قنوان ، جمع قنو وهو العذق ﴿دَانِيَةً﴾ قريبة من التناول ، أو قريب بعضها من بعض ، واقتصر عليها عن البعيدة لفهمها منها وفضلها ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَغْنَابٍ﴾ عطف على «نبات» .

قيل : رفعها علي عليه السلام مبتدأ أي ولكم ^(٣) ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ عطف على

(١) تفسير القمي ١: ٢١١ .

(٢) حجة القراءات: ٢٦٢ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٤٠ .

«نبات» أو نصبا على الاختصاص لفضلهما «مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ» حال من الجميع، أي بعضه متشابه طعماً ولوناً وحجماً، وبعضه غير متشابه «انْظُرُوا» معتبرين «إِلَى ثَمَرِهِ» وضم «حمزة» و«الكسائي» أوليه،^(١) وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر، وخشبة وخشب «إِذَا أَثْمَرَ» أول اخراجه كيف هو «وَيَنْعِهِ» والى نضجه إذا أدرك كيف يعود كبيراً ذا نفع ولذة «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ» دلالات على وجوده تعالى وتوحيده وحكمته وقدرته على البعث وغيره «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» فإنهم المنتفعون بها.

[١٠٠] - «وَجَعَلُوا اللَّهَ» مفعول ثاني «شُرَكَاءَ» مفعول أول «الْجِنِّ» بدل منه،

أو المفعولان «شركاء الجن» و«الله» متعلق بشركاء. والجن: الملائكة إذ عبدوهم وقالوا: هم بنات الله وسموا جنّاً لاجتنانهم، أو الشياطين إذ أطاعوهم في عبادة الأوثان «وَوَخَّلَقَهُمْ» حال أي وقد خلق الله الجاعلين دون الجن أو خلق الجن «وَوَخَّرَقُوا» وشدده «نافع»^(٢) اختلقوا «لَهُ يَتِينَ وَبَنَاتٍ» كقول أهل الكتابين في عزيز والمسيح، والعرب في الملائكة «بِغَيْرِ عِلْمٍ» بحقيقة ما قالوا. حال من الواو «سُبْحَانَهُ» تنزيهاً له «وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ» من أن له شريكاً، أو ولداً.

[١٠١] - «بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» صفة مضافة الى فاعلها، أو الى الظرف

بمعنى انه لا نظير له فيهما، أو مبدعهما لا عن شيء وهو خبر محذوف، أو مبتدأ خبره «أَنِّي» من أين «يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً» زوجة «وَوَخَّلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» والمخالق لكل مخلوق، العالم بكل معلوم غني عن الولد وغيره.

[١٠٢] - «ذَلِكَكُمْ» الموصوف بما سبق. مبتدأ اخباره «اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ» أو بعضها خبر، وبعضها صفة أو بدل «فَاعْبُدُوهُ» فإنه المستحق للعبادة وحده «وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ» حفيظ يدبره.

[١٠٣] - «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» حواس النظر. ويفيد امتناع رؤيته إذ الجمع

المحلي باللام يعمّ الافراد، أي لا يراه بصر من الأبصار في وقت من الاوقات لأصالة عدم التقييد. وجعله سلباً جزئياً خلاف المدلول وهو عموم السلب لا سلب العموم. والنفي المتمدّح به كمال، وضده نقص ممتنع عليه تعالى وجعله رؤية إحاطة ينفيه صحة «ادركت الشمس ولم أحط بها» واثبات رؤية بلا آلة ولا جهة غير معقول ﴿وَهُوَ يُذَرِّكُ الْأَبْصَارَ﴾ فيراها ولا تراه ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ يلفظ أن تدركه الأبصار ﴿الْخَبِيرُ﴾ فيدرك الأبصار وغيرها وفيه لفّ.

[١٠٤] - ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ﴾ حجب ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ تبصركم الحق ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ الحق وآمن ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ ابصر، وإياها نفع ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عنه ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وبال عماه ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ﴾ احفظ أعمالكم ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾^(١). والكلام على لسانه صلى الله عليه وآله وسلم.

[١٠٥] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ التصريف ﴿نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ نبينها ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ تصرفها. واللام للعاقبة أو بمعنى لئلا، يقولوا درست: أي قرأت وتعلمت. وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» «دارست»^(٢) أي ذاكرت أهل الكتاب، و«ابن عامر» «دَرَسْتُ»^(٣) أي قدمت هذه الآيات وعفت ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾ لأمه على أصله، والهاء للآيات لأن معناها القرآن، أو له لمعلوماته ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

[١٠٦] - ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ من الدين ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ اعتراض يؤكد إيجاب الاتباع ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ لا تخالطهم وإن فسر بـ «كف عنهم» كان منسوخاً بآية السيف.^(٤)

(١) سورة ص: ٢٨/٦٥.

(٢) حجة القراءات: ٢٦٤.

(٣) أي بفتح السين وتسكين التاء - كما في حجة القراءات: ٢٦٤.

(٤) في «ب»: بالكف عنهم.

[١٠٧] - ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ جبرهم على ترك الإشراك ﴿مَا أَشْرَكُوا﴾ لكنه لم يشأ لمنفاته الحكمة ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ رقيباً ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ فتجبرهم على التوحيد .

[١٠٨] - ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدونهم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾ تعدياً للحق ، وشدده «يعقوب» وضم أوليه ^(١) ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ جاهلين بالله .
 قيل : كان صلى الله عليه وآله وسلم يطعن في آلهتهم فقالوا : «لنتهين أو لنهجون ربك» فنزلت . ^(٢)

وقيل : كان المسلمون يسبونونها فنهوا لثلاث سبوا الله ^(٣) ويفيد صيرورة الطاعة معصية ، إذا أدت اليها ﴿كَذَلِكَ﴾ التزيين ﴿زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الكفرة ﴿عَمَلُهُمْ﴾ أي لم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم ، أو أمهلنا الشيطان حتى زينه لهم . وإن عم كل أمة فالتزيين توفيق وخذلان ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بالمجازاة عليه .

[١٠٩] - ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ مجتهدين فيها ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ مما اقترحوا ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلُوبُنَا إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو القادر عليها ينزلها كما يشاء لا عندي ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ يدريكم ﴿أَنَّهَا﴾ أي الآية المقترحة ﴿إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا تدرون ذلك . خطاب للمؤمنين إذ طمعوا في إيمانهم فتمنوا مجيء الآية وقيل : «لا» زائدة ^(٤) وقيل : «أن» بمعنى «لعل» ^(٥) وكسرهما «ابن كثير» ، و«أبو عمرو» و«أبو بكر» ^(٦)

(١) تفسير مجمع البيان ٢ : ٣٤٧ .

(٢) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٢ : ٣٤٧ .

(٣) قاله قتادة - كما في تفسير مجمع البيان ٢ : ٣٤٧ .

(٤) قاله الكسائي - كما في تفسير القرطبي ٧ : ٦٥ .

(٥) قاله الخليل - كما في تفسير التبيان ٤ / ٣٢٤ .

(٦) حجة القراءات : ٣٦٧ .

على معنى وما يشعركم ما يكون منهم . ثم أخبرهم بعلمه فيهم وقرأ «ابن عامر»
و«حمزة»: لا تؤمنون بالتاء^(١) خطاباً للكفرة .

[١١٠] - ﴿وَنَقْلِبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ نطبع عليهما^(٢) فلا يفقهون الحق

ولا يبصرونه فلا يؤمنون بها ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ بما انزل من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَذَرُهُمْ
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي لا نكفهم عن ضلالهم حتى يترددوا متحيرين .

[١١١] - ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ كما اقترحوا: ﴿لَوْ لَا

انزل علينا الملائكة﴾^(٣) و﴿فَاتُوا بَابَانَا﴾،^(٤) ﴿وَحَشَرْنَا﴾ جمعنا ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ
قُبْلًا﴾ بضم أوليه جمع قبيل (الذي هو) جمع قبيلة أي جماعات، أو بمعنى كفيل أي
كفلاء، أو مصدر بمعنى مقابلة كقراءة «نافع» و«ابن عامر» بكسر القاف وفتح الباء^(٥)
﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عند هذه الآيات ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ جبرهم على الإيمان ﴿وَلَكِنْ
أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ انهم لا يؤمنون عند الآيات، فيقسمون على ما لا يشعرون، أو أكثر
المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون الآية طمعاً في إيمانهم .

[١١٢] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدواً ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ واسناد

الجعل اليه تعالى لأنه بمعنى التخلية، أي لم نمنعهم من العداوة ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ
وَالْجِنِّ﴾ مردتهما، بدل من «عدواً» أو مفعول أول، وعدواً ثانٍ ﴿يُوحِي﴾ يوسوس
﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ باطله الممّوه ﴿غُرُورًا﴾ مفعول له ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ
مَا فَعَلُوهُ﴾ أي الإيحاء والزخرف ﴿فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ من الكفر، تهديد لهم أو

(١) حجة القراءات: ٣٦٧.

(٢) في النسخ: عليهم .

(٣) سورة الفرقان: ٢٥/٢١.

(٤) سورة الدخان: ٤٤/٣٣ . ووردت الكلمة في النسخ: فات .

(٥) حجة القراءات: ٣٦٧ وما بين القوسين اخذناه من تفسير البيضاوي .

منسوخ بآية السيف. ^(١)

[١١٣] - ﴿وَلِتَضَعِ عَظْفُ عَلَى غُرُورًا﴾ أي تميل ﴿إِلَيْهِ﴾ أي الإيحاء أو الزخرف ﴿أَفْتِدَةُ﴾ قلوب ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا﴾ يكتسبوا ﴿مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ من الآثام.

[١١٤] - ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ أي قل لهم أغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿مُقَضَّلًا﴾ مبيناً، فيه الحق من الباطل وهو بإعجازه مغني عن كل آية ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ أهل الكتابين أو مؤمنوهم كـ «ابن سلام» وأضرابه ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ﴾ وشده «ابن عامر» و«حفص» ^(٢) ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ وعلمهم بذلك بعضه ^(٣) دلالة إعجازه أنه حق ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْتَرِينَ﴾ في انسه منزل منه، من باب التسهيل، أو في علمهم بذلك أو الخطاب لكل أحد.

[١١٥] - ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ أخباره وأحكامه ووحدها «الكوفيون» ^(٥) أي ما تكلم به أو القرآن ﴿صِدْقًا﴾ في الأخبار، حال أو تمييز وكذا ﴿وَعَدْلًا﴾ في الأحكام ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ بخلف أو نقض، أو لا أحد يبدلها بما هو أصدق وأعدل ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأعمالهم.

[١١٦] - ﴿وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي الكفار ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه. ويفيد أنه لا عبرة بالكثرة في الحق بل بالحجة ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ وهو

(١) وهي الآية ٥ من سورة التوبة.

(٢) حجة القراءات: ٢٦٨.

(٣) في «الف»: يؤكد.

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «كلمة».

(٥) حجة القراءات: ٢٦٨.

ظنهم أن آباءهم على حق أو آراءهم الفاسدة ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في أن الله أحل كذا وحرم كذا.

[١١٧] - ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ «من» موصولة منصوبة بفعل دل عليه «اعلم» لا به، لأنه لا ينصب أي هو أعلم، يعلم من يضل، أو استفهامية مرفوعة بالإبتداء والخبر «يضل» والجملة معلق عنها الفعل المقدر، والتفضيل بالعلم بإحاطته بالوجوه التي يتعلق العلم بها ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ والمعنى أنه أعلم بالفريقين.

[١١٨] - ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره، أو الميتة، مسبب عن انكار اتباع الكفرة المحليين للحرام والمحرمين للحلال ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ إذ مقتضى ذلك استباحة ما أحل دون ما حرم.

[١١٩] - ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ وأي غرض لكم في التحرج عن أكله ﴿وَقَدْ فُضِّلَ﴾ بين، وبناء «الكوفيون» و«نافع» للفاعل ^(١) ﴿لَكُمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في آية ﴿حرمت عليكم الميتة» ^(٢) وبناء «نافع» و«حفص» للفاعل ^(٣) ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ مما حرم عليكم: فهو حلال لكم للضرورة ﴿وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ﴾ وضم «الكوفيون»: الياء ^(٤) ﴿بِأَهْوَانِهِمْ﴾ بما يشتهونه من تحليل الحرام وتحريم الحلال ﴿بَغْيِرِ عِلْمٍ﴾ حجة تفيد علماً ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين الحلال إلى الحرام.

[١٢٠] - ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ ما أعلن وما أسر أو ما بالجوارح

وما بالقلب.

(١) حجة القراءات: ٢٦٨-٢٦٩.

(٢) سورة المائدة: ٥/٣.

(٣) حجة القراءات: ٢٦٩.

والإثم قيل : الزنا ^(١) وقيل : كل معصية ^(٢) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ يكتسبون .

[١٢١] - ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ فيحرم متروك التسمية إلا نسياناً عندنا لأخبارنا ^(٣) وهم بين موافق ومحرم مطلقاً ، ومبيح مطلقاً ^(٤) ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي الأكل منه ﴿لَفِسْقٌ﴾ خروج عن طاعة الله ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾ يوسوسون ﴿إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ الكفار ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ في تحليل الميتة بقولهم : «ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم» ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في ذلك ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ بترك دين الله إلى دينهم .

[١٢٢] - ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِنِّي﴾ كافراً وشدده «نافع» ^(٥) ﴿فَأَخِيْنَاهُ﴾ بالهدي إلى الإيمان ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ علماً بالحجج ، الفاصلة بين الحق والباطل ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ صفته ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمات الكفر ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ حال من فاعل الظرف ﴿كَذَلِكَ﴾ كما زين للمؤمن إيمانه ﴿زَيْنٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ زينه الشيطان أو الله بتخليتهم وشأنهم .

والآية نزلت في حمزة أو عمار وأبي جهل .

[١٢٣] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا فساق مكة أكابرها ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ﴾ مفعول ثاني ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ أول أي خليتناهم ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ وخصّ الأكابر لأن الناس أطوع لهم ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لعود وباله عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك .

[١٢٤] - ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ أي كفار مكة ﴿آيَةٌ﴾ على صدق النبي صلى الله عليه وآله

(١) قاله السدي والضحاك - كما في تفسير مجمع البيان ٣٠٨ : ٢ .

(٢) قاله قتادة ومجاهد والربيع - كما في تفسير مجمع البيان ٣٠٨ : ٢ .

(٣) وسائل الشيعة ١٦ : ٣٢٥ الباب ١٥ من أبواب الذبائح .

(٤) تفسير مجمع البيان ٣٠٨ : ٢ ، وتفسير القرطبي ٧٥ : ٧ .

(٥) حجة القراءات : ٢٧٠ .

وسلم ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ قيل: قال أبو جهل: «زاحمنا بنو عبد مناف حتى إذا صرنا كفرسي رهان» قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نرضى به إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه، فنزلت، ^(١) وردّ عليهم بقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾ ^(٢) وأفردھا «ابن كثير» و«حفص». ^(٣)

و«حيث» مفعول به لفعل دلّ عليه «أعلم» أي يعلم المكان الصالح لها فيضعها فيه وليست بالنسب والمال ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ﴾ ذلّ بعد كبرهم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ في القيامة ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ بمكرهم.

[١٢٥] - ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ أن يلفظ به ﴿يُشْرَحْ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ يلفظ به حتى يرغب فيه ويطمئن إليه ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾ أن لا يلفظ به فيخليه، وشأنه ﴿يَجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيِّقًا﴾ يمنعه الطافه حتى ينبو عن قول الحق فلا يدخله الإيمان، وخففه «ابن كثير» ^(٤) ﴿حَرَجًا﴾ كسره «نافع» و«أبو بكر» أي شديد الضيق، وفتحه الباقر ^(٥) وصفاً بالمصدر ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾ يتصعد وخففه «ابن كثير».

وقرأ «أبو بكر»: يصاعد ^(٦) أي يتصاعد ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ إذا كلف الإيمان لشدة عليه، أو كأنما يتصاعد إليها نبواً عن الحق ﴿كَذَلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ﴾ الخذلان ومنع اللطف أو العذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وضع موضع عليهم تعليلاً.

[١٢٦] - ﴿وَهَذَا﴾ البيان أو الإسلام أو التوفيق والخذلان ﴿صِرَاطٌ رَبِّكَ﴾ طريقه الذي ارتضاه، أو الذي اقتضته حكمته ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ لا عوج له، أو عادلاً، حال مؤكدة

(١) قاله مقاتل - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٦١، وفيه: لانؤمن -.

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «رسالته» كما يشير إليه المؤلف.

(٣) حجة القراءات: ٢٧٠.

(٤) حجة القراءات: ٢٧١.

عاملها معنى الإشارة ﴿قَدْ فَضَّلْنَا﴾ بَيْنَا ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُذَكِّرُونَ﴾ يتذكرون أي يتعظون فإنهم المنتفعون بها .

[١٢٧] - ﴿لَهُمْ﴾ للمتذكرين ﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ دار السلامة أو دار الله وهي الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في ضمانه ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ متولي أمرهم أو ناصرهم ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزائها .

[١٢٨] - ﴿وَيَوْمَ نَخْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ وقرأ «حفص» بالياء^(١) أي يجمع الله الخلق ونصبه بإضمار «اذكر» أو نقول ﴿يَا مَعْشَرَ﴾ والضمير لمن يحشر ﴿الْجِنَّ﴾ أي الشياطين ﴿قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ من اغوائهم أو منهم بالاغواء ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ الذين اطاعوهم ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أي أنتفع الإنس بالجن بأن زينوا لهم الشهوات والجن بالإنس بطاعتهم لهم .

وقيل : استمتع الإنس أن يعوذوا بهم إذا خافوا في واد واستمتعاهم بالإنس إقرارهم بقدرتهم على نفعهم^(٢) ﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ أي البعث وهو تحسر منهم ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ مقامكم أو ذات اقامتكم^(٣) ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال عاملها «مَثْوَاكُمْ» ان كان مصدراً أو معنى الإضافة ان كان مكاناً ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ من الأوقات التي يعذبون فيها بغير النار كالزمهرير .

أو إلا ما شاء قبل دخولها ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في أفعاله ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه .
[١٢٩] - ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ نخليهم حتى ينولى بعضهم بعضاً أو نكل بعضهم الى بعض في القيامة أو نقرنه به في النار ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٦٥ .

(٢) قاله الحسن وابن جريج والزجاج وغيرهم - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٦٥ .

(٣) في «الف» : دار اقامتكم . وفي روح المعاني ٨: ٢٣ : النار مَثْوَاكُمْ اي منزلكم ومحل اقامتكم او ذات نوائكم على أن المَثْوَى اسم لمكان او مصدر .

من الشر.

[١٣٠] - ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ من مجموعكم وهم من الإنس خاصة كـ ﴿يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّوْزَ وَالْمَرْجَانَ﴾^(١) وقيل من كل من الثقلين^(٢) وقيل: رسل الجن رسل للرسل اليهم^(٣) ﴿يَقْضُونَ﴾ يتلون ﴿عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾ حججبي ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا﴾ ... مجيبين -: ﴿شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ بالكفر واعترفنا باستحقاق العذاب ﴿وَعَرَّثْنَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فكفروا ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ تخطئة لرأيهم إذ اغتروا بالحياة الفانية حتى كان عاقبة أمرهم ان اعترفوا بالكفر واستسلموا للعذاب.

[١٣١] - ﴿ذَلِكَ﴾ أي ارسال الرسل، خبر محذوف أي الأمر ذلك ﴿أَنْ﴾ مخففة أو مصدرية بتقدير لام أي لأنه ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ﴾ أو لانتفاء كونه ﴿مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ أو بدل من «ذلك» ﴿بِظُلْمٍ﴾ بسبب ظلم منها أو ظالماً ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ لم ينبهوا برسول.

[١٣٢] - ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من المكلفين ﴿دَرَجَاتٌ﴾ مراتب ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ من جزاء أعمالهم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ﴾ بساه ﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ فيخفى عليه قدر جزائه وقرأ «ابن عامر» بالتاء.^(٤)

[١٣٣] - ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه وطاعتهم ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للنفع العام الدائم ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يهلككم أيها العصاة ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ من الخلق ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾

(١) سورة الرحمن: ٢٢/٥٥.

(٢) قاله الضحاك والطبري والبلخي - كما في تفسير التبيان ٤/ ٢٧٧.

(٣) قاله ابن عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٦٧.

(٤) حجة القراءات: ٢٧٢.

أذهبهم لكنه أبقاكم رحمة لكم .

[١٣٤] - ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من البعث والجزاء ﴿لَا ت﴾ لا محالة ﴿وَمَا أَنْتُمْ

بِمُعْجِزِينَ﴾ يريدكم به .

[١٣٥] - ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ تمكنكم أو طريقتكم أو حالتكم

وجمعه «أبو بكر» حيث وقع^(١) وهو تهديد أي أثبتوا على كفركم وتسجيل بأن المهتد

لايتأتى منه إلا الشرك المأمور به الذي ليس له التفصي عنه ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على ما أنا

عليه من الإسلام ومصابرتكم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ﴾ موصولة مفعول العلم أو

استفهامية معلق عنها، أي أينما ﴿تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي العاقبة الحسنی في الدار

الآخرة وهو انذار مع انصاف في القول وتضمن وثوق المنذر بأنه محق، وقرأ «حمزة»

و«الكسائي» «يكون»^(٢) بالياء «إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ» وضع موضع

الكافرين لعمومه .

[١٣٦] - ﴿وَجَعَلُوا﴾ أي المشركون ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ الْحَرْثِ﴾ الزرع

﴿وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ حظاً يطعمونه الضيقات والمساكين ولآلهتهم منه نصيباً يصرفونه الى

سدنته^(٣) ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ وضمه والآتى «الكسائي»^(٤) ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا

كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ الى جهته ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾

كانوا إذا رأوا نصيب الله أركى بذلكه بنصيب آلهتهم، وإن رأوا نصيب آلهته أركى تركوه لها .

وقيل : إن سقط في نصيبه شيء من نصيبها التقطوه، وإن انعكس تركوه لها^(٥)

﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا .

(٢٥) حجة القراءات : ٢٧٢ .

(٣) السدنة : جمع سادن ، بمعنى الحاجب والخادم .

(٤) حجة القراءات : ٢٧٣ .

(٥) قاله ابن عباس وقتادة - كما في تفسير مجمع البيان ٢ : ٣٧٠ .

[١٣٧] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما زين لهم فعلهم ﴿زَيْنَ لَكثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ بالوَاد، ونحرمهم للأصنام ﴿شُرَكَاءُهُمْ﴾ من الشياطين أو السدنة. وهو فاعل «زين» وبناء «ابن عامر» للمفعول وهو «قتل» ونصب «أولادهم»، وجرَّ «شركائهم» بإضافة «قتل» اليه، مفصلاً بينهما بمفعوله. ^(١) وهو قبيح في ضرورة الشعر فكيف في القرآن المعجز ﴿لِيُزِدُوهُمْ﴾ ليهلكوهم ﴿وَلِيَلْبِسُوا﴾ يخلطوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ أي ما كانوا عليه من دين اسماعيل. واللام للعلة ان كان المزين الشيطان، وللعاقبة ان كان السدنة ^(٢) ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قسرهم ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ ما فعل المشركون والشركاء ذلك ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ وافتراءهم، أو ما يفترونه.

[١٣٨] - ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرِّثُ حِجْرٍ﴾ حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح، يستوي فيه الواحد والكثير والذكر وغيره ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾ من خدم الأصنام والرجال دون النساء ﴿يَزَعَمُهُمْ﴾ بلا حجة ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ كالبحائر والسواحب والحوامي ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ في ذبحها بل يهلون عليها بأصنامهم ﴿افْتَرَاءً عَلَيْهِ﴾ حال، أو مفعول له، أو مصدر، لأن «قالوا» بمعنى افتروا على الله بنسبة ذلك اليه ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ بسببه أو مقابله.

[١٣٩] - ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ أجنة البحائر والسواحب ﴿خَالِصَةً لِّلذَّكَورِ﴾ حلال لهم خاصة، وتأنيتها بمعنى «ما» أي الأجنة، أو ناؤها للمبالغة كرواية الشعر ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾ ذكر للفظ «ما» ﴿عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾ أي الاناث إن ولد حياً ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتَةً فَهُمْ﴾ فالذكور والاناث ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ سواء، وقرأ «ابن عامر» «تكن» بالتاء ورفع «ميتة» و«أبو بكر» بالتاء والنصب، و«ابن كثير» بالياء والرفع، و«الباقون» بالياء

(١) حجة القراءات: ٢٧٣ وفي تفسير البضاوي ٢: ٢٠٩: الذي هو القتل وفي «ب» و«ج»: ورفع «قتل».

(٢) في «الف»: ان كان التزيين من الشيطان وللعاقبة ان كان من السدنة.

والنصب^(١) ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ جزاء وصفهم أي تحليلهم وتحريمهم ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في فعله ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه .

[١٤٠] - ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ وشدده «ابن كثير» و«ابن عامر»^(٢) ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ بناتهم ، خشية الفقر أو العار ﴿سَفَهَا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لخفة عقلهم وجهلهم ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ مما ذكر ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾ سبق مثله ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ الى الحق .

[١٤١] - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ مرفوعات بالدعائم ، أو ما غرسه الناس فعرشوه ﴿وَعَبَّارَاتٍ﴾ ملقيات على الأرض ، أو ما نبث في البراري ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ﴾ ثمره هيئة وكيفاً . والهاء لكل من النخل والزرع ، و«مختلفاً» حال مقدرة ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا﴾ أي بعض افرادهما طعماً ولوناً ﴿وَعَبَّارَاتٍ مُتَشَابِهَةٍ﴾ أي بعضها ﴿كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ ثمر كل من ذلك ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ وإن لم يدرك ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ وكسر الحاء اكثرهم^(٣) والمراد به التصديق بشيء منه غير الزكاة لفرضها بالمدينة والآية مكية .

وقيل : الزكاة ، والآية مدنية^(٤) ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ في الصدقة فلا يبقى لعيالكم شيء ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ لا يرضى فعلهم .

[١٤٢] - ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ﴾ وأنشأ منها ﴿حَمُولَةً﴾ ما يحمل الأثقال أو الكبار الصالحة للحمل ﴿وَقَرَشًا﴾ ما يفرش للذبح ، أو يفرش ما نسج من صوفه ونحوه ، أو الصغار الدانية من الأرض كالفرش لها ﴿كُلُوا مِنْهَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ فإنه مباح لكم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ طرقه في التحليل والتحريم ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

(١) حجة القراءات : ٢٧٤-٢٧٥ .

(٢) حجة القراءات : ٢٧٥ .

(٤) نقله الفيض في تفسير الصافي ٢ : ١٦٢ .

بين العداوة .

[١٤٣] - ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ بدل من «حمولة وفرشاً» . والزواج ما معه آخر من جنسه . وهو المراد ويقال لمجموعهما ﴿مِنَ الضَّأْنِ﴾ اسم جنس كالإبل ، أو جمع ضائن ، زوجين ﴿اِثْنَيْنِ﴾ الكبش والنعجة وهو بدل من «ثمانية أزواج» ﴿وَمِنَ الْمُغْزِ اِثْنَيْنِ﴾ جمع «ماعز» وفتح «ابن كثير» و«أبو عمر» و«ابن عامر»^(١) ﴿قُلْ﴾ انكاراً على من حرّم ما أحلّ الله ﴿ءَالِدَكَرَيْنِ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ الله ﴿أُمِ الْاِثْنَيْنِ﴾ منهما ﴿أَمَّا اسْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَزْوَاجَ الْاِثْنَيْنِ﴾ أم ما حملت الانات منهما ذكراً كان أو انثى ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ بحجة ، تدل على أن حرّم شيئاً من ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه . الزموا بأن التحريم إن كان للذكورة فكل ذكر حرام ، أو للانوثة ، فكل انثى حرام أو لاشتمال الرحم فالصنفان ، فمن أين التخصيص ببعض دون بعض .

[١٤٤] - ﴿وَمِنَ الْاِِبِلِ اِثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اِثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدَكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمِ الْاِثْنَيْنِ أَمَّا اسْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَزْوَاجَ الْاِثْنَيْنِ﴾ كما مر ﴿أُم﴾ بل ﴿كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضوراً ﴿إِذْ وَصَّيْكُمْ اللهُ بِهَذَا﴾ التحريم إذ لم تؤمنوا بنبي فلا طريق لكم الى معرفته إلا المشاهدة ﴿فَمَنْ﴾ أي أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ بنسبة تحريم ذلك اليه ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ إلى ثوابه ، أو لا يلطف به .

[١٤٥] - ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيْمَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ مطلقاً أو في القرآن طعاماً ﴿مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ ويفيد أن لانهريم إلا بالوحي ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ﴾ الطعام ﴿مَيْتَةً﴾ وقرأ «حمزة» و«ابن كثير» «تكون» بالتاء لتأنيث الخبر ، و«ابن عامر» «بالتاء» ، ورفع «ميتة» على تمامية «كان»^(٢) ﴿أَوْدَمًا﴾ عطف على «ميتة» ، وإن رفعتها فعلى المستثنى ﴿مَسْفُوحًا﴾ مصبوحاً . ولا عبرة بمفهومه ، فلا ينافي ما دلّ على تحريمه مطلقاً إلا ما

(١) حجة القراءات : ٢٧٥ .

(٢) حجة القراءات : ٢٧٦ .

استثنى بدليل ﴿أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ فَإِنَّ الخنزير أو لحمه خبيث قدر ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ عطف على «لحم خنزير» ﴿أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ ذبح على اسم الصنم، وسمي فسقاً لتوغله فيه ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ إلى تناول شيء من ذلك ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ اللذة ﴿وَلَا عَادٍ﴾ حد الضرورة ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ له ﴿رَحِيمٌ﴾ به، والآية محكمة، إذ مفادها عدم وجدان محرّم الى تلك الغاية غير هذه، فلا ينافيه تحريم شيء آخر بعدها، ولا في ذلك الوقت، لجواز كون الحصر إضافياً، أو تخصيص عموم الإباحة بدليل.

[١٤٦] - ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ كل ما له إصبع كالإبل والطيور والسباع أو كل ذي مغلب وحافر ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ الشروب وشحم الكلى ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ اشتمل عليها ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ أو ما اشتمل على الامعاء جمع «حاوية» أو حاويات ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ هو شحم الالية لاختلاطه بالعصص^(١) ﴿ذَلِكَ﴾ الجزء ﴿جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فيما نقول.

[١٤٧] - ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ حيث أمهلكم، أولاهل طاعته ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾ عذابه ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ إذا نزل.

[١٤٨] - ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ أي لو شاء خلاف ذلك ما فعلناه نحن ولا آبائنا ولكن فعلناه بمشيئته لا باختيارنا. تعللوا بقول المجبرة ﴿كَذَلِكَ﴾ كما كذبوا شهادة الحجج العقلية والسمعية بغناه تعالى وبراءته من مشيئته القبائح بالذات ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الحجج ﴿حَتَّى دَاوُّوا بِأَسْنَانَا﴾ عذابنا ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾ حجة توجب علماً فيما زعمتم ﴿فَتُخْرِجُوهُ﴾ فتبدوه ﴿لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ تكذبون فيه.

(١) العصص: عظم الذنب.

[١٤٩] - ﴿قُلْ فِئْتِهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ البيّنة التي بلغت قطع غدر المحجوج من «حج» أي قصد ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بالجائكم أي الإيمان لكنه لم يشأ لمنافاته المحكمة .

[١٥٠] - ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ﴾ احضروهم . اسم فعل لا ينصرف عند الأكثر، وقد يجعل فعلاً فيؤنث ويشى ويجمع ، وهو متعد ولازم ﴿الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ وهم قدوتهم فيه . استحضروا لتلزمهم الحجة بانقطاعهم كمقلديهم ، ولذلك أضيف الشهداء إليه وجعلوا معهودين بالوصف ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ فلا تصدقهم إذ تصديقهم كالشهادة معهم بالباطل ، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ وضع موضع ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾^(١) ليدل على أن مكذب الآيات متبع هواه لا غير ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ كعبدة الأصنام ﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَغْدِلُونَ﴾ يجعلون له عديلاً . وتفيد الآية منع التقليد ، ووجوب اتباع الحجة دون الهوى .

[١٥١] - ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ أصله أمر من «علا مكانه» لمن سفل ثم عمم اتساعاً ﴿أَتْلُ﴾ أقرأ ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ منصوب بـ «أتل» و«ما» موصولة أو مصدرية أو استفهامية منصوبة بـ «حرّم» والجملة مفعول «أتل» لأنه بمعنى «أقول» أي شيء حرّم ربكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ متعلق بـ «أتل» أو «حرّم» ﴿أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ﴾ «أن» مفسرة وتعليق المفسر وهو «أتل» بـ «ما حرّم» لا يمنع عطف الأوامر عليه ، لرجوع التحريم فيها إلى اضدادها ، وإن جعل «أن» ناصبة فهي منصوبة بـ «عليكم» على الإغراء ، أو بالبدل من «ما» على زيادة «لا» أو مجرور بلام مقدرة ﴿شَيْئًا﴾ مفعول أو مصدر ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ وأحسنوا بهما ﴿إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ من خشية فقر ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ فانتفى ما زعمتموه علّة لقتلهم ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ الكبائر أو الزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ كقوله : ﴿ظَاهِرُ الْإِثْمِ وَبَاطِنُهُ﴾^(١) ﴿وَلَا تَقْتُلُوا

النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿١٥١﴾ كَالْقُودِ، وَحَدَّ الْمُحَصَّنِ وَالْمُرْتَدَّ ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور ﴿وَصِيكُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ما وصاكم به ولا تضيّعونه .

[١٥٢] - ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي﴾ بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ ما يفعل بماله كحفظه وتثمينه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ يصير بالغاً رشيداً، وهو جمع شدَّ أو «شدة» أو مفرد ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلا ما يسعها وتطبيقه في ذلك إذ يعسر مراعاة حدّ العدل في إيفاء الحق فلا يجب إلا ما في الوسع ويعنى عما وراءه ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ في حكم ونحوه ﴿فَاعْدِلُوا﴾ فيه ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقول له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ قرابة ﴿وَيَعْهَدُ اللَّهُ﴾ ما عهد اليكم مما أوجبه عليكم ﴿أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصِيكُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون وتخففه «حمزة»، و«الكسائي» و«حفص» حيث وقع .^(٢)

[١٥٣] - ﴿وَأَنَّ هَذَا﴾ المذكور في السورة من بيان الدين، وكسرهما «حمزة» و«الكسائي» استئنافاً،^(٣) وفتح خفيفة «ابن عامر»^(٤) والباقون مشددة بتقدير اللام علة لـ «اتبعوه» أي ولأن هذا ﴿صِرَاطِي﴾ وفتح «ابن عامر» الياء^(٥) ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ حال ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الطرق المختلفة المخالفة له ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ فتتفرق أي تميل ﴿بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دينه ﴿ذَلِكُمْ﴾ الاتباع ﴿وَصِيكُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الضلال عن الحق .

[١٥٤] - ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ عطف على «وصيكم» و«ثم» لترتيب الاخبار ﴿تَمَامًا﴾ للنعمة، مفعول له ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ بالقيام به أو بتبليغه وهو موسى

(١) سورة الأنعام: ١٢٠/١.

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٨٢.

(٣) حجة القراءات: ٢٧٧.

(٤) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٦٧.

﴿وَتَفْصِيلاً﴾ بياناً ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَالَمِهِمْ﴾ أي أمة موسى ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي بالبعث.

[١٥٥] - ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ﴾ كثير الخير ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ اعملوا بما فيه ﴿وَاتَّقُوا﴾ مخالفته ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ باتباعه.

[١٥٦] - ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أي أنزلناه كراهة أن تقولوا ﴿إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ اليهود والنصارى ﴿وَإِنْ﴾ مخففة ﴿كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ تلاوتهم ﴿لَغَافِلِينَ﴾ أي لا نعرف مثلها، واللام فارقة.

[١٥٧] - ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ لذكائنا أو حدة أذهاننا ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ حجة واضحة بلسانكم ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ لمن اتبعها ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ صد، وأعرض عنها ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ شدته ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ بصدفهم.

[١٥٨] - ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظر كفرة مكة ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ لتوفيتهم، أو بالعذاب. وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بالياء^(١) ﴿أَوْ يَأْتِي رَبِّكَ﴾ أي أمره بالعذاب أو إهلاكه إياهم عاجلاً أو آجلاً ﴿أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أي أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغيره ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ الملجئة إلى المعرفة ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ حيثئذ لزوال التكليف ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ صفة «نفساً» ﴿أَوْ﴾ لم تكن ﴿كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ طاعة والمعنى لا ينفع نفساً خلعت من الأمرين إيمانها وينفعها إن حصل أحدهما ﴿قُلِ انْتَظِرُوا﴾ إتيان أحد الثلاثة ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ ذلك.

[١٥٩] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ اختلفوا فيه فأمنوا ببعض، وكفروا ببعض.

(١) حجة القراءات: ٢٧٧.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: افترقت اليهود إحدى وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، والنصارى اثنين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وتفرق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، ^(١) وقرأ «حمزة» و«الكسائي»: «فارقوا» ^(٢) أي تركوا ﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾ فرقاً، كل فرقة تشيع إماماً ﴿لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي من السؤال عن تفرقهم أو من عقابهم أو نهى عن قتالهم ونسخ بآية السيف ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ في مجازاتهم ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ بالمجازاة.

[١٦٠] - ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي جزاء عشر حسنات أمثالها فضلاً منه تعالى، ونون «يعقوب» «عشر» ورفع «أمثالها» صفة لـ «عشر» ^(٣) ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي جزاؤه عدلاً منه تعالى ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب وزيادة عقاب.

[١٦١] - ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي﴾ وفتح «نافع» و«أبو عمرو» ياء «ربي» ^(٤) ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا﴾ بدل من محل «صراط» إذ معناه هداني صراطاً ﴿قِيَمًا﴾ فيعلاً من قام كـ «سيد» من «ساد» وهو يبلغ من قائم. وقرأ «الكوفيون» و«ابن عامر» «قيما» بكسر القاف وفتح الياء مخففة ^(٥) مصدراً كالقيام وصف به ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ عطف ببيان لـ «ديننا» ﴿حَنِيفًا﴾ حال من «إبراهيم» ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ عطف عليه.

[١٦٢] - ﴿قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ عبادتي أو قرباني ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ حياتي وموتي، أو ما آتبه في حياتي وأموت عليه من الإيمان، وسكن «نافع» ياء «محياي»

(١) جوامع الجامع ١: ٤٢٢، وسنن الترمذي ٥: ٢٦ الحديث رقم ٢٦٤١.

(٢) حجة القراءات: ٢٧٨.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٨٩.

(٤) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٦٧.

(٥) حجة القراءات: ٢٧٨.

وهو شاذ وفتح ياء «مما تي»^(١) ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ :

[١٦٣] - ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ خالصة له وحده ﴿وَبِذَلِكَ﴾ الإخلاص ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ

الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة .

[١٦٤] - ﴿قُلْ﴾ إنكاراً لما دعوك اليه من عبادة آلهتهم : ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَنْعِيَ رَبًّا﴾ أي

أطلب غيره إلهاً ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فكل ما سواه مربوب لا يصلح للربوبية

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ فلا ينفعني إن أشركت به إشراككم ﴿وَلَا تَزِرُ

وَاِزْرَةً﴾ ولا تحمل نفس آثمة ﴿وِزْرٍ﴾ نفس ﴿أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ

بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بتمييزه الحق من الباطل .

[١٦٥] - ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ يخلف بعضكم بعضاً أو

خلفاء الأمم السابقة ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بالشرف والمال ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾

ليختبركم ﴿فِيمَا آتَاكُمْ﴾ من ذلك ، كيف يشكر الرفيع ويصبر الوضيع ﴿إِنَّ رَبَّكَ

سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ إذا أراد فاحذروه ، أو لأن ما هو آت قريب ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ للمؤمنين

﴿رَحِيمٌ﴾ بهم .

سورة الأعراف

[٧]

مائتان وست آيات مكية إلا ثمان من: «وَسَأَلَهُمْ»^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - «الْمَصْرُ» فُتِّرَ بِهِ. (٢)

[٢] - «كِتَابٌ» خبر محذوف أو «المص» «أُنْزِلَ إِلَيْكَ» صفته «فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ» ضيق من تبليغه خوفاً أن تكذب، أو شك. والفاء للعطف، أو جواب مقدر أي إذا أنزل إليك «لَتُنذِرَ بِهِ» فلا يخرج صدرك، ونهي الحرج مبالغة. «لَتُنذِرَ بِهِ» متعلق بـ «أُنْزِلَ» «وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ» عطف على «كِتَابٌ» أو محل «لَتُنذِرَ» أو مصدر أي ولتذكر ذكراً أي تذكيراً.

[٣] - «اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ» من القرآن والسنة «وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ» ولا تتخذوا غير الله «أَوْلِيَاءَ» تطيعونهم في معصيته تعالى «قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ» أي

(١) وهي الآية ١٦٣ من هذه السورة.

(٢) وذلك عند تفسير قوله تعالى: «الم» في أول سورة البقرة.

تذكراً قليلاً تتذكرون . و«ما» زيدت لتوكيد القلّة ، وخففه الكوفيون غير «أبي بكر»^(١) وزاد «ابن عامر» ياء^(٢) والخطاب له صلى الله عليه وآله وسلم .

[٤] - ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي أهلها . و«كم» خبرية ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أردنا إهلاكها ، أو خذلناها ، خبر «كم» أو ناصبها ﴿فَجَاءَهَا بِأُسْنَا﴾ عذابنا ﴿بَيِّنَاتًا﴾ مصدر وقع حالاً أي بآتين ﴿أَوْهُمْ قَائِلُونَ﴾ عطف عليه . وحذفت واو الحال استثقلاً .

والقيلولة استراحة نصف النهار ، وخص الوقتان مبالغة في غفلتهم ولان مجيء العذاب فيهما أقطع .

[٥] - ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ أي دعاؤهم ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ إلا اقرارهم بظلمهم .

[٦] - ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ﴾ اللام للقسام ﴿الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ عن اجابتهم الرسل ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ عما اجيبوا .^(٣)

والسؤالان توبيخ للكفرة . والمنفي في : ﴿وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾^(٤) سؤال الإستعلام ، أو هذا في موقف وذاك في آخر ، إذ القيامة مواقف .

[٧] - ﴿فَلَنَقْصِصَ عَلَيْهِمْ﴾ على الرسل والمرسل اليهم أحوالهم ﴿بِعِلْمٍ﴾ عالمين بها أو بمعلومنا منها ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عنها فتخفى علينا .

[٨] - ﴿وَالْوِزْنَ﴾ القضاء ، أو وزن الأعمال بعد تجسيمها أو صحائفها بميزان له لسان وكفتان يراه الخلق إظهاراً للعدل وقطعاً للعذر .

وقيل توزن الأشخاص^(٥) ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ خبر «الوزن» أي يوم السؤال ﴿الْحَقُّ﴾ العدل

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٩٤ .

(٢) حجة القراءات : ٢٨٠ .

(٣) في «ط» : اجيبوا به .

(٤) سورة القصص : ٢٨ / ٧٨ .

(٥) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٢١٩ .

صفة «الوزن» ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ حسناته أو ميزانها جمع موزون، أو ميزان، وجمع باعتبار تعدد الحسنات ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالثواب.

[٩] - ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتعريضها للعذاب

﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ يكذبون.

[١٠] - ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ في التصرف فيها ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا

مَعَايِشَ﴾ أسباباً تعيشون بها جمع «معيشة» وعن «نافع» همزة، ^(١) ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ على ذلك.

[١١] - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي خلقنا أباكم «آدم» عن مصور ثم

صورناه ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ السجود لله تكربة لآدم ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾.

[١٢] - ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ «لا» زائدة أو أريد ما حملك على أن لا تسجد

إذ الممنوع عن شيء محمول على خلافه ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ يفيد أن الأمر للوجوب ﴿قَالَ

أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ ويقبح أمر الأفضل بالتخضع للمفضول فهو جواب من حيث المعنى

كأنه قال المانع ذلك. وهو أول من تكبر، وعلل فضله عليه بقوله ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ

وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ظاناً أن النار خير من الطين، وأن الفضل باعتبار العنصر، وقد غلط

في كليهما لأن الفضل لمن فضله الله وقد فضل الطين على النار من جهات متعددة،

وفضل آدم على المخلوق من النور كالملائكة، حيث أمرهم بالسجود له فضلاً عن

المخلوق من النار.

قال ابن عباس: «أول من قاس إبليس فأخطأ، فمن قاس الدين برأيه قرنه الله

(١) في تفسير مجمع البيان ٢: ٣٩٩؛ وروى بعضهم عن نافع: «معاش» ممدوداً مهموزاً.

معه^(١) ونحوه عن ائمتنا عليهم السلام^(٢).

[١٣] - ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ من الجنة أو السماء ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ يصح ﴿لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ فإنها لا يسكنها متكبر ﴿فَاخْرُجْ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الأذلاء، فإن من تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه.

[١٤] - ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ أمهلني فلا تميتني، أو آخر جزائي ﴿إِلَى يَوْمٍ يُعْتُونَ﴾ أي الخلق.

[١٥] - ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ محمول على ما قيد بقوله ﴿إِلَى يَوْمٍ يُعْتُونَ﴾ الوقت المعلوم^(٣) وهو النفخة الأولى.

[١٦] - ﴿قَالَ فَمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ خيبتني أو كلفتنني بما غويت لأجله، أو أهلكتنني أي بسبب اغوائك لي أقسم ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ لبني آدم ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ طريق الحق: نصب ظرفاً أو بتقدير «على».

[١٧] - ﴿ثُمَّ لَا تَبْنِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ أي من جهاتهم الأربع فأصلهم عن سلوكه ولم يقل «من فوقهم» لنزول الرحمة منه ولا «من تحتهم» لإيحاش الإتيان منه.

وقيل^(٤) «من بين أيديهم» من قبل الآخرة و«من خلفهم» من قبل الدنيا، والآخران من جهة حسناتهم وسيئاتهم ومجيء «من» في الأولين لتوجهه منهما إليهم، و«عن» في الآخرين لانحراف الآتي منهما إليهم ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ مؤمنين. قاله ظناً ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾^(٥) أو من جهة الملائكة.

(١) يقرب منه ما في تفسير مجمع البيان ٤: ٢٠٢.

(٢) تفسير البرهان ٤: ٢٠٢-٥ وتفسير نور الثقلين ٧: ٢.

(٣) سورة الحجر: ١٥/٣٨.

(٤) قاله ابن عباس - كما في تفسير البيضاوي ٢: ٢٢١.

(٥) كما ورد في الآية ٢٠ من سورة سبأ: ٢٤.

[١٨] - ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ معيياً أو مذموماً ﴿مَذْخُورًا﴾ مطروداً ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ لام الابتداء موطئة للام القسم في ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ منك ومن ذريتك ومنهم، غلب الحاضر والجملة نابت جزاء الشرط.

[١٩] - ﴿وَيَا آدَمُ﴾ وقال: يا آدم ﴿اسْكُنْ أَنْتَ﴾ تأكيد لفاعل «اسكن» ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء بالمد ﴿الْجَنَّةَ فُكُلًا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالأكل ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الباخسين أنفسهم الثواب. «تكونا» نصب جواباً، أو جزم بالعطف.

[٢٠] - ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾ لأجلهما أو إليهما. وأصل الوسوسة الصوت الخفي ﴿الشَّيْطَانُ﴾ ابليس ﴿لِيَبْدِيَ لَهُمَا﴾ ليظهر لهما. واللام للعاقبة أو للغرض بأن أراد بوسوسته إساءتهما يبدو^(١) عوراتهما ﴿مَأْوَرِي﴾ ستر ﴿عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا﴾ عوراتهما، وكان لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر.

ويفيد قبح كشفها في الخلوة، وعند الزوج لا لحاجة طبعاً. ﴿وَقَالَ مَانِهَاهُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا﴾ كراهة ﴿أَنْ تَكُونَا مَلَائِكِينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ في الجنة أو الذين لا يموتون. ولا يفيد فضل الملائكة على الأنبياء لأنهما إنما رغبا في حصول خواص الملائكة لهما كالكمال الفطري والاستغناء عن الغذاء، وهذا لا يوجب فضلهم مطلقاً، أو المعنى أن النهي عنها للملائكة والخالدين دونكما.

[٢١] - ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِمَنْ النَّاصِحِينَ﴾ أي أقسم لهما بالله على ذلك من «فاعل»^(٢) مبالغة وقيل أقسم الله بالقبول.

[٢٢] - ﴿فَدَلَاهُمَا﴾ أي خطهما عن درجتهما العالية إلى رتبة سالفة ﴿بِغُرُورٍ﴾ بأن غرهما بقسمه لظنهما بأن أحداً لا يقسم بالله كذباً ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ أي ابتدا

(١) في «الف» و«ب»: يبدى.

(٢) تفسير البيضاوي ٢: ٢٢٢.

بالأكل منها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَ أَنَّهُمَا﴾ أي ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره .
وسميت العورة سواة لأن انكشافها يسوء صاحبها ﴿وَوَطْفَقَا يُخِصِّفَانِ﴾ أي أخذَا
يرقعان ورقة على ورقة ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ وهو ورق التين ليستترا به ﴿وَنَادَاهُمَا
رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقْبَلَ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ عتاب
على مخالفة النهي وإن كان نهى تنزيه ، وقبول قول العدو والإستفهام للتقرير .

[٢٣] - ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ بخسناها الثواب بفعل ما تركه أولى ﴿وَأِنْ لَّمْ
تَغْفِرْ لَنَا﴾ تستر علينا ﴿وَتَرْحَمْنَا﴾ وتفضل بنعمك (التي يتم بها) ^(١) ما فوتناه نفوسنا ^(٢)
من الثواب ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بتضييع حظنا .

[٢٤] - ﴿قَالَ اهْبِطُوا﴾ خطاب لهما ولذريتهما ، أو لهما ولإبليس ﴿بَغْضُكُمُ
لِيَغْضِ عَدُوٌّ﴾ أي متعادين ﴿وَلَكُمُ فِي الْأَرْضِ مَسَاقِرٌ﴾ مصدر ، أو اسم مكان ﴿وَمَتَاعٌ
إِلَىٰ حِينٍ﴾ وتمتع الى تقضي آجالكم .

[٢٥] - ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ بالبعث وبناء «حمزة»
و«الكسائي» و«ابن ذكوان» للفاعل ^(٣) .

[٢٦] - ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُم لِبَاسًا﴾ خلقناه لكم بأسباب سماوية ، ومثله
﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ ^(٤) ﴿يُؤَارِي﴾ يستر ﴿سَوْءَ تَكُمُ وَرِيشًا﴾ جمالاً أي ما تتجملون به أو
مالاً ، يقال : تريش ، أي : تمول ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾ خشية الله والإيمان ، أو العمل
الصالح ، أو لباس الحرب ، نصبه «نافع» و«ابن عامر» و«الكسائي» ^(٥) عطفاً على

(١) الزيادة من تفسير مجمع البيان ٢: ٤٠٧ .

(٢) في النسخ «ما فوتناه نفوسنا» وقريب منه ما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٠٧ ، والظاهر ان
الصحيح «ما فوتته نفوسنا» ، أو : «ما فوتناه بنفوسنا» .

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٠٦ .

(٤) سورة الحديد : ٢٥/٥٧ .

(٥) حجة القراءات : ٢٨٠ .

«لباساً» ورفع الباقون^(١) مبتدأ وخبره ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ أو خبراً و«ذلك» صفته ﴿ذَلِكَ﴾ الإنزال ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ورحمته ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ فيؤمنون ويشكرون.

[٢٧] - ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ لا يمتحنكم فيضلکم، أي لا تتبعوه هفتنوا ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ بفتنته ﴿يَنْزِعُ﴾ حال من الفاعل أو المفعول ﴿عَنْهُمَا لِبَاسُهُمَا لِيَرِيَهُمَا سَوْءَئِهِمَا﴾ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ ﴿جَنُودَهُ﴾ مِنْ حَبْثٍ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴿لِلطَّافَةِ أَجْسَامِهِمْ﴾ أو شفافيتها. وهذا لا يمنع تمثلهم لنا أحياناً ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي مكناهم من خذلانهم باختيارهم ترك الإيمان أو حكمنا بذلك لتناصرهم على الباطل.

[٢٨] - ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ ما تنهى قبحاً كالشرك وطوافهم عراة، فنهوا عنها ﴿قَالُوا﴾ معتردين ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ فقلدناهم ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ أيضاً قيل قالوا: لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه^(٢) كالمجبرة ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ يفيد ثبوت القبيح العقلي، فافهم. ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إنكار لافترائهم على الله.

[٢٩] - ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل في كل الأمور فيعم كل خير ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ نحو القبلة أو استقيموا متوجهين الى عبادته ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ وقت سجود أو مكانه أي في كل صلاة، أو في أي مسجد أدركتم صلاته ولا تأخروها لمسجدكم ﴿وَادْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ العبادة فإنكم ملاقوه ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ خلقكم ابتداء ﴿تَعُودُونَ﴾ أي يعيدكم أحياء للجزاء أو كما بدأكم من التراب تعودون إليه.

[٣٠] - ﴿فَرِيقًا هَدَى﴾ لطف بهم، فآمنوا ﴿وَفَرِيقًا﴾ نصب بـ«خذل» الدال عليه

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٠٨.

(٢) قاله الحسن - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤١٠.

الكلام ﴿حَقٌّ﴾ وجب ﴿عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ الخذلان بمنع اللطف بسوء اختيارهم كما قال ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ يطيعونهم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾.

[٣١] - ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ لباسكم لستر عورتكم أو للتجمل ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ لصلاة أو طواف . ويفيد وجوب ستر العورة فيها ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ما طاب وأحل لكم ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ تتعدوا بتحريم حلال ، أو بالعكس في المأكل والمشرب والملبس أو بالشره^(١) في الطعام .

قيل جمع الله الطب في نصف آية «وكلوا واشربوا ولا تسرفوا»^(٢) ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ يبالغون .

[٣٢] - ﴿قُلْ﴾ انكاراً عليهم ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ من لباس التجمل ﴿الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالصوف ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ المتلذذات من المأكل والمشرب . ويفيد أن الأصل في الأشياء الإباحة فيطابق دليل العقل ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالاستحقاق وإن شاركهم الكفرة فيها ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ مختصة بهم . حال ، ورفعها «نافع» خبراً^(٣) ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ نبين الأحكام كذلك البيان .

[٣٣] - ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ الكبائر، أو الزنا وسكن «حمزة» الياء^(٤) ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ جهرها وسرها ﴿وَالْإِثْمَ﴾ الذنب أو الخمر ﴿وَالْبَغْيَ﴾ الظلم

(١) يقال شره على الطعام واليه يشره شهراً: اشتد حرصه عليه فهو شره، والشره عند المولدين الأكل فوق الحاجة .

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٤١٣ .

(٣) حجة القراءات: ٢٨١ .

(٤) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٧٥ .

والكبر ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ تأكيداً للبغي ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ﴾ بإشراكه ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة . ويفيد تحريم ما لا حجة عليه ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ بالإفتراء عليه ومنه الفتوى بغير علم .

[٢٤] - ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة أو وقت لاستئصالهم ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ تقضت مدتهم أو حان وقتهم ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ لا يتأخرون ولا يتقدمون، أو لا يطلبون التأخر والتقدم لدهشتهم .

[٢٥] - ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا﴾ «إن» الشرطية أدغمت في «ما» الزائدة ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى﴾ التكذيب ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة .

[٢٦] - ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ تكبروا عن قبولها ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

[٢٧] - ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة ما لم يقله إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ بالقرآن ﴿أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ مما كتب لهم من الرزق والأجل ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ الملائكة ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ يقبضون أرواحهم حال من «رسلنا» ﴿قَالُوا﴾ تقرّباً لهم ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الآلهة ﴿قَالُوا ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ اعترفوا عند الموت بكفرهم .

[٢٨] - ﴿قَالَ﴾ - الله لهم يوم القيامة - : ﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾ في جملتهم ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت على الكفر ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ متعلق «بادخلوا» ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ في النار ﴿لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ التي ضلت بإتباعها ﴿حَتَّىٰ إِذَا دَارَكُوا﴾ تداركوا وتلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِبُهُمْ﴾ دخولاً، وهم الاتباع ﴿لَوْلَاهُمْ﴾

لأجلهم^(١) وهم القادة ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ دعونا الى الضلال فأجبناهم ﴿فَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مضاعفًا ﴿مِنَ النَّارِ﴾ إذ ضلوا وأضلوا ﴿قَالَ لِكُلِّ﴾ من الفريقين ﴿ضِعْفٌ﴾ عذاب مضاعف لاجتماع الكل على الكفر ﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ما لكل فريق، وقرأ «عاصم» بالياء.^(٢)

[٣٩] - ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأَخْرَيْهِمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ مرتب على جوابه تعالى لأخراهم، أي فقد ثبت مساواتكم لنا في الكفر والعذاب ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ من قولهم أو قول الله .

[٤٠] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ لأرواحهم أو لأعمالهم كما تفتح لأرواح المؤمنين وأعمالهم، وخففه «أبو عمرو» وكذا «حمزة» و«الكسائي» ولكن بالياء^(٣) ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ يدخل البعير في ثقب الإبرة وهو مما لا يكون، فكذا دخولهم ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ .

[٤١] - ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أغطية منها . وتنوينه عوض عن الياء المحذوفة وقيل للصرف^(٤) ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ .

[٤٢] - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وعد بعد الوعيد ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ما دون طاقتها من العمل، اعتراض بين المبتدأ وخبره وهو ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

[٤٣] - ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ وأخرجنا من قلوبهم الحقد والغش حتى لا يكون بينهم إلا التواد . وعبر بالماضي لتحقيقه ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ تحت

(١) تفسير البضاوي ٢: ٢٢٥ .

(٢) حجة القراءات: ٢٨٢ .

(٣) في تفسير البضاوي ٢: ٢٢٦ والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره .

أَبْنَيْتَهُمْ ﴿الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَيْنَا لِهَذَا﴾ المتزل أو لما هذا ثوابه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لَا أَنْ هَدَيْنَا اللَّهَ﴾ حذف جواب «لو لا» لدلالة ما قبله عليه، وحذف «ابن عامر» الواو^(١) ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ﴾ فاهتدينا بهم ﴿وَتَوَدُّوْا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ﴾ إذا رأوها أو دخلوها. و«أن» مفسرة أو مخففة وكذا الأربع الآتية^(٢) ﴿أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أعطيتموها بعملكم. حال من «الجنة». أو خبر «تلكم» و«الجنة» صفته.

[٤٤] - ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ تقريباً وتقريباً لهم ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ أريد بـ«ما وعد» كلما ساءهم من الموعد لهم ولغيرهم كعذابهم، ونعيم اضدادهم، وكذلك لم يقل «ما وعدكم» كمقابلة ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾ وكسر «الكسائي» عينه حيث وقع^(٣) ﴿فَأَذَنَ مُؤَذِّنٌ﴾ فنادى مناد ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الفريقين ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ وقرأ «ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» بالتشديد والنصب.^(٤)

[٤٥] - ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يطلبون السبيل معوجة أو ييغون لها العوج وهو بالكسر - في المعاني وما لم يتصب،^(٥) وبالفتح فيما انتصب كالحائط ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾.

[٤٦] - ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ بين الفريقين أو أهل الجنة والنار، سور حاجز

(١) تفسير البيضاوي ٢: ٢٢٦.

(٢) وهي الآيات: «أَنْ قَدْ وَجَدْنَا»: ٤٤، «أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»: ٤٥ و«أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ»: ٤٦ و«أَنْ أَفِيضُوا»: ٥٠.

(٣) حجة القراءات: ٢٨٢.

(٤) تفسير البيضاوي ٢: ٢٢٦.

(٥) في تفسير البيضاوي ٢: ٢٢٦ ما يلي: والعوج - بالكسر - في المعاني والأعيان: ما لم تكن منتصبه.

﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ هو الحجاب أو اعرافه، أي شرفه جمع «عرف» وهو ما ارتفع من الشيء ﴿رِجَالٌ﴾ قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء، أو الأنبياء والشهداء، أو العلماء الأتقياء.

وعن الباقر عليه السلام: هم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه. ^(١)

وسأل ابن الكوا علياً عليه السلام عن هذه الآية فقال: نحن نقف يوم القيامة بين الجنة والنار، فمن نصرنا عرفناه بسيماء فأدخلناه الجنة ومن أبغضنا عرفناه بسيماء فأدخلناه النار. ^(٢)

ويؤيده استفاضة حديث أنه عليه السلام قسيم الجنة والنار ^(٣) ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ بعلاماتهم كنظرة الوجوه وغيرها. «فعلى» من «سام» ابله «أرسلها للرعي معلّمة، أو من «وسم» على القلب ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي إذا رأيهم سلموا عليهم ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ حال من «الواو» على أول الوجوه، ^(٤) ومن «أصحاب» على سائرهما. ^(٥)

[٤٧] - ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ في النار.

[٤٨] - ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ من أصحاب النار ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ المال أو كثرتم ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن

(٢٨) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٢٣.

(٣) ذكر بعض طرقه عن عمر بن شبة وغيره الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٢٣.

(٤) الوجه الأول هو أول الوجوه التي ذكرت في تفسير رجال يعني إذا كان المراد بالرجال قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.

(٥) وهم الأنبياء والشهداء والعلماء الأتقياء، أو: آل محمد عليهم السلام. المذكورة قبل سطور.

الحق أو على الناس .

[٤٩] - ﴿أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ ولا يدخلهم الجنة احتقاراً لهم لضعفهم فيقولون لهؤلاء أو فيقال لأصحاب الأعراف ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ .

[٥٠] - ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا﴾ صبوا ﴿عَلَيْنَا مِنْ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الطعام كعلفتها تبناً وماءاً (بارداً)^(١) ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ منعهما عنهم .

[٥١] - ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ فحرموا وأحلوا ما شاؤا بشهواتهم ﴿وَعَزَّوْهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ﴾ نتركهم في النار فعل الناسي ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ فلم يعملوا ولم يتأهبوا له ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ وكما جحدوها .

[٥٢] - ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ﴾ هو القرآن ﴿فَصَلَّاهُ﴾ بيناه عقائد و أحكاماً ومواعظ ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ حال من الفاعل أي عالمين بتفصيله ، ولا يدل على أنه تعالى عالم بعلم مغاير لذاته ، أو من المفعول أي مشتقاً على علم ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ حال من الهاء .

[٥٣] - ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ ما يؤل إليه أمره من ظهور صدق وعده ووعيده ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ وهو يوم القيامة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ قَبْلُ﴾ تركوه كالمنسي ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ اعترفوا بحقية ما جاؤا به ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ﴾ أو هل نرد إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ جواب «أو نرد» ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أهلكوها بالعذاب ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْهُمْ﴾ ما كانوا يفترون ﴿كدعوى الشركاء وشفاعتهم﴾ .

[٥٤] - ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ في قدرها ، إذ

(١) ما بين القوسين اخذناه من تفسير البيضاوي .

لا شمس حينئذ .

والخلق التدريجي مع القدرة على الدفعي دليل الاختيار وتعليم للتثبت ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ من كل شيء فليس شيء أقرب إليه ، أو استقام أمره أو استولى ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو الجسم الحاوي لسائر الأجسام . سمي به تشبيهاً بسرير الملك .

وقيل : الملك ^(١) ﴿يَغْشَى اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يغطيه بظلامه وحذف عكسه للعلم به وشدده «حمزة» و«الكسائي» و«أبو بكر» ^(٢) ﴿يَطْلُبُهُ﴾ يعقبه كالطالب له ﴿حَيْثُ سَرِيعاً﴾ صفة مصدر مقدر ، أو حال من الفاعل أو المفعول ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ مذللات بتصرفه . ونصبت عطفاً على «السموات» و«مسخرات» حال ورفع «ابن عامر» كلها على الابتداء ^(٣) والخبر ﴿أَلَا لَهُ﴾ وحده ﴿الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ الإيجاد والتصرف ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ تعالى وتعظم بتفرده في الألوهية والربوبية .

[٥٥] - ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ تذلاً وسراً ، حال ، وكسر «أبو بكر» الخاء ^(٤) ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْتَدِينَ﴾ للحد في الدعاء ، كطلب منزلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الصياح أو في كل أمر .

[٥٦] - ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿بَعْدَ إِضْلَاحِهَا﴾ بالرسل والكتب ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا﴾ خائفين من رده أو عقابه أو عدله ﴿وَوَطْئاً﴾ في إجابته أو عفوه أو فضله ، ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ تقوية للطمع وتذكير قريب لإضافة الرحمة إلى الله أو لأنها بمعنى الرحم .

(١) قاله الحسن - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٢٨ .

(٢) حجة القراءات: ٢٨٤ .

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٢٨ .

[٥٧] - ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ﴾ وأفرده «ابن كثير» و«حمزة» و«الكسائي»^(١) ﴿نُشْرًا﴾ منتشرة جمع «نشور» كـ «رسول» و«سكنه» «ابن عامر» حيث وقع^(٢) و«حمزة» و«الكسائي» مع فتح النون حيث وقع^(٣) على انه مصدر وقع حالاً أو مفعولاً مطلقاً لقرب «يرسل» من «ينشر» وقرأ «عاصم» بالباء^(٤) جمع بشير ﴿بَيْنَ يَدَيَّ رَحْمَتِهِ﴾ قدام المطر ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ﴾ حملت من القلة،^(٥) كأن الحامل للشيء يستقله ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالماء جمع للمعنى أي سحاب ﴿سُقْنَاهُ﴾ افرد ضميره للفظ وفيه التفات عن الغيبة ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لا نبات فيه، أي لإحيائه ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾ بالبلد أو بالسحاب والباء للظرفية أو السببية وكذا ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ ويجوز عوده فيه إلى الماء ﴿مِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ كَذَلِكَ﴾ الإخراج ﴿نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم بالإحياء ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمنون بالصانع والبعث.

[٥٨] - ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ العذب التراب ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ﴾ زاكياً ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ بأمره وتيسيره ﴿وَالَّذِي خُبْتُ﴾ تراه كالسبخة ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ قليلاً بلا نفع ﴿كَذَلِكَ﴾ البيان المذكور ﴿نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ نبينها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعم الله فيؤمنون به.

والآية مثل لمن اتعظ بالآيات ومن أعرض عنها.

[٥٩] - ﴿لَقَدْ﴾ جواب قسم محذوف ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ ابن لمك بن متوشلخ^(٦) بن

(١) تفسير البضاوي ٢: ٢٢٩.

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٣٠.

(٣) تفسير البضاوي ٢: ٢٢٩.

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٣٠.

(٥) يقال: قل الشيء قلًا، أي: حمله ورفع.

(٦) كذا في النسخ ولكنه في تفسير البضاوي ٢: ٢٣٠ متوشلخ، وفي تفسير مجمع البيان ٢: ٤٣٣:

وهو نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ النبي وهو ادريس.

إدريس ﴿إِلَى قَوْمِهِ﴾ وهو ابن أربعين وقيل أكثر^(١) ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي وحده
﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ رفع بدلاً من محل «إله»، وجزه «الكسائي» صفة له حيث
وقع^(٢) ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ ان عبدتم غيره وفتح «الحرميان» و«أبو عمرو» الياء^(٣)
﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة.

[٦٠] - ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ الاشراف الذين يملأون الصدر هيبة ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ذهاب عن الحق بين.

[٦١] - ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ مبالغة في النفي وتعريض بهم ﴿وَلَكِنِّي
رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٦٢] - ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ استئناف لبيان كونه رسولاً وخففه «أبو عمرو»^(٤) ﴿رِسَالَاتِ
رَبِّي﴾ وجمعت لتعدد مضمونها كالعقائد والأحكام والمواعظ ﴿وَأَنْصَحُ﴾ أخلص
بإرادة الخير ﴿لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ من قدرته وبطشه، أو من جهته بالوحي ﴿مَا لَا
تَعْلَمُونَ﴾ أشياء تجهلونها.

[٦٣] - ﴿أَوْعَجِبْتُمْ﴾ إنكار، عطف على محذوف أي أكذبتهم وعجبتم من ﴿أَنْ
جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ رسالة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾ على لسان رجل ﴿مِنْكُمْ﴾ من جنسكم
﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ وبال الكفر ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ الله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بالتقوى.

[٦٤] - ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ ممن آمن به وهم أربعون رجلاً وأربعون
امراً. وقيل عشرة، منهم بنوه «سام» و«حام» و«يافث»^(٥) ﴿فِي الْفُلِّ﴾ السفينة،

(١) في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٣٣ وهو ابن خمسين سنة.

(٢) حجة القراءات: ٢٨٦.

(٣) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٧٥.

(٤) حجة القراءات: ٢٨٦-٢٨٧.

(٥) في تفسير البضاوي ٢: ٢٣٠- مايلي: وقيل تسعة: بنوه سام و حام و يافث وستة ممن آمن به..

متعلق بـ «معه» أو «أنجيناً» ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عمي القلوب عن الحق .

[٦٥] - ﴿وَالِى عَادٍ﴾ وأرسلنا الى عاد الأولى ، قبيلة أبوهم عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ﴿أَخَاهُمْ﴾ أي من هو منهم ﴿هُودًا﴾ عطف بيان وجعل منهم لأنهم اليه أسكن، ^(١) وعنه أفهم ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ استئناف جواب قائل : فما قال لهم ؟ ، وكذا جوابهم ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ نقمته .

[٦٦] - ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ منغمساً في خفة عقل ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ .

[٦٧] - ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

[٦٨] - ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ كما عرفتموني بذلك .

[٦٩] - ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي في الأرض ما بين «عمان» الى «حضر موت» ذكرهم نعمة الله بعد تخويفهم نقمه ﴿وَوَرَدَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ ^(٢) قوة وطولاً من ستين الى مائة ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾ نعمه مما ذكر وغيره ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ إذا ذكرتموها وشكرتم .

[٧٠] - ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا مِنَ السَّمَاءِ نَهْكَمًا أَوْ قَصِدْتَنَا﴾ ﴿لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَخَذَهُ وَنَذَرْنَا

كَانَ يَعْبُدُ آبَاءَنَا﴾ من الأصنام ﴿فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيه .

[٧١] - ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ وجب أو حق فهو كالواقع ﴿عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ﴾

عذاب ﴿وَعَصَبٌ﴾ ارادة انتقام ﴿أَنْتَجِدُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ﴾ أي أصنام ﴿سَمَّيْتُهَا أَنْتُمْ

(١) هذا (أفعل) من السكن وهو من يسكنون اليه ويستأنسون به .

(٢) برسم المصحف بقراءة حفص : «بسطة» .

وَأَبَاؤُكُمْ ﴿٧٢﴾ آلهة وما فيها الالهية ﴿مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي بالهيتها ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ حلول العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ لحلوله بكم .
[٧٢] - ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ في الدين ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ عليهم ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا﴾ أي استأصلناهم ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ عطف على «كذبوا» .

قيل لما كذبوه ابتلوا بالقحط وكان الناس حينئذ إذا ابتلوا توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا إليه وفدًا وكان بمكة إذ ذاك العمالة أولاد عمليق بن لاوذ بن سام ، وسيدهم معاوية بن بكر ، فقدموا عليه وكانوا أخواله ، فأكرمهم وبقوا عنده شهراً لاهين بالشرب والغناء فأهمه ذلك واستحيا أن يكلمهم فيه ، لأنهم ضيفه فعلم قينته شعراً يتضمن ذلك ، فغتاها به فأزعجهم فذهبوا يستسقون فقال رأسهم : اللهم اسق عباداً فأنشأ الله سحباباً ثلاث بيضاء وخمراء وسوداء ، فنودي من السماء : اختر لقومك ، فاختار السوداء ، فخرجت على عاد فاستبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا «هود» ومن آمن به وأتوا مكة وسكنوها .^(١)

[٧٣] - ﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ قبيلة من العرب ، أبوهم «ثمود بن عامر بن إرم بن سام» ترك صرفه بتأويل القبيلة ويصرف بتأويل الحي . ومنازلهم الحجر بين الحجاز والشام ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ من ولد ثمود ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ معجزة على صدقي ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ استئناف لبيانها . و«آية» حال عاملها الإشارة ، و«لكم» بيان لمن الآية له ، أو «ناقة الله» بدل ، و«لكم» خبر عامل في «آية» ، و«ضافتها الى الله» لتعظيمها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ الْكَلَّا﴾ ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾ بعقر أو أذى ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

[٧٤] - ﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ أسكنكم ﴿فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا﴾ تبون في سهولها ﴿قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ حال مقدرة ،

(١) انظر تفصيل قصة هود في تفسير مجمع البيان ٢ : ٤٣٨-٤٣٩ .

أو مفعول بتقدير «من الجبال» ﴿فَازْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ .
 [٧٥] - ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ عن الإيمان به وقرأ «ابن عامر»
 «وَقَالَ»^(١) ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾ أي استذلّوهم ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ من قومه ، بدل كل
 من «الذين استضعفوا» أو بعض إن كان الضمير لهم ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ
 رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ هو أبلغ من الجواب بـ «نعم» لإفادته أن إرساله مما
 لا يشك فيه عاقل ، وانما الشأن فيمن آمن به ومن كفر .

[٧٦] - ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَاْمَتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ لعلمهم لم يقولوا : «بما
 أرسل به» حذراً أن يفوهوا برسالته .

[٧٧] - ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ أي نحروها . اسند فعل البعض الى الكل لرضاهم به
 ﴿وَعَتُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ استكبروا عن أمثاله ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ اثْنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من
 العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ .

[٧٨] - ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ صيحة من السماء وزلزلة ، فهلكوا ﴿فَأَصْبَحُوا فِي
 دَارِهِمْ جَائِعِينَ﴾ صرعى على وجوههم .

قيل :^(٢) أنهم خلفوا عاداً وكثروا ونحتوا الجبال لطول اعمارهم فعتوا وعبدوا
 الأصنام فبعث الله لهم صالحاً فأنذرهم فسألوه آية ، وأشار سيدهم الى صخرة منفردة
 وقال له : «اخرج منها ناقة جوفاء وبراء عشراء فإن فعلت أمنا بك» فدعا ربه ،
 فتمخضت الصخرة وانصدعت عن ناقة كما وصف ثم نتجت ولدها ، فأمن به رهط
 ولم يؤمن أكابرهم .

وكان الماء يوماً لهم ويوماً للناقة تشربه كله وتسقيهم ما شاؤا من
 اللبن وكانت مواشيهم تهرب منها فشق ذلك عليهم فعقروها واقتسموا لحمها ، فرقى

(١) حجة القراءات : ٢٨٧ .

(٢) ذكر الطبرسي قصة صالح في تفسير مجمع البيان ٢ : ٤٤١ - ٤٤٢ والبيضاوي في تفسيره ٢ : ٢٢٣ .

سبقها^(١) جبلاً، فقال لهم صالح: ادركوه عسى أن يرفع عنكم العذاب فطلبوه فلم يدركوه، فقال لهم تصفرو وجوهكم غداً وتحمر بعده وتسود في الثالث ثم يصبحكم العذاب» فرأوا العلامات وطلبوا قتله فأنجاه الله وتحنطوا وتكفنوا في الرابع ثم أخذتهم^(٢) الرجفة فهلكوا.

[٧٩] - ﴿فَتَوَلَّى﴾ اعرض صالح ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ خاطبهم كما خاطب رسول الله أهل قليب بدر.

[٨٠] - ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ نصب بتقدير «أرسلنا» و«إذ» ظرف له أو بـ «أذكر» و«إذ» بدل منه. وهو ابن هاران أخى إبراهيم وقيل ابن خالته وأخو سارا ﴿أَنَاتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ السيئة العظيمة القبح أي اتيان الذكران ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ما فعلها قبلكم أحد قط، استئناف مقرر للإنكار والباء للتعدي.

[٨١] - ﴿أَنْكُمْ﴾^(٣) وقرأ «نافع» و«حفص» «إنكم»^(٤) اخباراً مستأنفاً ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ في أدبارهم، بيان لتلك الفاحشة ﴿شَهْوَةً﴾ مفعول له أو حال ﴿مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ المخلوقة لكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ أضرب عن الإنكار إلى الاخبار بأنهم مجاوزون الحلال إلى الحرام والذم على جميع معائبهم.

[٨٢] - ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي لم يجيبوا نصحه إلا بالمقابلة بالسفه بقولهم: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ أي لوطاً ومن اتبعه ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ يتنزهون عن أدبار الرجال.

(١) السقب: ولد الناقة.

(٢) في «ط»: ثم أخذتهم.

(٣) وفي المصحف الشريف بقراءة حفص: «إنكم» - كما يشير إليه المؤلف.

(٤) حجة القراءات: ٢٨٧.

[٨٣] - ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي من اتبعه ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ فإنها منافقة ﴿كَانَتْ مِنْ

الْغَابِرِينَ﴾ الباقيين في العذاب .

[٨٤] - ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ نوعاً من المطر فظيماً . وَيُنَزِّلُ فِي ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ

حجارة من سجيل﴾^(١) ثم قلب جبرئيل قرينهم عليهم .

وقيل القلب على حاضريهم والحجارة على مسافريهم^(٢) ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ

عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ .

[٨٥] - ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ﴾ أي وأرسلنا اليهم وهم أولاد مدين بن ابراهيم ﴿أَخَاهُمْ

شُعَيْبًا﴾ ابن توبة بن مدين . وأمه بنت لوط وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن

مراجعته^(٣) قومه ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ

رَبِّكُمْ﴾ معجزة على صدقي ولم تبين في القرآن ما هي ، ﴿فَاَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أي المكيال

لقوله : ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ كما في «هود»^(٤) أو الميزان مصدر كالميعاد ﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ

أَشْيَاءَهُمْ﴾ ولا تنقصوهم حقوقهم وكانوا أهل كفر وبخس ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾

بالكفر والمعاصي ﴿بَعْدَ إِضْلَاجِهَا﴾ بالرسول والشرائع ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور ﴿خَيْرٌ لَكُمْ

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يريدون الإيمان ، فاعملوا به .

[٨٦] - ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ طريق من طرق الدين أي شعبة من أصوله

وفروعه ، أو من طرق القاصدين شعبياً ﴿تُوعِدُونَ﴾ تخوفونهم بالقتل وتمنعونهم عن

الإيمان به وهو حال ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ بالله بتوعدكم إياه

و «من» مفعول «تصدون» إعمالاً للأقرب ، ولو أعمل «توعدون» لقليل «تصدونهم»

(١) سورة الحجر : ٧٤ / ١٥ .

(٢) معناه في تفسير مجمع البيان ٤٤٦ : ٢ وتفسير البضاوي ٢٣٤ : ٢ .

(٣) يقال : راجعه الكلام وغيره مراجعة ، أي : عاوده .

(٤) سورة هود : ٨٥ / ١١ .

﴿وَيَبْقَوْنَهَا عَوَجًا﴾ وتطلبون السبيل معوجة بإلقاء الشبه كقولكم: هذا كذاب ونحوه
﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾ عددًا أو عدة ﴿فَكَثَرَكُمُ﴾ بالنسل أو المال ﴿وَانظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ قبلكم واعتبروا بهم .

[٨٧] - ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا
فَاضْبِرُوا﴾ فانتظروا ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ أي بين الفريقين بإنجاء المحق واهلاك
المبطل ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ إذ لا جور في حكمه .

[٨٨] - ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِأَسْعَبِ الدِّينِ ءَامِنُونَ
مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ غلبوا الجمع على الواحد في الخطاب إذ لم يكن
شعيب في ملتهم قط ، وعلى ذلك أجاب ﴿قَالَ﴾ انكاراً ﴿أُولَئِكَ﴾ أي أنعود ولو ﴿كُنَّا
كَارِهِينَ﴾ لها .

[٨٩] - ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا﴾ اختلقنا ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾ بأن نشرك
بالله . وناب «قد افترينا» جواب «ان» ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ بتوقيفه والحجج
الموضحة للحق ﴿وَمَا يَكُونُ﴾ يصح ﴿لَنَا أَنْ نَعُوذَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ حسم
لطمعهم في العود بتعليقه على الممتنع وهو مشيئته تعالى للكفر ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ
شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي أحاط علمه بكل شيء ، فيعلم حالنا وحالكم ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في
كل أمورنا ﴿رَبَّنَا افْتَحْ﴾ احكم أو اكشف الأمر ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ لتمييز
المحق والمبطل ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ بالوجهين .

[٩٠] - ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي قال بعضهم لبعض : ﴿لَئِنْ
قَسَمَ﴾ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴿بترك دينكم الى دينه وهو مغني عن جواب
القسم والشرط .

[٩١] - ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة وفي «هود» ﴿الصَّيْحَةُ﴾^(١) ولا منافاة

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ قريتهم ﴿جَائِمِينَ﴾ صرعى على وجوههم .

[٩٢] - ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَبِيًّا﴾ مبتدأ خبره ﴿كَأَن﴾ مخففة حذف اسمها أي كأنهم

﴿لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ لم يقيموا في دارهم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَبِيًّا﴾ كانوا هم الخاسرين

للدارين . رد عليهم في قولهم السابق مؤكد بإعادة الموصول والفصل ،

واسمية الجملتين .

[٩٣] - ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فلم

تصدقوني ﴿فَكَثِفَ آسَى﴾ أحزن ﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ وضع موضع «عليكم» للتعليل

والإستفهام بمعنى النفي .

[٩٤] - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ فلم يؤمنوا به ﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسَاءِ

وَالضَّرَاءِ﴾ بالفقر والمرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ كي يتذللوا .

[٩٥] - ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾ أعطيناهم ﴿مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ البلاء ﴿الْحَسَنَةَ﴾ النعمة ﴿حَتَّى

عَفَوْا﴾ كثروا عدداً وعدة وأصله الترك أي تركوا حتى كثروا، ومنه إعفاء اللحي ﴿وَقَالُوا﴾

كفراً للنعم ﴿قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ﴾ كما مسنا، وهذه عادة الدهر بنا وبهم،

فلم يدعوا دينهم فنحن مثلهم ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بنزوله .

[٩٦] - ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى﴾ التي أهلكتها أو مكة وما حولها ﴿ءَامَنُوا﴾ بالله

ورسله ﴿وَاتَّقُوا﴾ المعاصي ﴿لَفَتَحْنَا﴾ وسعنا . وشدده «ابن عامر»^(١) ﴿عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ

مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ خيرات من كل جانب، أو المطر والنبات ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾

الرسل ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ بالقحط والشدة ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الكفر والمعاصي .

[٩٧] - ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ المكذبون . والهمزة للتوبيخ، والفاء للعطف وكذا

في الثلاثة الآتية بالواو والفاء ﴿أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَّاتًا﴾ ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾

في فرشهم .

[٩٨] - ﴿أَوْ آمِنَ أَهْلَ الْقُرَى﴾ وقرأ «ابن كثير» و«نافع» و«ابن عامر» بـ «أو» العاطفة^(١) ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾ نهاراً عند ارتفاع الشمس ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يلهون فيما لا ينفعهم.

[٩٩] - ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ استدراجه إياهم بالنعم وأخذهم بغتة ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ بالكفر وترك النظر.

[١٠٠] - ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ يبين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾ أي يخلفونهم في ديارهم بعد هلاكهم ﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ﴾ فاعل «يهدي» وإن قريء بالنون كـ «يعقوب»^(٢) فمفعوله و«أن» مخففة ﴿يَذْنُوبُهُمْ﴾ أي بجزائها كما أصبنا من قبلهم ﴿وَنَطْمِئَنُّ﴾ ونحن نختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ واسناده إليه تعالى كناية عن تمكن الكفر في قلوبهم، أو اسناد إلى السبب، أو مجاز عن ترك قسره على الإيمان ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الوعظ سماع قبول.

[١٠١] - ﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ المذكورة. مبتدأ وخبر ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾ أخبار أهلها. حال أو خبر و«القرى» صفة أو هما خبران ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عند مجيئهم ﴿بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ بما كفروا به قبل مجيئهم، بل استمروا على كفرهم ﴿كَذَلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ يخليهم وشأنهم من رسوخ الكفر^(٣) في قلوبهم.

[١٠٢] - ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ لأكثر الناس. والآية اعتراض، أو لأكثر المهلكين ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ من وفاء بما عهده الله إليهم في الإيمان بنصب الحجج، أو عهده إليه حين يقعون في بلية أن يؤمنوا ﴿وَإِنْ﴾ مخففة ﴿وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾

(١) حجة القراءات: ٢٨٨.

(٢) في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٥٤: وقرأ يعقوب برواية زيد: «اولم يهد» بالنون.

(٣) في «الف»: يخليهم وما فيهم من رسوخ الشر.

اللام فارقة وقيل بمعنى «إلا» و«إن» نافية. ^(١)

[١٠٣] - ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد الرسل أو الأمم ﴿مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ المعجزات ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ أشراف قومه ﴿فَظَلَّمُوا بِهَا﴾ بوضعها غير موضعها، فابدلوا الإيمان بها بالكفر ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ بالكفر من اهلاكهم.

[١٠٤] - ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ اليك.

[١٠٥] - ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ أصله «حقيق علي» كقراءة

نافع، ^(٢) فقلب، معناه: واجب على القول الحق أن أكون أنا قائله ولا يرضى إلا بمثلي ناطقاً به، أو أريد بـ «على» معنى الباء وهو جواب لتكذيبه إياه المستفاد من «فظلموا بها» و«حقيق» خبر محذوف أو مبتدأ خبره «أن» ومدخولها ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ إِسْرَءِيلَ﴾ فخلّهم حتى يرجعوا معي إلى الأرض المقدسة وكان استعبدتهم، وفتح الياء «حفص» ^(٣).

[١٠٦] - ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ﴾ تصدّق دعواك ﴿فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتُ

مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ فيها.

[١٠٧] - ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ حية عظيمة بينة لا يشك فيها.

قيل: لما ألقاها صارت ثعباناً، فاغراً فاه بين فكيه، ثمانون ذراعاً، ووضع فكه الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر وقصد فرعون فهرب وأحدث، وهرب الناس ومات منهم بالزحام خمسة وعشرون ألفاً وصاح فرعون يا موسى خذه فأنا أومن بك، فأخذه وعاد عصاً. ^(٤)

(١) قاله الكوفيون - كما في تفسير البيضاوي ٢: ٢٢٧ -.

(٢) حجة القراءات: ٢٨٩.

(٣) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٧٥.

(٤) رواه البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٢٧.

[١٠٨] - ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بِبَيْضَاءٍ﴾ ذات شعاع يغلب نور الشمس ﴿لِلنَّاطِرِينَ﴾ خلاف لونها من الادمة .

[١٠٩] - ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ حاذق بالسحر . وفي «الشعراء» حكايته عن فرعون^(١) فلعلهم قالوه معه على جهة التشاور .

[١١٠] - ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ تشيرون في أمره .

[١١١] - ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ آخر أمرهما ، وقرأ «ابن كثير» و«هشام» : «أرجئه» بالهمزة واشباع ضمة الهاء ،^(٢) وكذا «أبو عمرو» بلا اشباع ،^(٣) و«ابن ذكوان» بالهمز وكسر الهاء^(٤) وتُحْدِش بأن الهاء لا تكسر إلا إذا كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة ، والباقون بلا همزة ، فـ «قالون» يختلس الكسر ،^(٥) و«ورش» و«الكسائي» يشبعانه ،^(٦) و«عاصم» و«حمزة» يسكنان الهاء^(٧) ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ جامعين .

[١١٢] - ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ يفوق موسى بالسحر وقرأ «حمزة» و«الكسائي» «سَحَارَ»^(٨) فحسروا .

[١١٣] - ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ وهم سبعون . وقيل : أكثر^(٩) ﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ استئناف كجواب ما لو قيل : ما قالوا؟^(١٠) وقرأ «ابن كثير»

(١) سورة الشعراء : ٣٤/٣٦ .

(٢) حجة القراءات : ٢٨٩ .

(٣) حجة القراءات : ٢٩٠ .

(٤) تفسير البياضوي ٢ : ٢٣٨ .

(٥) اتحاف فضلاء البشر ٢ : ٥٦ .

(٦، ٧) نفس المصدر / ٥٦ و ٥٧ .

(٨) نفس المصدر / ٥٧ .

(٩) في تفسير مجمع البيان ٢ : ٤٦١ : وقيل ثمانين ألفاً .

(١٠) كذا ظاهر النسخ ويؤيده ما في تفسير البياضوي ٢ : ٢٣٨ استأنف به كأنه جواب سائل قال :

ما قالوا اذ جاؤا . . . ؟

و«نافع» و«حفص» «إِنَّ» على الاخبار.^(١)

[١١٤] - «قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» أنعم لهم بالأجر وزاد عليه لتحريضهم

وكسر «الكسائي» العين.^(٢)

[١١٥] - «قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ» ما معك «وَأِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ» ما

معنا، خيرهوه تجلداً وتادباً ولكن لحرصهم على الإلقاء قبله غيروا الأسلوب الى الأبلغ بتعريف الخبر وتوسيط الفصل.

[١١٦] - «قَالَ الْقَوْمُ» كرمأ ووثوقاً بأمره «فَلَمَّا أَلْقَوْا» حبالاً طوالاً وخشباً غلاظاً

«سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ» صرفوها بالتمويه عن إدراك الحقيقة «وَاسْتَرْهَبُوهُمْ» أربهوهم بالتخييل اليهم أنها حيات ملأت الوادي «وَجَاءُوا»^(٣) بِسِحْرِ عَظِيمٍ عند الناس.

[١١٧] - «وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ» فآلقاها فصارت حية «فَإِذَا هِيَ

تَلْقَفُ» تلتقف: تبتلع وخففه «حفص»^(٤) «مَا يَأْفِكُونَ» ما يقلبونه عن وجهه بالتمويه.

قيل ابتلعتهما كلها وأقبلت على الناس فهربوا وهلك كثير بالزحام ثم أخذها موسى

فعادت عصا، فقالت السحرة: لو كان هذا سحراً لتقيأت ما ابتلعت.^(٥)

[١١٨] - «فَوَقَعَ الْحَقُّ» ظهر وثبت «وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» من السحر.

[١١٩] - «فَقُلِبُوا» أي فرعون وقومه «هُنَالِكَ» وانقلبوا صاغرين» صاروا

أذلاء مبهوتين.

(١) حجة القراءات: ٢٩٢.

(٢) حجة القراءات: ٢٨٢ وكتاب السبعة في القراءات: ٢٨١.

(٣) ينظر تعليقنا على الآية ٦١ من سورة البقرة.

(٤) حجة القراءات: ٢٩٢.

(٥) تفسير البضاوي ٢: ٢٣٨.

- [١٢٠] - ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ ألقاهم ما بهرهم من الحق حتى لم يتمالكوا أنفسهم ، أو الله بإلهامهم ذلك لينكسر فرعون بمن أراد بهم كسر موسى .
 [١٢١] - ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ولثلا يتوهم ارادة فرعون به ^(١) أبدل منه .
 [١٢٢] - ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ .

[١٢٣] - ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ انكاراً عليهم ﴿ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ بموسى أو بربه وحقق الهمزتين «حمزة» و«الكسائي» و«أبو بكر» ^(٢) وقرأ «حفص» : «آمتم» إخباراً ^(٣) ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّ هَذَا﴾ الصنيع ﴿لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ﴾ شيء صنعتموه أنتم وموسى ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ في مصر قبل خروجكم ﴿لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمركم ، وعيد ، بيانه :

- [١٢٤] - ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ من كل شق طرفاً ﴿ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لتفتضحوا ويعتبر بكم غيركم .
 [١٢٥] - ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ الى ثوابه ، راجعون بعد الموت بأي وجه كان ، أو مصيرنا ومصيرك إليه ، فيحكم بيننا . قابلوا وعيده بأشد منه .
 [١٢٦] - ﴿وَمَا تَنْقِمُ﴾ تنكر ﴿مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ وهي الحق الذي يجب الإيمان به ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ صب ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ عند فعل ما توعدنا به لثلا نرتد كفاراً ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ ثابتين على الإسلام . قيل فصلبهم من يومه . ^(٤)
 وقيل عصمهم الله منه . ^(٥)

[١٢٧] - ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ له ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيَفْسِدُوا فِي

(١) في «ط» : منه .

(٢) حجة القراءات : ٢٩٣ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٢ : ٤٦٣ .

(٤) (٥) تفسير مجمع البيان ٢ : ٤٦٤ .

الْأَرْضِ ﴿بَدْعَاءِ النَّاسِ إِلَىٰ مَخَالِفَتِكَ ﴿وَيَذَرُكَ﴾ عَظْفٌ عَلَىٰ «يُفْسِدُوا» أَوْ جَوَابُ «أَتَذَرُ» بِالْوَاوِ ﴿وَوَالِهَتَكَ﴾ قَبْلَ اتِّخَاذِ لِقَوْمِهِ أَصْنَامًا وَأَمْرِهِمْ بِعِبَادَتِهَا تَقَرُّبًا إِلَيْهِ وَلِذَلِكَ قَالَ ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾^(١) وَقَبْلَ كَانَ يَعْبُدُ الْبَقَرُ وَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَتِهَا.^(٢)

وَعَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ «وَالِهَتَكَ» أَيَّ عِبَادَتِكَ^(٣) ﴿قَالَ سَنُقْتُلُ﴾ وَخَفَفَهُ «ابْنُ كَثِيرٍ» وَ«نَافِعٌ»^(٤) ﴿أَبْنَاءَهُمْ وَتَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ كَفَعَلْنَا قَبْلَ، لثَلَا يَظُنُّ بَنَاءُ وَهْنٌ، وَأَنَّهُ الْمَوْلُودُ الْمَحْكُومُ بِزَوَالِ مَلِكِنَا عَلَى يَدِهِ ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ مُتَسَلِّطُونَ فَعَلَّ بِهِمْ ذَلِكَ فَشَكَّوهُ.

[١٢٨] - ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ عَلَىٰ أَذَاهُ ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يَنْقُلُهَا إِلَيْهِ نَقْلَ الْمِيرَاثِ. تَقْرِيرٌ لِمَا قَبْلَهُ ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ الْمَحْمُودَةُ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ وَعَدْلُهُمْ بِالنَّصْرِ.

[١٢٩] - ﴿قَالُوا﴾ أَيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿أَوْذَيْنَا﴾ بِقَتْلِ الْأَبْنَاءِ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ بِالرَّسَالَةِ ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْنَا﴾ قَالُوهُ اسْتِيطَاءً لَوَعْدِهِ إِيَّاهُمْ بِالنَّصْرِ، فَجَدَّده لَهُمْ ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَذُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أَخِيرًا أَمْ شَرًّا، لِيَجَازِيَكُمْ بِهِ.

[١٣٠] - ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ بِالْقَحْطِ. غَلَبَتِ السَّنَةُ فِي عَامِ الْقَحْطِ لِكثْرَةِ ذِكْرِهِ^(٥) ﴿وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ بِالْآفَاتِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ لَكِي يَتَفَكَّرُوا فِي أَنَّ ذَلِكَ بِكُفْرِهِمْ فَيَتَعَذَّبُوا.

(١) تفسير البيضاوي ٢: ٢٣٩ والآية في سورة النازعات: ٢٤/٧٩.

(٢) قاله السدي - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٦٤.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٦٤.

(٤) حجة القراءات: ٢٩٤.

(٥) في تفسير البيضاوي ٢: ٢٤٠: والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقليل: استنت القوم: اذا قحطوا.

[١٣١] - ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ﴾ الخصب والرخاء ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ استحقاقاً ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جذب وبلاء ﴿يَطِيرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ يتشاءموا بهم ويقولون: ما أصابتنا إلا بشؤمهم.

وفيه تنبيه على فرط قساوتهم وغباوتهم إذ لم يتأثروا بالآيات والشدائد المارقة للقلوب.

وذكرت الحسنة معرفة مع «إذا» لكثرة وقوعها، والسيئة منكراً مع «إن» لندروها ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ﴾ أي سبب شؤمهم أو سبب نفعهم وضرهم وهو أعمالهم مكتوب ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[١٣٢] - ﴿وَقَالُوا مَهْمَا﴾ «ما» الشرطية لحقتها «ما» الزائدة، وقلبت ألفها هاء استثقالاً وقيل «مه» بمعنى «كف» مع «ما» الشرطية، أي: أي شيء ﴿تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾ بزعمك، بيان لـ «مهما» ﴿لَتَسْحَرَنَا﴾ لتموه علينا ﴿بِهَا﴾ الهاء لمعنى «ما» أو آية ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ خبر «مهما» بحذف العائد أي فما نصدقك بها.

[١٣٣] - ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ المطر الذي طاف بهم، أو الطاعون أو الجدري ﴿وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ﴾ السوس أو الدبا أو نوع من القراد ﴿وَالضَّفَادِعَ وَالْذَّمَ﴾ قيل: ^(١) امطروا حتى دخل الماء بيوتهم ولم يدخل بيوت بني إسرائيل قطرة، ووقف بأرضهم فمنعهم من الحرث، ودام عليهم أسبوعاً، فقالوا لموسى: ادع ربك يكشف عنا ونؤمن بك.

فدعا فكشف عنهم ولم يؤمنوا، فسلب عليهم الجراد فأكلت زرعهم وثمارهم وأمتعتهم وأبوابهم، ففرزوا إليه.

فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت من حيث جاءت، فلم يؤمنوا، فسلب عليهم القمل فأكل ما بقى وغشي أطعمتهم، ودخل تحت ثيابهم يعضهم،

(١) ذكر قصة بني إسرائيل الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٦٨ والبيضاوي في تفسيره ٢: ٢٤١.

ففرزوا إليه فرفع، فلم يؤمنوا، فسَلَطَ عليهم الضفادع فمَلَأَتْ مضاجعهم وأطعمتهم وكانت تثب في قدورهم وهي تغلي، وأفواههم إذا تكلموا، ففرزوا إليه وعاهدوه فرفع، فنكثوا، فابتلوا بالدم فصارت مياههم دماً حتى كان القبطي يمص الماء من فم الإسرائيلي فيصير في فيه دماً.

وقيل: ابتلوا بالعراف^(١) ﴿ءَايَاتٍ﴾ حال ﴿مُفَصَّلَاتٍ﴾ مبيّنات أو فصل بعضها عن بعض ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

[١٣٤] - ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ العذاب المفصل أو الطاعون بعده ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ بما عهده اليك أن تدعوه به فيجيبك، أو بعهده عندك وهو النبوة وهو صلة «ادع» أو حال من فاعله، أي متوسلاً بما عهده، أو متعلق بما دلّ عليه طلبهم كـ «أسعفنا» بحق ما عهد ﴿لَئِنْ﴾ قسم ﴿كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

[١٣٥] - ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ﴾ حدّ من الزمان ﴿هُم بِالْغَوَى﴾ فمهلكون فيه وهو وقت الغرق ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ جواب «لما» أي فاجثوا الى نقض العهد من دون توقّف.

[١٣٦] - ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ البحر ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ معرضين حتى صاروا كالغافلين عنها، أو عن النعمة بقرينة «فانتقمنا».

[١٣٧] - ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ بالاستعباد وهم بنو إسرائيل ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ أرض مصر والشام، تمكنوا في نواحيها بعد إهلاك العتاة ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالخصب والسعة ﴿وَوَعَدْتُكَ رَبُّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ صحت بإنجاز عدته إياهم بالنصر والتمكين وهي قوله ﴿ونريد أن

(١) قاله زيد بن أسلم - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩٦.

نَمْنٌ^(١) إِلَى آخِرِهِ ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ عَلَى الْأَذَى ﴿وَدَمَرْنَا﴾ أَهْلَكْنَا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ مِنَ الْعِمَارَاتِ ﴿وَمَا كَانُوا يَغْرِشُونَ﴾ مِنَ الشَّجَرِ أَوْ يَرْفَعُونَ مِنَ الْبَنِيَانِ . وَضَمَّهُ «أَبُو بَكْرٍ» وَ«ابْنُ عَامِرٍ»^(٢) .

ثُمَّ قَصَّ تَعَالَى أَحْوَالَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَا أَحْدَثُوهُ بَعْدَ تَرَادُفِ نِعْمَةٍ عَلَيْهِمْ فَقَالَ :

[١٣٨] - ﴿وَجَاوَزْنَا﴾ عَبْرْنَا ﴿بَيْنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا﴾ فَمَرَوْا ﴿عَلَى قَوْمٍ﴾ مِنَ

الْعَمَالِقَةِ أَوْ لَحْمٍ ﴿يَعْكُفُونَ﴾ وَكُسِرَ «حَمْزَةٌ» وَ«الْكُسَانِي»^(٣) ﴿عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾

يَقِيمُونَ عَلَى عِبَادَتِهَا وَكَانَتْ تَمَاثِيلُ بَقَرٍ وَهِيَ مَبْدَأُ أَمْرِ الْعَجَلِ ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ

لَنَا إِلَهًا﴾ صَنَمًا نَعْبُدُهُ ﴿كَمَا لَهُمْ إِلَهَةٌ﴾ مَا كَافَةٌ لِلْكَافِ ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾

لِبَعْدِ مَا طَلَبْتُمْ - وَقَدْ شَاهَدْتُمُ الْآيَاتِ - عَنِ الْعَقْلِ .

[١٣٩] - ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ الْقَوْمِ ﴿مُتَّبِعِينَ﴾ مَهْلِكٌ ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ مِنَ الدِّينِ ﴿وَبَاطِلٌ﴾

مُضْمَحَلٌ ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ .

[١٤٠] - ﴿قَالَ أَغْيِرَ اللَّهُ أَيْفِيكُمْ إِلَهًا﴾ أَطْلَبَ لَكُمْ مَعْبُودًا ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى

الْعَالَمِينَ﴾ فِي زَمَانِكُمْ بِنِعْمَةِ الْجِسَامِ ، فَقَابَلْتُمُوهَا بِأَنْ قَصَدْتُمْ أَنْ تَشْرَكُوا بِهِ مَخْلُوقَهُ .

[١٤١] - ﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ ﴿أَنْجَيْنَاكُمْ﴾ وَقَرَأَ «ابْنُ عَامِرٍ» «أَنْجَاكُمْ»^(٤) ﴿مِنْ آلِ

فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يُولُونَكُمْ وَيَذِيقُونَكُمْ ، حَالٍ مِنَ الْمَفْعُولِ أَوْ آلٍ أَوْ إِسْتِثْنَاءٍ لِبَيَانِ

الْمَنْجَى مِنْهُ ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أَشَدُّهُ وَهُوَ أَنَّهُمْ ﴿يُقْتَلُونَ﴾ وَخَفَفَهُ «نَافِعٌ»^(٥) ﴿أَبْنَاءَكُمْ

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يَسْتَبْقُونَهُنَّ لِلْخِدْمَةِ ﴿وَفِي ذَلِكَ﴾ الْإِنْجَاءُ وَالْعَذَابُ ﴿بَلَاءٌ﴾

(١) الْآيَةُ (٥) مِنْ سُورَةِ الْقَصَصِ (٢٨) قَوْلُهُ تَعَالَى :

«وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ» .

(٢) أَيِ الرَّاءِ - كَمَا فِي حِجَةِ الْقَرَاءَاتِ : ٢٩٤ .

(٣) أَيِ الْكَافِ - كَمَا فِي حِجَةِ الْقَرَاءَاتِ : ٢٩٤ .

(٤) حِجَةُ الْقَرَاءَاتِ : ٢٩٤ .

(٥) حِجَةُ الْقَرَاءَاتِ : ٢٩٥ .

نعمة ومحنة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ .

[١٤٢] - ﴿وَوَاعَدْنَا﴾ وقرأ «أبو عمرو»: «ووعدنا»^(١) ﴿مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ ذا القعدة ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ من ذي الحجة ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ وقت وعده ﴿أَزْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ حال .

قيل^(٢) وعد قومه أن يأتيهم بكتاب من الله فأمر بصوم ثلاثين فصامها، فاستاك لخلق فيه، فأمر بعشر أخرى لإفساد السواك ريحه .

وقيل امر بصوم الثلاثين ثم كلمه، وأنزل عليه التوراة في العشر^(٣) ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ عند خروجه الى الجبل للمناجاة ﴿اخْلُفْنِي﴾ كن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ﴾ أمرهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ولا تسلك طريقهم في المعاصي .
[١٤٣] - ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ للوقت الذي وقتناه لتكليمنا له ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ بلا وسيط .

قيل : سمع كلامه من كل جهة^(٤) وقيل من الغمام^(٥) كما سمعه من الشجرة في موضع آخر^(٦) ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي﴾ نفسك ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ .

واحتج به على جواز رؤيته تعالى لاستحالة طلب المحال من الأنبياء سيما ما يوجب جهلاً بالله .

ورد بأن السؤال لتبكيته قومه إذ قالوا ﴿أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(٧) فسأل ليمنع فيعلموا

(١) اتحاف فضلاء البشر ٢: ٦١ .

(٢) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٤٢ .

(٣) تفسير البيضاوي ٢: ٢٤٢ .

(٤) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٧٤ .

(٥) ورد ذلك في سورة القصص: ٢٨ / ٣٠ .

(٦) سورة النساء: ٤ / ١٥٢ .

(٧) سورة البقرة: ٢ / ٥٥ .

امتناعها إذ لم يرتدعوا بما عرفهم من امتناعها حتى ألحوا عليه وقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ فاحتاج إلى ما هو أبلغ في ردعهم .

وهو طريق السؤال والجواب من الله ، ولذلك سألتها لنفسه دونهم ليعلموا أنه إذا مُنِعها مع علوّ قدره ، فهم أولى بالمنع ، ولئلا يقولوا لو سألتها لنفسه لرآه ورأينا . كما سمعنا كلامه حين كلمه ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ لن لتأييد النفي وتأكيده وإذا لم يره أبداً ، لم يره غيره إجماعاً ﴿وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ استدراك من النظر إليه الى النظر الى الجبل وما يغشاه بسبب سؤالهم العظيم الممتنع ، ليعلموا امتناع رؤيته بذلك وبتعليقها على المحال ، وهو: استقراره عقيب النظر حالة تحرّكه ، وامكان الإستقرار حينئذ ممنوع ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ ظهر له أمره واقتداره أو نوره أو عظمته ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ مذكوكاً أي مدقوقاً ومده «حمزة» و«الكسائي» بلا تنوين ،^(١) أي مستوياً بالأرض ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعْقًا﴾ مغشياً عليه ، لهول ما رأى ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك عما لا يليق بك من الرؤية وغيرها ﴿ثُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من طلب الرؤية أو السؤال بلا إذن ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنك لا ترى أبداً .

[١٤٤] — ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي﴾ وفتح «ابن كثير» و«أبو عمرو» «الياء»^(٢) ﴿اضْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ أهل زمانك ﴿بِرِسَالَتِي﴾ ووحدتها «ابن كثير» و«نافع»^(٣) ﴿وَبِكَلَامِي﴾ وبتكليمي إياك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ من النبوة والذين ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لنعمي .

[١٤٥] — ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ﴾ ألواح التوراة وكانت سبعة أو عشرة من خشب أو ياقوت أو زمرد ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ تبييناً بدل

(١) حجة القراءات: ٢٩٥ .

(٢) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٧٥ .

(٣) حجة القراءات: ٢٩٥ .

من الجار والمجرور قبله ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا﴾ أي فقلنا خذ الألواح أو الأشياء الدال عليها «لكل شيء» ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجدة وعزيمة ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ أي بأحسن ما فيها من الفرائض والنوافل، إذ هي أحسن من المباحات أو بحسنها وكلها حسن ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ فرعون وقومه وهي مصر أو منازل عاد وثمود وأمثالهم لتعتبروا بهم، أو دارهم في الآخرة وهي جهنم.

[١٤٦] - ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ عن إبطال دلائلي، وسكن «ابن عامر» و«حمزة» الياء^(١) ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بإعلائها أو إهلاكهم أو منعهم اللطف، لأنهم ليسوا أهلها فلا يتفكرون فيها ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ متلبسين بالباطل وهو دينهم ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةٍ﴾ دلالة ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ لعنادهم. ويؤذن بعله صرفهم فيؤيد الوجه الثالث ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ الهدى، وقرأ «حمزة» و«الكسائي» بفتحيتين^(٢) ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ وإن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ﴾ الصرف ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ بسبب تكذيبهم بها واعراضهم عنها.

[١٤٧] - ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ البعث وما يتبعه ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت، إذ لم تقع على الوجه المأمور به ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إلا جزاء عملهم.

[١٤٨] - ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد ذاهبه للمناجاة ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ الذي استعاروه من القبط بعلّة عيد لهم، فبقى عندهم، جمع حلي كـ «ثدي وثدي» وكسر الحاء «حمزة» و«الكسائي»^(٣) وأفرده «يعقوب»^(٤) ﴿عِجْلًا جَسَدًا﴾ بدل لحماً ودماً،

(١) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٧٥.

(٢) حجة القراءات: ٢٩٥.

(٣) حجة القراءات: ٢٩٦.

(٤) تفسير البضاوي ٢: ٢٤٤.

أو من ذهب لا روح فيه ﴿لَهُ خُوانٌ﴾ صوت.

قيل لما صاغه السامري ألقى في فيه من تراب أثر فرس جبرائيل فصار حيّاً. ^(١)
وقيل احتال لدخول الريح جوفه فصوت. ^(٢) وثاني مفعولي «اتخذ» مقدر أي إلهاً
﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ فكيف يتخذونه إلهاً مع عجزه عن
مقدورهم من كلام، ودلالة طريق ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ إلهاً ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ باتخاذهم واضعين
للعباداة في غير موضعها.

[١٤٩] - ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي ندموا، إذ الندام يعرض يده فتصير مسقوطاً
فيها ﴿وَرَأَوْا﴾ علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ بعبادة العجل ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾
بقبول التوبة ﴿وَيَغْفِرَ لَنَا﴾ ذنبنا، وقراءهما «حمزة» و«الكسائي» بالثناء، و«ربنا»
منادى ^(٣) ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[١٥٠] - ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ حزناً أو شديد الغضب
﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ بشس خلافة خلفتمونيها بعد خروجي خلافتكم،
حيث أشركتم، وفتح «الحرميان»، و«أبو عمرو»: يا «بعدي» ^(٤) ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾
وعده الذي وعده من الأربعين فلم تصبروا وقدرتم موتي وأشركتم ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾
الواح التوراة غضباً لله فتكسرت ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ بذؤابته ولحيته ﴿يَجْرُهُ إِلَيْهِ﴾
غضباً على قومه كما يفعل الغضبان بنفسه وكان هارون أكبر منه بثلاث سنين وأحب
إلى بني إسرائيل لئنه ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ﴾ كسره «ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» و«أبو
بكر» اكتفاءً بالكسر عن الياء تخفيفاً، ^(٥) وفتحها بالاقون زيادة في التخفيف، أو تشبيهاً

(١) قاله الحسن - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٨٠.

(٢) قاله الزجاج والجبائي والبلخي - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٨٠.

(٣) حجة القراءات: ٢٩٦.

(٤) (٥٤) اتحاف فضلاء البشر ٢: ٦٣.

بـ «خمسـة عشر» وذكر الأم للترقيق وكانا لأب وأم ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ أي قهروني وقاربوا قتلي لشدة انكاري عليهم ﴿فَلَا تُشْمِثْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ لا تسرهم بأن تفعل بي ما ظاهره الإهانة ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ بعبادة العجل أي من جملتهم في إظهار الغضب عليّ.

[١٥١] - ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾ قاله انقطاعاً إليه تعالى لا لذنـب فعلاه لامتناعه منهما، ودفعاً للشماتة بأخيه ﴿وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ بالإنعام علينا ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أرحم منا بنا بأنفسنا.

[١٥٢] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ عذاب الآخرة، أو أمرهم بقتل أنفسهم ﴿وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قتل أنفسهم، أو الجلاء، أو الجزية ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ على الله بالإشراك وغيره.

[١٥٣] - ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ من إشراك وغيره ﴿ثُمَّ تَابُوا﴾ عنها ﴿مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾ واستقاموا على الإيمان ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ بعد التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

[١٥٤] - ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن ﴿عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ فيه مبالغة بجعل الغضب الحامل له على ما فعل كالأمر، فعبر عن سكونه بالسكوت ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاخَ﴾ التي القاها ﴿وَفِي نُسخَتِهَا﴾ وفيما نسخ أي كتب ﴿هُدًى﴾ بيان للحق ﴿وَرَحْمَةً﴾ دعاء إلى الخير ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِـرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يخشون. دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بتأخيره.

[١٥٥] - ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ أي من قومه، حذف «من» فنصبه الفعل ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ قيل ^(١) أمرهم تعالى أن يختارهم ليكلّمه

(١) قاله أبو علي الجبائي وأبو مسلم وجماعة من المفسرين ورواه علي بن إبراهيم في تفسيره - كما في تفسير مجمع البيان ٤: ٨٤٤.

بحضرتهم ويشهدوا له عند بني إسرائيل ، فلما سمعوا كلامه قالوا ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ ^(١) ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ﴾ أي الصاعقة أو الزلزلة ، فصعقوا ﴿قَالَ رَبُّ لَوْ شِئْتُ أَهْلَكْتُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل خروجي ﴿وَأَيَّايَ﴾ لئلا يتهمني بنو إسرائيل ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ استفهام استعطاف ، أي لا تأخذنا بذنب غيرنا من طلب الممتنع وهو الرؤية فيكون الطالب بعضهم وقيل : عبادة العجل ^(٢) ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ما الرجفة إلا ابتلاؤك ليميز الصابر من غيره ، أو عذابك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾ تتركه وشأنه فلا يوفق للصبر عليها ﴿وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ بلطفك فيصبر ويثبت على الإيمان ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾ متولي أمرنا ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ تغفر الذنب وتولي النعم .

[١٥٦] - ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ نعمة وتوفيق طاعة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ الجنة ﴿إِنَّا هُذْنَا﴾ تبنا ﴿إِلَيْكَ﴾ من هاده : أماله ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ من العصاة وفتح «الياء» «نافع» ^(٣) ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدنيا البر والفاجر وغير المكلف ﴿فَسَاكُتُهَا﴾ أثبتنا في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك والمعاصي ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ خصت بالذكر لفضلها أو لأنها أشق ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

[١٥٧] - ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ خبره «يأمرهم» أو خبر محذوف أي هم الذين ﴿يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ﴾ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ﴿الْأُمِّيَّ﴾ الذي لا يكتب ولا يقرأ ﴿الَّذِي يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ﴿بِاسْمِهِ وَنَعْتِهِ﴾ «يأمرهم» بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ﴿مِمَّا حَرَّمَ فِي شِرْعِهِمْ﴾ ويحرم عليهم الخبائث ﴿كَالْمِيتَةِ وَنَحْوَهَا﴾ ويضع عنهم إصرهم ﴿يُخَفِّفُ عَنْهُمْ﴾ التكليف الشاق

(١) سورة البقرة: ٢/٥٥ .

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٨٥ وتفسير البيضاوي ٢: ٢٤٥ .

(٣) اتحاف فضلاء البشر ٢: ٦٤ .

كقتل أنفسهم بالتوبة وقرض موضع النجاسة وتعين القصاص في العمد والخطاء .
وأصل الإصر: الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه مكانه وقرأ «ابن عامر» :
«إصارهم»^(١) ﴿وَالْأَعْلَالَ﴾ العهود ﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ بالعمل بما في التوراة
﴿قَالِ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ﴾ وقروه ﴿وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ أي مع
رسالته وهو أمير المؤمنين عليه السلام، أو هو القرآن ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
الظافرون بالمراد .

[١٥٨] - ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ حال من «إلَيْكُمْ» بعث
صلى الله عليه وآله وسلم إلى الثقلين وسائر الرسل إلى قومهم ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾ صفة الله أو مبتدأ خبره ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ وهو على الأول بيان لما قبله، إذ من
ملك العالم اختص بالالوهية ﴿يُخَيِّ وَيُمِيتُ﴾ تقرير لاختصاصه بها ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ القرآن والوحي والكتب المتقدمة
﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى الثواب والجنة .

[١٥٩] - ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿يَهْتَدُونَ﴾ الناس ﴿بِالْحَقِّ﴾ بكلمة
الحق ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ في الحكم وهم الثابتون على الإيمان من أهل زمانه .
أو قوم وراء الصين رآهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة معراجهم فآمنوا به ، أو
مؤمنو أهل الكتاب .

[١٦٠] - ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾ فرقنا بني إسرائيل ﴿اِثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ حال وتأنيشه للحمل
على الفرقة أو الأمة ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدل منه أي قبائل ﴿أُمَمًا﴾ صفة «أسباطاً» ﴿وَأَوْخَيْنَا
إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ في التيه ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ فضربه
﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ انفجرت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ كل سبط ﴿مَشْرَبَهُمْ
وَوَضَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ يقيهم الشمس ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ وقلنا لهم :

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فسر في البقرة. ^(١)

[١٦١] - ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ﴾ وقرأ «نافع» و«ابن عامر» «تغفر» بالتاء بصيغة المجهول، ^(٢) و«نافع» خطيئاتكم بالهمز والرفع جمعاً، ^(٣) و«ابن عامر» خطيئتكُم كذلك مفرداً، ^(٤) و«أبو عمرو» خطاياكم كقضاياكم ^(٥) ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ثواباً بالإمثال كما جعلناه توبة للمسيء.

[١٦٢] - ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ فسر ثمة. ^(٦)

[١٦٣] - ﴿وَسُئِلَهُمْ﴾ توبيخاً ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ عن أهلها وما وقع بهم ﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ بقربه وهي «أيلة» بين مدين والطور، وقيل: مدين ^(٧) ﴿إِذْ يَغْدُونَ﴾ يتجاوزون الحد بصيد السمك ﴿فِي السَّبْتِ﴾ و«إذ ظرف لـ» كانت «أو حاضرة» ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾ ظرف لـ «يغدون» ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ مصدر سبت اليهود، أي عظمت سبتها، أو اسم اليوم وإضافته لا اختصاصهم فيه بأحكام ﴿شُرْعًا﴾ ظاهرة على الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْتَيْتُونَ﴾ لا يعظمون للسبت، أي سائر الأيام ﴿لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ﴾ البلاء ﴿تَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بفسقهم.

(١) في سورة البقرة: ٢/ ٥٧.

(٢) اتحاف فضلاء البشر: ٢: ٦٥.

(٣) تفسير مجمع البيان: ٢: ٤٩٠ واتحاف فضلاء البشر: ٢: ٦٥.

(٤) تفسير مجمع البيان: ٢: ٤٩٠ واتحاف فضلاء البشر: ٢: ٦٦.

(٥) في سورة البقرة: ٢/ ٥٩.

(٦) تفسير مجمع البيان: ٢: ٤٩١.

[١٦٤] - ﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾ عطف على «إِذْ» قبله^(١) ﴿أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾ جماعة من أهل

القرية وكانوا ثلاث فرق، فرقة صادوا وفرقة نهوهم، وفرقة أمسكوا عن الصيد والنهي، فقالت الماسكة للناحية: ﴿لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الآخرة ﴿قَالُوا﴾ جواباً لسؤالهم ﴿مَعذِرَةٌ﴾^(٢) أي موعظتنا معذرة. ونصبها «حفص» مصدراً^(٣) أي نعتذر معذرة ﴿إِلَى رَبِّكُمْ﴾ لثلاث نسب إلى ترك النهي عن المنكر ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الله فلا يعصونه.

[١٦٥] - ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ من الوعظ فلم ينتهوا ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ

يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بتعدي الحد ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ شديد، فعيل من بؤس يؤس بؤساً: ^(٤) اشتد. وكسر «ابن عامر» الباء وسكن الهمزة على أنه كـ «حِذْر»^(٥) فخفف عينه بنقل حركتها إلى الفاء، وقلب «نافع» الهمزة ياءً كـ «ذيب» في ذئب»^(٦) و«أبو بكر» على فيعل كـ «ضيغم»^(٧) ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بفسقهم.

[١٦٦] - ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ﴾ نكسروا عن تركه ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً

خَاسِئِينَ﴾ مطرودين. وأريد بـ «كونوا» سرعة التكوين لا الأمر وظاهره تأخر المسخ عن العذاب وقيل: هذا تفصيل لما قبله.^(٨)

قيل لما عتوا اعتزلهم الناهون فأصبحوا يوماً فلم يخرج من العاصين أحد،

(١) أي «اذ يعدون».

(٢) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «معذرة» - كما سيشير إليه المؤلف.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩١ وحجة القراءات: ٣٠٠.

(٤) كذا في النسخ والصحيح بؤساً - كما في تفسير البيضاوي ٢: ٢٤٨.

(٥) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩٢ وحجة القراءات: ٣٠٠.

(٦) حجة القراءات: ٣٠٠.

(٧) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩٢ وحجة القراءات: ٣٠٠.

(٨) قاله البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٤٨.

فدخلوا عليهم فإذا هم قردة تعرفهم وهم لا يعرفونها فجعلت تأتيهم تبكي وتشم ثيابهم فماتوا بعد ثلاث. ^(١)

[١٦٧] - ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ بمعنى آذن، أي: أعلم، أجري مجرى القسم كـ «علم الله» فأجيب بجوابه وهو ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ لیسَلْطَنَ على اليهود ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ يوليهم شدته بالذل وأخذ الجزية فبعث عليهم سليمان، ثم بخت نصر، فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأذلهم وضرب عليهم الجزية، فهم كذلك الى يوم القيامة ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ لمن آمن ﴿رَحِيمٌ﴾ به.

[١٦٨] - ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾ فرقناهم ﴿فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرقاً، مفعول ثاني أو حال، فلا شوكة لهم ولا يتناصرون ﴿مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ﴾ صفة «أمم» وهم من آمنوا ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ أي ناس منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم ﴿وَيَلُونَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ بالمنح والمحن ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما هم عليه.

[١٦٩] - ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ مصدر نُعت به، فيأتي للواحد والجمع، وقيل: جمع، ^(٢) وشاع في الشر، وبالفتح في الخير، وأريد به معاصرو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَوَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ التوراة عن أسلافهم يتلونونها ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذْنَى﴾ حطام هذا الشيء الدني أي الدنيا من الحرام كالرشى وغيرها. والجملة حال من الواو ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ لا يؤاخذنا الله بذلك. والفعل مسند الى «لنا» أو مصدر «ياخذون» ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ حال من المستكن في «لنا» أي يرجون المغفرة، مصرين على ذنبهم، عاندين إليه ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ تقرير ﴿عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ أي في الكتاب ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ متعلق بالميثاق أي بـ «أن

لا يقولوا «أو عطف بيان له ﴿وَدَّرَسُوا﴾ عطف على «يؤخذ» أو على «ورثوا» وهو اعتراض، قرأوا ﴿ما فيه﴾ أو تركوه حتى صار دارساً وليس فيه وعد بالمغفرة مع الإصرار فلم خالفوا الميثاق بالكذب على الله بنسبة المغفرة إليه تعالى مع الإصرار ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ من عرض الدنيا ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرام ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾^(١) ذلك، فيؤثرون النعيم الباقي على الدني الفاني المؤدي الى العقاب. وقرأ «نافع» و«ابن عامر» بالتاء.^(٢)

[١٧٠] - ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ عطف على «الذين يتقون» و«أفلا يعقلون» اعتراض، أو مبتدأ خبره ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُضِلِّينَ﴾ بتقدير منهم. وضع الظاهر موضع المضممر وخفف «أبو بكر» «يمسكون».^(٣)

[١٧١] - ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾ رفعناه ﴿فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ هي ما أظلك من غمامة أو سقيفة^(٤) ﴿وَوَظَنُوا﴾ أيقنوا، أو قري في نفوسهم ﴿أَنَّهُ وَقِيعٌ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم إذ وعدهم الله بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة، وكانوا أبوها لثقلها فقبلوها ﴿خُذُوا﴾ أي وقلنا لهم: خذوا ﴿مَا ءَاتَيْنَاكُمْ﴾ من التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجذ وعزم، حال من الواو ﴿وَادْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي.

[١٧٢] - ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بدل اشتمال مما قبله بتكرار من ﴿ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ وجمعه «نافع» و«أبو عمرو» و«ابن عامر»،^(٥) أي أخرج من أصلابهم على نحو توأدهم نسلاً بعد نسل ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أي وركب

(١) في المصحف الشريف بقراءة حفص: «تعقلون».

(٢) حجة القراءات: ٣٠١.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٤٩٥ - حجة القراءات: ٣٠١.

(٤) في «ط»: من الغمام أو السقيفة.

(٥) حجة القراءات: ٣٠١.

فيهم عقلاً ونصب^(١) لهم دلائل تدعوهم الى الإقرار بربوبيته حتى صاروا بمنزلة من استشهدوا وأقروا فكأنه قيل لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ أنت ربنا ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ كراهة أن تقولوا ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ لم ننبه له بحجة .

[١٧٣] - ﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ وقرأ «أبو عمرو» بالياء - فيهما -^(٢) ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فاقتدينا بهم إذ لا يسع التقليد مع التمكن من العلم بالحجة ﴿أَفْتَهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ من آبائنا بتأسيس الشرك .

وقيل : أخرج الله ذرية آدم من ظهره وجعلهم أحياء عقلاء ناطقين ، وألهمهم ذلك .^(٣)

ورد بأنه يأباه الظاهر ، لكن في أخبار أئمتنا عليهم السلام ما يعضده .^(٤)

[١٧٤] - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ التفصيل والبيان للميثاق العام والخاص باليهود ﴿نُقْضِلُ﴾ الآيات ﴿نَبِّئْنَهَا لِيَسْتَدْلُوا بِهَا﴾ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن الباطل الى الحق .

[١٧٥] - ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي اليهود ﴿نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا﴾ «بلعم بن باعورا» من الكنعانيين ، كان عنده اسم الله الأعظم ، فسئل أن يدعو على موسى فدعا فانقلب عليه .

وقيل : أمية بن أبي الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم حسده وكفر به^(٥) ﴿فَانْسَلَخَ﴾ خرج ﴿مِنْهَا﴾ بكفره بها كالشيء ينسلخ من جلده ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾

(١) في «ط» : وجعل .

(٢) تفسير مجمع البيان ٤: ٤٩٦ وحجة القراءات: ٣٠٢ .

(٣) رواه البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٥٠ .

(٤) تفسير مجمع البيان ٤: ٤٩٧ وتفسير البرهان ٢: ٤٦-٥١ وتفسير نور الثقلين ٢: ٩٣-١٠١ .

(٥) قاله أبو حمزة - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٤٦٩ - ونقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٥١ .

فلحقه ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ فصار من الهالكين .

[١٧٦] - ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ الى منازل العلماء ﴿بِهَا﴾ بسبب الآيات قبل كفره لكن بقيناه^(١) اختباراً له^(٢) فكفر ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ ركن الى الدنيا ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في ايثارها فوضعناه ﴿فَمَثَلُهُ﴾ فصفته ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ كصفته ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ بالطرد والزجر ﴿يَلْهَثْ﴾ يدلغ لسانه ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ﴾ وشأنه ﴿يَلْهَثْ﴾ والشرطية حال أي لاهثاً في الحالين بخلاف سائر الحيوانات والمراد التشبيه في الوضع والخسة .

وقبل لما دعا على موسى اندلع لسانه على صدره^(٣) ﴿ذَلِكَ﴾ المثل ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ على اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يتدبرونها فيعتبرون .

[١٧٧] - ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾ أي مثل القوم ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بعد علمهم بها ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ لا غيرها ﴿كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ بالكذب إذ وباله لا يتعداهم .
[١٧٨] - ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ الى الإيمان بلطفه ، لعلمه أنه أهل للطف ، أو الى الجنة بسبب إيمانه ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ الفائز بالنعيم الباقي ﴿وَمَنْ يَضِلَّ﴾ بالتخلية بينه وبين ما اختاره من الضلال ، أو عن الجنة بسبب كفره ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ .

ورعاية اللفظ بالإفراد في الأول ، والمعنى بالجمع بالثاني تشعر بأن المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين .

[١٧٩] - ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ ممن علم الله أن عاقبتهم النار لاختيارهم الكفر فكأنه خلقهم لها ، فاللام للعاقبة لا للعلة بدليل ﴿وما

(١) في «ط» لكن ابقيناه .

(٢) في «الف» و«ب» : اختباراً له .

(٣) تفسير البضاوي ٢: ٢٥١ .

خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون^(١) ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الحق لتركهم تدبر دلائله ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ آيات قدرة الله تعالى بصر اعتبار ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ مواعظ القرآن سماع اتعاظ ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم الفقه والإبصار والاستماع ﴿بَلْ هُمْ أَصْلٌ﴾ لأنها لا تدع ما فيه صلاحها من جلب منفعة ودفع مضرة، وهؤلاء يقدمون على النار عناداً ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ إذ لم ينتبهوا^(٢) بالحجج.

[١٨٠] - ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ مؤنثة أحسن، لدلالاتها على أحسن المعاني ﴿فَادْعُوهُ﴾ سمّوه ﴿بِهَا وَذَرُّوْا﴾ واركبوا ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ يميلون. وفتح «حمزة»^(٣). يقال: لحد لحداً أي مال عن القصد ﴿فِي أَسْمَائِهِ﴾ فيطلقونها على الأصنام ويشتقون أسماءها منها كالكلمات من الله والعزى من العزيز، ومناة من المنان.

أو يسمونه بما لا يليق به، أي ذروهم والحادهم فيها، أو ذروا تسميتهم. ويفيد أن أسماءه تعالى توقيفية ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٨١] - ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ في الحكم.

قال البيضاوي: استدلل به على حجية الإجماع، لأن المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه السلام: «لا تزال من أمتي طائفة على الحق حتى يأتي أمر الله»^(٤).

ولا يخفى أن مفاد ذلك أن حجيته إنما هي باعتبار دخول قول تلك الطائفة وهو إنما يناسب طريقنا في حجيته من اشتراط دخول المعصوم. وعن الصادقين عليهم السلام: «نحن هم»^(٥).

(١) سورة الذاريات: ٥١/٥٦.

(٢) في «ج» و«ط»: ينتهوا.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٥٠١ - وحجة القراءات: ٣٠٣.

(٤) تفسير البيضاوي ٢: ٢٥٢.

(٥) تفسير مجمع البيان ٢: ٥٠٣.

[١٨٢] - ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ سنقرّبهم الى الهلاك درجة درجة
﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك بأن نواتر عليهم النعم وهم يزدادون غيأً حتى يحل
بهم العذاب .

[١٨٣] - ﴿وَأْمَلِي لَهُمْ﴾ وأمهّلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ بطشي شديد، سماه كيداً
لمجيئه من حيث لا يشعرون .

[١٨٤] - ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾ محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿مِنْ
جَنَّةٍ﴾ قيل : صعد صلى الله عليه وآله وسلم الصفا فحذرهم بأس الله ، فقال بعضهم «ان
صاحبكم جنّ حتى بات يصوت الى الصباح» فنزلت ^(١) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾
موضح للإنذار .

[١٨٥] - ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ نظر ^(٢) اعتبار ﴿فِي مَلَكُوتٍ﴾ ملك ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان لـ «ما» فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته ﴿وَأَنْ
عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ أَفْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾ عطف على «ملكوت» و«أن» مصدرية أو مخففة
واسمها ضمير الشأن كـ «يكون» أي أولم ينظروا في اقتراب موتهم فيبادروا [الى] ^(٣)
الإيمان لئلا يموتوا كفاراً فيصيروا الى النار ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ أي القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾
مع وضوح دلالة .

[١٨٦] - ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ بتركه وسوء اختياره ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ يقسه على الإيمان
﴿وَنَذَرُهُمْ ^(٤) فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ بالرفع على الاستئناف وقرأ «أبو عمرو» و«عاصم» بالياء ^(٥)

(١) ذكره البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٥٢ - وفيه : يهوت ، وذكر معناه الطبرسي في تفسير مجمع البيان
٥٠٥: ٢ .

(٢) في «ط» : نظرة .

(٣) الزيادة اقتضاها السياق .

(٤) في المصحف الشريف بقراءة حفص : «يذرهم» .

(٥) حجة القراءات : ٣٠٣ .

«حمزة» و«الكسائي» بها وبالجزم عطفاً على محل الجزء^(١) «يَعْمَهُونَ» متحيرين .
[١٨٧] - «يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ» يوم القيامة أو وقت موت الخلق «أَيَّانَ
مُرْسَاهَا» متى إرساؤها، اثباتها .

ورسا الشيء : ثبت واستقر . وأصل «أَيَّانَ» أي ، إذ معناها أي وقت «قُلْ إِنَّمَا
عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي» لم يُطلع عليه أحداً «لَا يُجَلِّيهِا لَوَقْتِهَا» لا يظهرها في وقتها «إِلَّا
هُوَ» فلا يعلمها غيره حتى يجليها «نُقُلْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» عظمت على أهلها
لهولها «لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً» فجأة ، فتكون أعظم وأهول «يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ»
مستقص في السؤال «عَنْهَا» حتى علمتها «قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ» كرر تأكيداً
«وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» ان علمها عند الله استأثر به .

[١٨٨] - «قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا» بجلب «وَلَا ضَرًّا» بدفع «إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ»
أن يملكه من ذلك بإلهامه «وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ» من
المنافع «وَمَا مَسْنِي السُّوءِ» من فقر وغيره لاحترازي من أسبابه «إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ
وَبَشِيرٌ» لا أعدو، ذلك الى علم الغيب «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» فإنهم المتفعون بالإنذار
والبشارة أو يتعلق بـ«بشير» ومتعلق «نذير» مقدر .

[١٨٩] - «هُوَ» أي الله «الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» آدم «وَجَعَلَ مِنْهَا» من
ضلعها أو فضل طيتها أو جنسها «زَوْجَهَا» حواء «لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا» ليأنس بها . ذكر
نظراً الى المعنى «فَلَمَّا تَغَشَّاهَا» جامعها «حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيًّا» هو النطفة «فَمَرَّتْ
بِهِ» فاستمرت به تجيء وتذهب لخفته «فَلَمَّا أَثْقَلَتْ» صارت ذات ثقل بكبر الحمل
في بطنها «دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْنَا صَالِحًا» ولداً سوياً «لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ»
لك على ذلك .

[١٩٠] - «فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا» أي جعل أولادهما

له شركاء فيما أتى أولادهما فسمّوه «عبد اللات» و«عبد العزى» على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه بقريظة ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وقيل: ضمير «جعلاً» للنسل الصالح السوي. ^(١) وثُنِيَ لأن حواء كانت تلد توأماً.

وقيل المعنى: خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل زوجها من جنسها.

وضمير «جعلاً» للنفس، وزوجها من ولد آدم، ^(٢) وضمير «يشركون» للجميع. وقرأ «نافع» و«أبو بكر» شركاً ^(٣) أي ذوي شرك أي شركاء.

[١٩١] - ﴿أَيُّشْرِكُونَ﴾ توبيخ ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي الأصنام التي

سموها آلهة. وأفرد للفظ «ما» وجمع لمعناها.

[١٩٢] - ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ أي لعبدتهم ﴿نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾

بدفع ما يعترىها.

[١٩٣] - ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ أي المشركين ﴿إِلَى الْهُدَى﴾ الإيمان ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾

وخففه «نافع»، ^(٤) أو الخطاب للمشركين والضمير للأصنام، أي إن تدعوهم إلى أن

يهدوكم لا يجيبوكم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ لم يقل صمتم

مبالغة في عدم إفادة الدعاء من حيث تسويته بالثبات على الصمت.

[١٩٤] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدونهم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ﴾ مملوكة مذللة ^(٥)

﴿أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ﴾ في مهامكم ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ انهم آلهة.

[١٩٥] - ﴿أَلَهُمْ أَزْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ وضم «الطاء»

(١) تفسير مجمع البيان ٥٠٩: ٢.

(٢) قاله الحسن وقتادة - كما في تفسير مجمع البيان ٥٠٩: ٢.

(٣) حجة القراءات: ٣٠٤.

(٤) تفسير مجمع البيان ٥٠٨: ٢ وحجة القراءات: ٣٠٥.

(٥) في «ط»: مملوكون مذللون.

«أبوجعفر»^(١) ﴿أَمْ لَهُمْ أَغْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الهمزة للإنكار، و«أم» منقطعة أي ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم، فأنتم أفضل وأتم منهم، ولم يستحق بعضكم عبادة بعض فكيف يستحقون عبادتكم وهم انقص منكم ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ وتظاهروا بهم عليّ ﴿ثُمَّ كِيدُوا﴾ فاجتهدوا انتم وهم في هلاكي ﴿فَلَا تُنْظِرُونِ﴾ فلا تمهلوني فإني لا أبالي بكم.

[١٩٦] - ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ﴾ متولي أموري وناصري ﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن، حجة لي عليكم ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ ينصرهم بالدفع عنهم والحجة.
[١٩٧] - ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ فكيف أبالي.

[١٩٨] - ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا﴾ أي الأصنام ﴿وَتَرَاهُمْ يُنْظَرُونَ﴾ كالناظرين ﴿إِلَيْكَ﴾ إذا قابلت صورهم ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.
[١٩٩] - ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ ما عفا وتيسهل من أخلاق الناس أو من أموالهم. ونسخ بآية الزكاة، أو اعف عن المذنب ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ ما حسن عقلاً وشرعاً ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فقابل سفههم بالحلم.

[٢٠٠] - ﴿وَإِمَّا﴾ «ان» الشرطية ادغمت في «ما» الزائدة ﴿يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ ينخسك منه نخس، أي وسوسة تزعجك ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ يكفكه ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ لدعائك ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يصلحك فيفعله.

[٢٠١] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ﴾ خاطر ولمم،^(٢) اسم فاعل من طاف يطوف، أو طاف يطيف طيفاً وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو» و«الكسائي» «طيف»

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٥١١.

(٢) اللّم هو صغار الذنوب، ويقال مقارنة الذنب من غير موافقة.

مصدر. ^(١) ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ أي جنسه بقريئة جمع ضميره ﴿تَذَكَّرُوا﴾ عقاب الله وثوابه ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ للرشد فيرجعون إليه بسبب التذكر.

[٢٠٢] - ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾ أي إخوان الشياطين من الكفار يمدّهم الشياطين، أو إخوان الكفار من الشياطين يمدّون الكفار ﴿فِي الْغَيِّ﴾ بتزيينه لهم. وقرأ «نافع»: «يمدّونهم» من أمد ^(٢) ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ لا يكفون عن اغوائهم، أو لا يكف الاخوان عن الغي كما يكف المتقون.

[٢٠٣] - ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ﴾ مما اقترحوا، أو من القرآن ﴿قَالُوا لَوْ لَا اجْتَبَيْنَاهَا﴾ هلا تقولتها من نفسك كسائر ما تقولته، أو هلا طلبتها من ربك ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ لست بمتقول ولا مقترح للآيات ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَصَائِرُ﴾ دلائل تبصر القلوب بها الحق ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فسر. ^(٣)

[٢٠٤] - ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ قيل: نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها، فامروا بالإستماع والإنصات لقراءة الإمام، ^(٤) وروى ذلك عن الباقر عليه السلام ^(٥) وقيل فيها وفي الخطبة ^(٦) وظاهرها وجوبهما لقراءة القرآن مطلقاً وبه اخبار. ^(٧)

وتحمل على تأكيد الاستحباب إن ثبت الإجماع على عدم الوجوب في غير

(١) اتحاف فضلاء البشر ٧٢/٢.

(٢) حجة القراءات: ٣٠٦.

(٣) قد مرّ مثله في الآية ٥٢ من هذه السورة.

(٤) تفسير البضاوي ٢: ٢٥٦.

(٥) تفسير البرهان ٢: ٥٦ ونقله الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٥١٥.

(٦) قاله الحسن - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٥١٥.

(٧) تفسير البرهان ٢: ٥٧ وتفسير مجمع البيان ٢: ٥١٥.

الصلاة كما ادعي. (١)

[٢٠٥] - ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ يعم كل ذكر. وعن «زرارة» عن أحدهما عليهما السلام، معناه: «إذا كنت خلف امام تأتم به فانصت وسبح في نفسك» (٢) يعني فيما لا يجهر الإمام فيه بالقراءة ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ متضرعاً وخائفاً ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ ولا فظاً دون الجهر وفوق السر ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ بالبكر والعشيات ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ عن ذكر ربك.

[٢٠٦] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ ينزهونه ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ يخصونه بالخضوع والتذلل. تعريض بمن ليس كذلك.

وسجود التلاوة هنا مستحب عندنا، وعند الشافعي، وأوجه أبو حنيفة. (٣)



مركز تحقيق كتاب تبيين علوم اسلامی

(١) نقل الطبرسي في تفسير مجمع البيان ٢: ٥١٥، قول الشيخ الطوسي قدس سره: «اقوى الأقول، الاول: لانه لا حال يجب فيها الانصات لقراءة القرآن الاحالة قراءة الإمام في الصلاة فإن على المأموم الانصات والاستماع، فاما خارج الصلاة فلا خلاف ان الانصات والاستماع غير واجب».

(٢) تفسير مجمع البيان ٢: ٥١٥.

(٣) تفسير مجمع البيان ٢: ٥١٦.

سورة الأنفال

[٨]

ست وسبعون آية مدنية وقيل : إلا من «واذ بمكر» الى آخر سبع^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ عن الغنائم لمن هي . نزلت حين اختلف المسلمون في غنائم بدر فقال الشَّيْبَانِ : هي لنا لبما شرتنا القتال ، وقال الشيوخ كنا تحت الرايات رداء لكم تنحازون إلينا .

أو عن الأشياء المختصة به صلى الله عليه وآله وسلم كما روى عن أهل البيت عليهم السلام انها ما أخذ من دار الحرب بلا قتال ، والأجسام والموات وغيرهما ، فإنها لله ولرسوله ، وبعده لمن قام مقامه يصرفه حيث شاء من مصالحه^(٢) وإن غنائم بدر كانت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة فقسمها بينهم تفضلاً منه ، فالمراد بالسؤال عنها طلبهم إياها منه صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) قاله ابن عباس وقتادة - كما في تفسير الصافي ٢: ٢٦٦.

(٢) راجع الأحاديث الواردة في ذلك في تفسير البرهان ٢/ ٥٩ وتفسير الصافي ٢: ٢٦٦.

ويعضده قراءة أهل البيت عليهم السلام «يسألونك الأنفال»^(١) ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي أمرها مختص بهما يجعلها الرسول حيث أمره الله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الاختلاف والخلاف ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ الحال بينكم، أو حقيقة وصلكم، بالمواصلة وترك الشقاق ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في أوامرهما ونواهيهما ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ كاملي الإيمان، فإن كماله بتقوى الله والإنقياد له ولرسوله واصلاح ذات البين.

[٢] - ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي الكاملون الإيمان ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ خافت لذكره تعظيماً له، أو إذا ذكر وعيده تركوا المعاصي خوفاً من عقابه ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ تصديقاً لرسوخ اليقين بتظاهر الحجج ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ به، يثقون وإياه يرجون ويخشون لا غيره.

[٣] - ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ فسر في البقرة.^(٢)

[٤] - ﴿أُولَئِكَ﴾ المستجمعون لهذه الخصال ﴿هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ أي إيماناً حقاً لا يشوبه شك، أو حق ذلك حقاً ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في الجنة يرتقونها بأعمالهم ﴿وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ دائم كثير في الجنة.

[٥] - ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ «كما» متعلق بما دل عليه «الأنفال» لله والرسول، أي جعلها لك وإن كرهوا ولم يعلموا انها صالح لهم كإخراجك من وطنك المدينة للحرب وإن كرهوه.

أو خبر محذوف أي هذه الحال في كراحتهم لها كإخراجك في كراحتهم له ﴿وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ حال أي أخرجك في حال كراحتهم، وذلك «أن غير قريش أقبلت من الشام وفيها أبو سفيان وجماعة، فعلم بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) جوامع الجامع ٢/١ وتفسير البرهان ٢/٥٩.

(٢) سورة البقرة: ٤/٢.

فانتدب أصحابه ليغنموها، فخرجوا هم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فعلمت قريش فخرج أبو جهل بأهل مكة ليدبوا عنها وهم النفير، فأخذت العير الساحل فنجت، فأشير على أبي جهل بالرجوع فأبى، وسار إلى «بدر» وقد وعد الله نبيه إحدى الطائفتين فاستشار أصحابه، فكره بعضهم قتال النفير، وقالوا لم نتأهب له، إنما خرجنا للعير، فقال: العير مضت، وهذا أبو جهل قد أقبل، فرادوه، فغضب النبي صلى الله عليه وآله.

فقال «سعد بن عباد» و«المقداد» و«سعد بن معاذ»: إِمض لما أردت فإننا معك لم يتخلف منا أحد عنك، فسر بذلك وقال: سيروا على بركة الله.

[٦] - ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ أي القتال، إذ قالوا هلا أخبرتنا لنستعد له ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ ظهر وعرفوا صوابه ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي هم في كراحتهم له كمن يساق إلى الموت وهو يعاين أسبابه.

[٧] - ﴿وَإِذْ﴾ واذكروا إذ ﴿يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ العير أو النفير. و«إحدى» ثاني مفعولى «يعدكم» ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدل اشتمال منه ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَ تَكُونَ لَكُمْ﴾ أي تريدون العير لقلّة الناس والسلاح فيها دون النفير لكثرة عددهم.^(١)

والشوك: الحدة، كني بها عن الحرب ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَدَّ﴾ يشبهه ويظهره ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ السابقة بالوعد بظهور الإسلام ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ آخرهم أي يستأصلهم بظفركم بالنفير.

[٨] - ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ أي أمركم بقتال النفير ليظهر الإسلام ويمحق الكفر ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ذلك.

[٩] - ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ متعلق بـ«ليحق» أو بمضمر أي أذكروا إذ تطلبون منه

(١) وفي تفسير البيضاوي: والشوك: الحدة، مستعار من واحدة الشوك.

الغوث بنصركم عليهم ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ﴾ أني معينكم، قيل: كسرهما «أبو عمرو»^(١) على إرادة القول أو لأن الاستجابة منه ﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ متبعين بعضهم بعضاً، من أردفته جثت بعده، أو متبعين أنفسهم المؤمنين من أردفته الشيء اتبعته أياء فردفه، وفتح «نافع» الدال^(٢) أي متبعين أمدهم أولاً بها ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة كما في «آل عمران»^(٣).

[١٠] - ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَى﴾ بشارة لكم بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ تسكن إليه من الروح ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ لا من العدد والعدد والملائكة، وإنما أمدهم بشارة وتقوية لقلوبهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يغالب ﴿حَكِيمٌ﴾ يفعل المصلحة.

[١١] - ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ﴾ بدل من «إذ تستغيثون» أو متعلق بـ «جعل» أو بالنصر، أو بإضمار «اذكر» وخففه نافع^(٤) من «أغشيته الشيء» أي غشيته إياه، وقرأ «ابن كثير» و«أبو عمرو»: «يغشاكم»^(٥) النعاس بالرفع ﴿أَمَنَةً مِنْهُ﴾ أماناً من الله، مفعول له لـ «يغشاكم النعاس» و«يغشاكم» لأنهما بمعنى تنعسون.

والأمنة فعلهم، أو يراد بها الأمان فهي فعل المغشي ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ من الجنابة والحدث أو منهما ومن الخبث ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ الجنابة، لأنها من تخييله أو وسوسته لكم.

قيل نزلوا على تل رمل تسوخ فيه أقدامهم فباتوا على غير ماء فاختلفم أكثرهم،

(١) تفسير الكشاف ٦: ٢.

(٢) حجة القراءات: ٣٠٧.

(٣) آل عمران: ١٢٤/٣.

(٤) حجة القراءات: ٣٠٩.

(٥) حجة القراءات: ٣٠٨.

وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم إبليس وقال : تزعمون انكم على الحق وقد سبقتم الى الماء ، وتصلّون بالجنابة والحدث وأنتم ظماء ، فامطروا وتلبّد الرمل لتثبت عليه أقدامهم ، فصنعوا الحياض واغتسلوا وتوضّؤوا اطمأنوا وزالت الوسوسة ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ باليقين والثقة بالنصر ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ أي بالمطر بتبليده الرمل ، أو بالربط .

[١٢] - ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ﴾ بدل ثاني ، أو متعلق بـ «يثبت» ﴿إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ بالنصر في إعانتهم ﴿فَتَبَشِّرُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالتبشير بالنصر ، أو بقتل أعدائهم ، فيؤيد القول بأنهم قاتلوا ، ويكون ﴿سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَ﴾ كالبيان لـ «أني معكم» فتبشّروا ، ومن منع قتالهم جعله خطاباً للمؤمنين على تغيير الخطاب ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي الرؤوس ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أطراف أيديهم وأرجلهم .

[١٣] - ﴿ذَلِكَ﴾ الضرب ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي بسبب مخالفتهم لهما ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ بالإهلاك في الدنيا وبالنار في الآخرة .

[١٤] - ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي الأمر ذلكم ﴿فَذَوْقُوهُ﴾ أيها الكفار في الدنيا ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ عطف على «ذلكم» ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾ في الآخرة .

[١٥] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفَا﴾ متدائنين لقتالكم ، كأنهم لكثرتهم يزحفون ، أو يدنون اليكم وتدنون اليهم ﴿فَلَا تُؤَلُّوهُمْ الْأَذْبَانُ﴾ منهزمين .

[١٦] - ﴿وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم لقائهم ﴿دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ منعطفاً يريهم الفرّ وهو يريد الكرّ مكيدة ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ﴾ منحازاً الى جماعة من المسلمين يستعين بها . ونصب «متحرفاً» و«متحيزاً» حالاً ، أو على الاستثناء أي إلا رجلاً متحرفاً أو متحيزاً ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ رجع ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِشَسِّ الْمَصِيرِ﴾

المرجع هي، هذا إذا لم يزد العدو على الضعف.

[١٧] - ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ ببدر بقوتكم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بنصره لكم وإرعابهم.

قيل: ^(١) لما التقى الجمعان رماهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقبضة من الحصى، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه شيء منها فهزموا، وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم، ثم رجعوا يتفاخرون بقتلهم فنزلت. والفاء جواب شرط مقدر أي إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوههم ولكن الله قتلهم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ وما بلغت أعينهم الحصى يا محمد ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بها نحوهم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ بلغ، إذ لا قدرة لبشر أن يبلغ كفاً من الحصى أعين الجيش الكثير. وخفف «ابن عامر» و«حمزة» و«الكسائي» «لكن» في الموضعين ^(٢) ورفعوا ما بعدها ﴿وَلِيَلِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾ أي فعل ذلك ليقهر المشركين ولينعم على المؤمنين نعمه بالنصر والغنيمه ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعائهم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بأحوالهم.

[١٨] - ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي الأمر ذلكم الإبلاء ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾ عطف على «ذلكم» وشدد «ابن كثير» و«نافع» «موهن» منوناً، وخففه الباقون ونوتوه، إلا «حفصاً» ^(٣) إضافة.

[١٩] - ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾ تطلبوا الفتح أي النصر، أو الحكم أيها الكفار، إذ قال أبو جهل يوم بدر: اللهم من كان أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعرف فأنصر عليه أو فأهلكه ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ نصر - محمد صلى الله عليه وآله وسلم - عليكم، أو الحكم بهلاك أبي جهل وقتلاكهم ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾ عن الكفر وحرب الرسول ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

(١) وردت في ذلك أحاديث راجع تفسير البرهان ٢: ٧٠ وعليه جماعة من المفسرين ومنهم ابن

عباس - كما في تفسير مجمع البيان ٢: ٥٣٠ -.

(٢) حجة القراءات: ٣٠٩.

(٣) حجة القراءات: ٣٠٩ - ٣١٠.

عاجلاً وَّاجْلاً ﴿وَإِنْ تَعُوذُوا﴾ لحربه ﴿نَعُدُّ﴾ لنصره ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ﴾ تدفع ﴿عَنْكُمْ﴾
فَتُتَّكَمُ ﴿جماعتكم﴾ ﴿شَيْئاً﴾ من العذاب ﴿وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر
وفتح «إِنْ» «نَافِعٌ» و«ابن عامر» وحفص «على تقدير اللام»^(١).

[٢٠] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا﴾ تعرضوا ﴿عَنْهُ﴾ عن
الرسول ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآن والمواعظ.

[٢١] - ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ كالكفرة في دعواهم السماع ﴿وَهُمْ لَا
يَسْمَعُونَ﴾ سماع قبول، فكانهم لم يسمعوا.

[٢٢] - ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ ما دب على وجه الأرض ﴿عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ﴾ عن سماع
الحق ﴿الْبُكْمُ﴾ عن قوله ﴿الَّذِينَ لَا يَغْقِلُونَ﴾ جعلوا شراً من البهائم لإبطالهم ميزوا به.

[٢٣] - ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ انتفاعاً باللفظ ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ للطف بهم حتى
يسمعوا الحق ويقبلوه ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوْا وَهُمْ
مُفْرِضُونَ﴾ عن قبوله عناداً.

[٢٤] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾
الرسول ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من العقائد والأعمال المورثة للحياة الباقية أو العلم لأنه
حياة، والجهل موت، أو الجهاد لأنه يمنع عن غلبة العدو، أو الشهادة لقوله ﴿بَلْ
أَحْيَاءُ﴾^(٢) ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ بالموت ونحوه، فلا يمكنه تلافي
ما فات فبادروا الى الطاعات قبل الحيلولة، أو أنه أقرب إليه من قلبه فاحذروه نظير
﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾^(٣) أو أنه يملك عليه قلبه فيفسخ عزائمهم ففوضوا
اموركم إليه ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ﴾ فيجزىكم بأعمالكم.

(١) حجة القراءات : ٢١٠.

(٢) سورة آل عمران : ١٦٩ / ٢.

(٣) سورة ق : ١٦ / ٥٠.

[٢٥] - ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ عذاباً أي موجهه كإقرار المنكر بين أظهركم، وترك الأمر بالمعروف ﴿لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ جواب الأمر، أي إن إصابتكم لاتخص الظالمين بل تعمهم وغيرهم.

وسوغ التوكيد مع منافرتة لجواب الشرط تضمنه النهي، كـ ﴿ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم﴾^(١) أو صفة لـ «فتنة» و«لا» للنهي بتقدير القول، لا للنفي، لشذوذ النون فيه في غير القسم، أو نهى بعد أمر كأنه قيل اتقوا عذاباً ولا يخصن العذاب الظالمين، أي لاتظلموا فإن وبال الظلم يخص الظالم ويؤيده قراءة أمير المؤمنين والباقر عليهما السلام: «لتصيبين»^(٢) ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ للعصاة.

[٢٦] — ﴿وَادْكُرُوا﴾ معشر المهاجرين ﴿إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ قبل الهجرة ﴿مُسْتَظْعَفُونَ﴾ لقريش ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ يأخذونكم بسرعة كفار قريش أو غيرهم ﴿فَأَوَّكُنْ﴾ إلى المدينة ﴿وَأَيْدِكُمْ﴾ قواكم ﴿بِنَصْرِهِ﴾ يوم بدر بالملائكة أو بالأنصار ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطِّيبَاتِ﴾ الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه.

[٢٧] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ بترك الفرائض والسنن، أو بترك شيء من الدين.

قيل: حاصر صلى الله عليه وآله وسلم «قريظة» أياماً، فسألوه الصلح كما صالح «النظير» على أن يسيروا إلى إخوانهم بالشام، فأبى إلا أنزلهم على حكم «سعد» فأبوا، وقالوا ابعث إلينا «أبا لبابة» وكان عياله وماله فيهم، فبعثه فاستشاروه، فأشار لهم انه الذبح.

قال فما زالت قدماي حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله، فنزلت، فشدد نفسه

(١) سورة النمل: ٢٧/١٨.

(٢) تفسير الصافي ٢: ٢٩٠.

على سارية في المسجد، والى لا يذوق شيئاً حتى يموت أو يتاب عليه، فمكث سبعة حتى غشى عليه، ثم تاب الله عليه فقبل له: تَيْبَ عَلَيْكَ، فحل نفسك، فألى لا يحلها حتى يحله النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاءه فحلّه^(١) ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ ما آمنتهم عليه من الدين وغيره. جزم عطفاً على النهي، أو نصب جواباً له ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ انها أمانة أو قبح الخيانة.

[٢٨] - ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ بليّة من الله ليلوكم فيهم فلا تعصوه لأجلهم كـ «أبي لبابة» ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ من أطاعه فيهم وأثر رضاه عليهم فالتمسوه.

[٢٩] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ﴾ بطاعته وترك معاصيه ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ هداية في قلوبكم، تفرقون بها بين الحق والباطل، أو نصراً يفرق بينكم وبين أعدائكم بإعزازكم وإذلالهم.

أو نجاة مما تخافون في الدارين ﴿وَيُكَفِّرْ﴾ يستر ﴿عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بالعفو عن ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ يتبدىء بالنعمة قبل استحقاقها فلا يمنعها مستحقاً بتقواه.

[٣٠] - ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ واذكر إذ يحتالون بمكة في أمرك ﴿لِيُضِلُّوكَ﴾ ليحبسوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة وذلك انهم تشاوروا في أمره بدار الندوة، فقال بعضهم: احبسوه في بيت حتى يموت، وآخر قال: احملوه على جمل واخرجوه على وجهه.

وقال أبو جهل اقتلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فتضربوه ضربة واحدة، فيتفرق دمه في القبائل، فلا يقوى بنو هاشم على حرب الكل، فيرضوا بالدية، فصوب ابليس رأيه، وكان قد أتاهم بصورة شيخ نجدى - وخطأ الأولين، فأجمعوا

(١) روي معناه عن الباقر والصادق عليهم السلام في تفسير البرهان ٣: ٧٣.

على ذلك.

فأخبر جبرائيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمره بالهجرة، فبيت علياً عليه السلام في فراشه وخرج إلى الغار ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ بمجازاتهم بمكرهم أو برده عليهم، أو بمعاملة الماكر بهم بمبيت علي عليه السلام في الفراش ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أعلمهم بالتدبير.

[٣١] - ﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ قاله: «النضر بن الحارث» وأسند إلى الجمع لأنه رئيسهم وقاضيهام أو التأمرون في شأنه صلى الله عليه وآله وسلم، قالوه مع ظهور عجزهم عن معارضة سورة بعد التحدي مكابرة وعناداً ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ما سطره من القصص.

[٣٢] - ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا﴾ الذي يتلوه محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو قوله في علي عليه السلام: من كنت مولاه فعلي مولاه^(١) ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ الثابت تنزيله ﴿مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ على حجوده.

قاله النضر أو أبو جهل أو أبو النعمان بن الحارث تهكماً واطهاراً للجزم ببطلانه. [٣٣] - ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ بيان لسبب إمهالهم عما سألوه وهو كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرهم إذ لم يستأصل الله أمة ونبياً مقيماً فيها. واللام لتوكيد النفي ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ حيث يقولون: ﴿غفرانك ربنا﴾^(٢) أو فرضاً أي لو استغفروا لم يعذبوا أو وهم يستغفرون فيهم بقية المؤمنين الذين لم يهاجروا عجزاً.

[٣٤] - ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ وأي شيء لهم يمنع تعذيبهم بعد خروجك وخروج البقية وقد عذبهم بالسيف بيدر وغيره ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يمنعون النبي صلى الله

(١) اتفق على نقله العامة والخاصة للتفصيل انظر عمدة عيون صحاح الأخبار الفصل الرابع عشر.

(٢) سورة البقرة: ٢/٢٨٥.

عليه وآله وسلم والمؤمنين ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ بِالْجَائِهِمْ إِلَى الْهَجْرَةِ وَاحْصَارِهِمْ عَامَ الْحَدِيثِ ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ كَمَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ وَلَاةُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ لَا الْمَشْرُكُونَ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنْ لَا وَلَاةَ لَهُمْ عَلَيْهِ . وَيُفِيدُ أَنْ بَعْضُهُمْ يَعْلَمُ وَيَعَانِدُ إِنْ لَمْ يَرِدْ بِالْأَكْثَرِ الْكُلُّ .

[٣٥] - ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً﴾ صَفِيرًا مِنْ مَكَاءٍ يَمْكُو: صَفَرٌ ﴿وَتَصَدِيَّةً﴾ تَصْفِيْقًا مِنَ الصَّدَى ، أَيْ وَضَعُوا ذَلِكَ مَكَانَ الدَّعَاءِ ، أَوِ الصَّلَاةِ الَّتِي أَمَرُوا بِهَا ، فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صَلَاتُهُ لَا يَصْلُحُ لَوْلَاةِ السَّجْدَةِ .

قِيلَ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي طَوَافِهِمْ عِرَاقَةً رِجَالًا وَنِسَاءً ، ^(١) وَقِيلَ يَفْعَلُونَهُ إِذَا صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ لِيَخْلُطُوا عَلَيْهِ ^(٢) ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أَيْ الْقَتْلَ بِبَدْرٍ ، أَوْ عَذَابَ الْآخِرَةِ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بِكُفْرِكُمْ .

[٣٦] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ فِي حَرْبِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لِيَصْرِفُوا النَّاسَ عَنْ دِينِهِ .

قِيلَ نَزَلَتْ فِي الْمَطْعَمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ ، كُلُّ يَوْمٍ يَطْعَمُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَشْرَ جُزْرٍ ، ^(٣) أَوْ فِي «أَبِي سَفْيَانَ» اسْتَأْجَرَ يَوْمَ أَحَدِ أَلْفَيْنِ مِنَ الْأَحَابِيْشِ سِوَى مَنْ احْتِشَاشَ مِنَ الْعَرَبِ ، وَانْفَقَ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ أَوْقِيَّةً ، أَوْ فِي أَهْلِ الْعَبْرِ أَعَانُوا بِمَالِهِمُ الثَّائِرِينَ بِقَتْلِ بَدْرٍ ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا﴾ بِأَجْمَعِهَا ﴿ثُمَّ تَكُونُ﴾ تَصِيرُ فِي الْعَاقِبَةِ ﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ غَمًّا لِفَوَاتِهَا وَفَوَاتِ مَقْصُودِهِمْ ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ فِي الْحَرْبِ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَيْ مَنْ ثَبَتُوا عَلَى الْكُفْرِ مِنْهُمْ ﴿إِلَى جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾ يَسَاقُونَ .

[٣٧] - ﴿لِيَمِيزَ﴾ وَشَدَّدَهُ «حَمْزَةً» وَ«الْكَسَاثِي» : ^(٤) مِنَ التَّمْيِيزِ أَيْ لِيَفْصَلَ اللَّهُ

الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ الْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ أَوْ نَفَقَةَ الْكَافِرِينَ فِي حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(٣١) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٦٥ .

(٤) تفسير البيضاوي ٢: ٢٦٥ .

عليه وآله وسلم ونفقة المؤمنين في نصره . ومتعلق اللام «يحشرون» أو «تكون» ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا﴾ يجمعه حتى يتركب بعضه على بعض لازدحامهم ، أو يضم ما انفقوه اليهم ليعذبوا به كالكانزين ﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ﴾ المنفقون ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أنفسهم إذا اشتروا لها العذاب بأموالهم .

[٣٨] - ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لأجلهم كأبي سفيان وأصحابه ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عن الكفر وحرب الرسول ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ من ذنوبهم ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ الى حربه ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي دأب الله فيهم بالتدمير إذا حاربوا أنبياءهم فيجري فيهم .

[٣٩] - ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ لا يوجد شرك ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ بالإجماع على الدين الحق ﴿فَإِنْ انْتَهُوا﴾ عن الكفر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فلا يضيع أجرهم .

[٤٠] - ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن دين الله ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ متولي أمركم وناصركم ﴿نِعَمَ الْمَوْلَى﴾ يحفظ من تولاه ﴿وَنِعَمَ النَّصِيرِ﴾ لا يخذل من نصره .

[٤١] - ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ الذي أخذتم من الكفار قهراً ، وقد يعمم في كل ما فيه الخمس ، إذ الغنيمة الفائدة ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ وإن قل ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ خبر محذوف أو مبتدأ حذف خبره أي فالحكم ، أو فواجب أن لله خمسه ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ وهو الإمام عند أكثرنا ، وبه أخبار .^(١)

وقال بعضنا ؛ «بنو هاشم» لظاهر الآية وبعض الله أخبار وعليه بعض العامة^(٢)

(١) راجع احاديثه في تفسير البرهان ٢: ٨٣ وتفسير نور الثقلين ٢: ١٥٥ .

(٢) تفسير ابوالفتوح ٥: ٩٠ ، وانظر تفسير البيضاوي ٢: ٢٦٦ .

وقال، بعضهم. بنو هاشم والمطلب، ^(١) وبعضهم جميع قريش. ^(٢) ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ من بني هاشم عند جل أصحابنا وبه اخبار.
ومنا من عمم الحكم في الأصناف الثلاثة من جميع المسلمين ^(٣) لظاهر الآية
واخبار وعليه الجمهور.

ثم إن مقتضى العطف بالواو أن يقسم الخمس ستة سهام: سهم الله، وسهم
رسوله، وسهم ذي القربى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وبعده للإمام والثلاثة الآخر
لأصناف الثلاثة ويدل عليه اخبار، ^(٤) وعليه أكثرنا وبعض العامة، إلا أنه قال سهم الله
للكعبة والباقي لمن ذكره الله. ^(٥)

ومنا من قال: يقسم خمسة ^(٦) إذا لمعنى فإن للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وما
عطف عليه خمسة، وذكر الله للتعظيم كأنه قيل: فإن لله خمسة، يصرف الى هؤلاء
ويعضده اخبار، وعليه جمهورهم.

واختلفوا في سهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته ف قيل يصرف في
المصالح، ^(٧) وقيل للإمام، ^(٨) وقيل للأصناف الأربع ^(٩) وقيل: يسقط هو وسهم ذي
القربى بموته، ويصير الكل للثلاثة الآخر ^(١٠) ﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللّٰهِ﴾ جوابه محذوف
دل عليه «واعلموا» أي إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا حكمه في الخمس واعملوا به ﴿وَمَا

(١) تفسير الكشاف ١٦: ٢ - وتفسير البيضاوي ٢: ٢٦٦.

(٢) تفسير البيضاوي ٢: ٢٦٦.

(٣) تفسير البرهان ٢: ٨٤ الحديث ٦.

(٤) رواه البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٦٧.

(٥) تفسير ابو الفتوح ٥: ٨٩.

(٦) تفسير الصافي ٢: ٣٠٤ - وتفسير البيضاوي ٢: ٢٦٧.

(٧) تفسير الصافي ٢: ٣٠٤.

(٨) نقله البيضاوي في تفسيره ٢: ٢٦٧.

أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴿ مِنْ الْفَتْحِ وَالْآيَاتِ ﴾ ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ يوم بدر، إذ فرّق فيه بين الحق والباطل ﴿يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ المسلمون والكفار ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصركم وانتم أقل منهم .

[٤٢] - ﴿إِذْ﴾ بدل «يوم الفرقان» ﴿أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ جانب الوادي الأدنى من المدينة، وكسر عينها «ابن كثير» و«أبو عمرو»^(١) وضمها الباقيون ﴿وَهُمْ﴾ أي النفير ﴿بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ جانبه الأبعد منها ﴿وَالرَّكْبُ﴾ العير بمكان ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ خبرٌ نصب ظرفاً، والجملة حال عن الظرف قبلها ﴿وَلَوْ تَوَدَّ عَدُوُّكُمْ﴾ أنتم والنفير للقتال ثم علمتم ضعفكم وقوتهم ﴿لَاخْتَلَفْتُمْ﴾ أنتم ﴿فِي الْمِيْعَادِ﴾ رهبة منهم ﴿وَلَكِنْ﴾ جمعكم بلا ميعاد ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ واجباً كونه، وهو نصركم وقهرهم . أشير الى ضعفهم وقوة عدوهم بذكر مركزهم، إذ العدو الدنيا تسوخ فيها الأقدام، وليس بها ماء بخلاف القصوى، وباستظهار النفير بالغير وتصميمهم على الثبات في المقاتلة عنها، وبتخلفهم عن الميعاد رهبة منهم ليعلم ان نصرهم معجز من الله تعالى ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ متعلق بـ«مفعولاً» أي ليموت من مات، أو ليكفر من كفر بعد حجة واضحة قامت عليه وهي وقعة بدر، فإنها آية بينة ﴿وَيَخْشَى مَنْ حَتَّى﴾ وفكّه «نافع» و«ابن كثير» و«أبو بكر»^(٢) ﴿عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ أي ويعيش من عاش، أو ويؤمن من آمن عن حجة واضحة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بالعقائد والأعمال .

[٤٣] - ﴿إِذْ﴾ اذكر إذ ﴿يُريْكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ أي يقللهم في عينك في نومك لتخير أصحابك، ليجتروا عليهم ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشيْتُكُمْ﴾ جبتهم ﴿وَلَتَنَارَغَتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أمر القتال من الاقدام والاحجام ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ سلمكم من الفشل والتنازع ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما يحدث في القلوب .

[٤٤] - ﴿وَإِذْ يُريْكُمُوهُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿إِذِ التَّقَيْتُمْ فِي أَغْيَاكُمْ قَلِيلًا﴾ سبعين أو

(١) حجة القراءات: ٣١١ .

(٢) تفسير البيضاوي ٢: ٣٦٧ .

مائة وهم نحو الف لتثبتوا لهم ﴿وَيَقْلَلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ ليجتروا عليكم ولا يتهياؤا لكم ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ كرر لأن المراد بالأمر هناك الالتقاء على تلك الصفة وهنا إعزاز الإسلام وإذلال الشرك ﴿وَالِإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ .

[٤٥] - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ قاتلتهم جماعة كافرة ﴿فَانْبِئُوا﴾ لقتالهم ولا تنهزموا ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ مستعينين بذكره ودعائه على قتالهم ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ تظفرون بالنصر والثواب .

[٤٦] - ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾ باختلاف كلمتكم ﴿فَتَفْسَلُوا﴾ فتجنبوا : جواب النهي ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ دولتكم . استعير لها الريح لمشابهتها لها في نفاذ الأمر ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالنصر والحفظ .

[٤٧] - ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ أي قريش ، خرجوا من «مكة» لمنع غيرهم ﴿بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ حالان أو مفعولان له .

قيل بعث اليهم أبو سفيان : ارجعوا فقد نجت غيركم ، فقال أبو جهل : لا نرجع حتى نرد بدرأ وننحر الجزر ونشرب الخمر ، وتعرف لنا القيان ، وتسمع بنا الناس ، فوافقوها ولقوا ما لقوا ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عطفاً على «بطراً» ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ علماً فيجازيهم به .

[٤٨] - ﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ من حرب الرسول وغيره بوسوسته اليهم ﴿وَقَالَ﴾ بتخييله لهم ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾ لكثرة عددكم وعددكم . و«لكم» خبر «غالب» أو صفته لا صلته وإلا لنصب ﴿وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ﴾ مجيركم ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتَانِ﴾ تلاقى الجمعان ﴿نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾ رجع هارباً أي بطل كيده ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾ رجعت عن جواركم ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ من الملائكة ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ أن يهلكني بأيديهم .

وقيل : ^(١) لما قصدت قريش المسير خافوا «كنانة» لحرب بينهم ، فجنبوا فأتاهم ابليس بصورة «سراقة بن مالك الكناني» وقال : لا غالب لكم واني مجيركم من «كنانة»

(١) قاله عبدالله بن عباس ومحمد بن اسحاق والسدي والكلبي - كما في تفسير ابي الفتوح ٩٦ : ٥ .

فلما رأى الملائكة نكص، فقالوا له أتخذ لنا على هذه الحال؟ فقال إني أرى ما لا ترون، وانطلق وانهزموا، فقدموا مكة وقالوا هزم الناس «سراقة» فبلغه ذلك فقام: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم، فلما اسلموا علموا أنه إبليس، وروي^(١) ذلك عن الصادقين عليهما السلام. وفتح «الحرميان» و«أبو عمرو»: ياء «إني أرى» وياء «إني أخاف»^(٢) ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ من كلامه أو مستأنف.^(٣)

[٤٩] - ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك في الإسلام مع إظهاره ﴿غَرَّهُؤُلَاءِ﴾ أي المسلمين ﴿دِينُهُمْ﴾ اذخرجوا مع قتلهم الى قتال الجيش الكثير ظانين النصر بسببه فاجيئوا ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يغلب حزبه وان قل ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره.

[٥٠] - ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ بيدرو ومفعول «ترى» مقدر أي الكفرة حين تتوفا هم الملائكة. وقرأ^(٤) «ابن عامر» بالتاء ﴿يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ﴾ حال منهم، أو من «الملائكة» أو منهما ﴿وَأَذْبَارُهُمْ﴾ ظهورهم أو أستاذهم ﴿وَذُوقُوا﴾ أي يقولون لهم ذوقوا ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي نار الآخرة، أو مقامع حديد، كلما ضربوا التهب ناراً. وجواب «لو» حذف تهويلاً.

[٥١] - ﴿ذَلِكَ﴾ العقاب ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أُيْدِيكُمْ﴾ أي بسبب ما فعلتم ﴿وَأَنَّ﴾ وبسبب أن ﴿اللَّهُ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ بتعذيبهم بغير ذنب لا بتركه من مستحقه، إذ العفو لا يسمّى ظلماً.

[٥٢] - ﴿كَذَّابٍ﴾ أي دأب هؤلاء وهو عادتهم مثل دأب ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الامم ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بيان لدأبهم ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ بالعقاب ﴿يَذْنُوبِهِمْ﴾ كأخذه هؤلاء ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ لا يمنع ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمستحقه.

(١) تفسير الصافي ٢: ٣٠٨.

(٢) النشر في القراءات العشر ٢: ٢٧٧.

(٣) في تفسير البيضاوي ٢: ٣٦٩: والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفاً.

(٤) حجة القراءات: ٣١١.

[٥٣] - ﴿ذَلِكَ﴾ التعذيب لهم ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿اللَّهُ لَمْ يَكُ﴾ حذف نونه تخفيفاً ﴿مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾ مبدلاً لها بنفقة ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا﴾ يبدلوا ﴿مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ من النعم بكفرها كتبديل قريش بعث الرسول منهم اليهم وإطعامهم وأمنهم غب جوع وخوف بالكفر ومعاداة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين وقتالهم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالهم .

[٥٤] - ﴿كَذَابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ يذنبونهم وأغرقنا ءال فرعون ﴿كَرَّرَ تَأْكِيداً﴾ وكرر ﴿وَكُلٌّ﴾ من الأمم المكذبة ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ أنفسهم بالكفر .

[٥٥] - ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لإصرارهم على الكفر .

[٥٦] - ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ بدل البعض من «الذين كفروا» للتخصيص و«من» لتضمين المعاهدة معنى الأخذ ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ عاهدوا فيها وهم «قريظة» عاهدهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يعينوا المشركين عليه بالسلاح فأعانوهم وقالوا نسينا، ثم عاهدهم فأعانوهم يوم الخندق ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ الله في نقض العهد .

[٥٧] - ﴿فَإِمَّا﴾ «إن» الشرطية أدغمت في «ما» الزائدة ﴿تَتَّقْنَهُمْ﴾ تدركتهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدْنَاهُمْ﴾ ففرق ونكل بقتلهم ومعاقتهم ﴿مَنْ خَلَفَهُمْ﴾ من الكفرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ لعل من خلفهم يتعظون بهم .

[٥٨] - ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ نقض عهد بإمارة تجدها ﴿فَانْبِذْ﴾ فاطرح عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ أي مستوياً أنت وهم في العلم بنقض العهد، بأن تعلمهم به قبل حربك لهم لئلا يتهموك بالخيانة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِسُّ﴾ الخائنين ﴿اسْتِثْنَاهُ﴾ يعلل الأمر بالنبذ على سواء .

[٥٩] - ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ ^(١) يا محمد، ومفعولاه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ فاتوا الله . وقرأ

(١) في المصحف الشريف حفص: «ولا يحسن» - كما يشير إليه المؤلف - .

«ابن عامر» و«حمزة» و«حفص»: بالياء^(١) بجعل فاعله «الذين كفروا» والمفعول الاول محذوف أي أنفسهم ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ استئناف يعلل النهي، وفتحها «ابن عامر»^(٢) بتقدير اللام، أي لا تحسبهم فأتوا الله لأنهم لا يفوتونه. نزلت فيمن أفلت «ببدر» من المشركين.

[٦٠] - ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ لحربهم ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ مما يتقوى به في الحرب، وروى^(٣) أنها الرمي ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ «فعال» بمعنى مفعول، أي التي تربط في سبيل الله، أو مصدر، أي ربطها وحبسها فيه ﴿تُرْهِبُونَ﴾ تخوفون ﴿بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي كفار مكة ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ من غيرهم من اليهود أو المنافقين أو الفرس ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ﴾ بأعيانهم ﴿اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أجره ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ بنقص شيء منه.

[٦١] - ﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ مالوا. يعدى باللام وإلى ﴿لِلسَّلَامِ﴾ للصلح، وكسره «أبو بكر»^(٤) ﴿فَاجْتَنَحْ لَهَا﴾ وهو منسوخ بآية السيف، أو خاص بأهل الكتاب ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثق به فإنه يكفيك ما تخافه منهم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأسرارهم.

[٦٢] - ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ بالصلح ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ جميعاً.

[٦٣] - ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ مع حميتهم وتضاغنهم في أدنى شيء، حتى صاروا كنفس واحدة أو بالأنصار: الاوس والخزرج، كانت بينهم ترات وإحـن، فألف بينهم وصيرهم اخواناً ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ من المال لتألف بينهم ﴿مَا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ لشدة عداوتهم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بقدرته معجزة لك ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

(٢٠١) حجة القراءات: ٣١٢.

(٢) تفسير الصافي ٢: ٣١١.

(٤) حجة القراءات: ٣١٢.

[٦٤] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ «من» عطف على

«الله» أي كافيك الله والمؤمنون، أو على «الكاف» على رأي، أو مفعول معه.

[٦٥] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حثهم «على القتال إن يكن منكم

عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ خبر

معناه الأمر بمقاومة الواحد للعشرة، والوعد بالغلبة إن صبروا. وقرأ «نافع» و«ابن كثير»

و«ابن عامر»^(١) «تكن منكم مائة» بالتاء في الآيتين ومثلهم «أبو عمرو» في الثانية^(٢)

﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أنهم مغالبون الله، ومغالبه مغلوب، أو

يجهلون الآخرة فلا يرجون ثوابها فلا يشبتون لكم.

[٦٦] - ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ عن مقاومة الواحد للعشرة،

وفتحه «عاصم» و«حمزة» وضمه الباقون^(٣) ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ

وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ نسخ عنهم مقاومة عشرة أمثالهم لما ثقلت

عليهم، أو كثروا بمقاومة مثلهم تخفيفاً عنهم ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالعون والحفظ.

[٦٧] - ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ﴾ وقرأ «أبو عمرو» بالتاء^(٤) ﴿لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَشِخْنَ

فِي الْأَرْضِ﴾ يكثر قتل الكفار ويذلهم ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾

حطامها بأخذ الفداء ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ أي ثوابها بقتلهم وقهرهم ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ

غَالِبٌ لَا يَغَالِبُ﴾ ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره.

روى^(٥) انه صلى الله عليه وآله وسلم شاور أصحابه في أسارى بدر، فاختلفوا بين مشير

بأخذ فدائهم ومشير بقتلهم، ثم خيّرهم فأخذوا الفداء وهو صلى الله عليه وآله وسلم كاره

لأخذه، فنزلت عتاباً لهم دونه، فلا تدلّ على أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجتهد

ويخطيء، ويجوز أيضاً انه كان مخيراً بين القتل والفداء وكان القتل أولى

والعتاب على تركه.

(٢٨١) حجة القراءات: ٣١٣.

(٤٣) حجة القراءات: ٣١٣.

(٥) رواه عبدالله بن مسعود - كما في تفسير أبي الفتوح ١١: ٥.

قال^(١) ابن عباس : كان انكار الفداء حال قلة المسلمين ، فلما كثروا خيروا بينه وبين المن بقوله : ﴿فَأَمَّا مَنْ بَعْدَ وَإِنَّمَا فُدَّاهُ﴾ .^(٢)

[٦٨] - ﴿لَوْ لَا كِتَابٌ﴾ حكم ﴿مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ وهو أنه لا يعذب بما لم ينه عنه صريحاً ، أو لا يعاقب من أخطأ في اجتهاده ، أو سيحل لكم الفداء ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ لأصابتكم ﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ والخطاب لغيره صلى الله عليه وآله وسلم لعصمته وكرامته الفداء .

[٦٩] - ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ من الغنائم . قيل امسكوا عنها فتزلت ، أو من الفداء فإنه من الغنائم ﴿حَلَالًا﴾ حال من «ما» أو أكلاً حلالاً وكذا ﴿طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ غفر ذنوبكم ﴿رَحِيمٌ﴾ أباحكم ما غنمتم .

[٧٠] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ وقرأ «أبو عمرو» «الأسارى»^(٣) ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إيماناً خالصاً ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾ من الفداء ﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ نزلت في العباس كلفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يفدى نفسه وإبني أخويه عقيل ابن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث ، فأظهر الفقر ، فقال له : أين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل حين خرجت وقلت لها : ان حدث في حدث فهو لك ولأولادي ؟ فقال ما يدريك ، فقال : أخبرني ربي به ، فقال أشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك رسوله ، لم يطلع عليه إلا الله ، قال فابدلني الله منها عشرين عبداً ، ادناهم يضرب بعشرين ألفاً ، وأعطاني «زمزم» وأنا انتظر المغفرة من ربي .

[٧١] - ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ أي الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ بإظهار الإيمان ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ﴾ بالكفر ﴿مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ المؤمنين بيدر ، فإن عادوا فسيمكن منهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بنياتهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم .

(١) نقل القرطبي معناه عن ابن عباس في تفسيره الجامع ٨ : ٤٨ .

(٢) سورة النساء : ٤٧ / ٤ .

(٣) تفسير البيضاوي ٢ : ٢٧٢ .

[٧٢] - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ ديارهم ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ﴾ بالإنفاق ﴿وَأَنْفُسِهِمْ﴾ بالقتال ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المهاجرون ﴿وَالَّذِينَ ءَاوُوا﴾ النبي والمهاجرين ﴿وَنَصَرُوا﴾ المذكورين على أعدائهم وهم الأنصار ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة أو الميراث.

كان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة دون الأقارب فنسخه ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ بعضهم أولى ببعض^(١) ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَا يَتَّبِعُهُمْ﴾ وكسرهما «حمزة»^(٢) ﴿مَنْ شَاءَ﴾ فلا توارث بينكم وبينهم ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ﴾ فواجب عليكم ﴿النَّصْرُ﴾ على الكفار ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد، فلا تنصروهم عليهم وتنقضوه ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٧٣] - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة أو الميراث ومفهومه نفي الولاية بينهم وبين المؤمنين ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي تولي بعضكم بعضاً أيها المؤمنون وقطع الكفار ﴿تَكُنْ﴾ تحصل ﴿فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾ قوة الكفر ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ ضعف الإسلام.

[٧٤] - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ أي حق إيمانهم حقاً وهم الكاملون في الإيمان ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة.

[٧٥] - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ﴾ أي بعد السابقين بالإيمان والهجرة ﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ أيها المهاجرون والأنصار ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ ذروا القربابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الميراث من الأجانب ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ في حكمه أو اللوح أو القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه مصلحة الميراث.

(١) سورة الأنفال: ٨/ ٧٥.

(٢) تفسير البضاوي ٢: ٢٧٣.

الفهرست

۵	کلمة دار القرآن الکریم
۹	المقدمة
۲۷	مقدمة الطبعة السابقة
۲۲	ترجمة المؤلف
۴۵	مقدمة المؤلف
	مركز تحقیقات کامیونر علوم اسلامی
۴۷	تفسیر سورة الفاتحة
۶۱	= سورة البقرة
۲۲۳	= سورة آل عمران
۲۹۳	= سورة النساء
۳۵۹	= سورة المائدة
۴۰۹	= سورة الأنعام
۴۵۵	= سورة الأعراف
۵۰۷	= سورة الأنفال

